



المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم  
جامعة الملك سعود  
كلية التربية  
قسم الدراسات الإسلامية



بمؤتمرات

المؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام

The International Conference on Mercy in Islam

الجزء التاسع



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



# الرحمة المهداة للصحب في الجهاد والغزوات

إعداد:

عمر بوقمرة



## المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، الرحمة المهداة، والنعمة المُسداة؛ صاحب الخلق العظيم بشهادة رب العالمين: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]؛ بعثه ربه رحمة للعالمين: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، لين الجانب لافظا ولا غليظ القلب: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ﴾ [آل عمران:١٥٩]، يكاد يبخع نفسه حزنا وهما من شدة حرصه على هداية الخلق: ﴿لَعَلَّكَ بَخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٣]، رؤوف رحيم بالمؤمنين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]؛ القائل ﷺ عن بعثته: «إنما بعثت بالرحمة»<sup>(١)</sup>، وعن نفسه: «إنما أنا رحمة مهداة»<sup>(٢)</sup>، وعن الخلق: «من لا يرحم لا يرحم»<sup>(٣)</sup>، و: «لا تنزع الرحمة إلا من شقي»<sup>(٤)</sup>؛

(١) رواه مسلم في صحيحه، من حديث أبي هريرة، كتاب: البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، (٢٥٩٧).

(٢) أخرجه الحاكم وصححه على شرط الشيخين، من حديث أبي هريرة، وقال الهيثمي في المجمع: رواه البزار والطبراني في الصغير، ورجال البزار رجال الصحيح، وأخرجه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٩٠/١).

(٣) رواه البخاري من حديث أبي هريرة، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقيله ومعاقبته، (٥٩٩٧/١٠).

(٤) رواه الترمذي من حديث أبي هريرة، باب ما جاء في رحمة المسلمين، (١٩٢٣/٤) وقال حديث حسن، وحسنه الألباني في المشكاة، كتاب الآداب، باب الشفقة والرحمة على الخلق، (٤٩٦٨).

بعثه الله فيهم رسولا من أنفسهم أنفسهم عربا وعجما، وأزكاهم أصلا ومتمى، وأرجحهم عقلا وحلما، وأشدهم بهم رأفة ورحمة، لا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويغفر، ففتح الله به أعينا عميا، وقلوبا غلما، وآذانا صمًا، فصلى الله عليه وسلم تسليما .

والآيات والأحاديث الدالة على ذلك كثيرة وفيرة يصعب حصرها في هذا التقديم المقتضب، فما فضيلة الرحمة إلا عنوان لرسالته ﷺ، وركيزة من ركائز دعوته التي مارسها ودعا أصحابه إلى التحلي بها، فكانوا خير أمة أخرجت للناس، لقد كان ﷺ بحق رحمة للعالمين: رحمة بأصحابه ﷺ في السلم والحرب، في الشدة والرخاء، رحمة في التخفيف والترخيص لأمتة أجمعين، رحمة للعصاة، رحمة للجهال، رحمة للصغار والسيبان، رحمة للنساء، رحمة للحيوان، رحمة للأعداء الصرحاء. هذا هو وصف النبي ﷺ مع هذه الشميلة، فكيف هي حال المسلمين مع أنفسهم ومع غيرهم؟ لقد قست القلوب، ولقيت النفوس، ورفعت الرحمة منها إلا من رحم، فلا الكبير يرحم الصغير، ولا الصغير يرحم ذا الشيبة الكبير، ولا القوي يرحم الضعيف، ولا الغني يرحم الفقير، بل لقد نضبت الرحمة من قلوب كثير من المسلمين؛ حتى أعطى ذلك انطبعا سيئا عن الإسلام وأهله عند جهلة المسلمين فضلا عن أعدائهم الكافرين.

وانطلاقا من هذا الواقع جاء هذا البحث لينير خُلُقًا مهما من أخلاق المصطفى ﷺ وفي مرحلة خطيرة (مهمة) من مراحل سيرته العطرة ألا وهي مرحلة الجهاد النبوي، لذلك وقع اختياري على المحور الرابع «الرحمة في سيرة المصطفى ﷺ ورحمته بأمتة» وبالذات «رحمته بأصحابه ﷺ» في الغزو والجهاد، وقد اخترت هذا الجزء من سيرته العطرة ﷺ لغاية حجاجية إقناعية فإذا كان ﷺ رحيفا بأصحابه في





الغزو والجهاد، وهو أمر يتطلب الحزم والصرامة فمن باب أولى أن يكون رحيما فيما دونه.

هذا أولا ثم رأيت تكالبا من قبل الأعداء وقدحا في شخصه ﷺ وما صنيع الصحف الدنماركية والفرنسية عنا ببعيد، فأحببت أن أذب عنه ﷺ، وأعزّره وأوقّره بهذا البحث.

### سبب اختيار الموضوع:

- نصره رسولنا الحبيب ﷺ، ورد مطاعن وترهات البغاة من الغربيين، ومن دار في فلکهم، ووصفهم له ﷺ بما هو منزّه عنه، خاصة فيما يتعلق بسيرته الجهادية.
- حاجة المجتمعات المسلمة المعاصرة الماسّة إلى نشر ثقافة الرحمة، وتمثلها في حياتهم السلوكية العملية، تأسيا بالرحمة المهداة ﷺ.
- أنني لم أجد من خص هذا الموضوع ببحث مفرد، وإن كان مبعوثا في كتب الحديث عامة، وكتب السير والشمائل خاصة.

### أهمية الموضوع:

إثبات فطرية خلق الرحمة، وتأصلها في نفس رسول الله ﷺ، وحشد الأدلة والشواهد التي يُحتاج إليها في الاستدلال على عظيم رحمته وشمولها، وبيان أثر ذلك في تحصين الأمة من شبه ومطاعن الحاقدين الحاسدين، من الكفار ومن شايعهم من المنافقين الطاعنين في سيرته عموما والجهادية خصوصا، فهو يناسب فئة مهمة يستهدفها المؤتمر؛ وهم الجماهير الغربية وخاصة المثقفين منهم، فالبحت يدخل في باب نصره الرسول ﷺ والذب عنه.

## أهداف البحث:

- الوقوف على تجليات الرحمة في سيرة النبي ﷺ مع أصحابه في الغزو والجهاد، بعدّه النموذج الأول والقدوة الحسنة في امتثال هذا الخلق العظيم، ورسم صورة واضحة ومتكاملة للنشء المسلم بغرض التأسّي والافتقار لا التسلي والالتفاء، فما أحوج المسلمين إلى هذه القدوة، لما لها من أثر طيب في حياة المسلمين أفراداً وجماعات، خاصة وقد كثر دعاة القول، وقلّ دعاة القول والفعل، ولله الأمر من بعد ومن قبل.
- الإسهام في بعث وإحياء المفهوم الصحيح لخلق الرحمة الذي افتقده كثير من دعاة المسلمين فما بالك بعمّامهم.
- كشف الآثار السيئة لغياب خلق الرحمة والتحذير منها، انطلاقاً من الواقع الذي تعيشه الأمة من تمزق واقتتال وتفرق، وما ذلك إلا لغياب فضيلة الرحمة بينهم.
- الذب عن رسول الله ﷺ وقطع الطريق أمام جهلة المسلمين وأعدائه الحاقدين.

## منهج البحث:

اعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي؛ وذلك بالقراءة الواعية لما ورد في كتاب الله، وصح عن رسول الله ﷺ واستنباط ما فيها من لطائف خلق الرحمة عند النبي ﷺ في أحواله عموماً، وفي غزواته مع أصحابه خصوصاً؛ وأثر ذلك في تأليف قلوبهم وجمع كلمتهم ونصرهم على أعدائهم.



## خطة البحث:

- يشتمل هذا البحث على: مقدمة، وتمهيد، وستة مباحث، وخاتمة.
- المقدمة: وفيها أسباب اختيار الموضوع، وأهمية البحث، وأهدافه، ومنهج البحث، وخطته.
- التمهيد: وفيه مفهوم الرحمة في اللغة والاصطلاح.
- المبحث الأول: الدعاء بالثبات.
- المبحث الثاني: التحول بالموعظة والتذكير بما أعد الله للمجاهدين والشهداء.
- المبحث الثالث: التخفيف في العبادات (صلاة الخوف أنموذجا).
- المبحث الرابع: تأليف قلوب الضعفاء.
- المبحث الخامس: في قسمة الغنائم.
- المبحث السادس: الرحمة بالعصاة والمذنبين والعفو عنهم.
- خاتمة: تضمنت أهم نتائج البحث المتوصل إليها، والتوصيات المقترحة.



## التمهيد

في بداية هذه الدراسة لابد من ضبط مصطلح الرحمة؛ لأن البحث كله يدور عليها، وبدون ذلك يصعب التواصل والتوافق مع القارئ، وإقناعه بمظاهر الرحمة المقصودة بالبحث والدراسة.

### أ. الرحمة لغة:

تدل مادة (رحم) في اللغة على الرِّقَّة والعطف والرَّأفة، قال ابن فارس: «الراء والحاء والميم أصل واحد يدل على الرقة والعطف والرأفة، يقال من ذلك رحمة يرحمه إذا رقق له وتعطف عليه، والرُّحْم، والمرحمة والرحمة بمعنى»<sup>(١)</sup>. وقال ابن منظور: «الرحمة: الرقة والتعطف، والمرحمة مثله، وقد رحمته وترحمت عليه، وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضاً، والرحمة المغفرة، وقوله تعالى في وصف القرآن ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢]، أي فصلناه هادياً وذا رحمة، وقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ﴾ [التوبة: ٦١]، أي هو رحمة، لأنه كان سبب إيمانهم. وقال تعالى: ﴿ءَامِنُوا وَتَوَاصُوا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصُوا بِالرَّحْمَةِ﴾ [البعد: ١٧]، أي أوصى بعضهم بعضاً برحمة الضعيف، والتعطف عليه»<sup>(٢)</sup>.

(١) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، تحقيق وضبط: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د-ط، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، الجزء الثاني، ص ٤٩٨.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، تحقيق: عبدالله علي الكبير وآخرون، د-ط، د-ت، مادة (رجم)، ص ١٦١١.

## ب. الرحمة اصطلاحاً:

يعسر في الغالب صياغة مفهوم دقيق للعواطف والانفعالات، ومنها الرحمة، لأنها في الحقيقة تدرك بمظاهرها لا بحقيقتها وكنهها، وعلى الرغم من ذلك فقد عثرت على تعريفات كثيرة لمصطلح الرحمة تلتصق بالمعنى اللغوي؛ بل وتتداخل معه، ولا ضير في ذلك إذ إن علماء المصطلح يشترطون في صياغته بقاء وشائج القربى تشدُّه بمعناه اللغوي، ومن هذه التعريفات: تعريف الراغب الأصفهاني بقوله: «والرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل أحياناً في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد، وإذا وُصِفَ بها الباري، فليس يراد به إلا الإحسان المجرد دون الرقة»<sup>(١)</sup>. وعرفها ابن العربي فقال: «حقيقة الرحمة إرادة المنفعة، وإذا ذهبت إرادتها من قلب شقي بإرادة المكروه لغيره»<sup>(٢)</sup>. وقال الكفوي: «الرحمة حالة وجدانية تعرض غالباً لمن به رقة قلب، وتكون مبدأً للانعطاف النفساني، الذي هو مبدأ الإحسان»<sup>(٣)</sup>. وقال القرطبي: «الرحمة رقة وحنو يجده الإنسان في نفسه عند رؤية مبتلى، أو صغير، أو ضعيف، يحمله على الإحسان له، واللفظ والرفق به، والسعي في كشف ما به»<sup>(٤)</sup>. وقال الشريف الجرجاني: هي إرادة إيصال الخير»<sup>(٥)</sup>. وقيل: «الرحمة هي محبة للمرحوم مع جزع من الحال التي من أجلها رُحِمَ»<sup>(٦)</sup>. وفي الأخير يمكن مما سبق سبك تعريف جامع للرحمة، فأقول:

(١) المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط: سيد محمد الكيلاني، د- ط، د- ت، ص ١٩١.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي، درا المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩١-١٩٧٢م، الجزء السادس ص ٤٢٢.

(٣) الكليات في المصطلحات والفروق اللغوية: الكفوي، قابله: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٩-١٩٩٨م، ص ٤٧١.

(٤) فيض القدير: شرح الجامع الصغير: المناوي، الجزء السادس، ص ٤٢٢.

(٥) كتاب التعريفات: الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة، ١٩٨٥م، ص ١١٥.

(٦) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ: إعداد مجموعة من المختصين، =

«الرحمة رقة في القلب تحمل صاحبها على الإحسان للمرحوم؛ وذلك  
بجلب المنافع ودرء المفسد؛ بحسب القدرة والاستطاعة».



## المبحث الأول الدعاء بالثبات

كان من هديه ﷺ أن يدعو لأصحابه بالثبات والنصر والغلبة في المعارك، إذ إن الدعاء من أهم أسباب النصر على الأعداء، وقد بين ﷺ ذلك لأصحابه فقال: «إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم»<sup>(١)</sup>؛ وذلك حين ظن سعد بن أبي وقاص -وهو راوي الحديث- أن له فضلا على من دونه من أصحاب النبي ﷺ، ومعنى الدعاء: «استدعاء العبد ربه عز وجل العناية به واستمداده إياه المعونة، وحقيقته: إظهار الافتقار إليه والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله عز وجل، وإضافة الجود والكرم إليه»<sup>(٢)</sup>، فبه يستمد «العبد من الله المعونة ويستجلب الرحمة ويستدفع النقمة»<sup>(٣)</sup>، ويكفي المتأمل دلالة على علو منزلة الدعاء في السنة النبوية المطهرة أن قال فيه النبي ﷺ «الدعاء هو العبادة»<sup>(٤)</sup>؛ ولم يرد هذا اللفظ في أي نوع من أنواع العبادة الأخرى، وهو نظير قوله ﷺ

(١) رواه البخاري، (فتح الباري)، كتاب الجهاد والسير، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب (٢٨٩٦/٦).

(٢) كتاب الدعاء: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دراسة وتحقيق: محمد سعيد بن محمد حسن البخاري، دار البشائر الإسلامية، د-ط، د-ت، المجلد الأول، ص ٥٣.

(٣) تصحيح الدعاء: بكر بن عبدالله أبو زيد، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ١٥-١٦.

(٤) رواه الترمذي من حديث النعمان بن بشير في التفسير باب: ومن سورة البقرة، ح ٣٢٤٧، وقال: حديث حسن صحيح، وخرجه الألباني في صحيح الجامع (٦٤١/١).

«الحج عرفة»<sup>(١)</sup>؛ ولهذا سماه الله صلاة، قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَانًا وَعِنْدَ اللَّهِ وَصَلَاتُ الرَّسُولِ﴾ [التوبة: ٩٩]، وقال أيضا: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] أي دعاؤك<sup>(٢)</sup>. وقد ورد عنه ﷺ ما يدل أن الدعاء أكرم شيء على الله، فعن أبي هريرة أن رسول الله قال: «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء»<sup>(٣)</sup>، وأنه أفضل العبادة، فعن ابن عباس رضي الله عنه: «أفضل العبادة هو الدعاء»<sup>(٤)</sup>. قال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]؛ «يقول عبدوني وأخلصوا لي العبادة دون ما تعبدون من دوني من الأوثان والأصنام وغير ذلك» «أستجب لكم» يقول: أجب دعاءكم فأعفو عنكم وأرحمكم»<sup>(٥)</sup>.

فالدعاء رحمة لأنه عبادة، وبه تستجلب الرحمة، وبه تستدفع النقمة، وذلك رحمة، وهذا أمر جلي لمن تدبر كتاب الله وفقه سنة رسوله ﷺ، وإذا كان ﷺ قد علم أصحابه الدعاء عند الهم والحزن رحمة بهم ﷺ كما ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك،

(١) رواه الترمذي في السنن من حديث عبدالرحمن بن يعمر، باب ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج، (١/٨٨٩)، وصححه الألباني.

(٢) ينظر: تصحيح الدعاء: بكر بن عبدالله أبو زيد، ص ١٨.

(٣) رواه الترمذي من حديث أبي هريرة، أبواب الدعوات، (٥/٣٢٧٠)، صحيح الجامع (١/٩٥١)، وقال الألباني: حسن.

(٤) رواه الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس، وقال إسناده صحيح، كتاب الدعاء والتكبير والتلهيل والتسبيح والذكر، (١٨٥٦)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٧٩).

(٥) تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر، راجعه وخرج أحاديثه: أحمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية، د-ت، الجزء العشرون، ص ٣٥١-٣٥٢.





أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرحاً»<sup>(١)</sup>.

فإذا كان أمره ﷺ كذلك مع الهم والحزن عموماً كثيراً ويسيره، حتى الشوكة يشاكها، فكيف بما قد يصيب صحبه في الجهاد والغزو من الجراح والأسر والبتير، ونقص في الأموال والأنفس؟ وكل ذلك مجلبة لشماتة الأعداء.

لقد حرص ﷺ على الدعاء لأصحابه بالنصر والثبات في البعوث والسرايا والغزوات شفقة ورحمة بهم وعليهم، فعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: «ما حجبني النبي ﷺ منذ أسلمت، ولا رأني إلا تبسم في وجهي، ولقد شكوت إليه أنني لا أثبت على الخيل، فضرب بيده على صدري وقال: «اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً»<sup>(٢)</sup>. فهذا دعاؤه لرجل واحد من أصحابه تعسر عليه الثبات على الخيل في الجهاد في سبيل الله رحمة به، فكيف دعاؤه في المعارك الفاصلة في تاريخ الإسلام لأصحابه وقد اجتمعوا. إن تتبع ذلك في كل المعارك أمر لا تحتمله هذه الورقات ولذلك سأكتفي بغزوة بدر الكبرى كمثال رائع، وصف علي بن أبي طالب رضي الله عنه كيف بات المسلمون ليلة السابع عشر من رمضان ببدر، ومعسكر المشركين أمامهم فقال: «لقد رأيتنا يوم بدر وما منا إلا نائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه كان يصلي إلى شجرة ويدعو حتى أصبح... ثم إنه أصابنا من الليل طش من المطر فانطلقنا تحت الشجر والحُجْف<sup>(٣)</sup> نستظل تحتها من المطر، وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه ويقول: «اللهم إنك إن تهلك هذه

(١) أخرجه أحمد من حيث عبد الله بن مسعود، (٣٧١٢)، وهو في السلسلة الصحيحة ٣٥٢٨.

(٢) أخرجه البخاري (فتح الباري)، كتاب الأدب، باب التبسم والضحك، (٦٠٨٩/١٠).

(٣) الحُجْف: التروس من جلود.

الفئة لا تعبد»، فلما طلع الفجر نادى: «الصلاة عباد الله» فجاء الناس من تحت الشجر والحجف، فصلى بنا رسول الله ﷺ، وحرص على القتال<sup>(١)</sup>.

وقد صور القرآن ذلك فقال: ﴿إِذْ يُغَشِّكُمُ الْغُصَاثُ مِنْهُ وَنُزِّلَ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ۝﴾ [الأنفال: ١١]. ويبدو أنه ﷺ قد تطوع للحراسة ليريح أصحابه، وليستغيث ربه في هدأة الليل فباتوا «ليلهم هادئي الأنفاس منيري الآفاق، غمرت الثقة قلوبهم، وأخذوا من الراحة قسطهم، يأملون أن يروا بشائر ربهم بعيونهم صباحا»<sup>(٢)</sup>، وكيف لا تهدأ نفوسهم والنبي ﷺ يحرسهم وبالذعاء في ظلمة الليل يخصهم فيالها من رحمة!

وفي صبيحة السابع عشر من رمضان نظم ﷺ جيشه للقتال وحرصهم عليه ثم رجع إلى العريش -الذي بني له باقتراح من سعد بن معاذ- ومعه صاحبه أبو بكر رضي الله عنه ليدير منه المعركة، وقد رأى كثرة المشركين وقلة صحبة المجاهدين، فجأر إلى الله بالذعاء، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «حدثني عمر بن الخطاب: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر، فاستقبل القبلة ثم مد يديه فلم يزل يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»، فما زال يهتف بربه، ماداً يديه، مستقبلاً القبلة حتى سقط رداؤه فأنقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك منا شدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك...»<sup>(٣)</sup>.

(١) السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية: أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة السادسة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، الجزء الثاني، ص ٣٦١.

(٢) الرحيق المختوم: المباركفوري، دار ابن خلدون، د-ط، د-ت، ص ١٦٥.

(٣) رواه مسلم من حديث عبدالله بن عباس، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم، (١٧٦٣).



فاستجاب له ربه وأمهه بالملائكة من عنده قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ (١) [الأنفال: ٩]، وفي قضائه ﷺ ليلة بدر في الدعاء والاستغاثة والتضرع، وكذلك صبيحة المعركة بيان لأهمية الفرع إلى الله واللجأ إليه مع اتخاذ الأسباب المادية والمعنوية<sup>(١)</sup>، فالدعاء من الأسباب المعنوية الإيمانية، ومن الأسباب المادية إعداد العدة وتجهيز الجيش وتنظيمه، بل لقد باشر ﷺ القتال بنفسه الشريفة، قال علي ﷺ: «لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً»<sup>(٢)</sup>، نعم إن تضرعه كان رحمة بأصحابه «فالنبي ﷺ نصر الله متحقق معه، ولكنه يوجه أبصار وقلوب أمته إلى الله، إذ لا يكفي صورة الدعاء بأن نرفع أيدينا، ولا ألفاظ الدعاء بأن نتلفظ بألسنتنا، ولكن لابد من توجه القلوب إلى الله، ونتيقن أن النصر من عند الله عز وجل، وبقدر ما نظهر ضعفنا وحاجتنا وافتقارنا إلى الله فالله معنا»<sup>(٣)</sup>.

ولك أن تتصوره ﷺ ومعه ثلة من خيار جنده وأحبهم إليه، قد خرج بهم لاعتراض قافلة محملة بالأموال والمتاع، وهم حفاة عراة جياع، لم يأخذوا أهبتهم للقتال، وإذا بالقافلة تفرّ، وإذا بجيش عرمرم إليهم قد كُرّ، فلم يجد بداً من النزال، وهي أول معركة له ولهم، فإن هلكت تلك الطائفة فلن يعبده الله في الأرض بهذه الشريعة السمحة، لعلمه أنه خاتم النبيين، وهم طوع أمره يرمي بهم حيث شاء، أفلا يكون بهم رحيمًا، فيكثر من الابتهاال ويلجّ على ربه في طلب النصر، وقد علموا أن دعوته مستجابة

(١) ينظر: صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر: محمد بن صامل السلمي وآخرون، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ٢٠٤.

(٢) رواه أحمد في المسند من حديث علي، (٢٢٨/٢)، وقال أحمد شاكر: صحيح.

(٣) تأليف النبي ﷺ للقلوب وأثره في الدعوة إلى الله: إبراهيم بن صالح بن صابر المغذوي، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، ص ١١٤-١١٥.

فتطمئن قلوبهم بذلك، قال الخطابي: «... بل الحامل للنبي ﷺ على ذلك شفقتة على أصحابه وتقوية قلوبهم، لأنه كان أول مشهد شهده، فبالغ في التوجه والدعاء والابتهاال، لتسكن نفوسهم عند ذلك، لأنهم كانوا يعلمون أن وسيلته مستجابة»<sup>(١)</sup>. فصل اللهم عليه وسلم تسليما، واجعله اللهم بنا يوم الشفاعة والحوض رؤؤفا رحيفا .



(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تقديم وتحقيق: عبد القادر شيبية الحمد، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١/٢٠٠١م، الجزء السابع، ص ٢٣٨.

## المبحث الثاني التخول بالموعظة والتذكير بما أعد الله للمجاهدين والشهداء

الجهاد ذرورة سنام الإسلام وقبته، وهو سبيل حماية بيضة المسلمين وحوزتهم من أعدائه الكافرين، وهو درع لحماية المستضعفين، ونشر الدين إذا ما اعترض سبيله المعترضون، فهو أفضل من تطوع الحج والعمرة، وتطوع الصلاة والصوم، «وهو مع ذلك ينتظم كل لون من ألوان العبادات، سواء منها عبادات الظاهر أو الباطن، فإن فيه من عبادات الباطن الزهد في الدنيا، ومفارقة الوطن، وهجرة الرغبات، وفيه من التضحية بالنفس والمال وبيعهما لله، ما هو ثمرة من ثمرات الحب والإيمان، واليقين والتوكل»<sup>(١)</sup>، فالجهاد وسيلة لنشر الدين ووسيلة لحفظه أيضا بعده أهم مقاصد الشريعة الضرورية، ولهذا شرعه الله وحث عليه مع ما فيه من هلاك الأنفس والأموال؛ لأن حفظ الدين مقدم على حفظ النفس والمال، قال الشاطبي: «إن النفوس محترمة محفوظة ومطلوبة الإحياء، بحيث إذا دار الأمر بين إحيائها وإتلاف المال عليها، أو إتلافها وإحياء المال، كان إحيائها أولى، فإن عارض إحيائها إماتة الدين، كان إحياء الدين أولى، وإن أدى إلى إماتتها، كما جاء في جهاد الكفار وقتل المرتد وغير ذلك»<sup>(٢)</sup>. ولما كان الجهاد مبني على هلاك

(١) الطريق السوي في اقتفاء أثر النبي ﷺ: عبداللطيف بن محمد بن خالد آل موسى، مركز الفجر للإعلام، غزة، فلسطين، الطبعة الأولى، ١٣٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م، الجزء الثاني، ص ٣٣١.

(٢) الموافقات: أبو إسحاق الشاطبي، تقديم: بكر بن عبد الله أبوزيد، ضبط وتعليق وتقديم: =

الأنفس والأموال شق ذلك وثقل على النفوس، وقد أخبر الله بذلك فقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٦). قال عبدالرحمن السعدي في تفسير هذه الآية: «هذه الآية فيها فرض القتال في سبيل الله، بعدما كان المؤمنون مأمورين بتركه لضعفهم وعدم احتمالهم لذلك، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وكثر المسلمون وقوا، أمرهم الله تعالى بالقتال، وأخبر أنه مكروه للنفوس لما فيه من التعب والمشقة وحصول أنواع المخاوف والتعرض للمتألم...»<sup>(١)</sup>؛ ولما كان موقع الجهاد من النفوس كذلك أمر الله جل وعز نبيه محمدا ﷺ بتحريض المؤمنين على القتال رحمة بهم، قال تعالى: ﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٨٤]. قال عبدالرحمن السعدي في تفسير المقصود بالتحريض في الآية: «وهذا يشمل كل أمر يحصل به نشاط المؤمنين وقوة قلوبهم، من تقويتهم، والإخبار بضعف الأعداء وفشلهم، وبما أعد الله للمقاتلين من الثواب، وما على المتخلفين من العقاب، فهذا وأمثاله كله يدخل في التحريض على القتال»<sup>(٢)</sup>، فالتحريض والحض إذن يشمل كل أمر يقوي معنويات المقاتل في سبيل الله، ويربط على قلبه فلا يعرف الجبن والخور إليه سبيلا، مهما كثر العدو واشتدت الجراح وتراقص الموت أمامه؛ شعاره شعار من ربه محمد ﷺ وهو يساق إلى الموت:

ولستُ أبا لي حينَ أقتلُ مُسْلِماً      على أي شقِّ كان في الله مضجعي  
وذلك في ذاتِ الإلهِ وإن يشأ      يباركُ على أوصالِ شلِّو مُمَرَّعٍ<sup>(٣)</sup>

= أبو عبيدة مشهور بن حسن، آل سليمان، دار ابن عفان، الخبر، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، المجلد الثاني، ص ٦٤.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تقديم: عبدالله ابن عبدالعزيز عجيل، ومحمد بن صالح العثيمين، اعتناء وتحقيق ومقابلة: عبدالرحمن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ٩٦-٩٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ص ١٩٠.

(٣) رواه البخاري، (فتح الباري)، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع، ورغل، وذكوان وبئر معونة، (٤٠٨٦)، والبيتان للصحابي الجليل خبيب ﷺ وكان قد أسر في بعث الرجيع وصلبة المشركون.



لا يحول بينه وبين التضحية والبذل لا الآباء، ولا الأبناء، ولا الإخوان، ولا الأزواج، ولا العشيرة، ولا الأموال، ولا التجارة التي يُخشى كسادها، ولا المساكن المرضية، والقصور البهية، قد عاف الدنيا وزخرفها همّة إحدى الحسنين: النصر أو الشهادة، وبمثل هذا المنهج حارب الرسول ﷺ عوامل الضعف ونزعات الخوف أن تستبد بنفوس أصحابه؛ وهم يقارعون أعتى قوتين عسكريتين آنذاك، ومن ورائهما العالم كله، وغرس في نفوسهم الشجاعة والإقدام، وذلك من رحمته بأصحابه المجاهدين ومن تبعمهم على درب الجهاد إلى يوم الدين.

فتذكير المجاهد بما أعد الله له في الجنة رحمة، وتذكيره بما أعد للمتخلفين من العقاب رحمة، وبيان حال العدو وضعفه وأن وليه الشيطان وهو ضعيف رحمة... إلخ، وجملة الأمر أن كل أمر يقوي قلب المجاهد ويحضه على الاستبسال في سوح الوغى فهو مما أمر الله به نبيه من التحريض وهو رحمة لأن عاقبته النصر على الأعداء ونيل الجزاء، بل هو رحمة متعدية وصدقة جارية، لأن المجاهد إذا رفع سيفه في أي بقعة من الأرض اشربّت له أعناق الموحدين من كل فج ولهجت ألسنتهم بالدعاء والنصر له، وخاصة المستضعفين منهم، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَوْلَاهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [النساء: ٧٥]. قال ابن قيم الجوزية: «ولا يتم الجهاد إلا بالهجرة، ولا الهجرة والجهاد إلا بالإيمان، والرجون رحمة الله هم الذين قاموا بهذه الثلاثة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَىكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة: ٢١٨].

وقد نال الصحابة رضوان الله عليهم لحظ الأوفر، والنصيب الأكبر، ببركة تحريضه

لهم على الإيمان والهجرة والجهاد رحمة بهم؛ لينالوا رحمة ربهم، وما كان سبيلا إلى الرحمة فهو رحمة، وإن رآه الجاهلون فظاظة وغلظة ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]. فمظاهره يوم أحد بين درعين<sup>(١)</sup> «رغم علمه بأن الله تعالى يعصمه من القتل تعويدا لأمته على الأخذ بالأسباب المادية ثم التوكل على الله»<sup>(٢)</sup>، وتحريضا لأصحابه على القتال، وذلك أنه لما نزل جيش المشركين قريبا من أحد شاور النبي ﷺ أصحابه في الخروج لملاقاة العدو أو استدراجه إلى شوارع المدينة وأزقتها، وكان رأي الرسول ﷺ وأهل الرأي من أصحابه القتال في المدينة، لكن الرجال الذين تغيّبوا عن بدر تحمسوا للخروج، ووافقهم الشباب الراغب في الشهادة، فنزل ﷺ عند رغبتهم، وشعر القوم أنهم قد استكروها الرسول ﷺ على الخروج، وأظهروا الرغبة في النزول على رأيه غير أنه ﷺ قد وجد غضاضة من الاضطراب بين شتى الآراء فقال: «ما ينبغي لنبي لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه»<sup>(٣)</sup>، وقد أحسن الغزالي «حين رد رفضه ﷺ التراجع عن الخروج إلى الغضاضة التي وجدها ﷺ في التردد بين الآراء لما في ذلك من أثر سيء على معنويات أصحابه؛ لأن من صفات القائد الناجح عدم التردد بعد العزيمة، والشروع في التنفيذ فإن ذلك يزعزع الثقة بها ويفرس الفوضى بين الأتباع»<sup>(٤)</sup>، وقد أمره ربه بالتحريض ولم يأمره بالتثييط بل نهاه عنه.

ومنح السلب للقاتل تحريضا لأصحابه على الجهاد، فعن أبي قتادة قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين: فلما التقينا كانت للمسلمين

- (١) رواه الحاكم في المستدرک من حدیث الزبیر بن العوام، کتاب المغازی والسير، (٤٢٧١)، وقال: حدیث صحیح علی شرط مسلم ولم یخرجاه، وصححه ووافقه الذهبي.
- (٢) السيرة النبوية الصحيحة: أكرم ضياء العمري، الجزء الثاني، ص ٣٨١.
- (٣) ينظر: فقه السيرة: محمد الغزالي، خرّج أحاديث الكتاب: محمد ناصر الدين الألباني، دار الكتب الحديثة، الطبعة السادسة، ١٩٦٥م، ص ٢٦٩.
- (٤) السيرة النبوية الصحيحة: أكرم ضياء العمري، الجزء الثاني، ص ٣٨٠.





جولة، فرأيت رجلا من المشركين علا رجلا من المسلمين، فاستدرت حتى أتيته من ورائه حتى ضربته بالسيف على حبل عاتقه، فاقبل عليّ فضمّني ضمةً وجدت منها رائحة الموت، ثم أدركه الموت فأرسلني، فلحقت عمر بن الخطاب فقلت: ما بال الناس؟ قال: أمر الله، ثم إن الناس رجعوا، وجلس النبي ﷺ فقال: «من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه» فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست، ثم قال: من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه» فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست، ثم قال الثالثة مثله، فقال رجل: صدق يا رسول الله، وسلبه عندي، فأرضه عني، فقال: أبو بكر الصديق رضي الله عنه لاها الله إذ لا يعمد إلى أسدٍ من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله يعطيك سلبه، فقال النبي ﷺ: «صدق» فأعطاه فبعث الدرع فابتعت مخرفا في بني سلمة، فإنه لأوّل ما تأثّلته<sup>(١)</sup> في الإسلام<sup>(٢)</sup>.

وقد أوردت هذين النموذجين من التحريض لتأكيد صحة أنه اسم جامع لكل ما يقوي قلب المجاهد ويربط عليه، وإلا فإن موضوع بحثنا هو واحد من صنوف التحريض، بل هو أعظمها منزلة وأوقعها أثرا في نفوس المجاهدين؛ إنه فضل الجهاد والشهادة اللذين ما فتى الرسول ﷺ يذكر أصحابه بهما في الحرب والسلام.



(١) التأثّل اتخاذ أصل مال، والمراد هنا: أنه أول مال اكتسبه وتملكه في الإسلام ﷺ.

(٢) رواه البخاري، (فتح الباري)، كتاب الجهاد والسير، باب من لم يخمس الخمس، ومن قتل قتيلا فله سلبه، وحكم الإمام فيه، (٦/٣٠٣٧).

## المبحث الثالث

### التخفيف في العبادات (صلاة الخوف أنموذجا)

دأب الفقهاء في كتبهم على تخصيص باب في الفقه أسموه: «باب أهل الأعدار»، وأهل الأعدار هم: المرضى، والمسافرون، والخائفون؛ الذين لا يمكنهم أداء الصلاة على الصفة التي يؤديها غير المعذور، فالخوف إذن هو العذر الثالث من الأعدار التي تختلف بسببها في هيئتها أو عددها، فصلاة الخوف تشرع في كل قتال مباح كقتال الكفار، والبغاة المحاربين، والخوارج المارقين؛ إذا خيف هجومهم على المسلمين حال الصلاة، وهي مشروعة بالكتاب والسنة والإجماع، ولست في هذا المقام بصدد تحرير مسائل صلاة الخوف والتحقيق فيها، والوقوف على كل مباحثها وجزئياتها، فإن ذلك يتطلب سَفْرًا كاملاً، وإنما أقف على المسائل والجزئيات التي تخدم عنوان البحث، وتؤشر لرحمته ﷺ بأصحابه في الغزو والجهاد، مع التأكيد على أن هذا لا يعني أن بعضها الآخر لا يؤشر، بل أحكام صلاة الخوف كلها رحمت فوق بعض، وإنما حجم البحث هو الذي فرض انتخاب ما أراه بطبيعة البحث الصق وأقرب.

#### أ. تنوع صفات صلاة الخوف رحمة:

ورد في كيفية صلاة الخوف صفات كثيرة اختلف الفقهاء في عددها: فقال ابن القصار المالكي: إن النبي ﷺ صلاها في عشرة مواطن، وقال النووي: إنه

قد بلغ ستة عشر وجها كلها جائزة، وسرد ابن المنذر في صفتها ثمانية أوجه، وزاد ابن حبان وجها تاسعا، وقال ابن حزم: ثبت فيها أربعة عشر وجها، وقال ابن العربي: صحت فيها ست عشرة رواية، وزاد الحافظ العراقي في «شرح الترمذي» وجها آخر، فصارت سبعة عشر وجها<sup>(١)</sup>. وقد رجحت كل طائفة من أهل العلم نوعا منها. قال ابن قيم الجوزية: «والصحيح ما ذكرناه أولا، وهؤلاء كلما رأوا اختلاف الرواة في قصة جعلوا ذلك وجوها من فعل النبي ﷺ، وإنما هو اختلاف الرواة»<sup>(٢)</sup>. ويقصد ابن قيم الجوزية بما ذكره أولا قول الإمام أحمد رحمه الله: «كل حديث يروى في أبواب صلاة الخوف فالعمل به جائز... وقال: ستة أوجه أو سبعة تروى فيها كلها جائزة»<sup>(٣)</sup>، وهذا هو الراجح من القول وفي سنه ﷺ لهيئات صلاة الخوف وكيفياتها بطرق مختلفة رحمة بأصحابه ﷺ، ومن ورائهم أمته ﷺ قاطبة، لعلمه ﷺ أن هيئات الحروب وكيفيتها غير متناهية، وتختلف من أمة لأخرى، ومن زمن لآخر باختلاف وسائرها، وهي غير متناهية، وقد أعد أصحابه لتبليغ دينه إلى الأمم جميعا بلا استثناء، فمن رحمته بهم أن يجدوا لكل هيئة من هيئات الحروب ما يناسبها من هيئات الصلاة ولذلك توسع والتوسعة تيسير والتيسير رحمة.

قال محمد الأمين الشنقيطي «وهيئات صلاة الخوف كثيرة، فإن العدو تارة يكون إلى جهة القبلة، وتارة إلى غيرها، والصلاة قد تكون رباعية، وقد تكون ثلاثية، وقد تكون ثنائية، ثم تارة يصلون جماعة، وتارة يلتحم القتال، فلا يقدر على الجماعة، بل يصلون فرادى رجالا وركبانا، مستقبلي القبلة وغير مستقبليها»<sup>(٤)</sup>. بل أقول: إن ومن رحمته ﷺ ألا تُرَجَّح كيفية

(١) ينظر: نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، دار ابن القيم، الرياض، دار ابن عفان، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، المجلد الرابع، ص ٤٨٢-٤٨٣.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد: ابن قيم الجوزية، الجزء الأول، ص ٥٣٢.

(٣) المرجع نفسه، الجزء الأول، ص ٥٣١.

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي، إشراف: بكر عبد الله أبو زيد،

على أخرى نظرا، بل هيئة الحرب هي التي ترجح ما يناسبها، ومرد ذلك إلى أمير الحرب «وعلى كل فالظاهر أنه لا ترجح هيئة على هيئة، ولا تقول بأن هناك كيفية أفضل من كيفية أخرى، وإنما المعوّل عليه في هذا ما تقتضيه أحوال الحرب...»<sup>(١)</sup>. تلك رحمة عامة بأنواع صلاة الخوف كلها، وهناك رحمة خاصة بكل نوع منها، ولن أقف عليها جميعا بل سأقصر حديثي على نوعين منها:

الأول: عن صالح بن خوات، عمن صلى مع النبي ﷺ يوم ذات الرقاع أن طائفة صفت معه، وطائفة وجاه العدو، فصلى بالتي معه ركعة، ثم ثبت قائما فأتَمُّوا لأنفسهم، ثم انصرفوا وجاه العدو، وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته، ثم ثبت جالسا فأتَمُّوا لأنفسهم فسلم بهم»<sup>(٢)</sup>.

الثاني: عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: شهدت مع رسول الله ﷺ صلاة الخوف، وصفقنا صفين خلف رسول الله ﷺ والعدو بيننا وبين القبلة، فكبر النبي ﷺ وكبرنا جميعا، ثم ركع وركعنا جميعا، ثم رفع رأسه من الركوع، ورفعنا جميعا، ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه، وقام الصف المؤخر في نحر العدو، فلما قضى النبي ﷺ السجود وقام الصف الذي يليه، انحدر الصف المؤخر بالسجود وقاموا، ثم تقدم الصف المؤخر، وتأخر الصف المقدم، ثم ركع النبي ﷺ وركعنا جميعا، ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا، ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه

دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، د-ط، د-ت، الجزء الأول، ص ٤٠٦.

(١) شرح عمدة الأحكام: سعد بن ناصر بن عبدالعزيز الشثري، اعتنى به: عبدالناصر بن عبدالقادر البشبيشي، كنوز اشبيلية للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، الجزء الأول، ص ٣٤٢.

(٢) أخرجه البخاري (فتح الباري)، كتاب السير والمغازي، غزوة ذات الرقاع، (٣٩٨٩/٧).

الذي كان مؤخرا في الركعة الأولى وقام الصف المؤخر في نحر العدو، فلما قضى النبي ﷺ السجود والصف الذي يليه، انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا، ثم سلم النبي ﷺ وسلمنا جميعا»<sup>(١)</sup>. ولن أخوض في شرح متن هذين الحديثين لوضوحهما وجلاتهما، ولكن سأقف على بعض الجزئيات الفقهية التي تظهر جانبا من فيض رحمته ﷺ بأصحابه رضي الله عنهم.

### ب. العدل في الائتتمام بين الطائفتين رحمة:

أول ما يُلحظ على هاتين الصفتين -وغيرهما من الصفات- عدله ﷺ بين أصحابه في الائتتمام، ففي حديث صالح بن خوات نجده ﷺ يصلي بالطائفة الأولى ركعة ثم يثبت قائما ينتظرها لتتم الركعة الثانية وتسلم وتتصرف، ثم تأتي الطائفة الثانية فيصلي بهم ركعة ويثبت جالسا ينتظرها لتتم الركعة الثانية ثم يسلم بهم فهو ﷺ ينتظرهم مرتين إقامة للعدل بينهما، وقد ذُكر أن من فوائد هذا الحديث: «تطيب قلوب الجماعة بمساواتهم ومواساتهم»<sup>(٢)</sup>، وبما أن الطائفة الأولى قد أدركت معه فضل تكبيرة الإحرام والسبق؛ فإن الثانية قد نالت فضل التسليم. قال السفاريني في هذه القضية بالذات: «ولأن الأولى أدركت فضيلة الإحرام والتقدم، فينبغي أن يزيد الثانية في الركعات فيجبر نقصهم به، ولنا أنه إذا لم يكن بد من التفضيل فالأولى أحق به، وما فات الثانية من فضيلة الإحرام ينجبر بإدراكهم السلام، ولأنها تصلي جميع صلاتها في حكم الائتتمام، والأولى تفعل بعض صلاتها في حكم الانفراد»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه مسلم من حديث جابر بن عبد الله، كتاب الصلاة، باب صلاة الخوف، (٨٤٠).

(٢) فقه الإسلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام: الحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق:

عبد القادر شيبه الحمد، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، د-ت، الجزء الثاني، ص ٢٠٠.

(٣) كشف اللثام شرح عمدة الأحكام: السفاريني، تحقيق وضبط: نور الدين طالب، الطبعة الأولى،

٢٠٠٧/٥١٤٢٨م، المجلد الثالث، ص ٢٩٢.

ولو أنه صلى بالطائفة الأولى وأوكل إمامة الطائفة الثانية لرجل آخر من خيرة أصحابه؛ كأبي بكر أو عمرَ مثلا تحصيلا لفضل الجماعة، لما كان في ذلك بأس من جهة الجواز والصحة، ولكن البأس من جهة العدل بين أصحابه، وما كان ذلك ليفوته وهو أحرص الخلق على العدل بين أصحابه رحمة بهم، وقد علم حرصهم وتنافسهم على الائتتمام به، قال الحافظ العراقي: «ولو أمر رجلا يصلي بالطائفة الثانية لتحصل الجماعة لما كان به بأس، لكنهم كانوا يتنافسون في الصلاة خلفه فأراد أن يعمهم بالصلاة معه؛ بل في صلاة الخوف على هذا الوجه أمور لا تصلح في غير صلاة الخوف، من ذهابهم إلى العدو، واستدبارهم القبلة وهم في الصلاة، كل ذلك لحرصهم على الصلاة معه، وأن لا يفوز بذلك بعضهم دون بعض»<sup>(١)</sup>، وفي حديث جابر أيضا «مشروعية العدل والترغيب فيه، فإن النبي ﷺ أراد أن يعدل بين الصفيين الأول والثاني، فكان أهل الصف الأول يصلون معه الركعة الأولى ويفعلون مثل أفعاله، فمن باب العدل أن يجعل لأهل الصف الثاني مثل ما جعل لأهل الصف الأول من موالاته النبي ﷺ ومن متابعتة مباشرة»<sup>(٢)</sup>، تطييبا لقلوبهم، ومواساة ومساواة في طلب الفضائل، ولتزداد هذه الرحمة جلاء هلم بنا إلى ما لاحظته عروة بن مسعود الثقفي؛ رسول قريش إلى محمد ﷺ في صلح الحديبية من تعظيم أصحاب محمد لمحمد، وتفانيهم في طاعته، والاقتراء به، فولّى إلى قومه قائلا: «أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك؛ ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت مَلِكا يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا، والله إن يتخَّم نُخامة إلا وقعت في كفِّ رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا

(١) طرح التثريب في شرح التقریب: الحافظ العراقي وولده، وليّ الدين أبو زرعة العراقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د-ط، د-ت، الجزء الثالث، ص ١٤١-١٤٢.

(٢) شرح عمدة الأحكام: سعد بن ناصر الشثري، الجزء الأول، ص ٣٤٨.



أمره، وإذا تَوَضَّأ كادوا يقتتلون على وَضُوئِهِ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدُّون النظر إليه النظر تعظيماً له»<sup>(١)</sup>.

فإذا كانت نخامته ﷺ لا تقع إلا في يد واحد من أصحابه، فيدلك بها وجهه وجلده تبركاً، وعلى فضل وضوئه يقتتلون، وهم يدركون أن النخامة لا تسع الجميع، وفضل وضوئه لا يكفي الجميع، فكيف بالصلاة خلفه وهي ممكنة متاحة، وكم يدخل من الهم والغم على الطائفة المحرومة من بركة الاقتداء به في الصلاة، وعلى قدر الفائت يكون الهم، وعلى قدر المحصل يكون والحبور، لقد أدرك الرؤوف الرحيم ما رُبُّوا عليه من حب الاقتداء، فدفع عنهم الهم ودفع إليهم السرور بعدله ومساواته، فطابت القلوب ونزلت السكينة فيا لها من رحمة.



(١) رواه البخاري (فتح الباري)، كتاب الجهاد والسير، باب الشروط والجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، وكتابة الشروط مع الناس بالقول، (٥/٢٧٣١).

## المبحث الرابع تأليف قلوب الضعفاء

ذكر الله عز وجل في كتابه المؤلفة قلوبهم، وأنهم أحد المستحقين للزكاة فقال: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبَهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَدْرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ [التوبة: ٦٠]. فمن هم المؤلفة قلوبهم؟ لقد اختلف في المراد بالمؤلفة قلوبهم فقيل: كفار يعطون ترغيباً في الإسلام، وقيل: مسلمون لهم أتباع كفار يتألفونهم، وقيل مسلمون أول ما دخلوا في الإسلام ليتمكن الإسلام من قلوبهم<sup>(١)</sup>، والصحيح ما يشمل ذلك كله، قال عبدالرحمن السعدي: «المؤلف قلبه: هو السيد المطاع في قومه، ممن يرجى إسلامه، أو يخشى شره، أو يرجى بعطيته قوة إيمانه، أو إسلام نظيره، أو جبايتها ممن لا يعطيها، فيعطى ما يحصل به التأليف والمصلحة»<sup>(٢)</sup>، وعلى هذا ففئة المؤلفة قلوبهم تتضمن صنفين من الناس، كافر يرجى إسلامه وخيره أو يخشى مكره وضرره، أو مسلم ضعيف الإيمان يرجى تقويته، وذلك حال الوافدين الجدد على الإسلام، ولذلك خصهم النبي ﷺ بالعتاء؛ لما في ذلك من مصلحة الإسلام وأهله، والمصلحة رحمة، رحمة لضعيف الإيمان بأن يقوي إيمانه ويحسن إسلامه ويكون رداء للمسلمين، ورحمة للكافر بأن

(١) ينظر: نيل الأوطار: الشوكاني، الجزء التاسع، ص ٤٥٩.

(٢) عبدالرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٢٤١.



يترك الكفر وهو سبيل عذاب، ويدخل في الإسلام وهو سبيل نجاة، ورحمة وقد يقال هذا ليس موضع استشهاد لعنوان البحث؛ لأننا نتحدث عن رحمته ﷺ بأصحابه لا بالكفار، فأقول: بلى أليس في دخول المشركين في دين الله أفواجا دفعا لشرهم، وجلبا لنفعهم في غزوات الصحابة مع نبيهم ﷺ؟ «فما ظنك بعطاء قوى الإسلام وأهله، وأذل الكفر وحزبه، واستجلب به قلوب رؤوس القبائل والعشائر الذين إذا غضبوا غضب لغضبهم أتباعهم، وإذا رضوا رضوا لرضاهم، فإذا أسلم هؤلاء لم يتخلف عنهم أحد من قومهم، فالله ما أعظم موقع هذا العطاء، وما أجده وأنفعه للإسلام وأهله»<sup>(١)</sup>.

إنه عين المصلحة، والمصلحة رحمة، وعين الحكمة، والحكمة رحمة، وعين العدل، والعدل رحمة، وعين الرحمة، والرحمة رحمة، فصلى الله عليه وسلم تسليما، كيف لا يكون ذلك رحمة في مقابل غلظتهم وجفائهم وجهلهم بحدود ما أنزل الله على رسوله، بل كانوا السبب في هزيمة المسلمين في الجولة الأولى من غزوة حنين، فكانوا أول المنهزمين وأشاعوا الفرع والذعر في نفوس المجاهدين<sup>(٢)</sup>، فهم الطلقاء الذين قالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط؟ فقال: «سبحان الله، كما قال قوم موسى اجعل لنا آلهة كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده لتركبن سنة من قبلكم»<sup>(٣)</sup>، وذات أنواط شجرة ضخمة كانت لبعض القبائل في الجاهلية يأتونها كل سنة للتبرك بها، فيعلقون أسلحتهم عليها، وينحرون عندها، ويعكفون عليها يوما، فلم يفقه هؤلاء بعد أن جهاد النبي ﷺ إنما هو للقضاء على الشرك وإعلاء كلمة التوحيد، وهذا دليل على عدم

(١) زاد المعاد: ابن قيم الجوزية، الجزء ٣، ص ٤٨٥.

(٢) ينظر: الرسول القائد: محمود شيت خطاب: مكتبة الحياة ومكتبة النهضة، بغداد، الطبعة الثانية، ١٩٦٠، ص ٢٤٩.

(٣) رواه الترمذي في سننه من حديث أبي واقد الليثي، باب ما جاء في لتركبن سنن من كان قبلكم، وقال حسن صحيح، (٤/٢١٨٠).

وضوح مفهوم التوحيد الخالص عندهم على الرغم من إسلامهم، لكن النبي ﷺ بين لهم أن ذلك من الشرك، وحذرهم منه، ولم يعاقبهم، أو يعنف عليهم، لعلمه بحدثة عهدهم بالإسلام.<sup>(١)</sup>

وهم (الطلقاء) الذين انكشفوا عن رسول الله، وقد طالبت أم سليم بقتلهم لجبنهم وفرارهم، فأبى ذلك. روى الإمام أحمد في مسنده أن أبا طلحة -وهو من فرسان المسلمين المعدودين- لقي أم سليم ومعها خنجر فقال لها: ما هذا؟ قالت: إن دنا مني بعض المشركين أبعج بطنه -وذلك في معركة حنين-، فقال أبو طلحة لرسول الله: أما تسمع ما تقول أم سليم؟ فضحك النبي، فقالت أم سليم: يا رسول الله أقتل من بعدها الطلقاء الذين انهزموا بك، فقال: إن الله قد كفى وأحسن يا أم سليم<sup>(٢)</sup>. ولو حدث مثل هذا في الجيوش المعاصرة تنصب المحاكم للفارين تحت تهمة الخيانة العظمى، والإخلال بالواجب الوطني، وتكون الأحكام قاسية جدا، تبدأ بالقتل وتنتهي بالفصل، وقل من ينجو من ذلك.

إن معظم الطلقاء ما خرجوا إلا للحصول على الغنائم، والنظر لمن تكون الغلبة، فلم تتشكل لديهم صورة واضحة عن التوحيد وعن الجهاد في سبيله، فأنتى لهم الثبات؟ «والعجب أن هؤلاء الذين فرُّوا عند الفرع هم الذين كثُرُوا عند الطمع، «و شاء النبي أن يُلطف معهم وينسى ماضيهم تكرما وتأليفا»<sup>(٣)</sup>، وترحما، لعلمه ﷺ أنهم حدثاء عهد بهذا الدين، وأنهم خرجوا طلبا لحطام الدنيا، وصدق من قال: «إن في الدنيا أقواما كثيرين يقادون إلى الحق من بطونهم لا من عقولهم، فكما تُهدى الدواب إلى طريقها بحزمة برسيم تظل تمدُّ إليها فمها حتى تدخل حظيرتها آمنة،

(١) ينظر: السيرة النبوية الصحيحة: أكرم ضياء العمري، ج ٢، ص ٤٩٧.

(٢) فقه السيرة: محمد الغزال، ص ٤٢٧، وقال الألباني في الحاشية، رواه أحمد المسند (١٩٠/٣)، وسنده صحيح على شرط مسلم.

(٣) المرجع نفسه، ص ٤٢٧.

فكذلك هذه الأصناف من البشر تحتاج إلى فنون من الإغراء حتى تستأنس بالإيمان وتهش له»<sup>(١)</sup>، نعم لقد ظهر من رسول الله ﷺ من الحلم والصبر والعمو على جفاء وغلظة الأعراب وحرصهم على الغنائم، ما كان «مثالا للمربي الذي يدرك أحوالهم وما جبلتهم عليه بيئتهم وطبيعة حياتهم من المساواة والفضاظة والروح الفردية، فكان يبين لهم خلقه، ويطمئنهم على مصالحهم، ويعاملهم على قدر عقولهم، فكان بهم رحيما»<sup>(٢)</sup>؛ مع أنهم كانوا عقبة كؤودا في طريق الإسلام وأهله، وسيوفهم لم تألف سيوف المهاجرين والأنصار لما بينها من ثأر قديم، ودم نازف، ولكن الرؤوف الرحيم بما له من بعد النظر وتقدير المصالح ومآلاتها، تألفهم رحمة بهم وبالإسلام وأهله في قابل الأيام، حاله كمن يغرس فسيلة ويرعاها منتظرا الثمار، فلم يطل العهد حتى «أصبح هؤلاء المؤلفه قلوبهم من قادة جيوش المسلمين في الفتوحات في عهد أبي بكر وعمر، فمن ينسى مواقف عكرمة وصفوان وأبي سفيان بن حرب في معارك اليرموك وفتوحات الشام»<sup>(٣)</sup>، فهلم بنا إلى تلك الصور المشرقة، والنماذج الرائعة؛ الدالة على سخائه وحلمه ووفوه، وأثرها في تأليف قلوبهم، وعطفها على الإسلام وأهله، وهي كثيرة سنقف على اثنين منها إيثارا للاختصار وهما: مسلمة الفتح، والأعراب، وكيف عاملهم ﷺ يوم حنين وهم يسألونه التعجيل بقسمتها والمزيد منها.

### أ. صبره على جفاء الأعراب:

من المعروف أن الأعراب هم سكان البادية، وهم أناس جفاة قساة، وقد قال ﷺ «من سكن البادية جفا»<sup>(٤)</sup>، ولذلك تجد غلظة في أقوالهم وأفعالهم

(١) افقه السيرة: محمد الغزال، ص ٤٢٧.

(٢) السيرة النبوية الصحيحة: أكرم العمري، الجزء ٢، ص ٥١٥.

(٣) أثر معاملة الرسول ﷺ في نشر الدين الإسلامي: يحيى بن عبدالله البكري الشهري، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، أثناء النشر الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ص ٥٨.

(٤) رواه أبو داود من حديث ابن عباس، باب في اتباع الصيد، (٢٨٥٩)، وصححه الألباني في صحيح

بخلاف ساكنة الحضر، وقد قابل ﷺ ذلك منهم بالرحمة والحلم والصبر، مراعاة لحالهم، وتأليفا لقلوبهم. ففي غزوة حنين أظهر بعض الأعراب غلظة وجفاء عند تقسيم الغنائم فمن ذلك:

١. الأعراب تضطره إلى سَمْرَة: شاع في الناس أن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، فازدحموا عليه يستعجلونه القسمة، ويبغون المزيد، يقولون: «يا رسول الله اقسم علينا فيئنا حتى اضطروه إلى شجرة فانتزعت رداءه، فقال: «يا أيها الناس ردوا علي ردائي فو الذي نفسي بيده لو كان لكم عندي عدد شجر تهامة نعما لقسمته عليكم، ثم ما ألفتيموني بخيلا ولا جبانا ولا كذابا»، ثم قام إلى جنب بغير فأخذ من سنامه وبرة فجعلها بين أصبعيه، ثم رفعها فقال: «أيها الناس، والله مالي من فيئكم ولا هذه البرة إلا الخمس والخمس مردود عليكم»<sup>(١)</sup>.

٢. أعرابي يجذبه بردائه جذبة شديدة: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه بردائه جذبة شديدة حتى انشق البرد، وحتى بقيت حاشيته في عنق رسول الله ﷺ ونظرت إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك، ثم أمر له بعطاء»<sup>(٢)</sup>.

الجامع (٦١٢٢).

(١) ، رواه أحمد (٦٧٢٩)، والبيهقي (٣٣٧/٣٣٦) بسند حسن عن عبد الله بن عمر، والبخاري (١٩٣/٦-١٩٤) عن جبير بن مطعم إلى قوله كذابا، والباقي عند الحاكم (٤٩/٣) من حديث

عبادة بن الصامت، ينظر: فقه السيرة: محمد الغزال حاشية ص ٤٢٦. وقال الألباني: صحيح.

(٢) رواه البخاري (فتح الباري)، كتاب فرض الخمس، باب ما كان يعطي النبي ﷺ المؤلفه لقلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، (٣١٤٩/٧).



٣. أعرابي يرد بشارة النبي ﷺ: عن أبي موسى قال: كنت عند النبي ﷺ وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة- ومعه بلال فأتى النبي ﷺ أعرابي فقال: ألا تنجز لي ما وعدتني؟ فقال له: «أبشر» فقال: «أكثرت على من «أبشر»، فأقبل على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان فقال: «رد البشري فاقبلا أنتما»، قالوا: قبلنا، ثم دعا بقدر فيه ماء، فغسل يديه ووجهه فيه، ومجّ فيه، ثم قال: «اشربا منه، وأفرغا على وجوهكما ونحوركما، وأبشرا»، فأخذا القدر ففعلا، فنادت أم سلمة من وراء الستر أن أفضلا لأكما، فأفضلا لها منه طائفة»<sup>(١)</sup>.

قال ابن حجر في الفتح عن هذا الوعد «يحتمل أن يكون خاصا به، ويحتمل أن يكون عاما، وكان طلبه أن يعجل له نصيبه من القسمة، فإنه ﷺ كان أمر أن تجمع غنائم حنين بالجعرانة، وتوجه هو بالعساكر إلى الطائف، فلما رجع منها قسم الغنائم حينئذ بالجعرانة، فلهذا وقع في كثير ممن كان حديث عهد بالإسلام استبطاء الغنيمة واستنجاز قسمتها»<sup>(٢)</sup>، فما أحلمه! وما أرافه! وما أصبره! وما أرحمه! يُعترض على قسمته ويُقال: «ما أريد بها وجه الله»، ويُطلب منه العدل وهو أعدل خلق الله، وتُرد بشارته، وهو البشير الصادق، ويُجذب رداؤه من خلفه حتى يتمزق ويوثر في صفحه عنقه، فيلتفت ضاحكا ويأمر له بالعطاء، ويُضايق فيضطر إلى شجرة تعلق بها رداؤه يستعجلونه القسمة، فيبين لهم برفق ولين، أنه ليس له من هذا الحطام شيء إلا الخمس وهو مردود عليهم، ويعدهم خيرا، ولم يؤثر عنه ﷺ أنه عاقب أحدا منهم فمنعه العطاء

(١) رواه البخاري (فتح الباري)، كتاب المغازي، غزوة الطائف في شوال سنة ثمان، (٤٣٢٨/٧).

(٢) فتح الباري: ابن حجر، الجزء السابع، ص ٦٤٥.

تعزيراً وتأديباً، بل أجزل لهم ذلك رجاء تثبيت الإسلام في قلوبهم، فكيف لو اعترض جندي في هذا الزمان على قائده أو طعن في قسمته؟ أو رد بشارته أو هبته؟ أمّا أن يصل إلى ردائه فيجذبه أو يزدحم عليه فيضايقه، فذلك بعيد المنال صعب التصور في الخيال. أمّا محمد ﷺ فتلك حاله، وتلك أفعاله، فأنى تترك الرحمة للغلظة في قلبه مكاناً؟ وصدق الله إذ يقول: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٤. عطاؤه للطلاق والأعراب: بلغت غنائم حنين مبلغاً عظيماً: ستة آلاف من السبي، ومن الإبل أربعة وعشرين ألف بعير، والغنم أكثر من أربعين ألفاً شاة، وأربعة آلاف أوقية فضة<sup>(١)</sup>، وكره رسول الله ﷺ أن يقسم الغنائم رجاء أن يقدم عليه أهل الطائف تائبين فيحرزوا أموالهم وذرايهم، ومكث ينتظر بضع عشرة ليلة فلم يجئه أحد<sup>(٢)</sup>، ثم شرع في قسمة الأموال وتأنى بالسبي للغرض نفسه «وفي هذا دليل على أنه كان يجب إسلامهم حيث لم يبادر بقسمة الغنائم ثم بدأ بالأموال فقسّمها»<sup>(٣)</sup>، فأجزل العطاء للطلاق والأعراب يتألف قلوبهم، ومنهم: أبو سفيان بن حرب، وابنيه معاوية ويزيد، وسهيل ابن عمرو، وحويطب بن عبد العزّي، وحكيم بن حزام، وأبو السنابل ابن بعكك، وصفوان بن أمية، وعيينة بن حصين الفزاري، والأقرع ابن حابس التميمي، والعباس بن مرداس السلمي، وجبير بن مطعم وغيرهم، والقائمة تزيد عن أربعين نفساً<sup>(٤)</sup>، فعن رافع بن خديج

(١) كتاب الطبقات الكبرى: محمد بن سعد الزهري، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، الجزء الثاني، ص ١٤١.

(٢) قال الألباني: صحيح، ذكره ابن إسحاق بدون إسناد، ومعناه في البخاري (٢٣/٨-٣٥)، وابن جرير (٢/٣٥١) من حديث أبي موسى الأشعري، ينظر: فقه السيرة: محمد الغزالي حاشية ص ٤٢٥.

(٣) أثر معاملة الرسول في نشر الدين الإسلامي، يحيى بن عبد الله البكري الشهري، ص ٥٤.

(٤) ينظر: فتح الباري، ابن حجر، الجزء السابع، ص ٦٤٥.



قال: أعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، كل إنسان منهم مئة من الإبل وأعطى عباس بن مرداس ذلك، فقال عباس بن مرداس:  
أَتَجْعَلُ نَهْبِي وَنَهْبَ الْعَبِيدِ      بَيْنَ عَيْنِيَّةَ وَالْأَقْرَعِ  
فَمَا كَانَ بَدْرٌ وَلَا حَابِسٌ      يَفُوقَانِ مَرْدَاسَ فِي الْمَجْمَعِ

قال: فآتَمَّ له رسول الله ﷺ مئة<sup>(١)</sup>.

وقد خفيت الحكمة من هذا التوزيع على الأنصار ووجدوا في أنفسهم منها، وعتبوا عليه، وقال بعض أحداثهم: «إذا كانت الشدة ندعى ويُعطى الغنائم غيرنا»، أو «يغفر الله لرسول الله، يعطي قريشا ويتركنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم»<sup>(٢)</sup>، قال أنس: فحدث رسول الله ﷺ بمقاتلتهم، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من آدم، ولم يدع معهم غيرهم، فلما اجتمعوا قام النبي ﷺ، فقال: «ما كان حديث بلغني عنكم؟» قال له فقهاؤهم: «أما ذوو رأينا برسول الله فلم يقولوا شيئا، وأما أناس منا حديثه أسنانهم فقالوا: يغفر الله لرسول الله يعطي قريشا ويترك الأنصار وسيوفنا تقطر من دمائهم، فقال رسول الله ﷺ: «إني أعطي رجالا حديث عهدهم بكفر، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال، وترجعون إلى رحالكم برسول الله، فوالله ما تتقلبون به خير مما ينقلبون به»، قالوا: بلى يا رسول الله قد رضينا، فقال لهم: «إنكم سترون بعدي أثره شديدة، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض»<sup>(٣)</sup>. وفي رواية «أما ترضون أن يذهب الناس بالدنيا وتذهبون برسول الله ﷺ؟ قالوا: بلى، قال: «لو سلك الناس واديا

(١) رواه مسلم من حديث رافع بن خديج، كتاب الزكاة، باب إعطاء من يخاف على إيمانه، (٢/٢٤٤٣).  
(٢) رواه البخاري، (فتح الباري)، كتاب المغازي، غزوة الطائف في شوال سنة ثمان (فتح الباري)، (٧/٤٣٣١).  
(٣) رواه البخاري (فتح الباري)، كتاب المغازي، غزوة الطائف في شوال سنة ثمان (٧/٤٣٣٠).

أو شِعْبًا لسلكت وادي الأنصار أو شِعْبَهَا»<sup>(١)</sup>، وقال: «إني أعطي قوما أخاف ظَلَعَهُمْ»<sup>(٢)</sup> وجزعهم، وأكل أقواما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغناء، منهم عمرو بن تغلب، فقال عمرو بن تغلب: ما أحب أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حُمُرُ النعم»<sup>(٣)</sup>، وفي رواية: «إني أعطي قريشا أتألفهم لأنهم حديث عهد بجاهلية»<sup>(٤)</sup>.

وقد اتضحت لهم الحكمة عمليا فيها هو صفوان بن أمية يقول: «لقد أعطاني رسول الله ﷺ وإنه لأبغض الناس إليّ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي»<sup>(٥)</sup>، وصدقت مقولة الإمام مالك بن أنس حين قال: «إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها»<sup>(٦)</sup>، وها هو الأقرع بن حابس الذي رفض أن يرد عجوزا شمطاء من سبي هوازن -وقد طلب منه ذلك النبي ﷺ- يسوق عشرة من أبنائه في معركة اليرموك إلى الشهادة في سبيل الله سوفا، فنالها وإياهم ولم يرجع منهم أحد، وذلك بعد أن أصابته رحمة النبي ﷺ وحسن إسلامه، وكذلك الأمر بالنسبة لبقية المؤلفات لقلوبهم إلا يسيرا منهم، مثل عيينة بن حصن الفزاري فلم يزل مغمورا كما يقول ابن حزم<sup>(٧)</sup>.



- (١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (فتح الباري)، كتاب المغازي، غزوة الطائف في شوال سنة ثمان (٢٣٢٠/٧).
- (٢) الظلع: هو الاعوجاج والميل، والمراد هنا ميل القلوب، وضعف اليقين.
- (٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (فتح الباري)، كتاب فرض الخمس، باب ما كان يعطي النبي ﷺ المؤلفات لقلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، (٣١٤٥/٦).
- (٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (فتح الباري)، كتاب فرض الخمس، باب ما كان يعطي النبي ﷺ المؤلفات لقلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، (٣١٤٦/٦).
- (٥) رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ، كِتَابُ الْفَضَائِلِ، بَابُ مَا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ: لَا، وَكَثْرَةُ عَطَائِهِ، (٢٣١٢).
- (٦) رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ كِتَابِ الْفَضَائِلِ، بَابُ مَا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ: لَا، وَكَثْرَةُ عَطَائِهِ، (٢٣١٣).
- (٧) جوامع السيرة: ابن حزم ص ٢٤٨.



## المبحث الخامس قسمة الغنائم

الغنيمة هي ما يأخذه المجاهدون من عدوهم عن طريق القتال، ومن رحمته ﷺ بأتمته أن اختص بإحلال الغنائم، ولم تحل لأحد من قبله، روى البخاري عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة»<sup>(١)</sup>، وروى مسلم في صحيحه تحت باب «إحلال الغنائم لهذه الأمة» عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه، لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبنى بها ولما يبني، ولا آخر قد بنى بنيانا ولما يرفع سقفها، ولا آخر قد اشترى غنما أو خلفات وهو منتظر ولادها. قال: فغزا فأدنى للقرية حين صلاة العصر أو قريبا من ذلك، فقال للشمس: أنت مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها عليّ شيئا، فحُبِسَتْ حتى فتح الله عليه، قال: فجمعوا ما غنموا فأقبلت النار تأكله، فأبْت أن تطعمه، فقال: فيكم غلول، فليبايعني من كل قبيلة رجل، فبايعوه فلصقت يد رجل بيده، فقال: فيكم الغلول،

فلتبايعني قبيلتك فبايعته، قال: فلصق بيد رجلين أو ثلاثة، فقال فيكم الغلول، أنتم غللتم، قال: فأخرجوا له مثل رأس بقرة من ذهب، قال: فوضعه في المال وهو بالصعيد فأقبلت النار فأكلته، فلم تحل الغنائم لأحد من قبلنا، ذلك بأن الله (تبارك وتعالى) رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا<sup>(١)</sup>، ففي هذا الحديث إحلال الغنائم لهذه الأمة، وأنها مختصة بها، قال شارح الحديث «وفيه اختصاص هذه الأمة بحلّ الغنائم، وأن إظهار العجز بين يدي الله يستوجب ثبوت الفضل»<sup>(٢)</sup>.

والفضل رحمة من الله للمجاهدين من هذه الأمة وعلى رأسهم صحبه الكرام ﷺ خاصة إذا علمنا حال الصحابة وقد أُخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق، فجازاهم ربهم بإحلال الغنائم، والجزاء من جنس العمل، قال ابن القيم: «وكذلك إباحة الغنائم كان قبيحا في حق من قبلنا؛ لئلا تحملهم إباحتها على القتال لأجلها، والعمل لغير الله، فتفوت عليهم مصلحة الإخلاص؛ التي هي أعظم المصالح فحُمى أحكم الحاكمين جانب هذه المصلحة العظيمة بتحريمها عليهم، ثم لما وجد هذه الأمة التي هي أكمل الأمم عقولا، وأرسخهم إيمانا، وأعظمهم توحيدا وإخلاصا، وأرغبهم في الآخرة، وأزهدهم في الدنيا، أباح لهم الغنائم، وكانت إباحتها حسنة بالنسبة إليهم، وإن كانت قبيحة بالنسبة إلى من قبلهم، فكانت كإباحة الطبيب اللحم للصحيح الذي لا يخشى عليه من مضرته، وحميته منه للمريض المحموم»<sup>(٣)</sup>.

وتأمل معي قوله ﷺ «ذلك بأن الله (تبارك وتعالى) رأى ضعفنا

(١) رواه مسلم من حديث أبي هريرة، كتاب الجهاد والسير، باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة، (١٧٤٧).

(٢) منة المنعم في شرح صحيح المسلم: صفي الرحمن المباركفوري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، الجزء الثالث، ص ١٧٨.

(٣) مفتاح دار السعادة: شمس الدين محمد بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، د-ط، ١٩٩٨م، الجزء الثاني، ص ٣٤٦-٣٤٧.

وعجزنا فطيببها لنا» وكيف جعل ﷺ الضعف والعجز سببا للإحلال، ولو طلب من بليغ أن يتم الحديث وقد عميت عليه عبارة «فطيبيها لنا» لقال فرحمنا فأحلها لنا «لأن الضعف والعجز يتطلبان الرحمة، ومنها إحلال ما حرم على غيرنا من الأمم، ولكنه ﷺ ويلم أوتي جوامع الكلم، ومن البلاغة الحذف والإيجاز، فببركة رحمته ﷺ أذن لصحبه المجاهدين ومن تبعهم بالغنيمة ولا تضر بجهادهم «إذا كان أصل الباعث عليه هو إعلاء كلمة الله كما قال جمهور العلماء<sup>(١)</sup>.

إذن تطيب الغنائم لهذه الأمة دون سائر الأمة من خصائصه ﷺ، وهو من رحمته بأتمته، هذا من حيث التشريع ابتداء. أما من حيث تقسيمها فرحماته ﷺ بأصحابه بادية لا خفاء فيها، ومنها:

#### أ. تفنيل بعض الجيش للمصلحة رحمة:

ثبت عن النبي ﷺ أنه كان ينفل بعض الجيش لبأسه وبلائه في المعركة دون غيره، وقد أجاز الفقهاء انطلاقا من ذلك جواز تفنيل بعض الجيش -فردا أو سرية- لمصلحة، وليس المراد هنا بالمصلحة المصلحة الخاصة وإنما المراد المصلحة العامة، والمصلحة رحمة ولا شك، فقوله ﷺ: «من قتل كافرا فله سلبه»<sup>(٢)</sup> رحمة، ولتستبين أكثر فلنقف على سياق الحديث وتمامه، فعن أنس: أن النبي ﷺ قال يوم حنين: «من قتل رجلا فله سلبه» فقتل أبو طلحة عشرين رجلا وأخذ أسلابهم»، فقوله ﷺ كان محفزا لأبي طلحة وغيره من الصحابة على الإثخان في المشركين ونيل أسلابهم، ومعلوم أنه يوم حنين حدث فرار جماعي لجيش المسلمين في

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تقديم وتحقيق: عبد القادر شيبه الحمد، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، الجزء السادس، ص ٣٤.

(٢) أخرجه أبو داود من حديث أنس بن مالك، كتاب الجهاد، باب في السلب يعطى للقاتل، (٢٧١٨). وقال هذا حديث حسن، وصححه الألباني.

الجولة الأولى، ولم يثبت إلا النبي ﷺ، «ولم يصمد معه سوى عشرة أو اثني عشر من الصحابة كانوا يحيطون به، فيهم العباس، وأبوسفيان، وأبو بكر، وعمر، وعلي»<sup>(١)</sup>، وفي الجولة الثانية استجمع المسلمون قواهم بعد أن صرخ فيهم العباس فانهزم المشركون و«قد أمر النبي ﷺ بتعقب الفارين وقتلهم لإضعاف شوكتهم حتى لا يعودوا إلى الاجتماع والقتال وهنا أباح للقاتل سلب المقتول»<sup>(٢)</sup>. فقتل المشرك المحارب رحمة، وإضعاف شوكتهم رحمة، لأنه لو لم يكن ذلك فمالوا على المسلمين فقتلوهم وأسروهم لكان ذلك عذابا، كما أن الهزيمة تدخل على قلب الصحابة الهم والغم والحزن، والنصر يدخل على قلوبهم الفرح والسرور وذلك رحمة، بل وتعذيب المشركين بأيدي المؤمنين فيه شفاء لصدورهم وذلك رحمة؛ قال تعالى: ﴿قَتَلُوهُمْ يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَبْصُرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤].

وثبت أنه ﷺ جمع لسلمة بن الأكوع في بعض مغازيه بين سهم الراجل والفرس، فأعطاه أربعة أسهم لعظم غنائه في تلك الغزوة، فعن سلمة بن الأكوع وذكر قصة إغارة عبدالرحمن الفزاري على سرح رسول الله ﷺ واستتقاذه منه، قال: فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ: «كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة، وخير رجالتنا سلمة» قال: ثم أعطاني رسول الله ﷺ سهم الفرس وسهم الراجل فجعلهما لي جميعا»<sup>(٣)</sup>، وثبت أنه أعطى سعد بن أبي وقاص سيفا يوم بدر، فعن سعد بن أبي وقاص قال: جئت إلى رسول الله ﷺ يوم بدر بسيف فقلت: يا رسول الله إن الله قد شفى صدري اليوم من العدو، فهب لي هذا السيف، فقال: «إن هذا السيف ليس لي ولا لك»

(١) السيرة النبوية الصحيحة: أكرم ضياء العمري، الجزء الثاني، ص ٥٠١، وقال عن الحديث رواه ابن إسحاق بإسناد صحيح إلى جابر بن عبد الله أحد شهود المعركة.

(٢) المرجع نفسه، الجزء الثاني، ص ٥٠٢.

(٣) أخرجه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد، (١٨٠٧).

فذهبت وأنا أقول: يُعْطاه اليوم من لم يبيل بلائي، فبينما أنا إذ جاءني رسول رسول الله ﷺ فقال: أجب، فظننت أنه نزل في شيء بكلامي، فجئت فقال لي النبي ﷺ: «إنك سألتني هذا السيف وليس هو لي ولا لك، وإن الله قد جعله لي فهو لك»<sup>(١)</sup>.

هذا على المستوى الفردي أما على المستوى الجماعي فقد ثبت أنه كان يُنْفَلُ بعض من يبعث من السرايا لأنفسهم خاصة، سوى قسم عامة الجيش، فعن ابن عمر رضي الله عنهما: «أن النبي ﷺ بعث سرية قبل نجد، فخرجت فيها فبلغت سهماننا اثني عشر بعيرا، ونقلنا رسول الله ﷺ بعيرا بعيرا»<sup>(٢)</sup>، وعن حبيب بن مسلمة أن النبي ﷺ نفل الربع بعد الخمس في بدأته، ونفل الثلث بعد الخمس في رجعته»<sup>(٣)</sup>. والمراد أنه ﷺ إذا بعث سرية وهو خارج للغزو فغنمت فلها الربع، ويشركهم سائر الجيش في ثلاثة أرباعه الباقية، فإن رجع الجيش من الغزو فخرجت سرية فغنمت فلها الثلث من القسمة كل ذلك بعد إخراج الخمس<sup>(٤)</sup>، فتصرفه ﷺ رحمة بكل الطائفتين من أصحابه لأنه يقوي قلوب الشجعان ويبعثهم على الخروج والقتال، وينوبوا عن إخوانهم الضعفاء فيكون رحمة لهم.

### ب. تسويته بين الضعيف والقوي في القسمة رحمة:

كان ﷺ يسوي بين الضعيف والقوي، وبين من قاتل ومن لم يقاتل، مادام أنهم قد حضروا المعركة، وقد سبق إلى أوهام بعض الصحابة أن لهم فضلا على ضعفائهم فسارع ﷺ إلى تصحيح الأفهام وإزالة الأوهام

(١) رواه وأبو داود من حديث مصعب بن سعد عن أبيه، باب في النفل، (٢٧٤٠/٢)، ورواه مسلم باب الأنفال، (١٧٤٨).

(٢) رواه مسلم كتاب الجهاد والسير، باب الأنفال، (١٧٤٩).

(٣) أخرجه وأبو داود من حديث حبيب بن مسلمة، كتاب الجهاد، باب فيمن قال الخمس قبل النفل، (٢٧٤٩)، وصححه الألباني.

(٤) ينظر: نيل الأوطار: الشوكاني، الجزء التاسع، ص ٤٢٥.

فقال: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم»<sup>(١)</sup>. وقد قال الناظم: وفي الغنيمة الضعيف والقويومن يقاتل وسواه يستوي<sup>(٢)</sup>

وقد وقع سوء الفهم في أول معركة فاصلة في الإسلام إنها معركة بدر، فعن عبادة قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فشهدت معه بدرا، فالتقى الناس فهزم الله العدو، فانطلقت طائفة في أثرهم يهزمون ويقتلون، وأكبت طائفة على الغنائم يحوونه ويجمعونه، وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرّة، حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض، قال الذين جمعوا الغنائم نحن حويناها وجمعناها، فليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا في طلب العدو، لستم بأحق منا نحن نفينا عنها العدو وهزمناهم، وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ: لستم بأحق منا نحن أحدقنا برسول الله ﷺ وخفنا أن يصيب العدو منه غرّة فاشتغلنا به، فنزلت ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَنْفُوا لِلَّهِ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١]، فقسمها رسول الله ﷺ على فواق بين المسلمين<sup>(٣)</sup>، أي على سواء، وللنساءي زيادة تبين كيف يكون النصر بسبب المستضعفين وهي: «إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم»<sup>(٤)</sup>.

ولنتصور أثر الرحمة في هذه القسمة السوية علينا إدراك المصالح المترتبة عليها؛ فمنها تأليف القلوب ومن ثم توحيد الصف وإزالة الحقد

(١) رواه البخاري عن مصعب بن سعد، كتاب الجهاد والسير، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، (٢٨٩٦).

(٢) الأفنان الندية: شرح منظومة السبل السوية لفقهاء السنن المروية لناظمها حافظ بن أحمد بن علي الحكمي: زيد بن محمد بن هادي المدخلي، دار علماء السلف للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، الجزء الثالث، ص ٥١٢.

(٣) رواه أحمد من حديث عبادة بن الصامت، (٢٢٨٥٢).

(٤) رواه النساء من حديث مصعب بن سعد عن أبيه، كتاب الجهاد، باب الاستتصار بالضعيف، (٣١٧٨)، وصححه الألباني.

والكراهية من قلوب الضعفاء تجاه الأقوياء، وطرد وساوس الشيطان عنهم، وتحفيزهم على الخروج في سبيل الله، ولو لتكثير السواد وحفظ المتاع، وكل ذلك له أثره على سير المعارك وتحقيق النصر؛ لأن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا واحدا، ومن أحبه الله رحمة فكانت القسمة بالسوية مجلبة لرحمة رب البرية، وما كان سببا إلى رحمة فهو رحمة، وإن رآه الناس عذابا، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَيْنَهُنَّ مَرَصُومٌ﴾ [الصف:٤]، ولئن ظن بعض الصحابة أنه من العدل أن يعطى الرجل حسب بلائه العسكري في المعركة فإن النبي ﷺ يدرك أن تحريك سبابه قد يكون أفضل من تحريك دبابه، وأن أنينا من ضعيف بظلمة الليل قد تنهد له الجيوش العاتية فصلى الله عليه وسلم تسليما، فقد كان معلما رحيفا .



## المبحث السادس

### الرحمة بالعصاة والمذنبين والعضو<sup>(١)</sup> عنهم

للعفو في اللغة «أصلان يدل أحدهما على ترك الشيء، والآخر على طلبه، ثم يرجع إلى فروع كثيرة لا تتفاوت في المعنى، فالأول: العفو: عفو الله تعالى عن خلقه، وذلك تركه إياهم فلا يعاقبهم فضلا منه، قال الخليل: وكل من استحق عقوبة فتركته فقد عفوت عنه»<sup>(٢)</sup>. وقال ابن الأعرابي: «وعفا يعفو إذا ترك حقا»<sup>(٣)</sup>، ومن المعنى اللغوي يمكن أن نصوغ معنى اصطلاحيا فنقول العفو: هو التنازل عن الحق الذي على الغير وإسقاطه تفضلا وترحما»، وقد كان ﷺ أحلم خلق الله وأكثرهم عفوا، كيف لا يكون كذلك وقد أمره ربه بالعفو فقال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، قال القرطبي في تفسير هذه الآية «فيه ثلاث مسائل: الأولى: هذه الآية من ثلاث كلمات، تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات، فقوله: «خذ العفو» دخل فيه صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين»<sup>(٤)</sup>، فلم يكن ﷺ ممن «تستخفه التوافه، ولا تستفزه

(١) من باب عطف السبب على المسبب، فالرحمة سبب للعفو.

(٢) معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، الجزء الرابع، ص ٥٦.

(٣) لسان العرب: ابن منظور، ص ٣٠٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة،

الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، الجزء التاسع، ص ٤١٨.



الشدائد، اتسع صدره وامتد حلمه وأناته على ذوي النزق والحمق حتى يلجئهم إلى الحق، فتأنس النفوس له أنس الرياض بالهلال القطر، والساري بطلوع البدر، والمسافر بتعريس الفجر»<sup>(١)</sup>.

كان أصحاب النبي ﷺ أكثر خلق الله تعظيماً لحرماته، وبعداً عن معصيته، ومع ذلك لم يخلُ مجتمعهم ممن استهواه الشيطان فقارف بعض الذنوب والمعاصي، خاصة ممن كانوا حديثي عهد بجاهلية، وكان بهم رفيقا رحيماً يبين لهم شؤم المعصية وأثرها على الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة، ويحث على الستر والتوبة والأعمال الصالحة التي تمحو السيئة، يعرض عن الجاهل، ويعفو عن المسيء ولو أسلنا الحبر في منهجه ﷺ في تعامله مع العصاة والمذنبين لطال بنا المكث، وليس ذلك المراد بالبحث ها هنا، بل المراد هو عفوهم ﷺ على العصاة من أصحابه ﷺ في الغزو والجهاد، وترك المؤاخذة مع القدرة، وهو شيء كثير وعجيب، فإذا كان ﷺ قد عفا عن مشركي قريش وقد آذوه وأخرجوه من أحب البلاد إليه، ومكروا به لياسروه أو يقتلوه أو يخرجوه، كما أخبر تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْسِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ﴾ [الأنفال: ٣٠]، فكيف بمن آمنوا به وصدقوه، ومن قتل وأسر المشركين منعه، لقد امتثل ﷺ أمر ربه بالعفو عن زلات أصحابه رضوان الله عليهم، وسيرته الجهادية تشهد بذلك، وسوف نقتصر على بعض منها.

### أ. الرسول يعفو عن مخالفتي الأوامر في المعارك:

التزام الجنود بأوامر قادتهم في المعارك أمر عظيم لما في ذلك من أثر مباشر على سير المعارك وتحقيق النصر ودفع الهزيمة، ولذلك قلماً

(١) الإكليل في حلم وعفو وصفح الخليل: علي عبد الخالق القرني، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، الجيزة، د-ط، د-ت، ص ٢٧-٢٨.

ينجو المخالف من العقوبات القاسية خاصة إذا تسببت في خسائر بشرية ومادية كبيرة كما هو الحال في الجيوش الحديثة، بل قد يصل الأمر إلى حد القتل والاتهام بالخيانة العظمى، ولكن المتبع لسيرة النبي ﷺ تأخذه الدهشة، ويتملكه العجب والإعجاب من حلمه وعفوه عن هذه الفئة، فقد خالف الرماة أمره يوم أحد وتركوا موقعهم، فعن البراء بن عازب قال: جعل النبي ﷺ على الرّجاله يوم أحد - وكانوا خمسين رجلا- عبد الله بن جبير فقال: «إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا، حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزّمتنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم» فهزموهم، قال: فأنا والله رأيت النساء يشددن قد بدت خلاخلهم وأسوقهن، رافعات ثيابهن، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: والله لنائين الناس فلنصيب من الغنيمة، فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين، فذاك إذ يدعوهم الرسول في آخرهم فل يبق مع النبي ﷺ غير اثني عشر رجلا، فأصابوا منا سبعين...»<sup>(١)</sup>، ورغم تلك الأوامر الصارمة المشددة بعدم إخلاء الموقع إلا أنهم ما إن رأوا انكشاف جيش المشركين حتى صاحوا الغنيمة الغنيمة، وعصوا وأمر أميرهم عبد الله بن جبير وهو يذكرهم بأوامر النبي ﷺ، فلم يلتفتوا إليه ونزلت أغلبية الرماة، وكانت غلطة فظيعة «قلبت الوضع تماما، وأدت إلى إلحاق الخسائر الفادحة بالمسلمين، وكادت تكون سببا في مقتل النبي ﷺ»<sup>(٢)</sup>. وتبين رواية مرسله للسدي ما وقع بعد نزول الرماة، فقد رأى خالد بن الوليد وكان على خيالة المشركين، الفرصة سامحة فالتفت حول المسلمين، فأباد عبد الله بن جبير وأصحابه الذين

(١) رواه البخاري (فتح الباري)، كتاب السير والمعاري، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه، (٦/٢٩٣٦).

(٢) الرحيق المختوم: المباركفوري، ص ٢٠٧.

بقوا معه على الموقع، ودارت الدائرة على المسلمين فقتل منهم سبعون، ورغم استبسال بعض الصحابة في الدفاع عنه ﷺ فقد كسرت ربايعيته، وشُجَّ في وجهه، فجعل يمسح الدم وهو يقول: «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الإسلام»<sup>(١)</sup>.

وجملة الأمر «أن الهزيمة وقعت بسبب مخالفة الرماة لقول النبي ﷺ «لا تبرحوا مكانكم»<sup>(٢)</sup> وغلبت عليهم أثارة من حب الدنيا وتنادوا بالغنيمة، وتزداد المخالفة فظاعة إذا علمنا أنهم قبل سنة فقط في بدر علمهم النبي ﷺ كيف تُقسَمُ الغنائم، وأعطى كل ذي حق حقه لا فرق بين القوي والضعيف، ومع ذلك لم نعثر في سيرته العطرة ﷺ على أي عقوبة لهؤلاء الرماة، ولو بكلمة قاسية أو نظرة جافية، ولو حدث شيء من ذلك لنقل إلينا، والأعظم من ذلك أن الصحابة يوم أحد انهزموا وفرَّ بعضهم، فعن أنس قال: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ...»<sup>(٣)</sup>، قال ابن حجر: «والواقع أنهم صاروا ثلاث فرق: فرقة استمروا في الهزيمة إلى قرب المدينة فما رجعوا حتى انفض القتال وهم قليل... وفرقة صاروا حيارى لما سمعوا أن النبي ﷺ قتل، فصار غاية الواحد منهم أن يذب عن نفسه، أو يستمر على بصيرته في القتال إلى أن يقتل وهم أكثر الصحابة، وفرقة ثبتت مع النبي ﷺ»<sup>(٤)</sup>.

وقد قص القرآن خبر فرارهم والعفو عنهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَفَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ [آل عمران: ١٥٥]، ومع ذلك لم يعاقبهم ﷺ،

(١) رواه البخاري (فتح الباري) معلقا، كتاب السير والمغازي، باب إذ تصعدون ولا تلوون على أحد، ج٧، ص٤٢٢.

(٢) فتح الباري: ابن حجر، الجزء السادس، ص١٨٩.

(٣) رواه البخاري (فتح الباري)، كتاب المغازي، قوله تعالى «إذ همت طائفتان منكم أن تقتلوا» الآية (٣٩١٤ / ٧).

(٤) فتح الباري: ابن حجر، الجزء السابع، ص٤١٩.

بل عفا عنهم ودعا لهم بالرحمة، فبعد أن انتهى من دفن الشهداء صف أصحابه فأثنى على ربه فقال: «اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لما أضلت ولا مضل لما هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مباعد لما قربت، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك، اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة، والأمن يوم الخوف، اللهم عاثر بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعت، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين، وأحيينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك، ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الخلق»<sup>(١)</sup>، ثم ركب فرسه ورجع إلى المدينة، ولو طرحت القضية على المحللين العسكريين في هذا الزمان، لقالوا: إن العقوبة لأتية لا محالة والمسألة مسألة وقت فقط، ولكن هيهات إنه الرؤوف الرحيم بالمؤمنين.

وذكر أهل السير أنه ﷺ لما رجع إلى المدينة بلغه أن قريشا تريد العودة لتستأصل المسلمين في عقردارهم، فما كان منه ﷺ إلا أن انتدب أصحابه للخروج، واشترط أن لا يخرج معه إلا من خرج يوم أحد، سوى جابر بن عبد الله لما أخبره أن أباه خلفه عن أخواته، فلم يشهد أحدا<sup>(٢)</sup>. وفي هذا الموطن يتوقع الخبراء العسكريون أدنى عقوبة قد ينالها الرماة خصوصا، والفارون من الزحف عموما، الحرمان من الخروج تأديبا لهم على ما اقترفوه، ولكن لم يحدث شيء من ذلك، وهذا هدية ﷺ مع الفارين يوم

(١) رواه أحمد في المسند (٣/٢٢٤)، والحاكم في المستدرک (٣/٢٣)، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، ينظر: السيرة النبوية الصحيحة، العمري، الجزء الثاني، ص ٣٩٤.

(٢) ينظر: صحيح السيرة النبوية: إبراهيم العلي، تقديم: عمر سليمان الأشقر، ومراجعة: همام سعيد، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى ١٤١٥/١٩٩٥م، ص ٢٣٦.

الزحف وهو من كبائر الذنوب، وقد رأينا ذلك أيضا يوم حنين في الجولة الأولى ولم نقف على أي عقوبة لهم، بل رأيناه يغدق عليهم من العطاء لهم، ويعفو عليهم رحمة بهم، فصلى الله عليه وسلم تسليما .

### ب. الرسول يعفو عن حاطب بن أبي بلتعة:

كان من شروط صلح الحديبية أن لكل قبيلة الحرية في التحالف مع من شاءت، فتحالفت خزاعة مع محمد ﷺ، وتحالفت بنو بكر مع قريش، وكان بين هاتين القبيلتين ثارات قديمة، فانتهزت بنو بكر الفرصة فأغارت على خزاعة ليلا بماء لهم يقال له الوتير، فأصابوا منهم رجالا، وأعانت قريش بني بكر بالسلاح، وقيل بل شارك بعضهم في القتال كسهيل بن عمرو، وصفوان بن أمية، وكان يفترض أن قريشا تمنع هذا الاعتداء وتستنكره، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث، فاستصرت خزاعة حليفها محمدا ﷺ، فوفى بالعهد<sup>(1)</sup>، وتهيأ للغزو وأخفى الأمر عن أصحابه ﷺ حتى يباغت قريشا فلا تأخذ أهبتها للقتال، وتستسلم دون نزال تعظيما لبلد الله الحرام مكة .

ولكن حادثا غريبا وقع في هذه الفترة، وهو أن رجلا من أهل السابقة تطوع بإرسال كتاب إلى قريش، يخبرهم فيه بأن محمدا سائر إليهم، إنه حاطب بن أبي بلتعة ﷺ. رواه البخاري عن عبيد الله بن أبي رافع قال: سمعت عليا يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزيير والمقداد، فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوا منها، قال: فانطلقنا تهادي بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، قلنا: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لتلقن الثياب، قال: فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ،

(1) ينظر: الرحيق المختوم، المباركفوري، ص ٣١٥.

فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة - إلى أناس بمكة- يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال: «يا حاطب، ما هذا؟ قال: يا رسول الله لا تعجل علي، إني كنت امرءا مخلصا في قريش -يقول: كنت حليفا- ولم أكن من أنفسنا، وكان من معك من المهاجرين، من لهم قرابات يحمون أهلهم وأموالهم، فأحببت إذا فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتدادا عن ديني، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنه قد صدقكم»، فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: «إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله أطلع على من شهد بدرا فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» فأنزل الله السورة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنخَضُوا عُدْوَى وَعُدْوَكُمْ أُولِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِأَلْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَإِنِّي لَمَرْضِيٌّ لِكُفْرَانِكُمْ بِاللَّهِ وَإِنِّي لَمَرْضِيٌّ لِكُفْرَانِكُمْ بِاللَّهِ وَإِنِّي لَمَرْضِيٌّ لِكُفْرَانِكُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَعْلَمْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ [المتحنة: ١]. فيا للعجب بدري يتجسس لصالح قريش ضد من؟ ضد رسوله محمد ﷺ، تطوعا واختيارا، أليس في ذلك تحريضا صريحا على محمد ﷺ وصحبه؟ أليس في ذلك حربا على الله ورسوله؟ أليس في ذلك نصرة للشرك وأهله؟

إنها الكبيرة العظيمة، وأمانة النفاق التي تستدعي ضرب الأعناق، وهذا ما فهمه عمر بن الخطاب ﷺ، نعم إن التجسس جريمة كبيرة لما تفضي إليه من آثار سلبية على الجيش المتجسس عليه، كالقتل والأسر والهزيمة في النهاية، وأي هزيمة إنها هزيمة جيش محمد ﷺ، وليس على الأرض جيش غيره يقاتل في سبيل الله حينئذ. إن رجلا (جاسوسا) يكون سببا في هزيمة جيش يقوده محمد ﷺ لهو أفضل جاسوس في عيون العدو يستحق التكريم والرتب العالية، وهو أعدى عدو في نظر جند محمد ﷺ، يستحق ضرب العنق دون محاكمة، لكن الأمر مع محمد



يختلف تماماً، خاصة مع أهل السابقة من أصحابه، فيسأله عن سبب إقدامه على هذا الفعل الشنيع والخطأ الفظيع، فيجيبه بكل صدق، فصدقه الصادق المصدوق، ولو كذب لكذبه لأن الذي أخبره بالكتاب، سيخبره بما يكن حاطب، وكف عنه عمر بن الخطاب الذي طالب بقتله، وذكره بماضيه الشريف وجهاده المنيف. «لقد شفح لحاطب ماضيه الحافل بالجهاد، فعفا عنه الرسول وأمر المسلمين أن يذكروه بأفضل ما فيه»<sup>(١)</sup>. «وبهذا التقدير السامح علمنا الإسلام أن لا ننسى الحسنات والفضائل لمن يخطئون حيناً بعد أن أصابوا طويلاً»<sup>(٢)</sup>.

لقد علمنا ﷺ أن الحسنات تمحو السيئة، وأن الكبيرة العظيمة تمحوها الحسنات الكبيرة، قال ابن قيم الجوزية في واقعة حاطب: «وفيها أن الكبيرة العظيمة ممّا دون الشرك، قد تُكفّر بالحسنة الكبيرة الماحية، كما وقع الجسّ من حاطب مُكفّراً بشهوده بدرا، فإن ما اشتملت عليه هذه الحسنات العظيمة من المصلحة، وتضمنته من محبة الله لها، ورضاه بها، وفرحه بها، ومباهاته للملائكة بفاعلها، أعظم مما اشتملت عليه سيئة الجسّ من المفسدة، وتضمنته من بغض الله لها، فغلب الأقوى على الضعيف»<sup>(٣)</sup>. وهذا هديه ﷺ مع أصحابه ينقب لهم عن الأعداء فيعفو عنهم، فلم يكن وهو القائد الرحيم بقاتل رجلا له سابقة في الإسلام، فشيمته الوفاء والبر بكل من ناصره»<sup>(٤)</sup>، وقد نقل الشوكاني لفظ كتاب حاطب ومحتواه فقال: «وذكر يحيى بن سلام في «تفسيره» أن لفظ الكتاب» أما بعد يا معشر قريش، فإن رسول الله ﷺ جاءكم بجيش كالليل، يسير كالسيل، فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله، وأنجز له وعده، فانظروا لأنفسكم

(١) الرسول القائد: محمد شيت، ص ٢٢٦.

(٢) ص ٤٠٨. فقه السيرة: محمد الفزالي

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد: ابن قيم الجوزية، الجزء الثالث، ص ٤٠٨.

(٤) أثر معاملة الرسول ﷺ في نشر الدين الإسلامي: يحيى بن عبد الله البكري، الشهري، ص ٩٨.

والسلام»<sup>(١)</sup>. فلو صح هذا اللفظ لكان كافيا للعبء عنه لما فيه من تيقنه من نصر محمد ﷺ، وأنه وعد الله، وهو مُنجز لا محالة، بل وفيه ترهيب للمشركين، ودعوة للدخول في دين محمد المرسل رحمة للعالمين.





## الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث إلى الخلق بالرحمات، فبعد هذه الرحلة الممتعة في بحر خلق رحمته ﷺ بأصحابه في الجهاد والغزوات، آن الأوان لنقف على أهم النتائج والتوصيات وهي:

### النتائج:

١. الرحمة أصل من أصول الأخلاق، وشعبة من شعب الإيمان، أصلها ثابت في القلب، وثمارها ظاهرة في السلوك والأعمال، وهي من صفات الكمال، وهي خلقه ﷺ، فهو أرحم الخلق أجمعين بشهادة رب العالمين، وصحبه الميامين، وأعدائه الشائئين.
٢. الرحمة عند النبي ﷺ منهج حياة، فلم تكن مرتبطة بمواقف معينة، أو مرحلة معينة من سيرته ﷺ، كأن تقتصر على العهد المكي دون المدني؛ بدعوى أن الجهاد لا يتناسب مع خلق الرحمة بل يتطلب الشدة، فحتى الشدة في موضعها رحمة وإن رآها الحاقدون قسوة وغلظة، فما أحوج الأمة اليوم إلى تحويل خلق الرحمة إلى منهج حياة، والتأسي بخير الخلق بدل سرد السيرة

وروايتها مبتوتة عن الواقع، وسيرته الجهادية ﷺ شهادة على ذلك، ولكن الظالمين يجحدون.

٣. منهجه ﷺ في تأصيل الأخلاق ونشرها يقوم على القدوة الحسنة، فهو المثل الأعلى لأصحابه في السلم والحرب، فلا يخالف فعله قوله، ولا يأخذهم بالعزائم ليستأثر هو بالرخص، ولا يدفعهم إلى المهالك، لينعم هو بالعافية دونهم، يفض الطرف حتى عن بعض المنافقين لا تأليفا لهم فحسب، ولكن دفعا للمفسدة الراجعة؛ مخافة أن يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه، فيكون ذلك عقبة في طريق الدعوة إلى الله، يتنازل عن بعض حقوقه تأليفا للقلوب وتقديما لحق الله تعالى في دعوتهم، فلم ينتقم لنفسه قط، بل كان ينتقم عندما تنتهك حدود الله تعالى.

٤. تجلت مظاهر رحمته ﷺ بأصحابه في الجهاد من خلال تضرعه ودعائه لهم بالثبات والنصر، وتخولهم بالموعظة، وتحريضهم على الجهاد، وتذكيرهم بما أعد الله لهم من الأجر العظيم، وكذلك التخفيف عليهم في الصلاة، فسن لهم صلاة عرفت بصلاة الخوف، وصبره على جفاء الأعراب وغلظتهم والعفو عنهم، وخصهم بالعطاء تأليفا لقلوبهم، عجل بقسمة الغنيمة رحمة، وأخرها تارة رحمة، قسم بينهم بالسوية، وخص بالسلب أهل الغناء، وبالنفل السرية، عفا عن العصاة ومخالفي الأوامر والفارين يوم الزحف، وكيف لا يعفو وقد عفا عنهم رب البرية، عفا عن حاطب وقد أفضى سره ومسيره إلى مكة بعد صلح الحديبية، فلم ينس له خروجه يوم بدر غازيا.

٥. لذلك وجب على الأمة الذب عن نبيها ﷺ، ورد الاقتراءات التي



يبثونها زورا وبهتانا، وبطريقة شرعية ومنهجية تراعى فيها المصلحة، بعيدا عن الانفعالات العاطفية التي قد تضر أكثر مما تنفع، كل بحسب قدرته وموقعه. وإني أرى هذا المؤتمر المبارك يندرج ضمن هذا المسعى، ومنه التعريف بأخلاق النبي ﷺ وشمائله ومنها خلق الرحمة، فجزى الله القائمين عليه رحمة منه واسعة، وجعلني بها منتفعا، وصلى الله وسلم على الرحمة المهداة.

### التوصيات:

١. الاستمرار في عقد المؤتمرات والندوات التي تبرز جوانب الرحمة في سيرته عموما، وسيرته الجهادية خصوصا، وبيان كيف كان يتعامل ﷺ مع العدو والصديق، لأن معظم الحملات التي تريد النيل من مقام النبوة، تنطلق من هذا الجانب من حياته ﷺ. وقد رأينا تهكم وسخرية الصحف الدنماركية والنرويجية والفرنسية، ودليل ذلك أن تلك الصور المسيئة لم تصور حال النبي ﷺ وهو يكابد أذى المشركين بمكة أيام الاستضعاف. ولكن هيهات فإن الله إذا أراد نشر فضائل نبيه بين أتباعه وأعدائه بعث أشقاها.

وإذا أراد الله نشر فضيلةٍ طُوِّيتَ أتاحَ لها لسانَ حَسُودٍ.

٢. ترجمة أعمال المؤتمر إلى لغات مختلفة - على الأقل اللغتين الإنجليزية والفرنسية-، وطبعها على شكل كتيبات صغيرة، كأن يشتمل كل كتيب على بحث واحد تيسيرا ورحمة بالقارئ، ونشرها في أوروبا وأمريكا وآسيا، لعل الله يهدي بها من يشاء من خلقه، أو يكتبهم فلا يتعرضوا لخير خلق الله بأذى.

٣. التغطية الإعلامية المباشرة لوقائع المؤتمر، وبلغات مختلفة؛ على

فضائيات عربية وعجمية.

٤. التجديد في عرض السيرة النبوية، وذلك من خلال التعريف بأخلاقه ﷺ، وعدم الوقوف عند حدود العرض التاريخي، ويحبذ أفراد كل خلق ببحث خاص حتى يُوفَى حقّه من البحث، ويكون ذلك سبيلا لموسوعة شاملة تترجم إلى ما تيسر من لغات العالم.
٥. حتّ الذين يجيدون اللغات الأجنبية على المشاركة في المنتديات الأجنبية على الشابكة، وإرشاد المتواجدين فيها إلى سيرة الرسول ﷺ، وتعريفهم بأخلاقه، ولو خُصّصت فرق لذلك لكان حسنا، وذلك من باب توظيف وتطويع التقنيات الحديثة في الدعوة. وصلى الله وسلم على نبينا محمد.



## فهرس المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم برواية حفص.
٢. معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، تحقيق وضبط: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د-ط، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٣. ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، تحقيق: عبدالله علي الكبير وآخرون، د-ط، د-ت.
٤. المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط: سيد محمد الكيلاني، د-ط، د-.
٥. فيض التقدير شرح الجامع الصغير: المناوي، درا المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩١-١٩٧٢م.
٦. الكليات في المصطلحات والفروق اللغوية: الكفوي، قابله: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٧. كتاب التعريفات: الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة، ١٩٨٥م.
٨. موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ: إعداد مجموعة من المختصين، بإشراف: صالح بن عبدالله بن حميد، عبدالرحمن بن ملوح، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، العربية، السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
٩. كتاب الدعاء: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دراسة وتحقيق: محمد سعيد بن محمد حسن البخاري، دار البشائر الإسلامية، د-ط، د-ت.

١٠. تصحيح الدعاء: بكر بن عبدالله أبو زيد، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
١١. تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر، راجعه وخرج أحاديثه: أحمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية، د-ت.
١٢. السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية: أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة السادسة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
١٣. الرحيق المختوم: المباركفوري، دار ابن خلدون، د-ط، د-ت.
١٤. صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر: محمد بن صامل السلمي وآخرون، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
١٥. تأليف النبي ﷺ للقلوب وأثره في الدعوة إلى الله: إبراهيم بن صالح بن صابر المغذوي، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية.
١٦. فتح الباري بشرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تقديم وتحقيق: عبدالقادر شيبه الحمد، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١/ ٢٠٠١م.
١٧. الطريق السوي في اقتفاء أثر النبي ﷺ: عبداللطيف بن محمد بن خالد آل موسى، مركز الفجر للإعلام، غزة، فلسطين، الطبعة الأولى، ١٣٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
١٨. الموافقات: أبو إسحاق الشاطبي، تقديم: بكر بن عبدالله أبوزيد، ضبط وتعليق وتقديم: أبو عبيدة مشهور بن حسن، آل سليمان، دار ابن عفان، الخبر، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.



١٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تقديم: عبدالله بن عبدالعزيز عقيل، ومحمد بن صالح العثيمين، اعتناء وتحقيق ومقابلة: عبدالرحمن معللاً اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
٢٠. زاد المعاد في هدي خير العباد: ابن قيم الجوزية، تحقيق وتخريج وتعليق: شعيب الأرنؤوط، وعبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
٢١. فقه السيرة: محمد الغزالي، خرّج أحاديث الكتاب: محمد ناصر الدين الألباني، دار الكتب الحديثة، الطبعة السادسة، ١٩٦٥م.
٢٢. نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، دار ابن القيم، الرياض، دار ابن عфан، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
٢٣. موسوعة الأعمال الكاملة لابن القيم، جامع الفقه، جمع وتوثيق وتخريج: يسرى السيد محمد، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٢٤. الدرر السنية في الأجوبة النجدية: جمع عبدالرحمن بن قاسم العاصمي القحطاني النجدي، من مطبوعات دار الإفتاء بالمملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٩٦٥م.
٢٥. منة المنعم في شرح صحيح المسلم: صفى الرحمن المباركفوري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٢٦. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
٢٧. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: البيهقي، توثيق



- وتخريج وتعليق: عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
٢٨. البداية والنهاية: ابن كثير. مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، د-ط، د-ت.
٢٩. أسد الغابة في معرفة الصحابة: عز الدين بن الأثير أبو الحسن علي بن محمد الجزري، تحقيق وتعليق: محمد العوض وأحمد عبدالموجود، قدم له وقرّظه: محمد عبد المنعم البري وعبدالفتاح أبو سنة، وجمعه طاهر النجار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د-ط، د-ت.
٣٠. الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبدالبر، صححه وخرّج أحاديثه: عادل مرشد، دار الأعلام، الأردن، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
٣١. السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، دراسة تحليلية، مهدي رزق الله أحمد، مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
٣٢. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي، إشراف: بكر عبدالله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، د-ط، د-ت.
٣٣. شرح عمدة الأحكام: سعد بن ناصر بن عبدالعزيز الشثري، اعتنى به: عبدالناصر بن عبدالقادر البشبيشي، كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
٣٤. فقه الإسلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام: الحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبدالقادر شيبه الحمد، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، د-ت.
٣٥. كشف اللثام شرح عمدة الأحكام: السفاريني، تحقيق وضبط: نور الدين طالب، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.





٣٦. طرح التثريب في شرح التقريب: الحافظ العراقي وولده، وليّ الدين أبو زرعة العراقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د-ط، د-ت.
٣٧. الرسول القائد: محمود شيت خطاب: مكتبة الحياة ومكتبة النهضة، بغداد، الطبعة الثانية، ١٩٦٠.
٣٨. أثر معاملة الرسول ﷺ في نشر الدين الإسلامي: يحيى بن عبدالله البكري الشهري، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، أثناء النشر الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.
٣٩. كتاب الطبقات الكبرى: محمد بن سعد الزهري، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
٤٠. مفتاح دار السعادة: شمس الدين محمد بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، د-ط، ١٩٩٨م.
٤١. فيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ، ١٩٧٢م.
٤٢. الأفنان الندية: شرح منظومة السبل السوية لفقهِ السنن المروية لناظمها حافظ بن أحمد بن علي الحكمي: زيد بن محمد بن هادي المدخلي، دار علماء السلف للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
٤٣. الإكليل في حلم وعفو وصفح الخليل: علي عبدالخالق القرني، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، الجيزة، د-ط، د-ت.
٤٤. صحيح السيرة النبوية: إبراهيم العلي، تقديم: عمر سليمان الأشقر، ومراجعة: همام سعيد، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى ١٤١٥/١٩٩٦.





# تجليات الرحمة بالحيوان في سيرة خير الأنام عليه أركى الصلاة والسلام

إعداد:

خايف مرية

مستر الحوار الدينى والحضارى

وقضايا التجديد فى الثقافة الإسلامية المغرب



## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين،  
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

فلا شك أن حياة النبي ﷺ ترجمة صادقة لكل أمر إلهي، فقد بلغ  
الذروة في الكمال بأخلاقه العظيمة وآدابه الرفيعة، فكان أحكم الناس  
وأحلمهم وأعظمهم وأعدلهم وأرحمهم وأشدهم خشية وخوفاً من الله،  
وأحسنهم خلقاً، فهو النموذج الأكمل، الذي أنتج أكمل فرد، وأكمل  
مجتمع، وأكمل تفاعل مع الإنسان والمكان والحيوان، كيف لا وقد أتى  
عليه ربنا سبحانه وتعالى في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤].

فقد حباه الله سبحانه وتعالى بخصائص فريدة وأخلاق حميدة، التي  
لم ولن تجتمع في مخلوق، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام:١٢٤]،  
إذ لا نستطيع أن نتصور مثلاً لرحمة ورأفة شاملة لجميع شؤون  
الحياة، وعامة لكل أنواع المخلوقات أسمى منه ﷺ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا

رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧] فالنبي ﷺ قدوة عز مثلها على صعيد التعامل مع جميع المخلوقات، «فقد برهن ﷺ بنفسه على أن لديه أعظم الرحمات لكل ضعيف، ولكل محتاج إلى المساعدة كان محمد ﷺ رحمة حقيقة لليتامى والفقراء وابن السبيل والمنكوبين والضعفاء والعمال وأصحاب الكد والعناء»<sup>(١)</sup>.

ويؤكد ذلك قول أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حين سئلت عن خلقه ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن»<sup>(٢)</sup>، وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال «كان رسول الله أحسن الناس خلقا»<sup>(٣)</sup>.

فالرحمة جانب عظيم من جوانب شخصية النبي ﷺ وصورة لنفسه الكريمة، فقد أرسل الله محمد ﷺ مفضورا على الرحمة «فكان لينه رحمة من الله بالامة في تنفيذ شريعته بدون تساهل وبرفق وإعانة على تحصيلها، فلذلك جعل لينه مصاحبا لرحمة من الله أودعها الله فيه»<sup>(٤)</sup>.

كما عرف الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، هذا الخلق العظيم من النبي ﷺ وأحسوا به في تعاملهم معه، فعن مالك بن الحويرث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أتيت النبي ﷺ في نفر من قومي، فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رحيما رقيقا»<sup>(٥)</sup>، وعن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «وكان رسول الله ﷺ رحيما رقيقا»<sup>(٦)</sup>.

وقد أتى ﷺ في أحاديث كثيرة على الرفق، فقال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه. ولا ينزع من شيء إلا شانه»<sup>(٧)</sup>.

(١) العرب، المستشرق الألماني جان ليك، نقلا عن كتاب رعاية الرسول ﷺ للضعفاء الفقراء الخدم، العبيد، المعاقين، المسنين، محمد مسعد ياقوت،

(٢) رواه أحمد (٢٥٢٤١)، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٤٨١١)، المجلد/٢، ص/٨٧٢، المكتبة الإسلامية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ،

(٣) صحيح مسلم (٢٣٠٩)، سنن الترمذي (٢٠١٥).

(٤) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ١٤٥/٤.

(٥) صحيح البخاري (٦٠٢).

(٦) صحيح مسلم (٣١٠٧).

(٧) صحيح مسلم (٢٥٩٤).



وعن عائشة أنها ركبت بعيراً وفيه صعوبة، فجعلت تردده، فقال رسول الله ﷺ: «عليك بالرفق»<sup>(١)</sup>.

وحذر ﷺ من القسوة، فعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «لا تنزع الرَّحْمَةَ إِلَّا من شقي»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن العربي: «حقيقة الرَّحْمَةَ إرادة المنفعة، وإذا ذهبت إرادتها من قلب شقي بإرادة المكروه لغيره، ذهب عنه الإيمان والإسلام»<sup>(٣)</sup>.

فالسيرة النبوية تضع بين أيدينا ممارسة تطبيقية لمفهوم الرحمة والرأفة والعطف، وإيصال المنافع والمصالح ودفع المضار على الناس أجمعين، عربهم وعجمهم، مؤمنهم وكافرهم، صغيرهم وكبيرهم، تنزيلاً وتحقيقاً لقوله تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقد كان للحيوان حظ من هذه الرحمة المهداة.

إذ أن خلق الرحمة في سيرته ﷺ يمتد ليشمل كل الكائنات الحية، فقد وضع أصولاً شرعية وضوابط أخلاقية للتعامل مع الحيوان، وذلك بضرورة إطعامه وسقيه، ومنع جميع أنواع التعذيب أو سوء المعاملة، التي يمكن أن يتعرض إليها الحيوان بسبب إهماله، وعدم مراعاة حاله، كما تجلت رحمته ﷺ بالحيوان في بعض التعاليم والقوانين التي قررها علماء المسلمین استنباطاً من الهدي النبوي واتباعاً له، كتقرير أوقاف للحيوانات، وحق النفقة على مالكة، والحفاظ عليه من الأمراض ومعالجته.

فهناك أبحاث وكتب ومصنفات معاصرة تناولت موضوع رحمة النبي ﷺ، مثل كتاب الرحمة في حياة الرسول ﷺ للراغب السرجاني، وكتاب الرحمة والعظمة في السيرة النبوية، محمد بن إبراهيم الحمد...

(١) صحيح البخاري (٦٠٢٨).

(٢) صححه ابن تيمية في مجموع الفتاوى: ١١٧/٦، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: ٧٤٦٧.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٥٤٧/٦.

إضافة إلى كتب المتقدمين، في أخلاق النبي ﷺ، والشمائل المحمدية، الأخلاق الإسلامية، والتي ذكرت بعضها في أثناء البحث، إلا أنني لم أعثر على كاتب أفرد رحمة النبي ﷺ بالحيوان ببحث مستقل.

في هذا الإطار يعتبر هذا البحث الذي عنونت له بـ«تجليات الرحمة بالحيوان في سيرة خير الأنام عليه أذكى الصلاة والسلام»، محاولة لإبراز جانب من جوانب الرحمة في سيرة المصطفى ﷺ، من خلال تسليط الضوء على منهج النبي ﷺ في تحقيق خلق الرحمة مع الحيوان، ومن خلال الممارسات التطبيقية لمفهوم الرحمة والرفق بكل ذي كبد رطبة، تدفع عن الشريعة الإسلامية تهمة القسوة والإهمال واللامبالاة لهذه المخلوقات، واعتبار المنظمات والجمعيات الأوروبية أول من دعا للاهتمام بالحيوان والرفق به.

وذلك بالإجابة على السؤال التالي:

- ما هي تجليات خلق رحمة النبي ﷺ بالحيوان؟ وما هي الحقوق المترتبة عن مظاهر هذا الخلق النبوي العظيم؟

وبإتباع المنهج التالي:

- استقراء السيرة النبوية والأحاديث الصحيحة التي جاء فيها ذكر الحيوان وتحليل مواقف رحمة النبي ﷺ، ومقارنتها بحقوق الحيوان في الدول الغربية، مع اتباع الأسلوب العلمي في التوثيق.

من خلال المحاور الثلاثة التالية:

المحور الأول: الضوابط الأخلاقية والأصول الشرعية للتعامل مع الحيوان من خلال الهدي النبوي. يتضمن:

أولاً: مظاهر الرحمة بالحيوان.





ثانياً: مظاهر الإحسان إلى الحيوان.

المحور الثاني: المحافظة على مختلف الأجناس الحية من الانقراض،  
يحتوي على بعض التوجيهات والإرشادات النبوية للحفاظ على  
الحيوان من الانقراض.

المحور الثالث: حقوق الحيوان في ظل شريعة نبي الرحمة، وفيه أمثلة  
لحقوق قررها فقهاء المسلمين للحيوان استنباطاً من الهدى النبوي.

وفي ختام هذه المقدمة لا بد من التوجه بالشكر للقيمين على هذا  
المؤتمر المبارك، وأتمنى من المولى ﷺ أن يسهم هذا البحث في تحقيق  
بعض أهدافه، التي ترمي إلى إبراز المعاني والمقاصد السامية للرحمة  
في الإسلام، والتعرف على جوانب الرحمة في سيرة المصطفى ﷺ.

والله تعالى أسأل أن يتقبل هذا العمل صالحاً، وأن يكتب له النفع في  
الأرض.

والحمد لله رب العالمين.



## المحور الأول الضوابط الأخلاقية والأصول الشرعية للتعامل مع الحيوان من خلال الهدى النبوي

تجاوزت رحمته ﷺ الإنسان الناطق إلى الحيوان البهيم، وكان المثل الأعلى في الرحمة والرأفة بكل ذي كبد رطبة، فجاء ﷺ بضوابط أخلاقية وأصول شرعية خاصة بالحيوان تتلاءم مع هداية الإسلام المؤسسة على الرحمة، المحفوفة بالحكمة؛ فالرحمة تبعث النفوس مبعث الرفق والإحسان، والحكمة تقف بالرحمة عند حدود لو تجاوزتها انتقلت إلى ضعف ورعونة.<sup>(١)</sup>

وعلى هذا الطريق جاءت الضوابط الأخلاقية والأصول الشرعية الخاصة بالتصرف مع الحيوان.

و فيما يلي طرف يسير من صور الرحمة والحكمة والرفق بالحيوان من خلال ما جاء به الهدى النبوي.

**أولاً: مظاهر الرحمة بالحيوان:**

باطعامه وسقيه.

من صور الرحمة التي حث النبي ﷺ عليها، الإحسان إلى الحيوان

(١) أنظر الرحمة والعظمة في السيرة النبوية، محمد بن إبراهيم الحمد، الناشر موقع دعوة الإسلام،

وإطعامه وسقيه، قال ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَيْهِيمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»<sup>(١)</sup>.

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بئْرًا، فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبئْرَ، فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِيَدِهِ، حَتَّى رَقِيَ، فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ لَأَجْرًا؟ فَقَالَ: فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ»<sup>(٢)</sup>.

وقد أخبر ﷺ أن امرأة دخلت النار لقسوتها على هرة حبستها، وأخرى دخلت الجنة لتحرك الرحمة في قلبها على كلب يلهث من العطش، فعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارُ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا سَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ حَشَاشِ الْأَرْضِ»<sup>(٣)</sup>، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مَوْقَهَا»<sup>(٤)</sup> فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ فَغَفَرَ لَهَا بِهِ»<sup>(٥)</sup>.

يقول الدكتور راغب السرجاني في هذا الموضوع: «إن القضية ليست قضية الآثار المترتبة على الفعل، فلعلها هنا قليلة ومحدودة بالحيوان الذي جاء في القصة، ولكن القضية حقيقة هي ما وراء الفعل، وهي الرحمة التي في قلب الإنسان، وعلى ضوئها تكون قراراته وأعماله»<sup>(٦)</sup>.

(١) صحيح البخاري (٢٢٢٠) وصحيح مسلم (١٥٥٣).

(٢) صحيح البخاري (٢٤٦٦) وصحيح مسلم (٢٢٤٤).

(٣) صحيح البخاري (٢٣٦٥، ٣٤٨٢) ومسلم (٢٢٤٢، ٢٢٤٣).

(٤) الموق: الخف أو ما يلبس فوقه.

(٥) صحيح البخاري (٣٤٦٧).

(٦) الرحمة في حياة الرسول ﷺ، راغب السرجاني، ص/٤٣. الطبعة الأولى، رابطة العالم الإسلامي،

المملكة العربية السعودية، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

ويمضي ﷺ في تأصيل خلق الرحمة بالحيوان، فيحرم إجاعته وتعريضه للضعف والهزال، فقد مر ﷺ ببعير قد لصق ظهره ببطنه فقال: «اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة، فاركبوها صالحة وكلوها صالحة»<sup>(١)</sup>.

كما أنه ﷺ أوصى برحمة الإبل في السفر بحيث لا يتابع السير عليها متابعة ترهقها تعباً، وتعطى حقها من الرعي والأكل والشرب، قال ﷺ: «إذا سافرتم في الخصب فأعطوا الإبل حظها من الأرض»<sup>(٢)</sup>.

وعن كبشة بنت كعب بن مالك وكانت عند ابن أبي قتادة أن أبا قتادة دخل عليها قالت: فسكبت له وضوءه، قالت: فجاءت هرة تشرب فأصغى لها الإناء حتى شربت قالت كبشة: فرآني انظر إليه فقال: أتعجبين يا بنت أختي فقلت: نعم، قال: إن رسول الله ﷺ قال: إنها ليست بنجس إنما هي من الطوافين عليكم أو الطوافات<sup>(٣)</sup>.

يتضمن هذا الحديث الشريف مثالاً رائعاً للرحمة، حيث شبه ﷺ الهرة بالماليك من خدم البيت الذين يطوفون على أهله للخدمة، كقوله تعالى: ﴿طَوَّفُونَ عَلَيْكُمْ﴾ [النور: ٥٨]، قال البغوي في شرح السنة: يحتمل أنه ﷺ شبهها بمن يطوفون للحاجة يريد أن الأجر في مواساتها كالأجر في مواساة من يطوف للحاجة<sup>(٤)</sup>.

بالنهي عن تعذيب الحيوانات أو التحريش بينها.

ومن مظاهر شفقة رسول الله ﷺ ورحمته كذلك ما يرويه عبد الله بن

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٤٨) وابن خزيمة في صحيحه (٢٥٤٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ١٠٤، ج/١، ص/٨٢.

(٢) صحيح مسلم (١٩٦٢).

(٣) سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، دار الكتب العلمية، ج/١، ص/١٥٣، رقم ٩٢ باب ما جاء في سؤر الهرة. (قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وهو قول أكثر العلماء من أصحاب النبي ﷺ والتابعين ومن بعدهم، مثل الشافعي، وأحمد، وإسحاق: لم يروا بسؤر الهرة بأساً)، صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، ج/١، ص/٦٩.

(٤) تحفة الأحوذى، محمد بن عبدالرحمن المباركفوري، باب ما جاء في سؤر الهرة، رقم ٩٢.



عمر قائلاً: كُنَّا مع رسول الله في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حُمْرَةَ<sup>(١)</sup> معها فرخان، فأخذنا فرخَيْهَا، فجاءت الحُمْرَةَ فجعلت تُعْرِشُ<sup>(٢)</sup>، فجاء النبي فقال: «مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا<sup>(٣)</sup>»، وفيه الإشعار بأن للحيوان نفساً تشعر وتحس وتتألم وتفرح، فانظر إلى هذه الرحمة في مراعاة مشاعر وأحاسيس هذا الطائر الضعيف.

ورأى قرية نمل قد أحرقناها فقال: من أحرق هذه؟ قلنا: نحن، قال: إنه لا ينبغي أن يُعذب بالنار إلى رب النار».

كما منع ﷺ إغراء البهائم وتهيج بعضها على بعض لتتطاحن وتتصارع إلى حد الموت أو مقاربتة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «نهى رسول الله ﷺ عن التحريش بين البهائم»<sup>(٤)</sup>. وذلك لما فيه أيضاً من العبث وإلحاق الضرر بالحيوان.

باستعمال الحيوان لما خلق له وعدم تحميله ما لا يطيق.

دخل رسول الله ﷺ بستاناً لرجل من الأنصار فإذا فيه جمل، فلما رأى النبي حنَّ وذرفت عيناه، فأتاه رسول الله ﷺ فمسح دموعه، ثم قال: من صاحب هذا الجمل؟ فقال صاحبه: أنا يا رسول الله، فقال له عليه الصلاة والسلام: أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملك الله إياها، فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدببه»<sup>(٥)</sup>، أي: تتعبه بكثرة استعماله.

ومن ثم كان ﷺ لا يسمح بالعبث بالحيوانات أو إيذائها أو تكليفها ما

(١) الحمرة: طائر صغير كالعصفور.

(٢) التعريش أن ترتفع وتظلل بجناحيها على من تحتها

(٣) أبو داود (٥٢٦٨) والحاكم (٧٥٩٩)، صححه الألباني برقم (٢٤٠٠)، في كتابه صحيح سنن أبي داود، دار غراس، الكويت، ط١، ج١، ص٨، ٤٥٢.

(٤) أبو داود (٢٥٦٢) والترمذي (١٧٠٨)، ذكره عبدالحق الاشبيلي في كتابه الأحكام الشرعية الصغرى الصحيحة، مكتبة ابن تيمية، ١٤١٣هـ، ط١، وقال: إسناده صحيح، ج٢، ص٥٦.

(٥) رواه أحمد وأبو داود (٢٥٤٩)، إسناده صحيح على شرط مسلم، وصححه الحاكم والذهبي والضياء، وأخرج مسلم أوله، صحيح أبي داود، (٢٢٩٧)، ج٧.

يشق عليها، أو استخدامها لغير ما خلقت له، وقد ورد في هذا الصنيع حديث: «إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر، فإن الله إنما سخرها لكم لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس»<sup>(١)</sup>.

وأمر ﷺ بقطع قلائد البعير رحمة بها من الاعتقادات وخرافات الجاهلية فقال لأحد صحابته في بعض أسفاره: لا تبقيين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت قال يحيى سمعت مالك يقول أرى ذلك من العين<sup>(٢)</sup> وقال بعضهم: إنما نهى عن تقليده الأوتار لئلا تختنق بها عند شدة الركض<sup>(٣)</sup>.

بالنهي عن أذيته في بدنه.

فقد نهى ﷺ أن يقص شعر رأس الإبل، لما في ذلك من مراعاة حقها في التدفئة من البرد وتخفيف حر الشمس، وكما نهى عن قص الذيل لأن الذيل يستخدم في الذب عن نفسها ضد الذباب والبعوض ونحوه، فإن قص الذيل لم تستطع ذلك وحصل لها الأذى.

قال رسول الله ﷺ: «لا تقصوا نواصي الخيل فإن فيها البركة ولا تجزوا أعرافها فإنه إدفاؤها ولا تقصوا أذنبها فإنها مذاها»<sup>(٤)</sup>، ومن ذلك نهى النبي ﷺ عن وسم الوجه أو ضربه فقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث جابر أن النبي ﷺ مر عليه حمار قد وسم في وجهه فقال لعن الله الذي وسمه<sup>(٥)</sup>.

(١) صحيح أبي داود (٢٥٢٧)، صححه الألباني برقم (٢٣١٢) في صحيح أبي داود وقال: «إسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات».

(٢) صحيح البخاري، ٢٨٤٣، باب ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل الموطأ، (١٧٤٥).

(٣) معالم السنن، ص/٥٨.

(٤) مسند الإمام احمد (١٧١٩١)، صححه الألباني برقم (٢٢٩٢).

(٥) صحيح مسلم (٢١١٧).

## ثانياً: مظاهر الإحسان إلى الحيوان:

### عند الذبح أو القتل.

وضع ﷺ ضوابط أخلاقية عند الذبح، وذلك باتخاذ أحسن الطرق لإراحة الذبيحة وتعجيل زهوق نفسه، عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلْيُجِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيَرْحَ ذَبِيحَتَهُ»<sup>(١)</sup>.

قال ابن رجب: «أمر النبي ﷺ بإحسان القتل، وأمر بأن تحدد الشفرة، وأن تراح الذبيحة، يشير إلى أن الذبح بالآلة الحادة يريح الذبيحة بتعجيل زهوق نفسها»<sup>(٢)</sup>.

وعن معاوية بن قرة عن أبيه قال: قلت يا رسول الله إنني لأخذ الشاة لأذبحها فارحمها قال: «والشاة إن رحمتها رحمتك الله»<sup>(٣)</sup>.

كما تتجلى رحمته ﷺ أثناء الذبح في مراعاة مشاعر الحيوانات وأحاسيسها، مما يعبر عن رحمة صادقة وواسعة، فاقت كل الأنظمة والقوانين الغربية الحديثة، فعن ابن عباس رضي الله عنه أن رجلاً أضجع شاةً وهو يحدُّ شفرته، فقال النبي ﷺ: «أَتُرِيدُ أَنْ تُمَيِّتَهَا مَوْتًا هَلًا أَحَدَدَتْ شَفْرَتَكَ قَبْلَ أَنْ تُضَجَّعَهَا؟»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (١٩٥٥).

(٢) جامع العلوم والحكم ١/٣٩١.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک (٦٤٨٢)، وأحمد في مسند (١٥٦٣٠)، وذكره سليمان الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ط/١، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ، برقم (٦٠٢٩) ص/٢٧ ج/٤. قال: وله ألفاظ كثيرة، ورجاله ثقات.

(٤) الحاكم، ٢٣٢/٤، وصححه على شرط الشيخين، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، ٢٣/٤، وقال: (رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجاله رجال الصحيح) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٥٥٢/٢.

وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ أمر أن تُحدَّ الشُّفار وأن تُورَى عن البهائم،<sup>(١)</sup> وقال: إذا ذبح أحدكم فليجهز<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكر أهل العلم آداباً اقتبسوها مما جاء به المصطفى ﷺ من أصول الرحمة والرفق بالحيوان، فقد روي عن ابن سيرين أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى رجلاً يسحب شاة برجلها، فقال له: «ويلك، قدها إلى الموت قوداً جميلاً»<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام أحمد: «تقاد إلى الذبح قوداً رفيقاً، وتورى السكين عنها، ولا تظهر السكين إلا عند الذبح»<sup>(٤)</sup>.

بالنهي عن اتخاذ الحيوان غرضاً للرمي.

من أهم الأخلاق والضوابط التي حث عليها نبي الهدى، منع اللهو والتسلية بالحيوان، فقد نهى ﷺ أن تجعل الطيور وغيرها من ذوات الروح هدفاً للرمي بالسهام وغيرها من الأسلحة، ومما جاء في ذلك من أحاديث عن رسول الله ﷺ قوله: «لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً»، وعن سعيد بن جبيرة رضي الله عنه قال: «مرَّ ابنُ عمرَ رضي الله عنهما بفتيانٍ من قريشٍ قد نصبوا طيئراً وهم يرمونه وقد جعلوا لصاحب الطير كلَّ خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابنَ عمرَ تفرَّقوا فقال ابنُ عمرَ: مَنْ فعلَ هذا لعنَ اللهَ مَنْ فعلَ هذا، إنَّ رسولَ الله ﷺ لعنَ مَنْ اتخذَ شيئاً فيه الروحَ غرضاً»<sup>(٥)</sup>. لما فيه من إيلاء الحيوان وإتباعه في غير فائدة.

وعن جابر رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يقتل شيء من الدواب

(١) مسند الإمام أحمد (٥٨٣٠)، سنن ابن ماجه (٣١٧٢)، الشوكاني في الدراري المضيئة، ص ٣٦٧، باب الذبح، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ، ج ٧/ص ٣٥٧.

(٢) أجهز على الجريح جهز عليه: أسرع في قتله وتمم عليه.

(٣) ابن رجب السلامي، جامع العلوم والحكم، ص ١٨.

(٤) جامع العلوم والحكم، ص ٢٩٢.

(٥) صحيح البخاري (٥٥١٥) وصحيح مسلم (١٩٥٨).





صبرا<sup>(١)</sup>»، والصبر أصل يدل على معان منها الحبس، والمصبور المحبوس على الموت، وهي التي تحبس وترمى حتى تموت<sup>(٢)</sup>.

من خلال نهيه ﷺ عن لعن الدواب.

ومن الأمثلة العظيمة لهذه الرحمة أيضا نهيه ﷺ عن سب الحيوانات، مجرد السب باللفظ، أو لعنها، جاء ذلك في حديث عمران بن حصين قال: «بينما رسول الله في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت فلعننها فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة»<sup>(٣)</sup>، كي ينزجر الناس عن سب دوابهم أو الدعاء عليهم.



(١) صحيح مسلم (١٩٥٩).

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ص/٢٢٩، ابن منظور، لسان العرب، ج/٦، ص/١٠٧.

(٣) صحيح مسلم (٢٥٩٥)

## المحور الثاني المحافظة على مختلف الأجناس الحية من الانقراض

كما تجلت رحمته ﷺ بالحيوان بالحفاظ على الأجناس الحية من الانقراض، بوضع توجيهات وإرشادات تحقق العدل والإحسان، وترفض الجور والقسوة، على كل الحيوانات دون تمييز أو استثناء، مما يعبر عن رحمة صادقة وشاملة، مستوعبة للزمان والمكان.

وفيما يلي بعض ما جاء به الهدي النبوي من معاني الرحمة للحفاظ على كل أنواع الحيوانات:

### ١. تحقيق الأمن الغذائي.

من أفضل الأعمال التي حث عليها رسول الله ﷺ، ورغب فيها، ووعد فاعلها بأعظم المثوبة، لما فيه توسيع الرقعة الزراعية وزيادة مصادر الإنتاج، وقد عرف هذا الأمر في الفقه الإسلامي بعنوان «إحياء الموات»، أو إحياء الأرض الميتة، قال رسول الله ﷺ: «من أحيا أرضا ميتة فهي له، وما أكلت العافية منها فهي له صدقة»، قال أبو محمد العافية: الطير وغيره<sup>(١)</sup>.

(١) سنن الدرامي (٢٤٩٣)، صححه الألباني برقم (٢٦٩٩)، في صحيح سنن أبي داود، ج/٨، ص/٣٩٦.



كما رغبت شريعة نبي الرحمة في غرس وتشجير الأراضي الفلاحية، وجعلت ثواب ذلك أيضاً أجراً عظيماً، فكل ما يصاب من ثمار الأشجار والزرورع فهو صدقة ينميها الله ﷻ لصاحبها إلى يوم القيامة، بما في ذلك من تحقيق ما يُسمى اليوم بالأمن الغذائي لتلك المخلوقات، وذلك الحديث الذي سبق معنا، عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منَ مُسلمٍ يَغرسُ غَرسًا، أو يَزرعُ زرعًا فيأكلُ منه طَيرٌ أو إنسانٌ أو بهيمةٌ، إلاَّ كانَ له بهِ صدقةٌ»<sup>(١)</sup>.

وعن خلاد بن السائب عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «من زرع زرعاً فأكل منه الطير أو العافية كان له به صدقة»<sup>(٢)</sup>.

## ٢. منع إبادة الحيوان أياً كان.

في العام ١٨٨٦م صدر قانون عن الحكومة الأميركية يقضي بقتل الطيور الجارحة (الصقور والبوم) التي تفتك بصغار دجاج الفلاحين، وخلال عام ونصف العام قُضي على ١٢٥ ألف طائر جارح، فزادت عدد الفئران التي كانت (طعام هذه الطيور) وأضرت بالمحاصيل الزراعية ضرراً يفوق ما لحق بصغار الدجاج<sup>(٣)</sup>.

بينما في شريعة نبي الرحمة لا ينبغي أن تباد الحيوانات وإن كانت تؤذي الإنسان أحياناً، فكل منها أمة لها كيائها واحترامها، وما دامت أمة فلا ينبغي أن تستأصل، لأن هذا ينافي حكمة الله سبحانه في خلقها، فإن الله تعالى لم يخلق شيئاً عبثاً<sup>(٤)</sup>، والرسول الكريم ﷺ يشير إلى هذه

(١) صحيح البخاري (٢٣٢٠)، صحيح مسلم (٥٤٣).

(٢) مسند أحمد بن حنبل (١٦٦٠٧). والعافية: طُلابُ الرزق من الإنس والدوابِّ والطَّير. والواحد من العافية: عاف، وهو كل من جاءك يطلب فضلاً أو رزقاً. انظر: لسان العرب، ابن منظور، الجزء الخامس عشر، صفحة ٧٤.

(٣) ناصر أحمد سنة حضارتنا وحضارتهم، مجلة الوعي الإسلامي، عدد ٥٢٢، سنة ٢٠١٠.

(٤) أنظر ورقة الدكتور القرضاوي «الركائز الإسلامية لرعاية البيئة» لمؤتمر العالم الخامس عشر

الحقيقة القرآنية التي أكدها الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أُمَّتُكُمْ﴾ [الأنعام: ٣٨]، في حديث عائشة رضي الله عنها: قوله ﷺ: «لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها فاقتلوا منها الأسود البهيم»<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قرصت نملة نبياً من الأنبياء فأمر بقرية من النمل فأحرقت فأوحى الله إليه: أن قرصتك نملة أحرقت أمة تسبح الله»<sup>(٢)</sup> ويدخل في ذلك أيضاً نهيه ﷺ عن إحصاء الحيوان وقطع نسله وحرمانه من حقه الفطري في التنازل والتكاثر والبقاء، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ نهى عن إحصاء الخيل والبهايم، وقال ابن عمر فيه نماء الخلق<sup>(٣)</sup>.

ومن ذلك: النهي عن ذبح الإناث من البهايم إلا للضرورة حيث قال ﷺ لمن أراد أن يذبح له وبعض أصحابه «إياك والحلوب»<sup>(٤)</sup>.

كما يشير ﷺ إلى المحافظة على موارد الثروة الحيوانية، وعدم تبديدها باللهو والعبث، أي لغير منفعة اقتصادية، في قوله «من قتل عصفورا عبثاً، عج إلى الله يوم القيامة، يقول: يا رب إن فلان قتلني عبثاً، ولم يقتلني منفعة». والحديث يدل دلالة قوية على رحمة كل ذي روح من الطير والحيوان.

منع ﷺ قتل الحيوان لغير حاجة ولا منفعة معتبرة، بالإضافة إلى ما

١) الأكاديمية آل البيت الملكية بعنوان «البيئة في الإسلام» سنة ١٤٣٤ هـ، ص/٢٠.  
٢) أبو داود (٢٨٤٥)، الترمذي (١٤٨٩)، النسائي (٤٢٨٥).  
٣) صحيح البخاري (٣٠١٩).  
٤) مسند أحمد (٤٧٥٥).  
٥) صحيح مسلم (١٤٠).

يدل عليه من المحافظة على البيئة بكل ما فيها من الكائنات الحية، التي أصبح التقدم التكنولوجي خطرا عليها<sup>(١)</sup>.

### ٣. الحفاظ على الحيوانات من العدوى<sup>(٢)</sup>.

ومن التوجيهات النبوية لرحمة الحيوان والحفاظ عليه قوله ﷺ: «لا يوردن ممرض على مصح<sup>(٣)</sup>»، والممرض صاحب الإبل المريضة بداء الجرب. والمصح: صاحب الإبل الصحيحة السليمة.

فعندما تورد الإبل للشرب، يجب على صاحب الإبل المريضة إلا يوردها على الإبل السليمة، فتحتك بها فتعديها، وهذا توجيه لوقايتها من المرض، فإذا أصيبت، فيجب إن تعالج حفاظا عليها، باعتبارها كائنا حيا من ناحية، وباعتبارها مالا ناميا من ناحية أخرى، ولا يتم هذا الواجب إلا بطبيب بيطري متخصص، فهو مطلوب شرعا.

### ٤. نظام المحميات.

جاءت السنة النبوية بنظام المحميات الطبيعية واضعةً التشريعات والقوانين الأساسية للحفاظ على البيئة الحيوانية، فكانت مكة والمدينة أول المحميات الطبيعية، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة «إن هذا البلد -مكة- حرّمه الله لا يعضد شوكة، ولا ينفر صيده<sup>(٤)</sup>، ولا تلتقط لقطته إلا لمن عرفها<sup>(٥)</sup>».

وفي المدينة التي رغب النبي ﷺ أن تكون حمى آمنًا لكل من يزوره أو

(١) الدكتور القرضاوي، ركائز الإسلام لرعاية البيئة، ص/١٨.

(٢) نفسه.

(٣) صحيح البخاري (٥٤٢٧).

(٤) ولا ينفر صيده «أي يزعم من مكانه. وفيه دليل على طريق فحوى الخطاب: أن قتله محرم فإنه إذا حرم تفييره، بأن يزعم من مكانه، فقتله أولى). إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد، دار الجيل، ١٤١٦هـ/١٩٥٥م، ص/٤٤٨.

(٥) صحيح البخاري (١٥٨٧)، وصحيح مسلم (١٢٥٢).

يهاجر إليه، فقد جاء النهي عن قطع نباتاتها وأشجارها وتنفير صيدها مثل مكة، كما يتضح من قوله ﷺ: «هذا جبل يحبنا ونحبه، ثم أشار بيده إلى المدينة قال: اللهم إني أحرم ما بين لابتيها كتحريم إبراهيم مكة، اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا»<sup>(١)</sup>.

فهذه الأرض المباركة تتقاطر إليها الناس من أصقاع الأرض، ولو أبيع فيها الصيد لانتهى إلى انقراض أنواع الحيوان البري منه، ولذلك جعلها أرضاً محمية صيانة للبيئة من أن ينال بعض مكوناتها الانقراض<sup>(٢)</sup>. فكان ذلك أنموذجاً للعناية بالبيئة الحيوانية في مختلف بقاع الأرض، بينما لم تعرف الحضارة الغربية هذه المحميات إلا العام ١٨٦٤م، عندما أعلنت الحكومة الأميركية وادي «يوسميتي» محمية طبيعية<sup>(٣)</sup>.



(١) صحيح البخاري (٢٧٣٢).

(٢) مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، عبدالمجيد النجار، ص/٢١٦.

(٣) الإسلام والبيئة، عبدالعظيم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٩٩م، ص/٣٦.

## المحور الثالث

### حقوق الحيوان في ظل شريعة نبي الرحمة

ذهب فقهاء المسلمين في الرفق بالحيوان، استنباطاً من الهدى النبوي، إلى درجة لا ولن تستطيع منظمات حقوق الحيوان، أو جمعيات الرفق بالحيوان أن تبلغه، فقد خصصوا أوقافاً للحيوانات منها أوقافاً لتطبيب الحيوانات المريضة، وأوقافاً لرعي الحيوانات المسنة، ومنها على سبيل المثال (أرض المرج الأخضر) في دمشق الذي يقام عليه الملعب البلدي الآن<sup>(١)</sup>، لترعى فيها الخيول العاجزة التي يأبى أصحابها الإنفاق عليها لعدم الانتفاع بها، فترعى في هذه الأرض حتى تموت.

كما منحوا للحيوان حقوقاً تعجز العقول البسطة التي لم تغترف من سيرة خير البشر استيعابها، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

#### ١. حق نفقة الحيوان على مالكة.

جاء في المجموع شرح المذهب للنووي: (ومن ملك بهيمة لزمه القيام بعلفها) أي أن تنفق على البهائم إذا ملكتها أكلاً وشراباً ومراحاً ونحو ذلك مما تحتاجه البهائم والطيور.

ثم قال: ”وإن امتنع من الإنفاق على بهيمته أجبر عليه كما يجبر على

(١) من روائع حضارتنا، مصطفى السباعي، المملكة العربية السعودية، الرياض، دار الوراق، ١٤٢٠هـ.

نفقة الزوجة، وإن لم يكن له مال أكرى عليه إن أمكن أكرأوه، فإن لم يكن يبيع عليه كما يزال الملك عنه في امرأته إذا عسر بنفقتها»<sup>(١)</sup>.

يقول الشيخ المرادوي من الحنابلة «وإن عجز عن الإنفاق على بهائمهم أجبر على بيع أو إجارة أو ذبح مأكول، فإن أبى فعل الحاكم الأصلح أو اقتراض عليه»<sup>(٢)</sup>.

أما أن يسبب البهيمة صاحبها فلا بد من تقييد أن تكون تلك البهيمة مما يأكل ويشرب بنفسه ويقدر على ذلك، أما إذا كانت لا تقدر على ذلك كما في كثير من البهائم فلا يبرأ بتسيبها إذا لا بد أن تكون قادرة على حماية نفسها من السباع وإلا كان مخرجاً لها من الهلاك إلى الهلاك والتلف.

ويقول الشيخ محمد مختار الشنقيطي في شرح زاد المستتقع: «فالواجب على رب البهيمة أن يتفقد بهائمهم بسقيها، ويسأل العامل: متى تسقي البهائم؟ ومتى تطعمها؟ ومتى تقوم؟ عليها، فإذا وجد أنه قائم على الوجه المعروف برئت ذمته وخلصت.

فطعام البهائم وسقيها واجب على المالك، سواء قام به بنفسه أو وكل عنه من يقوم بذلك، وليس كل ماء تسقاه البهيمة، وليس كل مورد تورد عليه البهائم، فإذا كان الماء كدرًا وفيه القاذورات والأوساخ، أو يسقي البهيمة في أواني قذرة لا يهتم بتنظيفها ولا يبالي بحسن القيام عليها، فإنه مسئول أمام الله ﷻ عن هذا التقصير.

فالبعض لا يبالي، فيقول: هذه بهيمة، ثم يطعمها ويسقيها في أي إناءٍ

(١) لمجموع / شرح المذهب / ج ١٨ ص ٣١٨ / أبي زكريا يحيى النووي وكذلك يراجع / التبييه في الفقه على مذهب الشافعي / أبي أسحاق إبراهيم الشيرازي ص ١٣٠ ط ١٣٧٠.

(٢) يراجع / التنقيح المشبع / في تحرير أحكام المقنع، في فقه / أحمد / علاء الدين أبي الحسن على سليمان المرادوي / منشورات / المؤسسة السعودية / الرياض / ص ٣٤٩.



ولو كان قدراً، فالواجب عليه أن يتفقد الأواني التي تسقى فيها وأن يتعهد ذلك بالرعاية لأنها أمانة، والنبي ﷺ يقول: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»<sup>(١)</sup> فمن قام على البهائم في علفها وسقيها وتفقد ذلك فذاك، أو وكل غيره فلا بد أن يذكره أنها أمانة ومسؤولية، وأنه يجب عليه أن يحسن الرعاية على أتم الوجوه وأكملها حتى تبرأ ذمته<sup>(٢)</sup>.

### حق التطبيب<sup>(٣)</sup>.

ثم سار الصحابة بعد رسول الله ﷺ على منهج الرحمة بالحيوان، وبأسلوب رائد في التعريف على أمراض الحيوانات والتماس علاجها، وبما يسمى الطب البيطري.

فهذا عمر رضي الله عنه يشدد على القصابين بمراعاة اللحم الطيب غير الموبوء ويأمرهم بإفراء اللحم عن بعضه، ويتأكد أن تلك الذبيحة لم تكن مصابة بمرض ونحوه وكذلك يأمرهم بالاهتمام بالأدوات وإجراء الطرق الصحية في حوانيتهم ونحو ذلك.

ولهذا نرى أن أوروبا في قرونها الأولى والوسطى لا تعرف من العناية الصحية والبيطرة شيئاً يذكر، وما عرفوها - إلا عند اختلاطهم بالمسلمين في الأندلس وبعض الممالك الأخرى، حتى أن بعضاً منهم زار مدرسة الطب البيطري في الأندلس التي لم يكن لها مثيل ورأوا أطباء المسلمين يعالجون الدواب برفق ومهارة فذهلوا أشد الدهول.

فلئن تقدم الغرب في وقتنا المعاصر بعلم البيطرة فإنما الفضل يعود للمسلمين فهم واضعو نواة الطب البيطري لجميع العالم.

(١) صحيح البخاري، (٨٩٣)، صحيح مسلم (١٨٢٩).

(٢) شرح زاد المستتقع باب نفقة الأقارب والماليك، فصل: وعليه علف بهائمهم وسقيها وما يصلحها، الشيخ محمد الشنقيطي.

(٣) السياسة الشرعية في الإحسان إلى الحيوان، د/فهد بن حمود العصيمي، ص/٣٥.

## حق البهائم في كل ما يصلحها.

يقول الشيخ محمد مختار الشنقيطي في شرح زاد المستتقع: «ومما يصلح شأن البهيمة: أنها في بعض الأحيان قد تحتاج إلى تنظيف بدنها بالغسل، أو إلى جز صوفها وشعرها، وأحياناً تقليم لأظفارها، لأنها تؤذيها أثناء مشيها، وأحياناً تحتاج إلى إصلاح في البدن نفسه إذا كانت مريضة أو علية، فعليه أن يتقي الله ﷻ فيها، وأن يقوم على رعايتها، فإن احتاجت إلى دواء أو علاج قام على ذلك، وطلب من يعالج، لا يقول: هذه بهيمة والله يشفيها، بل إن هذه البهيمة نفس معذبة بالمرض والسقم، فيجب عليه أن يحسن إليها وأن يتعاهدها.

وقوله: (وما يصلحها) يشمل إصلاح كل شيء في الشارة والهيئة، وما يصلحها في مسكنها، فمثلاً: إذا كانت البهيمة في مسكنٍ قذرٍ وخيمٍ يضرها ويؤذيها ويضر بصحتها، فإنه يسأل أمام الله عن ذلك<sup>(١)</sup>.



## الخاتمة

إن من أهم النتائج والتوصيات في ختام هذا البحث ما يلي:

١. جاءت سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام مشتملة على الرحمة العامة والشاملة.
٢. تتضمن السيرة النبوية المطهرة كنوزا هائلة من فنون التعامل مع الحيوان في كل المواقف التي من الممكن أن تواجه أي إنسان في كل زمان ومكان.
٣. الضوابط الأخلاقية والأصول الشرعية المنظمة للتعامل مع الحيوان تستقي من مبدأ الرحمة المؤسس على هداية الإسلام.
٤. اشتملت سيرته ﷺ على صور ومظاهر من الرحمة تدحض كثيرا من المزاعم والشبهات التي تثار حول نبي الرحمة ﷺ.
٥. بلغ تنظير فقهاء المسلمين في مجال الرفق بالحيوان، درجة لم تبلغها منظمات وجمعيات حقوق الحيوان الغربية.

ومن خلال ما تم إيرادنا آنفا نقترح جملة توصيات نرى فيها منافع

عدة، ومنها:

١. تشجيع الباحثين في علوم الحديث على استخراج المعلومات المكنونة في كتب الحديث والتي يمكن أن توظف في إبراز جوانب الرحمة في سيرة النبي ﷺ.
٢. إصدار مطويات وبطائق عن ضوابط التعامل مع الحيوان من خلال الهدي النبوي.
٣. الخروج بنتائج بهذا المؤتمر المبارك من رحاب هذه الكلية العامرة إلى العالم كله عبر مواقع التواصل الاجتماعي.
٤. العمل على ترجمة بحوث المؤتمر إلى لغات متعددة. والله من وراء القصد وهو ولي التوفيق.



## فهرس المصادر والمراجع

١. الأحكام الشرعية الصغرى الصحيحة، عبدالحق الاشبيلي، المكتبة ابن تيمية، ١٤١٣هـ.
٢. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد، دار الجيل، ١٤١٦هـ/١٩٥٥م.
٣. الإسلام والبيئة، عبدالعظيم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٩٩م.
٤. التحرير والتتوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، المكتبة الإسلامية.
٥. تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى، محمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري، المكتبة الوقفية.
٦. التبييه في الفقه على مذهب الشافعي، أبي أسحاق إبراهيم الشيرازي.
٧. التتقيح المشبع في تحرير أحكام المقنع، علاء الدين أبي الحسن على سليمان المرذاوي، منشورات / المؤسسة السعودية، الرياض.
٨. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، الإمام زين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين، تحقيق: شعيب الأرنؤوطي، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤١٩هـ.
٩. الدراري المضيئة شرح الدرر البهية في المسائل الفقهية، محمد بن علي الشوكاني، دار الآثار، صنعاء، ط١، ١٤٢٨هـ.
١٠. الرحمة في حياة الرسول ﷺ، راغب السرجاني، رابطة العالم الإسلامي، ط١، ١٤٣٠هـ.

١١. الرحمة والعظمة في السيرة النبوية، محمد بن إبراهيم الحمد، الناشر موقع دعوة الإسلام.
١٢. رعاية الرسول صلى الله عليه وسلم للضعفاء الفقراء. الخدم. العبيد. المعاقين. المسنين، محمد مسعد ياقوت، مؤتمر نبي الرحمة، ٢٠١٠م.
١٣. سنن أبي داود، سلمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٣٨٩، ١هـ.
١٤. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، دار الكتب العلمية.
١٥. السياسة الشرعية في الإحسان إلى الحيوان، فهد بن حمود العصيمي، موقع الحاوية العلمية.
١٦. شرح زاد المستتقع باب نفقة الأقارب والماليك، الشيخ محمد الشنقيطي، كتاب الكتروني.
١٧. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، المكتبة السلفية، القاهرة، ط١، ١٤٠٠هـ.
١٨. صحيح الجامع الصغير، أبو عبدالرحمن محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، ط/١٤٠٨، ٢هـ.
١٩. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٤هـ.
٢٠. صحيح سنن الترمذي، محمد بن ناصر الألباني.
٢١. صحيح سنن أبي داود، محمد بن ناصر الألباني، دار غراس، الكويت، ط/١.
٢٢. فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف المناوي، عمل مشترك لموقعي، موقع أم الكتاب وموقع نداء الإيمان.
٢٣. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار المعارف، ٢٠٠٣م.



٢٤. المجموع شرح المذهب، يحيى بن شرف النووي محي الدين أبو زكرياء، المحقق محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد، جدة المملكة العربية السعودية.
٢٥. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، المحقق عامر الجزار-أنور الباز، دار الوفاء.
٢٦. مجمع الزوائد ومنع الفوائد، سليمان الهيثمي، ط/١، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.
٢٧. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دار المعرفة، ١٤١٨هـ..
٢٨. مسند الإمام أحمد، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٤هـ.
٢٩. مسند الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، المحقق حسن سليم أسد الداراني، دار المغني، ط١، ١٤٢١هـ.
٣٠. المصنف، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، دار الفكر، ١٤١٤هـ.
٣١. معالم السنن، أبو سليمان حمد محمد بن إبراهيم بن الخطاب، المطبعة العلمية، حلب، ١٣٥١هـ، ط١.
٣٢. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء أبو الحسن، المحقق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
٣٣. مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، عبد المجيد النجار، ص/٢١٦.
٣٤. من روائع حضارتنا، مصطفى السباعي، المملكة العربية السعودية، الرياض، دار الوراق، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
٣٥. موضوع الدكتور القرضاوي "الركائز الإسلامية لرعاية البيئة" لمؤتمر العالم الخامس عشر الأكاديمية

٣٦. آل البيت الملكية بعنوان "البيئة في الإسلام" سنة ١٤٣٤هـ.  
٣٧. ناصر أحمد سنه، حضارتنا وحضارتهم، مجلة الوعي الإسلامي،  
عدد ٥٣٢، سنة ٢٠١٠م.  
٣٨. سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الألباني، مكتبة المعارف،  
الرياض، ١٤١٥هـ.





# رحمة الرسول بالحیوانات والطيير

إعداد:

الأستاذ المشارك

د. حذيفة عبود مهدي السامرائي

رئيس قسم أصول الدين / العراق



## المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على خاتم رسل الله، الرحمة المهداة،  
والنعمة المسداة، نبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه  
ومن اهتدى بهداه وبعد:

فإن الله ﷻ الذي خلق الإنسان وهو عليم وخبير بما يصلحه وبما  
ينفعه في دنياه وفي أخراه، فكل شيء أمر الله الإنسان بفعله فلا شك  
أن فيه مصلحة له ومنفعة، وكل شيء نهى الله ﷻ الإنسان عنه ففيه دفع  
ضرر عنه، فالإنسان إنما وجد في هذه الحياة الدنيا لغاية نبيلة، ومقصد  
عظيم وهو عبادة الله عز وجل، وكل منفعة جعلها الله ﷻ للإنسان إنما  
هي تسخير من الله ﷻ ليستعين بها الإنسان على عبادة الله ﷻ.

ومن جملة المنافع التي جعلها الله عز وجل لخدمة الإنسان: الحيوانات،  
فالحيوانات خلقت لهذا الإنسان؛ لأجل أن يستعين بها في حياته، ويتفكر  
في مخلوقات الله عز وجل.

وقد دلت الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة على هذه النعمة  
العظيمة، وهذا الخير الوفير، وتحدثت عن جملة من الأنعام التي تعود

على البشر بالخير، وذكرت فضل الله ﷻ بتسخير وتذليل هذه المخلوقات لخدمة هذا الإنسان، فمن الآيات الدالة على هذه النعمة قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُوفُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُمْ فِيهَا مَنَّعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [يس:٧١-٧٣] وبعد أن سخر الله ﷻ هذه الحيوانات لنا، فلا بد من الرحمة بها، وقد كان المثل الأعلى في جانب الرحمة بالحيوان هو نبينا الكريم محمد ﷺ.

وفي بحثي هذا تناولت رحمته ﷺ بالحيوانات والطيور، والتأصيل لذلك من خلال الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية. وتأتي مشاركتي ضمن أعمال المؤتمر العلمي الدولي (الرحمة في الإسلام) ببحثي المعنون: (رحمة الرسول ﷺ بالحيوانات والطيور).

### منهج البحث:

اعتمدتُ في بحثي على ما يلي:

- المنهج الاستقرائي: وذلك لجمع النصوص المتعلقة بالرحمة بالحيوان من مظانها المتفرقة، وحصرها.
- المنهج التحليلي: أقوم من خلاله بتحليل النصوص، واستخراج المسائل والفوائد المتعلقة بالبحث وتوظيفها فيه.
- التأصيل للموضوع، من خلال الآيات القرآنية، والسنة النبوية، ونصوص العلماء.

### خطة البحث:

قسمتُ البحثُ إلى: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة



المبحث الأول: التعريف بمفردات العنوان، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الرحمة لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف الحيوانات لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثاني: الرحمة بالحيوانات والطير من قبل الرسول ﷺ. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عناية القرآن والسنة بالحيوانات.

المطلب الثاني: معالم رحمته ﷺ بالحيوانات والطيور.

المبحث الثالث: رحمة الحيوان بين هدي النبي ﷺ والحضارة الغربية... وفيه مطلبان:

المطلب الأول: جوانب النهي في السنة عن إيذاء الحيوانات.

المطلب الثاني: حقوق الحيوان بين الحضارة الإسلامية والغربية.

ثم الخاتمة وفيها بيان أهم النتائج.



## المبحث الأول التعريف بمفردات العنوان لغةً واصطلاحاً

وفيه مطلبان:

### المطلب الأول تعريف الرحمة لغةً واصطلاحاً

الرَّحْمَةُ لغةً:

الرحمة: من رَحِمَهُ يَرْحَمُهُ، رحمةٌ ومرحمةٌ، إذا رَقَّ له، وتعطف عليه، وأصل هذه المادة يدلُّ على الرقة والعطف والرأفة، وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضاً.

ومنها الرَّحِمُ: وهي علاقة القرابة.

وقد تطلق الرَّحْمَةُ، ويراد بها ما تقع به الرَّحْمَةُ، كإطلاق الرَّحْمَةَ على الرُّزْق والغيث<sup>(١)</sup>.

واصطلاحاً:

للرحمة تعاريف عدة في المعنى الاصطلاحي، منها:

(١) ينظر: الصحاح: للجوهري ١٩٢٩/٥، مقاييس اللغة: لابن فارس ٤٩٨/٢، لسان العرب: لابن منظور ١٢/٢٣٠، مختار الصحاح: للرازي ص ١٢٠.

١ . عرفها الراغب الأصفهاني بقوله: (الرَّحْمَةُ رِقَّةٌ تَقْتَضِي الإِحْسَانَ إِلَى الْمَرْحُومِ، وَقَدْ تَسْتَعْمَلُ تَارَةً فِي الرِّقَّةِ الْمَجْرَدَةِ، وَتَارَةً فِي الإِحْسَانِ الْمَجْرَدِ عَنِ الرِّقَّةِ)<sup>(١)</sup>.

٢ . وعرفها ابن عاشور بأنها: (رِقَّةٌ فِي النَفْسِ، تَبْعَثُ عَلَى سَوْقِ الْخَيْرِ لِمَنْ تَتَعَدَى إِلَيْهِ)<sup>(٢)</sup>.

٣ . وعرفها من المعاصرين عبدالرحمن الميداني فقال: هي (رِقَّةٌ فِي الْقَلْبِ، يَلَامِسُهَا الْأَلَمُ حِينَمَا تَدْرِكُ الْحَوَاسَ أَوْ تَدْرِكُ بِالْحَوَاسِ، أَوْ يَتَصَوَّرُ الْفِكْرَ وَجُودَ الْأَلَمِ عِنْدَ شَخْصٍ آخَرَ، أَوْ يَلَامِسُهَا السُّرُورُ حِينَمَا تَدْرِكُ الْحَوَاسَ أَوْ تَدْرِكُ بِالْحَوَاسِ أَوْ يَتَصَوَّرُ الْفِكْرَ وَجُودَ الْمَسْرَةِ عِنْدَ شَخْصٍ آخَرَ)<sup>(٣)</sup>.

ويظهر مما تقدم: أن المعنى الاصطلاحي للرحمة لا يخرج عن معناها اللغوي. والذي أميل إليه هو تعريف الإمام ابن عاشور، لأنه جمع فيه معاني الرحمة وتطبيقها.

## المطلب الثاني

### تعريف الحيوان لغةً واصطلاحاً

#### الحيوان لغة:

ضد الموتان<sup>(٤)</sup>، وجاء أيضاً: الحيوان اسم يطلق على كل شيء حي، وسمى الله ﷻ الآخرة حيواناً فقال: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾

(١) مفردات ألفاظ القرآن: للراغب الأصفهاني ١/٣٤٧.

(٢) التحرير والتبوير: لابن عاشور ٢١/٢٦.

(٣) الأخلاق الإسلامية وأسسها: لعبد الرحمن الميداني ٢/٣.

(٤) ينظر: مختار الصحاح: الرازي، ص ٧٠.

[العنكبوت: ٦٤]، قال قتادة: هي الحياة، وقيل: الحيوان عين في الجنة، وقيل: الحيوان ماء في الجنة لا يصيب شيئاً إلا حييَ بإذن الله<sup>(١)</sup>.

قال ابن سيده: (الحيوان جنس الحي وأصله حييان، قلبت الياء التي هي لام واوًا استكراهًا لتوالي اليائين لتختلف الحركات، والحيوان أبلغ من الحياة لما في بناء (فعالن) من الحركة والاضطراب اللازم للحركة، والحيوان في الجنة والحياة في الدنيا)<sup>(٢)</sup>.

أما الحيوان في الاصطلاح:

فقال الجرجاني هو: (الجسم النامي الحساس المتحرك بالإرادة)<sup>(٣) (٤)</sup>.



(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور، ص ٢١٤.

(٢) الكليات: لأبي البقاء الكفوي ص ٢٧٥.

(٣) التعريفات: للجرجاني ص ١٢٧.

(٤) ينظر: الموسوعة العربية العالمية: مجموعة من العلماء والباحثين ٦٠٦/٩.



## المبحث الثاني

### الرحمة بالحيوانات من قبل الرسول ﷺ

وفيه مطلبان:

#### المطلب الأول

#### عناية القرآن والسنة بالحيوانات

سأعرض في هذا المطلب ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من توجيهات تتصل برعاية الحيوانات والعناية بها وذلك على الوجه التالي:

#### أولاً: الحيوانات في القرآن الكريم:

مما يمكن أن نلاحظه في هذا الموضوع هو: تعدد الآيات القرآنية التي تتناول الحيوانات وتنوع أساليبها بشكل يظهر أن موقف القرآن الكريم والسنة النبوية من الحيوانات يتطلب العناية بها ورعايتها ولعل من أبرز تلك المواقف ما يلي:

١. نصّ القرآن الكريم على أن الحيوانات أمم مثل أمة الإنسان حيث يقول الله ﷻ: ﴿وَمِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَلُكُمْ

مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ نُمِّرَ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ [الأنعام: ٣٨]، وجاء تفسير هذه المثلية بعدة صفات منها: أنها مثلكم يعرفونني ويسبحون بحمدي، وفي معنى آخر: أنها تحشر وتحاسب يوم القيامة مثلكم، وفي قول ثالث: أن عناية الله تصل إلى جميع المخلوقات، وفي قول رابع: أنهم مثلكم في أن الله ﷻ خلقهم وتكفل بأرزاقهم وعدل بينهم فلا ينبغي أن تظلموها ولا تجاوزوا فيهم ما أمرتم به<sup>(١)</sup>.

٢. إن الله ﷻ كما تكفل للإنسان بالرزق فإنه تكفل للحيوانات بالرزق والذي يعني خلق الموارد اللازمة لقيام حياتها وتيسر سبل الوصول إليها فيقول سبحانه: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

٣. لقد سميت بعض أسماء سور القرآن الكريم بأسماء حيوانات وهي: البقرة، والأنعام، والنمل، والنحل، والعنكبوت، والفيل. كذلك وردت الإشارة إلى الحيوانات على إجمالها بمسميات عدة مثل: (البهيمة) التي وردت ثلاث مرات، و(الدابة) ١٤ مرة، و(الدواب) ٤ مرات، و(الأنعام) ٢٦ مرة، وإلى جانب ذلك جاء ذكر العديد من أنواع الحيوانات والحشرات بأسمائها المعروفة في عالم اليوم مثل: البغل، البقرة، البعير، البعوضة، الجمل، الجراد، الحية، الخنزير، الذئب، الذباب، السبع، الضأن، الضفادع، الطير، العجل، العنكبوت، الغراب، الغنم، الفيل، القمل، الكلب، الماعز، النعجة، الناقة، النحل، النمل، الهدهد، وتكرر ذلك أكثر من مائة مرة<sup>(٢)</sup>.

ونلاحظ ذكر هذه الحيوانات في القرآن الكريم جاء كثيراً في معرض التفضل من الله ﷻ على عباده وخلقها لمنفعتهم وبيان أن هذه الحيوانات تسبح بحمده والله ﷻ يرزقها ويرعاها وكلها أمور

(١) ينظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ١١/١٧٦، تفسير القرطبي ٣/٢٥٠٤.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي.

تدل على أهمية الحيوانات بشكل عام، ومنه تتبع أهمية رعايتها والعناية بها.

٤. بيّن القرآن الكريم سبل الانتفاع بالحيوانات، وفي البداية فإن نفع الحيوان ليس فقط لإطعام الإنسان؛ لأن وجود الحيوانات كأحد الموجودات في الحياة ضروري لإحداث التوازن البيئي، وإذا كان عدد أنواع الحيوانات كما يقول العلماء: يقارب من (مليون) نوع فإن ما عرفه الإنسان منها يقارب (١٨) ألفاً فقط، وما يتمتع به ذاتياً في شتى أموره لا يزيد عن ثلاثين<sup>(١)</sup>، وحاشا لله ﷻ أن يخلق شيئاً عبثاً، فلكل نوع وظيفته في الدنيا حتى ولو لم يعرفها الإنسان أو العلم الحديث، ولذا فإن كلامنا هنا مقصور على انتفاع الإنسان بالحيوان انتفاعاً ذاتياً بأكل لحومها كما قال الله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ [المائدة:١] والانتفاع بمنتجاتها من لبن وصوف ووبر حيث يقول ربنا ﷻ: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّمِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل:٦٦]، ويقول أيضاً: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِثْلًا إِلَى حِينٍ﴾ [النحل:٨٠]، وكذا الانتفاع بها لغرض النقل والمواصلات والزينة كما يقول الله ﷻ: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل:٥]، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْبِحُونَ وَحِينَ تُسْرِحُونَ﴾ [النحل:٦]، ﴿وَتَحْمِلُ أَوْسَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّئِمَّ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل:٧]، ﴿وَالْحَيْلَ وَالْبَعَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٨]، كما بين القرآن المحرمات من الحيوانات في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ﴾ [المائدة:٣]، وفي آيات أخرى بين الله ﷻ أن بعض الحيوانات

(١) ينظر: موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي: عبد اللطيف عاشور ص ١٧.

والحشرات جنود من جنود الله يسلمها الله ﷻ على الطغاة من عباده كما حدث مع فرعون وقومه في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالذَّمَءَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾ [الأعراف: ١٣٢].

٥. أشار القرآن الكريم إلى استخدام بعض الحيوانات آيات من آياته ومعجزاته التي أيد بها رسله وأولياءه، مثل بقرة بني إسرائيل، وكلب أهل الكهف، وناقة سيدنا صالح (عليه السلام).

٦. في بعض المواقف كانت بعض الطيور معلمة للإنسان وقائمة على دين الله مثل غراب ابني آدم الذي علم قابيل دفن أخيه، وهدد سليمان الذي قام بدور رصد من يعبدون غير الله وإبلاغها لنبي الله سليمان (عليه السلام)، وكلب أهل الكهف الذي صاح بهم في رحلة الإيمان.

٧. يكفي الحيوانات تشريفاً ما أخبر القرآن عنها بأنها تسبح بحمد الله ﷻ، بل هي أكثر التزاماً من الإنسان كما جاء في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَأَتْ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ١٨] يلاحظ أن ذكر «الدواب» جاء معرفاً بالألف واللام الدالة على الاستغراق، وأما الناس فجاء التعبير عن تسبيحهم في الآية بقوله تعالى: «وكثير من الناس» وليس كل الناس.

٨. الحيوانات شريكة الإنسان في الحياة، ومن مظاهر هذه الشراكة في باب الواجبات أن الحيوان يعمل مع الإنسان في تعمير الدنيا بأعمال تناسبها مثل: الحرث، والسقي، والحمل، وإدرار اللبن، وفي باب الحقوق تظهر الشراكة فيما قرره القرآن الكريم من آيات عدة حول خلق العديد من الموارد للناس وللأنعام كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ



مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَمُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿٥٤﴾ [طه: ٥٣-٥٤] وقد تكرر ذلك في الآيات رقم (٢٧) في سورة السجدة، والآيتان (٢٥-٣٤) من سورة عبس.

وفي تصور آخر لموارد أخرى مثل الماء أساس الحياة يقول سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ [الفرقان: ٤٨-٤٩]، ونلاحظ هنا تقدم الأنعام على الناس وبصورة عامة لجميع الموارد في السماء والأرض ويذكر القرآن الكريم هذه الشراكة في قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَوْ السَّمَاءُ بَنِيهَا﴾ ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مِّنْعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَمِكُمْ ﴿٣٣﴾ [النازعات: ٢٧-٣٣].

وهكذا يذكر القرآن الكريم الحيوانات في آيات عدة صراحةً فضلاً عن الإشارات الضمنية، وأسلوب تناولها في القرآن الكريم كما بيناه، وكل ذلك فيه دعوة إلى العناية بهذه الحيوانات ورعايتها وهو ما فصلت أساليبه وإجراءاته السنة النبوية الشريفة كما نتعرف عليه في الفقرة التالية:

### ثانياً: الحيوانات في السنة النبوية الشريفة:

السنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع في الإسلام بعد القرآن الكريم وهي مفسرة له ومفصلة لأحكامه كما يقول تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] وفي مجال رعاية الحيوانات والعناية بها نجد السنة النبوية الشريفة زاخرة بأحاديث عدة تحث على الرحمة والرفق بالحيوانات وعدم إيذائها، ويمكن الإشارة إلى نماذج منها كما يلي:

أ. النهي عن الإيذاء البدني والنفسي للحيوانات: ومن أمثلة ذلك:

١ . النهي عن ضرب الحيوانات وخاصة الضرب على الوجه، والوسم فيه، ولقد عقد الإمام مسلم باباً في صحيحه سماه «باب النهي عن ضرب الحيوان ووسمه فيه»<sup>(١)</sup> وأورد فيه عدة أحاديث منها: عن جابر قال: (نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، عَنِ الضَّرْبِ فِي الْوَجْهِ، وَعَنِ الْوَسْمِ فِي الْوَجْهِ)<sup>(٢)</sup> وحديث آخر عن جابر أيضاً أن النبي ﷺ مرَّ عليه حمار قد وسم في وجهه فقال: «لَعَنَ اللَّهُ الَّذِي وَسَمَهُ»<sup>(٣)</sup> وفي ذلك أيضاً ما ورد عن السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كُنْتُ عَلَى بَعِيرٍ صَعْبٍ، فَجَعَلْتُ أَضْرِبُهُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ، فَإِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ)<sup>(٤)</sup>.

٢ . النهي عن خزن اللبن في ضروع الحيوانات لما يسببه ذلك من ضرر وعد ذلك نوعاً من الغش وهو ما يعرف بالتصيرية، فعن النبي ﷺ أنه قال: (وَلَا تُصَرُّوا الْإِبِلَ وَالْغَنَمَ)<sup>(٥)</sup>.

٣ . النهي عن لعن الدواب: عن عمران بن حصين قال: بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقه فضجرت فلعننها فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: (خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا، فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ)<sup>(٦)</sup>.

ب. الرفق والرحمة في استخدام الحيوانات فيما خلقت له بدون قسوة وعدم استخدامها في غير ذلك، وفي ذلك أحاديث عدة منها:

- (١) ينظر: صحيح مسلم: ٢٥٠/٢.
- (٢) أخرجه مسلم في صحيحه: ٣/ ١٦٧٣ رقم ٢١١٦.
- (٣) المصدر نفسه: ٣/ ١٦٧٣ رقم ٢١١٧.
- (٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٤١ / ٤١٥ رقم: ٢٤٩٣٨، وقال عنه المحقق الشيخ شعيب الأرنؤوط: (إسناده صحيح على شرط مسلم).
- (٥) أخرجه مسلم في صحيحه: ٢/ ١١٥٥، رقم: ١٥١٥.
- (٦) المصدر نفسه: ٤/ ٢٠٠٤، رقم: ٢٥٩٥.



١ . النهي عن استخدام الحيوانات غرضاً في اللعب والمسابقة برميها حتى تموت وهو ما يسمى بالمثلثة أو الصبرة وهي: أن يمسك الحيوان ويجعل هدفاً فترمى حتى تموت، فقد جاء في صحيح مسلم «باب النهي عن صبر البهائم» أورد فيه عدة أحاديث منها: ما ورد عن أنس رضي الله عنه قال: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تُصَبَّرَ الْبَهَائِمُ»<sup>(١)</sup> وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: (لَا تَتَّخِذُوا شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا)<sup>(٢)</sup> أي: ترمونه.

٢ . النهي عن التحريش بين البهائم بمعنى تسليط بعضها على بعض وإثارة الشحناء بينها لتتصارع وتؤذيها ويقتل بعضها بعضاً، فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ التَّحْرِيشِ بَيْنَ الْبَهَائِمِ»<sup>(٣)</sup>.

٣ . النهي عن استخدام الحيوانات في غير ما خلقت له، روي أن الرسول ﷺ رأى رجلاً جالساً على ظهر جملة في السوق وأخذ يخطب في الناس فقال له الرسول ﷺ: (إِيَّاكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ مَنَابِرَ، فَإِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا سَخَّرَهَا لَكُمْ لَتَبْلَغَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ)<sup>(٤)</sup>.

٤ . الإحسان إلى البهائم واتباع الطرق السليمة عند الانتفاع بها حتى لو كان ذلك من أجل الذبح للانتفاع بلحومها، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: ١٥٤٩/٣ رقم ١٩٥٦.

(٢) المصدر نفسه: ١٥٤٩/٣ رقم: ١٩٥٧.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه: ٣/ ٢٦ رقم ٢٥٦٢، وقال عنه الألباني: (ضعيف) ضعيف الترغيب والترهيب/ ١٣٧٣.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه: ٣/ ٢٧ رقم ٢٥٦٧، وقال عنه الألباني: (صحيح) صحيح أبي داود/ ٢٥٦٧.

قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقَتْلَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ<sup>(١)</sup>.

٥. الصيد مباح في الإسلام وذلك للانتفاع بلحوم حيوانات الصيد فقط وليس لأغراض أخرى مثل ما يحدث الآن من صيد الحيوانات غير المأكولة لاستخدام جلودها وفرائها، ويلزم أن يتم الصيد بأدواته المعروفة التي لا تؤذي الحيوان أو تعذبه، وفي ذلك وردت أحاديث عدة منها: أن الرسول ﷺ نهى عن الخذف<sup>(٢)</sup> وقال: «إِنَّهَا لَا تَصِيدُ صَيْدًا، وَلَا تَتَكَاؤُ عَدُوًّا، وَلَكِنَّهَا تَكْسِرُ السِّنَّ، وَتَفَقِّأُ الْعَيْنَ»<sup>(٣)</sup>.

ج. العناية بالحيوانات ورعايتها بتوفير الراحة ومقومات الحياة لها، وعدم تعذيبها وفي ذلك ما ورد:

١. رعاية الحيوانات بتوفير وسائل الحياة لها: فقد ورد أن الرسول ﷺ مرّ ببعير قد لحق ظهره ببطنه (من الجوع والتعب) فقال: (اتَّقُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْمَعْجَمَةِ، فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً، وَكُلُوهَا صَالِحَةً)<sup>(٤)</sup>.
٢. مراعاة مصلحة الدواب في السير والسفر فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (إِذَا سَافَرْتُمْ فِي الْخَصْبِ، فَأَعْطُوا الْإِبِلَ حَظَّهَا مِنَ الْأَرْضِ، وَإِذَا سَافَرْتُمْ فِي السَّنَةِ، فَاسْرِعُوا عَلَيْهَا السَّيْرَ...)<sup>(٥)</sup>.
٣. حبس الحيوانات ومنع الغذاء والماء عنها موجب للعذاب ففي

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: ٣/١٥٤٨ رقم ١٩٥٥

(٢) الخذف: (هو رميك حصاة أو نواة تأخذها بين سبابتك وترمي بها). النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير، ٢/١٦

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: ٣/١٥٤٨، رقم ١٩٥٤.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه: ٣/٢٣، ٢٥٤٨. وقال عنه المنذري: (إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما) (الترغيب والترهيب: ٢/٢١٧).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: ٣/١٥٢٥، رقم ١٩٢٦



الحديث المشهور: (عُذِبَتْ امْرَأَةٌ فِي هَرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا، إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ)<sup>(١)</sup>.

٤. إشفاق الإنسان على الحيوانات وإعانتها على الحياة فيه مغفرة للذنوب، فقد ورد عن النبي ﷺ: (أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِيئْرٍ، قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ، فَزَعَتْ لَهُ بِمَوْقِهَا فَفُفِرَ لَهَا)<sup>(٢)</sup>. وهكذا نجد أن السنة النبوية الشريفة زاخرة بالأحاديث التي تدور كلها حول رعاية الحيوانات والعناية بها، ومع ما سبق ذكره من الهدى القرآني بخصوص ذلك يتضح أن للعناية بالحيوانات ورعايتها أصلاً إسلامياً راسخاً، ومن هذا الأصل يلي الموقف العملي للإسلام الذي يشكل الأساس لموقف الحضارة الإسلامية من هذه القضية وهذا ما سنتعرف عليه في مبحث لاحق.

## المطلب الثاني

### معالم رحمته ﷺ بالحيوانات والطيور

لم تقف رحمته ﷺ عند حد الرحمة بالإنسان أيّاً كان، بل تعدت ذلك إلى الرحمة بالحيوان البهيم الذي لا يبين عن شكواه وآلامه.

وسأبين هنا نبذة من المعالم أوضح من خلالها مدى الحكمة والرحمة الذي امتاز بها سيد البشر ﷺ.

١. إن الإسلام أذن في أكل الطيب من الحيوان: ونبه بهذا الإذن على خطأ أولئك الذين يقبضون أيديهم عن تذكيته أو أكله بدعوى

(١) المصدر نفسه ٤/ ١٧٦٠ رقم ٢٢٤٢ وما بعده.

(٢) المصدر نفسه ٤/ ١٧٦١ رقم ٢٢٤٥

الرأفة أو الزهد، وأباح استعماله في نحو الركوب، والحراثة، وحمل الأثقال.

وقد امتن القرآن الكريم بهذه الضروب من الاستمتاع المؤلف بين العقلاء، فقال ﷺ: ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفٌّ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْمُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ ۝﴾ [النحل: ٥-٧].

وقال ﷺ: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَىٰ حِينٍ﴾ [النحل: ٨].

٢. امتن الله ﷻ في كتابه العزيز بما يتخذ من أصواف الأنعام وأوبارها وأشعارها وجلودها من الملابس والفرش والبيوت، وبما يتغذى به من ألبانها ولحومها، وبما هيئت له من حمل الأثقال. وهذه المنافع من أهم ما تنتظم به حياة الإنسان، ومن أعظم ما يكون به إكرام الحيوان ما دام على قيد الحياة. قال تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝﴾ [النحل: ٨]. فذكر في هذه الآية أهم ما خلقت له الخيل والبغال والحمير من المنافع وهو الركوب، وفي الركوب راحة البدن، وسرعة الانتقال من مكان إلى مكان، والراحة من متمات الصحة، وسرعة الانتقال حفظ للوقت من أن يذهب في غير جدوى.

وامتن الله ﷻ بالأنعام والخيل وما عطف عليها، ونبه على ما فيها من جمال وزينة. وفي هذا ما يرشد إلى أن يكون الاستمتاع بها في رفق ورعاية؛ فإن إرهاقها، أو قلة القيام على ما تستمد منه حياتها يجعل نفعها ضئيلاً، ويذهب بما فيها من جمال وزينة<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر: رسائل الإصلاح: محمد الخضر حسين، ١/١٣٩-١٤٧.

٣. كان للعرب قبل الإسلام عادات تحرمهم من الانتفاع ببعض أفراد الحيوانات، وفيها قوة على أن ينتفعوا بها، ومن هذا القبيل: الناقة المسماة بالسائبة، وهي الناقة التي يقول فيها الرجل: إذا قدمت من سفري، أو برئت من مرضي فهي سائبة، ويحرم ركوبها ودرها<sup>(١)</sup>. والوصيلة: وهي أن تلد الشاة ذكراً وأنثى، فيقولون: وصلت أخاها، فلا يُذبح من أجلها الذكر<sup>(٢)</sup>. والجمل المسمى بالحامي: وهو الفحل الذي ينتج من صلبه عشرة أبطن، فكانوا يقولون: قد حمى ظهره، ويمتنعون من ركوبه والحمل عليه<sup>(٣)</sup>.

والبحيرة: وهي الناقة التي تنتج خمسة أبطن آخرها ذكر؛ فإنهم كانوا يشقون أذننها ثم يحرمون ركوبها ودرها<sup>(٤)</sup>.

ثم جاء الإسلام فلم ير من الحكمة تعطيل الحيوان وهو صالح لأن ينتفع منه، فنهى عن هذا التعطيل الناشئ عن سفاهة الرأي، فقال ﷺ: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣].

٤. كان للعرب عادات يسومون فيها الحيوان سوء العذاب: ومن هذه العادات ما يفعلونه لموت كريم القوم؛ إذ يعقلون ناقته أو بعيه عند القبر، ويتركونها في حفرة لا تطعم، ولا تسقى حتى تموت. ومن هذا الباب شقهم لأذان الأنعام، وهو ما أشار القرآن إلى قبحه، إذ جعله مما يأمر به الشيطان، فقال ﷺ: ﴿وَقَالَ لَا تُخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ [١١٨] وَلَا ضَلَّانَهُمْ وَلَا مَمْنُونَهُمْ وَلَا مَرْتَهَمٌ فَلْيَبْتَكُنْ عَادَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَعْيِرْكَ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٨-١١٩].

(١) ينظر: فتح الباري: لابن حجر العسقلاني، ٨ / ٢٨٥.

(٢) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: للعيني، ١٨ / ٢١٦.

(٣) ينظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: للقسطلاني ٧ / ١١٢.

(٤) ينظر: عمدة القاري: للعيني ١٥ / ١٦٩.

٥. ومن العادات السابقة عند العرب: أن الحيوان كسائر الأمتعة تحت يد مالكة يفعل فيه كيف يشاء، وإذا ناله رفق فمن ناحية عاطفة الإنسان على ما يملك؛ لتطول مدة انتفاعه به.

ولكن النبي ﷺ أرشد إلى أن الحيوان في نفسه حقيقٌ بالعطف، فغرس له في القلوب عطفًا عامًا، واستدعى له الرحمة حتى من قوم لا ينتفعون أو لا يرجون أن ينتفعوا به في حال، وجعل الرفق به من قبيل الحسنات التي تذهب السيئات، وتنال بها المثوبة عند الله. وقد أذن النبي ﷺ في قتل الحيوان المؤذي كالكلب العقور، والفأرة، وأمر بالإحسان في القتل، فقال: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتل)<sup>(١)</sup>.

وأذن في ذبح الحيوان للاستمتاع بالطيب من لحومه، فقال: (وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته)<sup>(٢)</sup>. وربما يخطر في البال أنه متى أذن في قتل الحيوان، أو ذبحه فلإنسان أن يتخذ لإزهاق روحه ما شاء من الطرق أو الوسائل؛ فقصد الشارع الحكيم إلى دفع هذا خاطر، وإرشاد الناس إلى اتخاذ أحسن الطرق في القتل أو الذبح؛ فلا يجوز إحراق ما أذن في قتله أو التمثيل به، ويجب إرهاف آلة الذبح؛ حتى لا يلاقي الحيوان قبل إزهاق روحه آلامًا.

قال ابن رجب الحنبلي: (والإحسان في قتل ما يجوز قتله من الناس والدواب إزهاق نفسه في أسرع الوجوه وأسهلها من غير زيادة في التعذيب؛ فإنه إيلام لا حاجة إليه. وهذا النوع هو الذي ذكره النبي

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

ﷺ في هذا الحديث، ولعله ذكره على سبيل المثال، أو لحاجته إلى بيان تلك الحال، إلى أن قال: والقِتلة والذَّبحة بالكسر: أي الهيئة.

والمعنى: أحسنوا هيئة الذبح، وهيئة القتل، وهذا يدل على وجوب الإسراع في إزهاق الأرواح التي يباح إزهاقها على أسهل الوجوه. وقد حكى ابن حزم الإجماع على وجوب الإحسان في الذبيحة<sup>(١)</sup>. وقال أيضًا: (فلهذا أمر النبي ﷺ بإحسان القتل، وأمر بأن تحدد الشفرة، وأن تراح الذبيحة، يشير إلى أن الذبح بالآلة الحادة يريح الذبيحة بتعجيل زهوق نفسها)<sup>(٢)</sup>.

وجاء في مسند الإمام أحمد أن رجلاً قال للنبي ﷺ: يا رسول الله إني لأذبح الشاة وأنا أرحمها. فقال النبي ﷺ: (وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللهُ)<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام أحمد: (تقاد إلى الذبح قوداً رفيقاً، وتوارى السكين عنها، ولا تظهر السكين إلا عند الذبح)<sup>(٤)</sup>.

٦. الشريعة أباحت صيد الحيوان بنحو الجوارح والنبال والشباك؛ لينتفع منه الإنسان بما يحل الانتفاع به، ومنعت من أن ينصب الحيوان غرضاً؛ ليرمي بنحو النبال.

ومما جاء في ذلك من أحاديث عن رسول الله ﷺ قوله: (لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً)<sup>(٥)</sup>. وفي الصحيحين عن ابن عمر: أنه مرَّ بفتيان من قريش قد نصبوا طيراً وهم يرمونه، وقد جعلوا لصاحب

(١) جامع العلوم والحكم: ابن رجب الحنبلي ١/٣٨٢.

(٢) جامع العلوم والحكم: ابن رجب الحنبلي ١/٣٩١.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٢٤/٣٩٥ رقم: ١٥٥٩٢، وقال عنه المحقق الشيخ شعيب: (إسناده صحيح).

(٤) جامع العلوم والحكم: ابن رجب الحنبلي ١/٣٩٢.

(٥) سبق تخريجه.

الطير كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا، فقال ابن عمر: (من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا، إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً)<sup>(١)</sup>.

٧. وردت أحاديث عن النبي ﷺ في فضل سقي الحيوان وإطعامه، وعدهما من عمل الخير الذي تنال به الزلفى عند الله، قال ﷺ: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ)<sup>(٢)</sup>.

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ التُّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ بَلَغَ بِي، فَنَزَلَ الْبئْرَ فَمَلَأَ خَفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِيَدِهِ، فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ « قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّا لَنَأْتِي فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ»<sup>(٣)</sup>.

وفي قولهم: (وإن لنا في البهائم أجرًا) دلالة على أنهم كانوا لا يعتقدون أن الإحسان إلى الحيوان يبلغ مبلغ الإحسان إلى الإنسان؛ فيستحقون عليه أجرًا، وكيف يكون حال حيوان وقع تحت يد مَنْ لا يعتقد أنه سينال بالإحسان إليه ثوابًا، ويلقى من أجل القسوة عليه عذابًا؟!)

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: (عذبت امرأة في هرة لم تطعمها، ولم تسقها، ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض)<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: ٧ / ٩٤، رقم: ٥٥١٥.

(٢) المصدر نفسه: ٣ / ١٠٣، رقم: ٢٣٢٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: ٢ / ١٣٢، رقم: ٢٤٦٦.

(٤) سبق تخريجه

والوعيد بعقوبة النار على الأمر يدل على أنه من المحظور حظراً لا هوادة فيه، ومن ذا يخطر على باله قبل هذا أن يكون لحيوان كالهرة حرمةٌ تبلغ في الخطر أن يعاقب مَنْ ينتهكها بعداب النار؟. ومما جاء في السنة النبوية من هذا القبيل ما جاء في حديث رسول الله ﷺ أنه مر ببعير قد لحق ظهره ببطنه فقال: (اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة، فاركبوها صالحة وكلوها صالحة)<sup>(١)</sup>.

٨. ومن الرفق بالدابة أن لا يتابع السير عليها متابعة ترهقها تعباً: قال ﷺ: (إذا سافرتم في الخصب فأعطوا الإبل حظها من الأرض)<sup>(٢)</sup>.

٩. ورد في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: (لَا يَبْقَيْنَ فِي رِقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةً مِنْ وَتَرٍ، أَوْ قِلَادَةً إِلَّا قُطِعَتْ)<sup>(٣)</sup>. فذهب بعض أهل العلم في فهم الحديث مذهب الرحمة بالحيوان، وقال: إنما أمر بقطع القلائد من أعناق الإبل؛ مخافة اختناق الدابة بها عند شدة الركض، ولأنها تُضيق عليها نفسها ورعيها، وكراهة أن تتعلق بشجرة؛ فتحنقها أو تعوقها عن المضي في سيرها<sup>(٤)</sup>.

١٠. ومن المحظور وقوف الراكب على الدابة وقوفاً يؤلها: وقد ورد في النهي عن هذا الصنيع حديث: (إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر؛ فإن الله إنما سخرها لكم لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس)<sup>(٥)</sup>.

ومن الرأفة والرحمة بالحيوان ما رواه أبو داود عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (كنا مع النبي ﷺ في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حُمرة<sup>(٦)</sup>)

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: ٤ / ٥٩ رقم ٣٠٠٥.

(٤) ينظر: فتح الباري: لابن حجر ٦ / ١٤١.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) الحمرة: (طائرٌ صغيرٌ كالعصفور). مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي القاري ٦ / ٢٣١٤.

معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تعرش<sup>(١)</sup>  
فلما جاء رسول الله ﷺ قال: (من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها  
إليها، ورأى ﷺ قرية نمل قد أحرقناها، فقال: من أحرق هذه؟  
قلنا: نحن، قال: إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار)<sup>(٢)</sup>.

ومن خلال ذلك يتبين أن الإسلام قد وضع القوانين وكان أساساً  
لجمعيات الرفق بالحيوان يقيمون عليه دعوتهم، وينهلون من معينه الوافر.  
وما من نفس أو جمعية تدعو إلى ناحية من الخير إلا وجدت في هذه  
الشرعية ما يؤيد دعوتها، ويهديها سبيل الرشدها إذا تشابهت السبل عليها.<sup>(٣)</sup>



- (١) تعرش: أي ترتفع، وتظلل بجناحيها على من تحتها. المصدر نفسه.  
(٢) أخرجه ابو داود في سننه: ٤/ ٣٦٧ رقم: ٥٢٦٨، وقال عنه الألباني: (صحيح) صحيح أبي داود/  
٢٦٧٥.  
(٣) ينظر: رسائل الإصلاح: محمد الخضر حسين، ١/١٤٧. ومعالم الرحمة بالحيوان: د. عبدالله  
الرشيد ص ٦.



## المبحث الثالث

# جوانب النهي عن إيذاء الحيوان، وحقوقه بين الحضارة الإسلامية والغربية

وفيه مطلبان:

### المطلب الأول

## جوانب النهي في السنة عن إيذاء الحيوانات<sup>(١)</sup>

اتفق العلماء على أنه لا تجوز الاساءة للحيوان وإيذاؤه<sup>(٢)</sup>، وعد بعض العلماء ذلك من الكبائر<sup>(٣)</sup>، وقد حرص النبي ﷺ على التحذير من إيذاء البهائم بأي نوع كان، فمن ذلك:

**أولاً: النهي عن اتخاذ الحيوان غرضاً للرمي والتلهي.**

حديث سعيد بن جبير قال: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ، فَمَرُّوا بِفَتْيَةٍ، أَوْ بَنَفَرٍ، نَصَبُوا دَجَاجَةً يَرْمُونَهَا، فَلَمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا عَنْهَا، وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَعَنَ مَنْ فَعَلَ هَذَا»<sup>(٤)</sup>.

- (١) ينظر: معالم الرحمة في السنة النبوية بالرفق بالحيوان: د سليمان بن عبدالله السيف ص ٩.
- (٢) قال ابن عبد البر: (قام الدليل على أن الإساءة إليها وزراً وذنباً، وهذا مما لا شك فيه ولا مدفع له... وهذا أمر لا تنازع للعلماء فيه). ينظر: التمهيد: ١٠ / ٢٢.
- (٣) ذكر الذهبي في كتابه الكبائر: (وسم الدابة في الوجه) من الكبائر وذلك في الكبيرة الثانية والسبهيـن. ينظر: الكبائر ص ١٢٣.
- (٤) أخرجه البخاري في صحيحه: ٧ / ٩٤ رقم ٥٥١٥.

وأخرج مسلم في صحيحه عن بن عباس أن النبي ﷺ قال: (لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً)<sup>(١)</sup>.

قال النووي في شرح صحيح مسلم ومعناه: (نهى أن نتخذ الحيوان الذي فيه الروح غرضاً أي: هدفاً للرمي فيرمى إليه بالنشاب وشبهه)<sup>(٢)</sup>. وقال في موطن آخر من نفس الكتاب: (أي: لا تتخذوا الحيوان الحي غرضاً ترمون إليه كالغرض من الجلود وغيرها وهذا النهي للتحريم ولهذا قال ﷺ في رواية ابن عمر التي بعد هذه: (لعن الله من فعل هذا) ولأنه تعذيب للحيوان وإتلاف لنفسه وتضييع لماليته وتفويت لذكاته إن كان مذكى ولمنفعته إن لم يكن مذكى)<sup>(٣)</sup>.

وفي حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ امْرَأَةً عُدَّتْ فِي هَرَّةٍ، أَمْسَكَتَهَا حَتَّى مَاتَتْ مِنَ الْجُوعِ، لَمْ تَكُنْ تَطْعَمُهَا، وَلَمْ تُرْسِلْهَا فَتَأْكُلَ مِنْ حَشْرَاتِ الْأَرْضِ، وَغَفَرَ لِرَجُلٍ نَحَى غُصْنَ شَوْكٍ عَنِ الطَّرِيقِ)<sup>(٤)</sup>. جاء في فيض القدير للمناوي: (وفيه تفخيم الذنب ولو صغيراً وأن تعذيب الحيوان حرام وأنه يسلب يوم القيامة على ظالمه وحل اتخاذ الهر ورباطها بشرط إطعامها وسقيها وألحق بها غيرها في معناها وقول النووي وإن نفقة الحيوان على مالكة توزع فيه بأنه ليس في الخبر ما يقتضيه)<sup>(٥)</sup>.

**ثانياً: ومن النهي عن التعذيب النهي عن التمثيل بالحيوانات:**

حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَنَا قَشْفُ الْهَيْئَةِ قَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ مَالٍ؟» قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «مَنْ أَيُّ الْمَالِ؟» قُلْتُ: مِنْ كُلِّ الْمَالِ مِنَ الْإِبِلِ وَالرَّقِيقِ وَالْخَيْلِ وَالْغَنَمِ، قَالَ: «فَإِذَا آتَاكَ اللَّهُ مَالًا فَلْيُرْ عَلَيْكَ»

(١) سبق تخريجه.

(٢) شرح صحيح مسلم: للنووي ١١٤/١

(٣) المصدر نفسه: ١٠٨/١٣

(٤) أخرجه أحمد في مسنده: ١٣ / ٢٤٠ رقم ٧٨٤٧، قال المحقق الشيخ شعيب: (إسناده صحيح على شرط الشيخين).

(٥) فيض القدير: للمناوي (٥٢٢/٣).

ثُمَّ قَالَ: «تُنَجُّ إِبِلَ قَوْمِكَ صَحَاحَ أَذَانِهَا فَتَعَمَدُ إِلَى الْمَوْسَى فَتَقَطَعُ أَذَانَهَا فَتَقُولُ هَذِهِ بَحِيرَةٌ وَتَشْتُقُّهَا أَوْ تَشُقُّ جُلُودَهَا وَتَقُولُ هَذِهِ صُرْمٌ فَتَحَرِّمُهَا عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِكَ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَإِنَّ مَا أَعْطَاكَ اللَّهُ لَكَ حَلٌّ مُوسَى اللَّهُ أَحَدٌ - وَرَبِّمَا قَالَ - سَاعِدُ اللَّهِ أَشَدُّ مِنْ سَاعِدِكَ وَمُوسَى اللَّهُ أَحَدٌ مِنْ مُوسَاكَ» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ رَجُلًا نَزَلَتْ بِهِ فَلَمْ يُكْرِمْنِي وَلَمْ يُقْرِنِي ثُمَّ نَزَلَ بِي أُجْزِيهِ كَمَا صَنَعَ أَوْ أُقْرِيهِ؟ قَالَ: «أَقْرِهِ»<sup>(١)</sup>.

ففي هذا التهيب عن هذا الفعل، وأن الإنسان إن كان يتقوى على البهيمة بسلاحه وبعدم قدرتها على الدفاع عن نفسها، فالله تعالى أقوى من الإنسان ويعاقبه على فعله هذا، وهذا منتهى الدفاع عن حقوق البهائم وعدم إيذائها.

وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه عن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: (نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ خِصَاءِ الْخَيْلِ وَالْبَهَائِمِ)<sup>(٢)</sup>.

وفي النهي عن خصاء البهائم مراعاة لاستمرار نسل البهائم فهي أمة من الأمم ونوع من المخلوقات لا يصح لأي أحد أن يحكم عليها بالانقراض الذي سينتج عن الخصاء وقطع آلة التوالد والإنجاب، وكذلك لأن فيه تعذيباً للبهيمة فإن الخصاء مؤلم جسدياً ونفسياً<sup>(٣)</sup>.

**ثالثاً: ومن ذلك نهيه ﷺ عن قص شعر الخيل وذيله:**

عن عْتَبَةَ بِنْتِ عَبْدِ السَّلْمِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (لَا تَقْصُوا نَوَاصِي الْخَيْلِ، وَلَا مَعَارِفَهَا، وَلَا أَذْنَابَهَا، فَإِنَّ أَذْنَابَهَا مَذَابِهَا، وَمَعَارِفَهَا دِفَاؤُهَا، وَنَوَاصِيهَا مَعْقُودٌ فِيهَا الْخَيْرُ)<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک: ٢٠١/٤ رقم ٧٣٦٤ وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: ٤٢٣ / ٦ رقم ٣٢٥٧٧. قال في مجمع الزوائد: (ورواه أحمد، وفيه عبد الله بن نافع وهو ضعيف) مجمع الزوائد ٥ / ٢٦٥.

(٣) ينظر: حقوق الحيوان والرفق به في الشريعة الإسلامية: أ. د. أحمد الكبيسي، ص ٢٨.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه: ٢٢/٣ رقم ٢٥٤٢. وقال عنه الألباني: (صحيح) صحيح أبي داود / ٢٥٤٢.

ونواصي الخيل: هو ما يكون على رأسها وفي أعلى رأسها من الشعر. ومعارفها: جمع عرف، وهو الشعر الذي في أعلى الرقبة، يسترسل إلى جهة اليمين أو إلى جهة الشمال. وأذناها: هو الشعر الذي يكون في الذيل أو الذنب.

وقوله: (فإن أذناها مذاها) : أي تذب بها الذبابة والحشرات التي تقع عليها بحيث تحركها فيطير الشيء الذي يقع عليها، فهي من الذب. وقوله: (ومعارفها دفاؤها) أي: فيها دفء لرقبتها.

فانظر كيف راعى ﷺ حق الحيوانات في الاستدفاء بأعرافها وشعرها ونهى عن قصها لأن الحيوان يتدفاً بها من البرد وتخفف عنه حر الشمس. وكذلك نهى عن قص الذيل لأن الذيل يستخدم في الذب عن نفسها ضد الذباب والبعوض ونحوه، فإن قص الذيل لم تستطع ذلك وحصل لها الأذى<sup>(١)</sup>.

**رابعاً: ومن ذلك نهى النبي ﷺ عن وسم الوجه أو ضربه:**

أخرج مسلم في صحيحه من حديث جابر أن النبي ﷺ مرَّ عليه حمار قد وسم في وجهه فقال: (لعن الله الذي وسمه)<sup>(٢)</sup>.

قال العيني: (وإنما كرهوه -يعني وسم الوجه- لشرف الوجه وحصول الشين فيه وتغيير خلق الله وأما الوسم في غير الوجه للعلامة والمنفعة بذلك فلا بأس إذا كان يسيرا غير شائن)<sup>(٣)</sup>.

**خامساً: ومن ذلك نهيه ﷺ عن لعن الحيوانات:**

في الحديث الطويل حيث قام صحابي بلعن بغيره، فقال رسول الله

(١) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي القاري ٦/ ٢٥٠٦.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) عمدة القارئ: للعيني ٨٢/٣١

﴿عَنْ﴾: «مَنْ هَذَا اللَّاعِنُ بَعِيرُهُ؟» قَالَ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «أَنْزَلَ عَنْهُ، فَلَا تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ، لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ»<sup>(١)</sup>.

فالحديث يدل على النهي عن دعاء الإنسان على أهله وماله، وذلك عندما يحصل له غضب فيحصل منه الدعاء، وهو مشتمل أيضاً على بيان العلة والحكمة في ذلك، وأنه قد يوافق هذا الدعاء ساعة إجابة فيستجاب للإنسان فيما سأل من الشر أو من الشيء الذي لا ينبغي لأهله وماله.

ومن المعلوم أن من المال الدواب والبهائم التي يشتريها الإنسان لحاجاته وأغراضه سواء أكانت للعمل والكد أو للرفاهية والتمتع، فحتى جرح البهائم بالكلام الذي هو الدعاء عليها كرهه النبي ﴿عَنْ﴾ فأى مراعاة لحقوق الحيوان أكثر من هذا؟

وأخرج ابن حبان في صحيحه من حديث أبي برزة الأسلمي: أَنَّ جَارِيَةً بَيْنًا هِيَ عَلَى بَعِيرٍ أَوْ رَاحِلَةٍ، عَلَيْهَا مَتَاعُ الْقَوْمِ بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَتَضَايِقُ بِهَا الْجَبَلَ، وَأَتَى عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﴿عَنْ﴾، فَلَمَّا أَبْصَرَتْهُ، جَعَلَتْ تَقُولُ: حَلِّ، اللَّهُمَّ الْعَنَّهُ، اللَّهُمَّ الْعَنَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﴿عَنْ﴾: «لَا تَصْحَبْنَا رَاحِلَةً عَلَيْهَا لَعْنَةٌ مِنَ اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

وهذا أيضاً فيه ما سبق وأن النبي ﴿عَنْ﴾ حرص على تعليم الجارية أن لا تسب البهائم، ولا تدعو عليها، بل إمعاناً في تعليمها هذا الأمر نهى عن ركوب الدابة التي لعنت ودعي عليها بذلك، بحيث يخشى أرباب الدواب والبهائم بعد ذلك أن يدعو عليها أو يلعنونها.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: ٤ / ٢٣٠٤ رقم ٣٠٠٩.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه: ١٣ / ٥٣ رقم ٥٧٤٣، قال المحقق الشيخ شعيب: (إسناده صحيح

على شرط الشيخين).

وقد بلغ من حرص المسلمين على تنفيذ وصية النبي ﷺ في ذلك أن الدابة التي لعنها بعضهم قد تركت ولم يجرؤ على ركوبها أحد، حتى ينزجر الناس عن سب دوابهم أو الدعاء عليهم.

وأخرج مسلم من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: (بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَامْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ، فَضَجَرَتْ فَلَعَنَتْهَا، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُّوَهَا، فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ» قَالَ عِمْرَانُ: فَكَأَنِّي أَرَاهَا الْآنَ تَمْشِي فِي النَّاسِ، مَا يَعْزُضُ لَهَا أَحَدٌ<sup>(١)</sup>).

سادساً: ومن ذلك نهيه عن التحريش بين البهائم:

ومن جوانب النهي عن إيذاء الحيوان ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ التَّحْرِيشِ بَيْنَ الْبَهَائِمِ)<sup>(٢)</sup>.

والتحريش بين البهائم هو أن يسلط بعضها على بعض، وأن يعمل على ذلك، كالكباش تتناطح أو الديكة تتناقر ويؤذي بعضها بعضاً، وذلك لما فيه من العيب؛ ولأن فيه إيذاء وإيلاًماً للحيوان، حيث إن الحيوان يؤلم الحيوان؛ فيترتب على ذلك كون الكباش ينطح الكباش بأن يضره ويلحق به ضرراً، والديك ينقر ديكاً آخر فيفقد عينه أو يلحق به ضرراً. فالعلة كونه فيه عيب وأيضاً ما يترتب عليه من إلحاق الضرر بالحيوان بسبب هذا التحريش، والحديث ضعيف، ولكن وإن كان هو ضعيف إلا أن المعنى صحيح، فلا يجوز أن يتسبب المرء في جعل الحيوان يؤذي حيواناً آخر، ولا أن يتلهى بذلك، وكون الإنسان يستمتع بالنظر إليها وهي تؤذي بعضها بعضاً، لا يجوز<sup>(٣)</sup>.

قال المناوي: (نَهَى عَنِ التَّحْرِيشِ بَيْنَ الْبَهَائِمِ): أي: الإغراء بينها

(١) أخرجه مسلم: ٤/ ٢٠٠٤ رقم ٢٥٩٥.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه: ٤/ ٢١٠ رقم ١٧٠٨ وضعفه الالباني في ضعيف الترمذي/ ١٧٠٨.

(٣) ينظر: معالم الرحمة بالحيوان: د. عبدالله الرشيد ص ١٦. ومعالم الرحمة بالحيوان في شريعة نبي الرحمة ﷺ: د. توفيق بن أحمد ص ١٢.

وتهييج بعضها على بعض وهل النهي للتحريم او التنزيه قولان، وأدخل في ذلك الزين العراقي مناطحة الثيران والكباش ومناقرة الديوك<sup>(١)</sup>.

## المطلب الثاني

### حقوق الحيوان بين الحضارة الإسلامية والغربية

مما يؤسف له أنه في إطار الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين من قبل الغرب نجدهم يطلقون الاتهامات المفرضة والخاطئة على الإسلام والمسلمين بالقسوة في معاملة الحيوانات، والمقارنة الموضوعية بين موقف الإسلام وبين ثقافتهم وممارستهم من هذه القضية تظهر كذب ادعاءاتهم وتناقض مواقفهم.

وإذا كانت الحضارة الغربية تزعم -أو يزعم لها- بأنها أول من أصّلت لمسألة الرفق بالحيوان؛ فهذا زعم باطل، فقبل أن يعرف العالم الرفق بالحيوان بأربعة عشر قرناً من الزمان أمر الإسلام أهله بالإحسان إلى الحيوان، والإحسان أعلى وأرقى وأعم من الرفق.

فالإسلام أول من أصّل رعاية الحيوان والرفق به في آداب راقية؛ منها ما هو واجب يأثم المرء إن لم يفعله، ومنها ما هو مندوب، لفاعله أجر وثواب ومغفرة.. فهل ترقى قواعد جمعيات الرفق بالحيوان إلى هذه الدرجة؟ كلا.. فجمعيات الرفق بالحيوان إنما تقوم على أسس أخلاقية صرفة، وقواعد إنسانية عامة، ليس لها أساس تشريعي ولا قوانين ملزمة، ولا يترتب على أعمالها ثواباً لممتثل، ولا عقوبة على مخالف، إلا ما يكون من رفع بعض القضايا للمحاكم للنظر فيها<sup>(٢)</sup>.

(١) التيسير شرح الجامع الصغير: للمناوي، ٢ / ٤٦٦

(٢) ينظر: معالم الرحمة بالحيوان: د. عبدالله بن محمد الرشيد، ص ٣٥.

ولئن كانت أول جمعية للرفق بالحيوان تأسست في بريطانيا عام (١٨٢٤م)، فقد عرفت الحضارة الإسلامية الرفق بالحيوان منذ قيامها، واستمر ذلك عبر تاريخها؛ وسجل الوقف الإسلامي سبقاً في إنشاء دور لرعاية الخيل، وأخرى لرعاية الحيوانات الضالة، وكان هناك أوقاف خاصة لتطبيب الحيوانات المريضة، وأوقاف لرعاية الحيوانات المسنة، قبل أن تعرف الحضارة الغربية الرفق بالحيوان بقرون عديدة<sup>(١)</sup>.

وقد بينا في المطالب السابقة وفي نصوص كثيرة، عظمة رحمة الإسلام بالحيوانات والرفق بها. وجاءت نصوص الكتاب الكريم والسنة المطهرة بالحث على الإحسان الشامل للحيوان مأكول اللحم وغير مأكوله، مع طائفة من الأحاديث مما صح في الوعيد لمعذبه سواء كان ذلك نتيجة تجويع أو إهمال أو غير ذلك. ذكرناها في مطلب سابق.

وبناء على النصوص الشرعية ومقتضياتها بؤب فقهاء الإسلام ما يجب ويستحب أو يحرم ويكره بخصوص الحيوان بوجه عام، وبما يتعلق بالذكاة لمباح الأكل بوجه تفصيلي خاص؛ ذلك لأن الله تعالى سخر الحيوان لخدمة الإنسان، فله ذبحه لمصلحة معتبرة؛ ولكن ليس له إيذاؤه أو الإضرار به لغير مصلحة شرعية، فقد أذن الإسلام للناس في الانتفاع بما يُنتفع به من الحيوان، ولم يأذن في غير ذلك؛ ولذلك كره صيد اللهو، وحرّم تعذيب الحيوان لغير أكله؛ وقد عدّ العلماء الاستطالة على الحيوان من الكبائر لورود اللعن على من يعذب الدواب، وإخبار النبي ﷺ بدخول المرأة التي حبست القطة النار، كما بينا سابقاً.

لقد شملت رحمة الإسلام ورعايته الحيوان الأعجم، لأن الله ﷻ سخره لخدمة الإنسان، ومن الواجب صيانة هذه النعمة حتى يدوم

(١) ينظر: الرحمة بالحيوان بين الإسلام وأدعياء الحضارة، محمد محمود إبراهيم، مقالة منشورة

على موقع ملتقى أهل التفسير على الرابط: <http://vb.tafsir.net/tafsir>.



الانتفاع بها، بل إن رحمته شملت الحيوانات الأخرى التي لا تظهر فيها المنفعة المباشرة في الأمور الأساسية للحياة، لأنها على كل حال مخلوقات تحس بما يحس به كل حيوان، ولها في الكون وظيفة خلقت لها .

وقد بلغ المسلمون في الرفق بالحيوان حدًا لا يكاد يُتصور، فقد روي في سيرة الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز أنه نهى عن ركض الفرس إلا لحاجة، وأنه كتب إلى صاحب السكك أن لا يلجموا واحدًا منها بلجام ثقيل، ولا ينخس بمقرعة في أسفلها حديدة؛ وكتب إلى واليه بمصر: إنه بلغني أن بمصر إبلًا نقلات يحمل على البعير منها ألف رطل، فإذا أتاك كتابي هذا فلا أعرفن أنه يحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل<sup>(١)</sup>.

فأين جمعيات الرفق بالحيوان من هذا الأدب العظيم؛ بل أين جمعيات الرفق بالحيوان مما يحصل للحيوانات من إيذاء وضرر في مسابقات وحشية قاسية؛ كتلك المعروفة بـ (مصارعة الثيران) والتي هي من أفكار الغرب؛ تلك المسابقات التي يجتهد فيها المصارع أن يقتل الثور تدريجيًا ليذيقه الموت البطيء، وذلك عن طريق رمي السهام في جسده، ورؤية دمائه تتفجر من كل جزء من بدنه، لا لشيء إلا لمجرد التسلية والاستمتاع!! وتقام هذه المصارعات في حلبات كبرى يشاهدها جمهور يستمتع بتعذيب الثور بهذه الطريقة البشعة؛ ويدعون ذلك ضربًا من الحضارة!! حتى إن الإحصائيات تشير إلى أن ما يقرب من ٣٥ ألف ثور يُعذَّب ويموت سنويًا في إسبانيا وحدها، ونحو ١٠ آلاف ثور في حلبات أوروبا .

وهناك مسابقات أخرى لا تقل قسوة في التحريش بين بعض الطيور والحيوانات كمصارعة الديوك والكباش وغيرها، واتخاذ بعض الحيوان والطيور غرضًا للتفافس رميًا بالرصاص .

(١) ينظر: سيرة عمر بن عبدالعزيز: لمحمد بن الحكم، ص ١٤١ .

وأين جمعيات الرفق بالحيوان عن الصعق الكهربائي للحيوانات، وضربها بالهراوات على رأسها حتى الممات، وتعذيبها لإزهاق أرواحها؟! ويزعمون أن ذلك أهون من الذبح الشرعي الذي يهرق الدم من غير إيذاء كالذي يفعلونه، أم أن ذبح المسلمين للأضاحي، وتقربهم إلى الله بذبح الهدى في الحج هو الشغل الشاغل لهذه الجمعيات التي تدعي الرفق بالحيوان؟! فليعلم هؤلاء أن رب العالمين الذي خلق الحيوان هو الذي أمر بهذا، وجعله شعيرة من شعائره، وهو أرحم بمخلوقاته ممن يدعي الرفق بالحيوان؛ وهي سنة من سنن الأنبياء والمرسلين، ولن يتخلى عنها المسلمون طال الزمن أم قصر، لأنه أمر من الله ﷻ القائل في محكم التنزيل ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبَهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ النُّقُوعُ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتَكُمْ وَيُنَبِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحج: ٣٥-٣٧].

من هنا يظهر جلياً الفرق الشاسع بين الحضارة الإسلامية وغيرها من الحضارات؛ تلك الحضارة العظيمة التي حرصت على إعطاء الحيوان حقه والاهتمام به، والإحسان في التعامل معه، وحرمت مظاهر القسوة والعنف ضده؛ في حين أن بعض الشرائع الأخرى لم تعط للحيوان الاهتمام والاحسان، وليس أدل على ذلك مما ورد في شرائع اليهود (المحرفة) من وجوب رجم الثور إذا نطح رجلاً فقتله!! ففي (سفر الخروج - إصحاح ٢١) : (إذا نطح ثور رجلاً أو امرأة، وأفضى ذلك إلى موت النطيح، وجب رجم الثور، وحرم أكل لحمه)<sup>(١)</sup>؛ وهذا النص صريح في اعتبار الثور أهلاً لاحتمال المسؤولية الجنائية، وفي اعتبار رجمه جزاءً بالمعنى القانوني الدقيق لكلمة الجزاء؛ بل وجدت محاكمات خاصة للحيوانات في شرائع

(١) سفر الخروج - إصحاح ٢١.



اليونان القديمة، ذكر فيها أفلاطون في (القوانين) أنه إذا قتل حيوان إنساناً كان لأسرة القتيل الحق في إقامة دعوى على الحيوان أمام القضاء!! وفي حالة ثبوت الجريمة على الحيوان، يجب قتله قصاصاً!!.

وفي القرون الوسطى كانت فرنسا أول دولة نصرانية أخذت في القرن الثالث عشر بمبدأ مسؤولية الحيوان ومعاقبته بجرمه أمام محاكم منظمة!! ثم تلتها سردينيا، ثم بلجيكا في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، وفي هولندا وألمانيا وإيطاليا في منتصف القرن السادس عشر الميلادي؛ وظل العمل به قائماً عند بعض الشعوب حتى القرن التاسع عشر الميلادي!!<sup>(١)</sup>.

فأين ذلك من إقرار الشريعة الإسلامية السمحاء مبدأ الإحسان إلى الحيوان والرفق به وجعل الآثار المترتبة على بعض أعماله من قتل وجرح هدرًا؛ لأنه لا يعقل، ولا يفعل ذلك عن قصد جنائي يؤاخذ به؟! وإذا كانت الشريعة الإسلامية تحرص على الإحسان في التعامل مع الحيوان، وإعطائه حقوقه، إلا أنها قررت -أيضاً- قتل الضار منه، وتحريم ما يؤدي الإنسان أكله؛ ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خَمَسُ فَوَاسِقُ، يُقْتَلَنَّ فِي الْحَرَمِ: الْعَقْرَبُ، وَالْفَأْرَةُ، وَالْحَدِيَّةُ، وَالْغُرَابُ، وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ)<sup>(٢)</sup>. وهذا هو التوازن الذي تسعد به البشرية حقاً.

فلا شك أن هدي الإسلام في الإحسان إلى الحيوان والرفق به هو الهدى التام؛ فقد جاء الإسلام بالوسطية في الأمور كلها، فهو وسط بين الإفراط والتفريط؛ ولذلك لم يبالغ في معاملة الحيوان إلى درجة يرقى فيها إلى درجة الإنسان، بل أمر بإعطائه حقه والإحسان إليه بما يناسبه.

(١) ينظر: الرحمة بالحيوان بين الإسلام وأدعياء الحضارة، محمد محمود إبراهيم، مقالة منشورة

على موقع ملتقى أهل التفسير على الرابط: <http://vb.tafsir.net/tafsir>

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: ٢ / ٨٥٧ رقم ١١٩٨.

فإن تبجح الغرب اليوم بإشادتهم بالرفق بالحيوان، حتى رأينا عندهم من بالغ في معاملة الحيوان لدرجة أنه يوصي بأمواله إلى كلب أو قط أو نحو ذلك، فيُحرم أقرب الناس إليه من ماله، ويجعل ذلك إلى الحيوانات مبالغة وغلواً؛ ورأينا أطعمة خاصة بالحيوانات بعضها أغلى مما يتناوله الإنسان؛ بل رأينا فنادق للكلاب والقطط، فأى مبالغات انتهى إليه من يفعل ذلك.

فإن تبجح هؤلاء بذلك فقد أمرنا الإسلام العظيم بالعدل والإحسان، ونهانا عن الظلم والعدوان؛ فجاءت شريعته صالحة لكل زمان ومكان، لأنها تعطي كل ذي حق حقه من غير إفراط ولا تفريط.

والعجيب أن الذين يتشدقون اليوم بحقوق الإنسان والرفق بالحيوان هم أكبر منتهك لحقوق الإنسان، وأعظم ظالم في التعامل مع الحيوان؛ فقد انتكست فطرة بعضهم فأصبحوا يخدمون الكلاب والقطط ويكرمونها؛ ولا يقيمون وزناً للإنسان الذي شرفه الله تعالى وفضله على كثير من مخلوقاته، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَمَمَلَنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٠].  
وبالمنظرة السريعة إلى بعض القوانين الغربية لرعاية الحيوانات نجد أن الإسلام كان سابقاً ومتفوقاً عليها في هذا المجال وهذا ما يظهر في سرد موجز لأهم محتويات هذه القوانين والتي تتمثل في التالي:

#### ١. الواجبات:

- وجوب إطعام الحيوانات.
- توفير المأوى المناسب.
- عدم الحد من الحركة.
- علاجها.

## ٢. الممنوعات:

- عدم التحميل فوق الطاقة.
- عدم الضرب.
- عدم تقديم أطعمة للحيوانات تسبب لها آلاما.
- تنظيم عملية قتل الحيوانات.
- تنظيم عملية ذبحها.
- منع البتر الكلى أو الجزئي لأحد أعضائها.
- منع التعذيب.

وبالنظر في هذه البنود نجد أن الإسلام سبق بها وفي تفوق واضح كما ظهر في المباحث السابقة.

٣. التناقض الواضح في الممارسات الغربية ويظهر ذلك على سبيل المثال في التشدد والتطرف نحو الدعاوى بعدم انتفاع الإنسان بالحيوان فيما خلق له من العمل أو أكل اللحوم، وكذا في معاملة بعض الحيوانات وعلى الأخص الكلاب والقطط بعناية فائقة تزيد على عنايتهم بأبنائهم، وفي الوقت الذي تزيد لديهم ثقافة التدليل وفرط العناية للقطط والكلاب لا يتورعون عن ممارسات قتل الآخرين من غير جنسياتهم في الحروب وفي تصدير النفايات السامة والملوثة إليهم.

٤. النظرة النفعية غير الأخلاقية سواء في صناعة الحيوانات، أو في الصيد الجائر، للحيوانات البرية في الدول الأخرى للحصول على الجلود والعاج والفراء، وفي التحريش بين البهائم.

ويتبين لنا من ذلك كله أن الإسلام بأصوله وفروعه وتطبيقاته يسبق

ويتفوق على جميع الحضارات في توفير الرعاية للحيوانات والرفق بها مما يجب معه على المسلمين الالتزام بدينهم وضبط سلوكهم وفق أحكامه وتوجيهاته حفاظًا على الهوية الثقافية لهم، كما في ذلك ما يرد على الدعاوى الظالمة للإسلام، وما أحوج العالم اليوم إلى هذه التعاليم الإسلامية للاستفادة منها في قيام حياة آمنة ورجدة يتحقق فيها التوازن بين الموجودات من إنسان وحيوان ونبات<sup>(١)</sup>.



(١) ينظر: حقوق الحيوان والرفق به في الشريعة الإسلامية: أ.د. أحمد الكبسي، ص ٢٤. وموسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي: عبد اللطيف عاشور ص ١٧.

## الخاتمة

أسأل الله العليّ القدير أن يحسن خاتمتنا في الأمور كلها، ويوفقنا في الدنيا والآخرة، والحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه، الذي أعانني على إنجاز هذا البحث، وفي الختام استخلص النتائج التالية:

١. الرحمة هي: (رِقَّةٌ في النفس، تبعث على سوق الخير لمن تتعدى إليه).
٢. الحيوان هو: (الجسم النامي الحساس المتحرك بالإرادة).
٣. يذكر القرآن الكريم الحيوانات في آيات عدة صراحةً فضلاً عن الإشارات الضمنية، وأسلوب تناولها في القرآن الكريم فيه دعوة إلى العناية بهذه الحيوانات ورعايتها وهو ما فصلت أساليبه وإجراءاته السنة النبوية الشريفة.
٤. السنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع في الإسلام بعد القرآن الكريم وهي مفسرة له ومفصلة لأحكامه وفي مجال رعاية الحيوانات والعناية بها نجد السنة النبوية الشريفة زاخرةً بأحاديث عدة تحث على الرحمة والرفق بالحيوانات وعدم إيذاؤها.
٥. لم تقف رحمته ﷺ عند حد الرحمة بالإنسان أيّاً كان، بل تعدت ذلك إلى الرحمة بالحيوان البهيم الذي لا يبين عن شكواه وآلامه.

٦. من خلال ما ورد في السنة النبوية من أحاديث يتبين أن الإسلام قد وضع القوانين وكان أساساً لجمعيات الرفق بالحيوان يقيمون عليه دعوتهم، وينهلون من معينه الوافر.
٧. اتفق العلماء على أنه لا تجوز الإساءة للحيوان وإيذائه، وعد بعض العلماء ذلك من الكبائر، وقد حرص النبي ﷺ على التحذير من إيذاء البهائم بأي نوع كان.
٨. مما يؤسف له أنه في إطار الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين من قبل الغرب نجدهم يطلقون الاتهامات المغرضة والخاطئة على الإسلام والمسلمين بالقسوة في معاملة الحيوانات، والمقارنة الموضوعية بين موقف الإسلام وبين ثقافتهم وممارستهم من هذه القضية تظهر كذب ادعاءاتهم وتناقض مواقفهم.
٩. يظهر جلياً الفرق الشاسع بين الحضارة الإسلامية وغيرها من الحضارات؛ تلك الحضارة العظيمة التي حرصت على إعطاء الحيوان حقه والاهتمام به، والإحسان في التعامل معه، وحرمت مظاهر القسوة والعنف ضده؛ في حين أن بعض الشرائع الأخرى لم تعط للحيوان الاهتمام والاحسان.
١٠. فلا شك أن هدي الإسلام في الاحسان إلى الحيوان والرفق به هو الهدي التام؛ فقد جاء الإسلام بالوسطية في الأمور كلها، فهو وسط بين الإفراط والتفريط؛ ولذلك لم يبالغ في معاملة الحيوان إلى درجة يرقى فيها إلى درجة الإنسان، بل أمر بإعطائه حقه والإحسان إليه بما يناسبه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم





## فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ١. الأخلاق الإسلامية وأسسها: عبدالرحمن حسن حبنكة، دار القلم- دمشق، ط١، ٢٠١٠.
- ٢. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: أحمد بن محمد القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧، ١٣٢٣هـ.
- ٣. التعريفات: علي الجرجاني، ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥.
- ٤. تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
- ٥. التفسير الكبير: حمد بن عمر الرازي المعروف بالفخر الرازي، المطبعة البهية-القاهرة، ١٣٥٧هـ.
- ٦. التمهيد: يوسف بن عبدالله ابن عبدالبر، وزارة الأوقاف-المغرب، ١٣٧٨هـ.
- ٧. التيسير بشرح الجامع الصغير: الإمام الحافظ زين الدين عبدالرؤوف المناوي، مكتبة الإمام الشافعي - الرياض، ط٣، - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٨. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم: عبدالرحمن بن شهاب الدين زين الدين أبو الفرج بن رجب الحنبلي، ت: شعيب الأرنؤوط/ إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٧، ١٩٩٧م.
- ٩. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي،

مؤسسة الرسالة-بيروت، ط ١، ٢٠٠٦.

١٠. حقوق الحيوان والرفق به في الشريعة الإسلامية: أ. د. أحمد الكيسي، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط ١، ١٩٧٦م.
١١. سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث أبو داود، ت: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر-بيروت.
١٢. سنن الترمذي: المسمى (الجامع الصحيح): محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
١٣. سيرة عمر بن عبدالعزيز: عبدالله بن الحكم المصري، ت: محمد عبيد، مكتبة وهبة القاهرة، ط ٢.
١٤. الصحاح: إسماعيل بن حماد الجوهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ١، ١٩٩٩م.
١٥. صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ت: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ - ١٩٨٧.
١٦. صحيح مسلم بشرح النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط ٢، ١٣٩٢.
١٧. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
١٨. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: بدر الدين أبو محمد محمود ابن أحمد العيني، ت: عبدالله محمود عمر، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م.
١٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ت: محب الدين الخطيب، دار



المعرفة- بيروت، ١٣٧٩هـ.

٢٠. فيض القدير شرح الجامع الصغير: محمد زين العابدين المناوي، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط١، ١٣٥٦.
٢١. الكبائر: محمد بن أحمد الذهبي، ت: مشهور بن حسن، مكتبة الفرقان - الإمارات ط٢، ٢٠٠٣م.
٢٢. الكليات: أيوب الكفومي، ت: عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م.
٢٣. لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري م، دار صادر-بيروت، ط١.
٢٤. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر- بيروت، ط٢، ١٤١٢.
٢٥. مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي، ت: محمود خاطر، مكتبة لبنان-بيروت ١٩٩٥.
٢٦. مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي بن سلطان القاري، دار الفكر، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
٢٧. المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، ت: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١١ - ١٩٩٠.
٢٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
٢٩. المصنف: عبدالرزاق بن همام الصنعاني، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، لمجلس العلمي-جنوب أفريقيا، ط١، ١٩٧٠م.
٣٠. معالم الرحمة بالحيوان في شريعة نبي الرحمة ﷺ: د. توفيق بن أحمد، بحث منشور ضمن مجموعة أبحاث مؤتمر الرحمة الذي

- نظمتها الجمعية العلمية السعودية ٢٠١٠ .
٣١. معالم الرحمة بالحيوان: د. عبدالله الرشيد، بحث منشور ضمن مجموعة أبحاث مؤتمر الرحمة الذي نظمتها الجمعية العلمية السعودية ٢٠١٠ .
٣٢. معالم الرحمة في السنة النبوية بالرفق بالحيوان: د. سليمان بن عبدالله السيف، بحث منشور ضمن مجموعة أبحاث مؤتمر الرحمة الذي نظمتها الجمعية العلمية السعودية ٢٠١٠ .
٣٣. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية، ط ١، ١٣٦٤ .
٣٤. مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الاصفهاني، ت: صفوان عدنان داودي، دار القلم-سوريا، ط ٤ ٢٠٠٩م .
٣٥. مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، ت: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط ٢، ١٩٩٩م .
٣٦. موسوعة الأعمال الكاملة: محمد الخضر حسين، دار النوادر، ط ١ .
٣٧. موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي: عبداللطيف عاشور، مكتبة القران-القاهرة، ط ١، ٢٠١٠ .
٣٨. الموسوعة العربية العالمية: مجموعة من العلماء والباحثين، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٩٩٩م .
٣٩. النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير أبو السعادات المبارك ابن محمد الجزري، ت: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .



## رحمة الرسول ﷺ بالمخالفين

إعداد:

د. فراج محمد فراج الرداس المطيري

أستاذ الفقه المساعد المنتدب في قسم الدراسات  
الإسلامية

بكلية التربية الأساسية

عضو هيئة التدريس في لجنة المناصحة

لتأهيل أصحاب الفكر المتطرف بوزارة الداخلية

الكويت



## المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد :

إن النبي صلى الله عليه بعثه الله سبحانه رحمة للعالمين، حيث تجلت رحمته عليه الصلاة والسلام في كيفية تعامله مع المخالفين، سواء أكان هؤلاء المخالفين من المسلمين أم من غير المسلمين، فحري بكل مسلم الاقتداء بالنبي ﷺ في تطبيق الرحمة لاسيما مع المخالفين؛ حتى نكون دعاة خير لمن ضل الطريق القويم، لذا سميت هذا البحث: (رحمة الرسول ﷺ بالمخالفين).

أولاً: أهداف البحث:

1. بيان أن الإسلام حث على الرحمة في التعامل مع الآخرين، وخاصة المخالفين، وخير من طبق ذلك واتصف بصفة الرحمة هو الرسول ﷺ.

٢. تسليط الضوء على كيفية تعامل الرسول ﷺ مع المخالف إن كان مسلماً؟

٣. توضيح كيف كان يتعامل الرسول ﷺ مع المخالف من غير المسلمين؟

### ثانياً: منهج البحث:

١. قمت بجمع المادة العلمية من مظانها، معتمداً على المصادر الأصلية، ولا أرجع إلى كتب المتأخرين إلا نادراً.

٢. رتبت هذه المادة على مباحث، حسب ما تقتضيه الصناعة المنهجية.

٣. حرصت على الإلمام بكل مسألة أطرحها، وجمع أطرافها، واستيفاء البحث فيها بشكل موجز.

٤. اعتمدت في توثيق النصوص والأقوال الواردة في البحث على كتب المتقدمين، فعند التوثيق أشير إلى اسم المصدر في الهامش مع ذكر الجزء والصفحة، ولا أذكر كتاباً متأخراً إلا إذا دعت الحاجة إليه، فما أذكره بنصه أضعه بين قوسين صغيرين.

٥. قمت بعزو الآيات إلى سورها، مع ذكر أرقام الآيات.

٦. خرجت الأحاديث والآثار الواردة في البحث، بذكر المصدر والجزء والصفحة، مع ذكر اسم الكتاب والباب ورقم الحديث أو الأثر، وأحياناً أذكر درجة الحديث عند الحاجة إليه.

٧. وضحت معاني الألفاظ، والمصطلحات الغريبة، معتمداً في ذلك على النقل عن أهل الاصطلاح.

٨. عرفت الأماكن المبهمة الواردة في البحث.





٩. التزمت بقواعد اللغة العربية والإملاء، مع الاهتمام بعلامات الترقيم.

### ثالثاً: خطة البحث:

المقدمة: وتشتمل على الأهداف، والمنهج، وخطة البحث التفصيلية.

المبحث الأول: تعريف الرحمة.

المطلب الأول: تعريف الرحمة لغة.

المطلب الثاني: تعريف الرحمة اصطلاحاً.

المبحث الثاني: الترغيب في الرحمة واتصاف الرسول ﷺ بها.

المطلب الأول: ترغيب الرسول ﷺ في الرحمة.

المطلب الثاني: اتصاف الرسول ﷺ بالرحمة.

المبحث الثالث: صور من رحمة الرسول ﷺ في التعامل مع المخالفين.

المطلب الأول: معنى المخالف.

المطلب الثاني: صور من رحمة الرسول ﷺ بالمخالف من المسلمين.

المطلب الثالث: صور من رحمة الرسول ﷺ بالمخالف من غير

المسلمين.

الخاتمة: وأتناول فيها أهم النتائج والتوصيات.

### رابعاً: الدراسات السابقة:

حسب اطلاعي المتواضع؛ لم أجد هناك دراسات علمية منشورة حول

هذا الموضوع.



## المبحث الأول تعريف الرحمة

### المطلب الأول تعريف الرحمة لغة

الرحمة في اللغة<sup>(١)</sup>: من رحم يرحم رحمة؛ وتعني: الرقة والتعطف والرفافة، والرحمن اسم من أسماء الله ﷻ؛ أي ذو الرحمة التي لا غاية بعدها في الرحمة، والرحمة لها عدة معان، منها:

#### ١. المغفرة:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ﴾ [التوبة: ٢].

#### ٢. الرزق:

ومنه قوله تعالى: ﴿أَتَبَعَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ [الإسراء: ٢٨].

#### ٣. العطف على القرابة:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ رَحْمًا﴾ [الكهف: ٨١].

(١) لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (١٢/ ٢٣٠ - ٢٣١)، مادة (رح م)، نشر دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى. وتهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى الهروي (٥/ ٢٣)، مادة (رح م)، تحقيق: محمد عوض مرعب، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ م.

## المطلب الثاني تعريف الرحمة اصطلاحاً

عرفت الرحمة في الاصطلاح الشرعي بعدة تعريفات، منها:

١- عرفت الرحمة بأنها: رقة تقتضي الإحسان للمرحوم<sup>(١)</sup>.

٢- وعرفت أنها: رقة في القلب وانعطاف<sup>(٢)</sup>.

٣- وعرفت أيضاً بأنها: صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد، وإن كرهتها نفسه وشقت عليها<sup>(٣)</sup>.

من التعريفات السابقة:

نجد أن التعريف الأول هو أرجح التعريفات السابقة من حيث الشمول والاختصار، وأكثرها تداولاً عند العلماء.



(١) المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد «المعروف بالراغب الأصفهاني» (ص ١٩١)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، نشر دار المعرفة، بيروت - لبنان. ولباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي «الشهير بالخازن» (٢/ ٢٤٢)، نشر دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. والتوقيف على مهمات التعاريف، لزين الدين عبدالرؤوف المناوي (ص ٣٦٠)، تحقيق: الدكتور محمد رضوان الدايدة، نشر دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، ودار الفكر، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

(٢) حاشية الشيخ علي الصعيدي العدوي على كفاية الطالب الرباني للشيخ علي بن خلف المنوفي على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (١/ ٤)، تحقيق: يوسف البقاعي، نشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤١٢هـ.

(٣) إغاثة اللهفان، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي «ابن القيم» (٢/ ١٧٤)، تحقيق: محمد حامد الفقي، نشر دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

## المبحث الثاني

### الترغيب في الرحمة واتصاف الرسول ﷺ بها

#### المطلب الأول

#### ترغيب الرسول ﷺ في الرحمة

وردت أحاديث للرسول ﷺ تحت على الرحمة، ومن هذه الأحاديث:

١. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قَبَلَ رسول الله ﷺ الْحَسَنَ بنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بنَ حَابِسِ التَّمِيمِيِّ رضي الله عنه جَالِسًا، فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشْرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا فَتَنْظُرْ إِلَيْهِ رسول الله ﷺ ثُمَّ قَالَ: مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يَرْحَمُ»<sup>(١)</sup>.

ووجه الدلالة:

أولاً: أن الرسول ﷺ رغب في رحمة الولد الصغير ومعانفته وتقبيله والرفق به وبيّن أنها من الأعمال التي يرضاها الله ويجازي عليها<sup>(٢)</sup>.  
ثانياً: دلّ الحديث بمنطوقه على أنه من لم يكن رحيماً لا يرحمه الله، ودل بمفهومه أن من كان رحيماً يرحمه الله<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - واللفظ له - (٢٢٣٥ / ٥)، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانفته، برقم (٥٦٥١)، تحقيق: الدكتور مصطفى ديب البغا، نشر دار ابن كثير - اليمامة، بيروت - لبنان. ومسلم

في صحيحه (٤ / ١٨٠٨)، كتاب الفضائل، باب رحمة ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، برقم (٢٣١٨)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

(٢) شرح صحيح البخاري، لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري (٩ / ٢١١)، تحقيق:

أبي تميم ياسر بن إبراهيم، نشر مكتبة الرشد، الرياض - السعودية، الطبعة الثانية، ١٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير، لزين الدين عبدالرؤوف المناوي (٢ / ٤٤٨)، =

ثالثاً: وفيه دلالة أيضاً على أن الجزاء يكون من جنس العمل.

٢. عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: «كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فَأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه وتُخبره: أن صبيّاً لها أو ابناً لها في الموت.

فقال للرّسول: ارجع إليها فأخبرها أن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجلٍ مسمى، فمرّها فلتصبر ولتحتسب. فعاد الرّسول فقال: إنّها قد أقسمت لتأتيها.

قال: فقام النبي صلى الله عليه وسلم وقام معه سعد بن عبادة رضي الله عنه ومعاذ بن جبل رضي الله عنه وانطلقت معهم، فرُفِعَ إليه الصبي ونفسه تقعّق كأنها في شنة؛ ففاضت عيّناه، فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟

قال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرّحماء»<sup>(١)</sup>.

ووجه الدلالة:

أولاً: الحديث فيه دلالة صريحة بأن رحمة الله عز وجل تختص بمن اتصف بها وطبقها<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: الاتصاف بالرحمة موجودة في قلوب عباد الله أكثر من غيرهم<sup>(٣)</sup>.

= نشر مكتبة الإمام الشافعي، الرياض - السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٤٣١)، كتاب الجنائز، باب قول النبي يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه... برقم (١٢٢٤). ومسلم في صحيحه - واللفظ له - (٢/ ٦٣٥)، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، برقم (٩٢٣).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٣/ ١٥٨)، تحقيق: محب الدين الخطيب، نشر دار المعرفة، بيروت - لبنان.

(٣) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي (٣/ ١٢٤)، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٣. عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال الرسول ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ أَهْلُ السَّمَاءِ»<sup>(١)</sup>.

وجه الدلالة:

الحديث فيه دلالة على أن الرحمة تكون لجميع الخلق؛ لأنها جاءت بصيغة العموم، وفيه أيضاً دلالة على أن الراحمين أهل لنيل رحمة الله ﷻ<sup>(٢)</sup>.

٤. عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا»<sup>(٣)</sup>.

(١) (٤) أخرجه عبدالله بن المبارك في مسنده (١ / ١٦٥)، برقم (٢٧٠)، تحقيق: وتعليق صبحي البدري السامرائي، نشر مكتبة المعارف، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. وأبو بكر عبدالله بن الزبير الحميدي في مسنده (٢ / ٢٦٩)، برقم (٥٩١). وأبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي في المصنف في الأحاديث والآثار (٥ / ٢١٤)، برقم (٢٥٣٥٥)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، نشر مكتبة الرشد، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ. والإمام أحمد بن حنبل في مسنده (٢ / ١٦٠)، برقم (٦٤٩٤)، نشر مؤسسة قرطبة، مصر. وأبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي في سننه (٤ / ٢٨٥)، كتاب الآداب، باب في الرحمة، برقم (٤٩٤١). وأبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي في سننه (٤ / ٢٢٢)، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين، برقم (١٩٢٤)، تحقيق: أحمد شاکر، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان. وأبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في السنن الكبرى (٩ / ٤١)، كتاب السير، باب ما على الوالي من أمر الجيش برقم (١٧٦٨٣)، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، نشر مكتبة الباز، مكة المكرمة - السعودية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

الحكم على الحديث: قال عنه الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

انظر: سنن الترمذي (٤ / ٢٢٢).

وقال الإمام الذهبي: «أبو قابوس عن مولاة عبدالله بن عمرو حديث: «الراحمون يرحمهم الرحمن» لا يعرف تفرد عنه عمرو بن دينار وقد صحح خبره الترمذي».

انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال لأبي عبدالله محمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

وقال عنه الألباني: «حسن لغيره». انظر: صحيح الترغيب والترهيب، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (٢ / ٥٤٩)، نشر دار المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن سلطان محمد الهروي القاري الحنفي (٩ / ١٨٢)، تحقيق: جمال عيتاني، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م. ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، لمحمد بن علي ابن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، نشر دار الجيل، بيروت - لبنان، ١٩٧٢م.

(٣) أخرجه الحميدي في مسنده (٢ / ٢٦٨)، برقم (٥٨٦). والإمام أحمد بن حنبل في مسنده (٢ / ١٨٥)، برقم (١٧٢٣). والإمام محمد بن إسماعيل البخاري في الأدب المفرد (ص ١٢٩)، =



وفي رواية: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا»<sup>(١)</sup>.

ووجه الدلالة:

يحث الرسول ﷺ على رحمة الصغير؛ لأن الصغير محل رحمة بسبب ضعفه، فمن قسا قلبه ولم يرحم صغير السن فليس من النبي ﷺ لمخالفته هديه<sup>(٢)</sup>.

٥. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَا تُتَزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ»<sup>(٣)</sup>.

= باب فضل الكبير، برقم (٣٥٤)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م. والحاكم أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري في المستدرک على الصحيحين (١/ ١٣١)، كتاب الإيمان، برقم (٢٠٩)، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م. والترمذي في سننه (٤/ ٣٢١)، برقم (١٩١٩)، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الصبيان، من حديث عبدالله بن عباس وأبو يعلى أحمد بن علي بن المشي الموصلي التميمي في مسنده (٧/ ٢٣٨)، برقم (٤٢٤٢)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. الحكم على الحديث: قال عنه الحاكم أبو عبدالله النيسابوري: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم فقد احتج بعبدالله بن عامر اليحصبي ولم يخرجاه». انظر: المستدرک للحاكم أبي عبدالله (١/ ١٣١).

وقال عنه الألباني: «صحيح». انظر: صحيح الترغيب والترهيب، للألباني (١/ ١٥٢).  
أخرجه الإمام محمد بن إسماعيل البخاري في الأدب المفرد (ص ١٣٠)، باب إجلال الكبير، برقم (٣٥٨)، من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنه. والترمذي في سننه (٤/ ٣٢١)، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الصبيان، برقم (١٩١٩)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، تحقيق: حسين سليم أسد، نشر دار المأمون للتراث، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م. والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٤٤٩)، برقم (١٢٢٧٦)، من حديث عبدالله بن عباس، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، نشر مكتبة الزهراء، الموصل - العراق، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م. الحكم على الحديث: قال الجرجاني: «قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا» قال لنا بن صاعد: وكانوا يرون أنه حديث متصل».

انظر: الكامل في ضعفاء الرجال، لأبي أحمد عبدالله بن عدي الجرجاني (٣/ ٢٧٩)، يحيى مختار غزاوي، نشر دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م. وقال الترمذي: «قال وفي الباب عن عبدالله بن عمرو وأبي هريرة وابن عباس وأبي أمامة، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب ورتبني له أحاديث من أنس بن مالك وغيره». انظر: سنن الترمذي (٤/ ٣٢١).

قال عنه الألباني: «صحيح». انظر: صحيح سنن الترمذي، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (٢/ ٣٤٩)، نشر دار المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي (٢/ ٣٢١).

أخرجه أبو داود سليمان بن داود الفارسي البصري الطيالسي في مسنده (ص ٣٣٠)، برقم (٢٥٢٩)، نشر دار المعرفة، بيروت - لبنان. وأبو الحسن علي بن الجعد الجوهري في مسنده (ص ١٢٩)، =

## وجه الدلالة:

رحمة الخلق هي سبب لنيل رحمة الله ﷻ؛ وهذه الرحمة لا تسلب إلا ممن لم يوفقه الله<sup>(١)</sup>.

ويتبين مما سبق:

١. أن الجزاء من جنس العمل، فمن يرحم الخلق؛ يرحمه رب الخلق.
٢. إن قسوة القلب وعدم الاتصاف بالرحمة، لا تكون إلا من إنسان لم يوفقه الله ﷻ لنيل رحمته.
٣. لأبد من رحمة الصغير وتقبيله والعطف عليه؛ كما كان هدي الرسول ﷺ؛ لأن ذلك سيفرس في طفل صفة الرحمة في التعامل مع غيره مستقبلاً.

= برقم (٨٨٩)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، نشر مؤسسة نادر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م. وابن أبي شيبه في مصنفه (٥/ ٢١٤)، كتاب الآداب، باب ما ذكر في الرحمة من الثواب، برقم (٢٥٢٦٠). والإمام أحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٤٤٢)، برقم (٩٧٠٠). والبخاري في الأدب المفرد (ص ١٣٦)، باب ارحم من في الأرض، برقم (٣٥٨). وأبو داود في سننه (٤/ ٢٨٦)، كتاب الآداب، باب في الرحمة، برقم (٤٩٤٢). والترمذي في سننه (٤/ ٣٢٣)، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين، برقم (١٩٢٣). وأبو يعلى في مسنده (١٠/ ٥٢٦)، برقم (٦١٤١). وأبو حاتم محمد بن حبان ابن أحمد التميمي البستي في صحيحه «المسمى بالتقاسيم والأنواع» (٢/ ٢١٣)، كتاب البر والإحسان، باب الرحمة، ذكر البيان بأن رحمة الله جل وعلا لا تنزع إلا من الأشقياء، برقم (٤٦٦)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م. وأبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني في المعجم الأوسط (٣/ ٥٤)، برقم (٢٤٥٣)، تحقيق: طارق بن عوض الله، وعبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، نشر دار الحرمين، القاهرة - مصر، ١٤١٥هـ. والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٦١)، كتاب قتال أهل البغي، باب ما على السلطان من القيام فيما ولي بالقسط والنصح للرحمة والشفقة بهم والشفقة عليهم والعتو عنهم ما لم يكن حداً، برقم (١٦٤٢٠).

الحكم على الحديث: قال عنه الترمذي: «هذا حديث حسن».

انظر: سنن الترمذي (٤/ ٣٢٣).

وقال المناوي: «وإسناده صحيح».

انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي (٢/ ٤٩٩).

مراجعة المفاتيح، للقاري (٩/ ١٨٢). وقيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير،

لزين الدين عبدالرؤوف المناوي (٢/ ٤٩٩)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى،

١٣٥٦هـ. وتحفة الأحوذ بشرح جامع الترمذي، لأبي العلا محمد بن عبدالرحيم المباركفوري

(٦/ ٤٢)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

(١)

١٥٢



## المطلب الثاني اتصاف الرسول ﷺ بالرحمة

وردت أدلة تدل على أن الرسول ﷺ كان يتصف بالرحمة، دلَّ على ذلك:

١. قال الله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٢. وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨].

٣. وقال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ [القلم: ٤].

ووجه الدلالة من الآيات: أنَّ الله عزوجل شهد بأن الرسول ﷺ كان على خلق عظيم، ومن هذه الأخلاق العظيمة للرسول ﷺ هو اتصافه بصفة الرحمة<sup>(١)</sup>.

٤. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قَبِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسِ التَّمِيمِيِّ رضي الله عنه جَالِسًا، فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنَّ لِي

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (٢/ ١٠٥)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان. وتفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله والصحابة والتابعين، للإمام عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي «المعروف بابن أبي حاتم» (٢/ ٨٠١)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، نشر المكتبة العصرية، صيدا - لبنان. وتفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي (ص ٣٥٧)، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م. والتسهيل لعلوم التنزيل، للإمام محمد بن جرير الكلبى (٢/ ٨٨)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م. وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للإمام محمد بن علي الشوكاني (٢٦٧/٥)، نشر دار الفكر، بيروت.

عَشْرَةَ مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا فَتَنَزَّرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»<sup>(١)</sup>.

٥. عن شداد بن الهاد الليثي رضي الله عنه قال: «خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي إِحْدَى صَلَاتِي الْعِشِيِّ الظُّهْرِ أَوْ الْعَصْرِ وَهُوَ حَامِلُ الْحَسَنِ أَوْ الْحُسَيْنِ فَتَقَدَّمَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَهُ، ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلَاةِ فَصَلَّى فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرَانِي صَلَاتِهِ سَجْدَةً أَطَالَهَا. فَقَالَ: إِنِّي رَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَرَجَعْتُ فِي سَجُودِي. فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةَ، قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانِي صَلَاتِكَ هَذِهِ سَجْدَةً قَدْ أَطَلْتَهَا؛ فَظَنْنَا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ أَوْ أَنَّهُ قَدْ يُوحَى إِلَيْكَ. قَالَ فَكُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ؛ وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي، فَكْرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ»<sup>(٢)</sup>.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٣٧٩ - ٣٨٠)، كتاب الفضائل، باب ما جاء في الحسن والحسين رضي الله عنهما، برقم (٣٢١٩١). والإمام أحمد بن حنبل في مسنده - واللفظ له - (٣/ ٤٩٣)، برقم (١٦٠٧٦). وأبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٢/ ١٧٨ - ١٨٨)، برقم (٩٣٤)، تحقيق: الدكتور باسم فيصل أحمد الجوابرة، نشر دار الراية - الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م. وأبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي في السنن الصغرى «المعروف بالمجتبى» (٢/ ٢٢٩)، كتاب التطبيق، باب هل يجوز أن تكون سجدة أطول من سجدة؟ برقم (١١٤١)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، نشر مكتب المطبوعات، حلب - سوريا، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م. والنسائي في السنن الكبرى (١/ ٢٤٣)، كتاب التطبيق، باب هل يجوز أن تكون سجدة أطول من سجدة؟ برقم (٧٢٧)، تحقيق: الدكتور عبدالغفار سليمان البندري، وسيد كسروي حسن، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م. وأبو يعلى في مسنده (٦/ ١٥٠)، برقم (٣٤٢٨)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. والطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٢٧٠)، برقم (٧١٠٧). والحاكم أبو عبدالله في المستدرک (٣/ ١٨١)، كتاب معرفة الصحابة، باب من مناقب الحسن والحسين ابني بنت رسول الله ﷺ، برقم (٤٧٧٥). والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٢٦٣)، جماع أبواب ما يجوز من العمل في الصلاة، باب الصبي يتوثب على المصلي ويتعلق بثوبه فلا يمنعه، برقم (٢٢٣٦).

الحكم على الحديث: قال عنه الحاكم أبو عبدالله: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

انظر: المستدرک الصحيحين، للحاكم أبي عبدالله (٣/ ١٨١).

وقال عنه الشيخ الألباني: «صحيح».

انظر: صحيح سنن النسائي، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (١/ ٣٧١)، نشر مكتبة المعارف،

الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

### ووجه الدلالة من الحديثين:

أولاً: هو اتصاف الرسول ﷺ بصفة الرحمة؛ حيث كان **الربُّ الرحيمًا** بأمته، يظهر ذلك جليا في تصرفاته مع غيره<sup>(١)</sup>.  
ثانياً: أن من لا يرحم الناس لا يرحمه الله عز وجل<sup>(٢)</sup>.

ويتبين مما سبق:

١. أن الرسول ﷺ كان يتصف بالأخلاق العظيمة، وقد شهد الله عز وجل له بذلك.
٢. أن الرسول ﷺ خير قدوة لنا في تطبيق الرحمة على غيره.
٣. حرص الرسول ﷺ على تطبيق الرحمة على الأطفال الصغار.
٤. أن الرسول ﷺ كان أكثر رحمة على أصحابه المؤمنين وكذلك على أمته من بعده.
٥. أن رحمة الرسول ﷺ سبب في هداية العباد، والسمع والطاعة له.



(١) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٩/ ٢١٩).

(٢) شرح صحيح مسلم، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (١٥/ ٧٧)، نشر، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

## المبحث الثالث صور من رحمة الرسول ﷺ في التعامل مع المخالفين

### المطلب الأول معنى المخالف

أولاً: تعريف المخالف لغة:

المخالف من المخالفة؛ وهو الشيطان لم يتفقا، ولم يتساويا<sup>(١)</sup>.

ثانياً: تعريف المخالف في اصطلاح علماء الشريعة:

هو العاصي إلى أن ينقضي أثر المعصية<sup>(٢)</sup>.

إذن من ذلك يتبين:

أن المخالف هو العاصي، الذي خالف فعله شريعة الإسلام، وهذا المخالف قد يكون مسلماً، وقد يكون غير مسلم.

(١) لسان العرب، لابن منظور (٩١ / ٩)، مادة (خ ل ف). والمعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبدالقادر ومحمد النجار (٢٥١ / ١)، مادة (خ ل ف). نشر دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية، القاهرة - مصر.

(٢) المسودة في أصول الفقه، لأئمة آل تيمية (مجد الدين أبو البركات عبدالسلام بن عبدالله الخضر، وشهاب الدين أبو المحاسن عبدالحليم بن عبدالسلام، وشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم الحراني) (ص ٧٨)، تحقيق: محيي الدين عبدالحميد، نشر مطبعة المدني، القاهرة - مصر. والتحرير شرح التحرير في أصول الفقه الحنبلي، لأبي الحسن علي بن سليمان المرادوي (٩٧٣ / ٢)، دراسة وتحقيق: د. عبدالرحمن الجبرين، ود. عوض القرني، ود. أحمد السراج، نشر مكتبة الرشد، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

## المطلب الثاني

### صور من رحمة الرسول ﷺ بالمخالف من المسلمين

كان النبي ﷺ رحيماً مع المخالفين من المسلمين، يحلم عليهم، ويبين لهم الخطأ بكل رأفة وشفقة، فمن صور ذلك:

١. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بُردٌ نجراني غليظ الحاشية، فادركه أعرابي فجبذه بردائه جبدة شديدة؛ حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه رسول الله ﷺ، ثم ضحك، ثم أمر له بعتاء»<sup>(١)</sup>.

ووجه الدلالة: أن في الحديث دلالة على رحمة النبي ﷺ وحلمه مع من وقعت منه الغلظة في التعامل مع غيره من عوام المسلمين.

٢. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابياً بال في المسجد فثار إليه الناس ليقعوا به، فقال لهم رسول الله ﷺ: «دعوه وأهريقوا على بوله ذنوباً من ماءٍ أو سَجلاً من ماءٍ فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد. فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مه مه. قال: قال رسول الله ﷺ: لا تزرموه دعوه، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه، فقال له: إن هذه المساجد لا تصلح لشيءٍ من هذا البول ولا القذر؛ إنما هي لذكر

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - واللفظ له - (٢١٨٨ / ٥)، كتاب اللباس، باب البرود والحبرة والشملة، برقم (٥٤٧٢). ومسلم في صحيحه (٧٢٠ / ٢)، كتاب الزكاة، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة، برقم (١٠٥٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٢٧٠ / ٥)، كتاب اللباس، باب قول النبي ﷺ يسروا ولا تعسروا وكان يحب التخفيف واليسر على الناس، برقم (٥٧٧٧).

اللَّهُ ﻋَﻠَﻴْكَ، وَالصَّلَاةَ، وَقِرَاءَةَ الْقُرْآنِ، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قَالَ:  
فَأَمَرَ رَجُلًا مِنْ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ»<sup>(١)</sup>.

ووجه الدلالة: أن الحديث فيه دلالة على رحمة النبي ﷺ ورفقه  
ونصحه للمخالف من المسلمين؛ إن وقع ذلك جهلاً منهم<sup>(٢)</sup>.

٣. عن أبي أمامة ﷺ قال: «أَنْ فَتَى شَابًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ  
اللَّهِ أَتَدْنُ لِي بِالزَّنَا. فَأَقْبَلَ الْقَوْمَ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، وَقَالُوا: مَهْ مَهْ. فَقَالَ:  
أَدْنَهُ فَدَنَّا مِنْهُ قَرِيبًا. قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِأَمِّكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ،  
جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسَ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ  
لِأَبْنَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا  
النَّاسَ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِأَخْتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ  
فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسَ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ:  
لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسَ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ. قَالَ:  
أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَاتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسَ  
يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ. قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ  
قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَقِ إِلَى شَيْءٍ»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٢٢٦)، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات  
إذا حصلت في المسجد وأن الأرض تطهر بالماء من غير حاجة إلى حفرها، برقم (٢٨٥).

(٢) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٩/ ٢٢٥ - ٢٢٦).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (٥/ ٢٥٦)، برقم (٢٢٢٦٥). وأبو القاسم سليمان بن  
أحمد بن أيوب الطبراني في مسند الشاميين (٢/ ١٢٩)، برقم (١٠٦٦)، تحقيق: حمدي بن  
عبدالمجيد السلفي، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.  
والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ١٦٢)، برقم (٧٦٧٩). وأبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في  
الجامع لشعب الإيمان (٤/ ٣٦٢)، برقم (٥٤١٥)، تحقيق: محمد السعيد بيسوني زغلول، نشر دار  
الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

الحكم على الحديث: قال عنه الهيثمي: «ورجاله رجال الصحيح».

انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي (١/ ٢٩)، نشر دار الكتاب  
العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠٧هـ.

وقال عنه الألباني: «وهذا سند صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال الصحيح».

انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني  
(٧١٢/ ١)، نشر مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.



ووجه الدلالة: أن في الحديث دلالة على رحمة النبي ﷺ ونصحه بكل شفقة لمن وقع في المعاصي من عوام المسلمين.

٤. عن معاوية بن الحكم رضي الله عنه قال: «صَلَّيْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَعَطَسَ رَجُلٌ مِّنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ. فرماني القومُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَأَتَكَلَّ أُمِّيَاءَ مَا شَأْنُكُمْ تَتَطَرُّونَ إِلَيَّ. قال: فَضَرَبُوا بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْحَادِهِمْ، فلما رَأَيْتَهُمْ يُصِمُّونِي؛ سَكَتُ حَتَّى صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فدعاني، قال: فبأبي وأمي، ما رأيت مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فما ضربني وَلَا كَهْرَنِي<sup>(١)</sup> وَلَا سَبَنِي. وقال: إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ؛ هَذَا إِنَّمَا هِيَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ»<sup>(٢)</sup>.

ووجه الدلالة: أن في الحديث دلالة على رحمة النبي ﷺ وإرشاده باللين لمن وقع في الخطأ.

ويتبين مما سبق:

١. أن الرسول ﷺ من رحمته أنه كان حليماً في تعامله مع من يعامله بغلظة من عوام المسلمين.

٢. أن الرسول ﷺ من رحمته أنه كان ليناً في نصحه للمخالف من

(١) الكهر: الانتهاز.

انظر: غريب الحديث، لأبي عبيدة القاسم بن سلام الهروي (١/ ١١٤)، تحقيق: الدكتور محمد عبدالمعيد خان، نشر دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده - واللفظ له - (٥/ ٤٤٨)، برقم (٢٣٨١٦). وأبو داود في سننه (١/ ٢٤٤)، كتاب الصلاة، باب تسميت العاطس في الصلاة، برقم (٩٣٠). وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٣/ ٨٢)، برقم (١٣٩٨). وأبو عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفرائيني في مسنده (١/ ٤٤٦)، كتاب الصلاة، بيان حظر الكلام في الصلاة بعد إباحتها فيها والدليل على أن من تكلم فيها على الخطأ وفي الموضوع الذي يظن أنه جائز له كانت صلاته جائزة وإباحة رد السلام إشارة بيده، برقم (١٧٢٨). والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٤٠١)، برقم (٩٤٥).

الحكم على الحديث: قال عنه الألباني: «إسناده صحيح على شرط الشيخين». انظر: صحيح سنن أبي داود، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (٤/ ٨٧ - ٨٨)، نشر مؤسسة غراس، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

المسلمين إن كان جاهلاً.

٣. أن الرسول ﷺ من رحمته أنه كان مشفقاً في نصحه على من وقع في المعاصي من عوام المسلمين.

### المطلب الثالث

## صور من رحمة الرسول ﷺ بالمخالف من غير المسلمين

كان النبي رحيمًا حتى مع المخالفين له في الدين من غير المسلمين، تجلى ذلك واضحًا في سيرته العطرة، فمن صور ذلك:

١. عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ، قالت للنبي ﷺ: «هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على بن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي؛ فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل. فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال؛ لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال، فسلم علي، ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين<sup>(١)</sup>. فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»<sup>(٢)</sup>.

(١) الأخشب: الجبل الغليظ، فأما تشية الأخشب فلأن مكة بين جبلين، وهما جبلا مكة أبو قبيس والجبل الذي يقابله.

انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين، لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (٤ / ٢٨٣)، تحقيق: علي حسين البواب، نشر دار الوطن، الرياض - السعودية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م. وشرح صحيح مسلم، للنووي (١٢ / ١٥٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - واللفظ له - (٣ / ١١٨٠)، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقته إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، برقم (٣٠٥٩).





٢. عن أبي هريرة رضي الله عنه لما فتح النبي ﷺ مكة، قال: «... يا معشر قريش ما تقولون؟ قالوا: نقول ابن أخ وابن عم رحيم كريم. ثم عاد عليهم القول، قالوا مثل ذلك. قال: فإني أقول كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، فخرجوا فبايعوه على الإسلام...»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية: «قال لهم حين اجتمعوا في المسجد: ما ترون أنني صانع بكم؟ قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء»<sup>(٢)</sup>.

ووجه الدلالة: أن في الحديثين دلالة واضحة على رحمة النبي ﷺ وتسامحه مع المخالفين له من غير المسلمين، لعل الله يكتب لهم الهداية، فلا عجب فهو الرحمة المهداة للبشرية.

٣. عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً ولا صغيراً ولا امرأة ولا تغلوا وضمو غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين»<sup>(٣)</sup>.

= ومسلم في صحيحه (٢/ ١٤٢٠)، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، برقم (١٧٩٥).

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى - واللفظ له - (٦/ ٣٨٢)، سورة الرعد، قوله تعالى: (جاء الحق وزهق الباطل)، برقم (١١٢٩٨). وأبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي في الوفا في أحوال المصطفى (ص ٤٢٦)، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

الحكم على الحديث: قال عنه العراقي: «وفيه ضعف».

انظر: المغني عن حمل الأسفار في الأسيار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار، لأبي الفضل زين الدين عبدالرحيم بن الحسين العراقي (١/ ١٠٨٠)، نشر دار ابن حزم، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١١٨)، كتاب السير، باب فتح مكة حرسها الله تعالى، برقم (١٨٠٥٥).

الحكم على الحديث: قال عنه الألباني: «ضعيف».

انظر: فقه السيرة، للإمام محمد الغزالي (ص ٣٨٢)، تحقيق: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر دار القلم، دمشق - سوريا، الطبعة السابعة، ١٩٩٨م.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه - واللفظ له - (٣/ ٢٧)، كتاب الجهاد، باب في دعاء المشركين، برقم (٢٦١٤).

والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٩٠)، كتاب السير، باب ترك قتل من لا قتال فيه من الرهبان والكبير وغيرهما، برقم (١٧٩٣٢).



٤. عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيوشه قال: **اخرجوا بسم الله تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله، لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع** <sup>(١)</sup>.

ووجه الدلالة: أن في الحديثين دلالة صريحة على رحمة النبي ﷺ بالمدينين من أصحاب الصوامع والشيوخ والأطفال والنساء من غير المسلمين في أثناء الحروب، وفيه دلالة واضحة أيضاً على أن الإسلام هو دين رحمة لا دين سفك الدماء.

٥. عن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: «دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ، فقالوا: السام عليكم. قالت عائشة: ففهمتها: فقلت: وعليكم السام واللعة، قالت: فقال رسول الله ﷺ: مهلاً يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله. فقلت: يا رسول الله: أو لم تسمع ما قالوا، قال رسول الله ﷺ: قد قلت: وعليكم» <sup>(٢)</sup>.

= الحكم على الحديث: قال الشوكاني: «وفي إسناده خالد بن الفرز وفيه مقال».

انظر: السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (٤/ ٥٢١)، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م. وقال عنه الألباني: «ضعيف».

انظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ص ١٩٤)، نشر المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده - واللفظ له - (١/ ٣٠٠)، برقم (٢٧٢٨). وأبو يعلى في مسنده (٤/ ٤٢٢)، برقم (٢٥٤٩). والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٢٢٤)، برقم (١١٥٦٢). الحكم على الحديث: في سنده إبراهيم بن أبي حبيبة، قال عنه ابن طاهر: «متروك الحديث». انظر: ذخيرة الحفاظ المخرج على الحروف والألفاظ، للشيخ محمد بن طاهر المقدسي (٤/ ٢٠٥٢)، تحقيق: الدكتور عبدالرحمن الفريوائي، نشر دار السلف، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

وقال ابن حجر العسقلاني: «إبراهيم بن أبي حبيبة وهو ضعيف».

انظر: لسان الميزان، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٤/ ٣٨٧)، نشر مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

أخرجه البخاري في صحيحه - واللفظ له - (٥/ ٢٢٤٢)، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، برقم (٥٦٧٨). ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٠٦)، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، برقم (٢١٦٥).



ووجه الدلالة: الحديث فيه دلالة على رحمة النبي ﷺ حتى مع من يسيء إليه من غير المسلمين، بل كان يتعامل بالرفق ويدفع بالتي هي أحسن<sup>(١)</sup>.

ويتبين مما سبق:

١. أن الرسول ﷺ من رحمته أنه كان متسامحاً مع المخالفين له من غير المسلمين؛ لترغيبهم في الإسلام.
٢. أن الرسول ﷺ من رحمته أنه كان حريصاً على عدم إيذاء غير المسلمين من المدنيين في أثناء الحروب؛ ليقرر أن دين الإسلام دين رحمة لا دين قتل وسفك دماء.
٣. أن الرسول ﷺ من رحمته أنه كان حليماً يدفع بالتي أحسن إلى من يسيء إليه، عملاً بقوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].



## الخاتمة

تتويجاً لهذا البحث أختمه بخاتمة أذكر فيها أهم النتائج والتوصيات:

### أولاً: النتائج:

١. الرحمة هي رقة تقتضي الإحسان للمرحوم.
٢. أن الجزاء من جنس العمل، فمن يرحم الخلق؛ يرحمه رب الخلق.
٣. إن قسوة القلب وعدم الاتصاف بالرحمة، لا تكون إلا من إنسان لم يوفقه الله عزوجل لنيل رحمته.
٤. لا بد من رحمة الصغير وتقبيله والعطف عليه؛ كما كان هدي الرسول ﷺ؛ لأن ذلك سيغرس في الطفل صفة الرحمة في التعامل مع غيره مستقبلاً.
٥. أن الرسول ﷺ كان يتصف بالأخلاق العظيمة، وقد شهد الله عزوجل له بذلك.
٦. أن الرسول ﷺ خير قدوة لنا في تطبيق الرحمة على غيره.

٧. حرص الرسول ﷺ على تطبيق الرحمة على الأطفال الصغار.
٨. أن الرسول ﷺ كان أكثر رحمة على أصحابه المؤمنين وكذلك على أمته من بعده.
٩. أن رحمة الرسول ﷺ سبب في هداية العباد، والسمع والطاعة له.
١٠. أن المخالف هو العاصي، الذي خالف فعله شريعة الإسلام، وهذا المخالف قد يكون مسلمًا، وقد يكون غير مسلم.
١١. أن الرسول ﷺ من رحمته أنه كان حليماً في تعامله مع من يعامله بغلظة من عوام المسلمين.
١٢. أن الرسول ﷺ من رحمته أنه كان ليناً في نصحه للمخالف من المسلمين إن كان جاهلاً.
١٣. أن الرسول ﷺ من رحمته أنه كان مشفقاً في نصحه على من وقع في المعاصي من عوام المسلمين.
١٤. أن الرسول ﷺ من رحمته أنه كان متسامحاً مع المخالفين له من غير المسلمين؛ لترغيبهم في الإسلام.
١٥. أن الرسول ﷺ من رحمته أنه كان حريصاً على عدم إيذاء غير المسلمين من المدنيين في أثناء الحروب؛ ليقرر أن دين الإسلام دين رحمة لا دين قتل وسفك دماء.
١٦. أن الرسول ﷺ من رحمته أنه كان حليماً يدفع بالتّي أحسن إلى من يسيء إليه، عملاً بقوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٢٤].

## ثانياً: التوصيات:

أهم التوصيات، وهي كما يلي:

١. لابد من التخلق والاتصاف بالرحمة في التعامل مع الخلق، رجاء نيل رحمة الله عز وجل.

٢. تطبيق الرحمة يكون في التعامل مع المسلم وغير المسلم.

٣. تطبيق الرحمة يكون لجميع الخلق بما فيهم الحيوانات، ولا يكون فقط ذلك محصوراً على الإنسان.

هذا وأسأل الله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يوفقني للعلم النافع والعمل الصالح.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.



## فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. الأحاد والمثاني: لأبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم (ت ٢٨٧هـ)، تحقيق: الدكتور باسم فيصل أحمد الجوابرة، نشر: دار الراية، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٣. الأدب المفرد: للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، نشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٤. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١هـ)، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
٥. إغاثة اللهفان: لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي «ابن القيم» (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، نشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
٦. التعبير شرح التحرير في أصول الفقه الحنبلي: لأبي الحسن علي ابن سليمان المرادوي (ت ٨٨٥هـ)، دراسة وتحقيق: د. عبدالرحمن الجبرين، ود. عوض القرني، ود. أحمد السراج، نشر: مكتبة الرشد، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٧. تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي: لأبي العلام محمد بن عبدالرحيم المباركفوري (ت ١٣٥٣هـ)، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
٨. التسهيل لعلوم التنزيل: للإمام محمد بن جزي الكلبى (ت ٧٤١هـ)،

- نشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٩. تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله والصحابة والتابعين: للإمام عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي «المعروف بابن أبي حاتم» (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، نشر: المكتبة العصرية، صيدا - لبنان.
١٠. تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي (٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
١١. التوقيف على مهمات التعاريف: لزين الدين عبدالرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رضوان الداية، نشر: دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، ودار الفكر، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
١٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للشيخ عبدالرحمن ابن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
١٣. التيسير بشرح الجامع الصغير: لزين الدين عبدالرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ)، نشر: مكتبة الإمام الشافعي، الرياض - السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٤. الجامع لشعب الإيمان: لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد السعيد بيسوني زغلول، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
١٥. حاشية الشيخ علي الصعيدي العدوي على كفاية الطالب الرباني للشيخ علي بن خلف المنوفي على رسالة ابن أبي زيد القيرواني،





- تحقيق: يوسف البقاعي، نشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤١٢هـ.
١٦. ذخيرة الحفاظ المخرج على الحروف والألفاظ: للشيخ محمد ابن طاهر المقدسي (ت ٥٠٧هـ)، تحقيق: الدكتور عبدالرحمن الفريوائي، نشر: دار السلف، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
١٧. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت ٩٤٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
١٨. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر: مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
١٩. سنن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، نشر: دار الفكر، بيروت - لبنان.
٢٠. سنن الترمذي « الجامع الصحيح »: لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
٢١. السنن الكبرى: لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، نشر: مكتبة الباز، مكة المكرمة - السعودية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٢٢. السنن الكبرى: لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: الدكتور عبدالغفار سليمان البندري، وسيد كسروي حسن، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٢٣. سنن النسائي الصغرى المعروف بالمجتبى: لأبي عبدالرحمن أحمد ابن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، نشر: مكتب المطبوعات، حلب - سوريا، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٢٤. السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار: لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٢٥. شرح صحيح البخاري: لأبي الحسن علي بن خلف بن عبدالملك بن بطلال البكري (ت ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، نشر: مكتبة الرشد، الرياض - السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ - ٢٠٠٣م.
٢٦. شرح صحيح مسلم: لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.
٢٧. صحيح ابن حبان (المسمى بالتقاسيم والأنواع): لأبي حاتم محمد بن حبان ابن أحمد التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٢٨. صحيح البخاري «المسمى بالجامع الصحيح»: لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور مصطفى ديب البغا، نشر: دار ابن كثير - اليمامة، بيروت - لبنان.
٢٩. صحيح الترغيب والترهيب: للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر: دار المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٣٠. صحيح سنن أبي داود: للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر: مؤسسة غراس، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٣١. صحيح سنن الترمذي: للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر:



- دار المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٣٢. صحيح سنن النسائي: للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر: مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٣٣. صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
٣٤. ضعيف الجامع الصغير وزياداته: للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر: المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٣٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري: للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: محب الدين الخطيب، نشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان.
٣٦. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: للإمام محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، نشر: دار الفكر، بيروت.
٣٧. فقه السيرة: للإمام محمد الغزالي، تحقيق: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر: دار القلم، دمشق - سوريا، الطبعة السابعة، ١٩٩٨م.
٣٨. فيض القدير لزين الدين عبدالرؤف المناوي (ت ١٠٣١هـ) شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير للحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، نشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ.
٣٩. الكامل في ضعفاء الرجال: لأبي أحمد عبدالله بن عدي بن عبدالله ابن محمد الجرجاني (ت ٣٦٥هـ)، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، نشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
٤٠. كشف المشكل من حديث الصحيحين: لأبي الفرج عبدالرحمن بن

- الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: علي حسين البواب، نشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٤١. لباب التأويل في معاني التنزيل: لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي «الشهير بالخازن» (ت ٧٢٥هـ)، نشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٤٢. لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، نشر: دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.
٤٣. لسان الميزان: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، نشر: مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٤٤. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠٧هـ.
٤٥. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: لعلي بن سلطان محمد الهروي القاري الحنفي (ت ١٠١٤هـ)، تحقيق: جمال عيتاني، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٤٦. المستدرك على الصحيحين: للحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
٤٧. مسند ابن الجعد: لأبي الحسن علي بن الجعد الجوهري (ت ٢٣٠هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، نشر: مؤسسة نادر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٤٨. مسند أبي عوانة: للإمام يعقوب بن إسحاق الإسفرائيني (ت ٣١٦هـ)، نشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان.
٤٩. مسند أبي يعلى: للإمام أحمد بن علي بن المثنى الموصلية التميمي



- (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، نشر: دار المأمون للتراث، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٥٠. مسند الإمام أحمد: لأبي عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، نشر: مؤسسة قرطبة، مصر.
٥١. مسند الحميدي: لأبي بكر عبدالله بن الزبير الحميدي (ت ٢١٩هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
٥٢. مسند الشاميين: لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
٥٣. مسند الطيالسي: لأبي داود سليمان بن داود الفارسي البصري الطيالسي (ت ٢٠٤هـ)، نشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان.
٥٤. مسند عبدالله بن المبارك (ت ١٨١هـ)، تحقيق: وتعليق: صبحي البدري السامرائي، نشر: مكتبة المعارف، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧هـ.
٥٥. المسودة في أصول الفقه: لأئمة آل تيمية (مجد الدين أبو البركات عبدالسلام بن عبدالله الخضر، وشهاب الدين أبو المحاسن عبدالحليم ابن عبدالسلام، وشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم الحراني)، تحقيق: محيي الدين عبدالحميد، نشر: مطبعة المدني، القاهرة - مصر.
٥٦. المصنف في الأحاديث والآثار: لأبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبه الكوفي (ت ٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، نشر: مكتبة الرشد، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
٥٧. المعجم الأوسط: لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني

- (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله، وعبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، نشر: دار الحرمين، القاهرة - مصر، ١٤١٥هـ.
٥٨. المعجم الكبير: لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، نشر: مكتبة الزهراء، الموصل - العراق، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.
٥٩. المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار: لأبي الفضل زين الدين عبدالرحيم بن الحسين العراقي (ت ٨٠٦هـ)، نشر: دار ابن حزم، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٦٠. المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد «المعروف بالراغب الأصفهاني» (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاي، نشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان.
٦١. ميزان الاعتدال في نقد الرجال: لأبي عبدالله محمد بن أحمد ابن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨)، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
٦٢. نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار: لمحمد بن علي ابن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، نشر: دار الجيل، بيروت - لبنان، ١٩٧٣م.
٦٣. الوفا في أحوال المصطفى: لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.



# رحمة النبي ﷺ بالمنافقين

## دراسة قرآنية

إعداد:

د. فوزية بنت صالح بن محمد الخليفي  
مساعد وكيل جامعة الأميرة نورة بنت  
عبد الرحمن للشؤون التعليمية  
وأستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك  
بقسم الدراسات الإسلامية





## المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد :

بعث الله نبيه ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الضلالة إلى الهدى، ولقد حرص النبي ﷺ من أول يوم أرسل فيه وأمر بالتبليغ على هداية قومه وعلى إيصال هذا النور إلى كل بيت من بيوت مكة بل إلى كل فرد بعينه، وبلغ من حرصه ﷺ على هدايتهم غاية حتى عاتبه الله ﷻ بقوله: ﴿ فَلَعَلَّكَ بِنِعْمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: 6].

ولقد كان دافع هذا الحرص هو الرحمة الموصوف بها ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، إذ صفة الرحمة من أخص الصفات التي وصف بها وله منها الحظ الأكبر.

ولأن رحمته كانت عامة للعالمين لم تقتصر على المؤمنين فقط، حيث شملت أعدائه من جميع الصنوف ومنهم المنافقين، رأيت الكتابة عن

ذلك في هذا البحث وجعلت عنوانه: (رحمة النبي ﷺ بالمنافقين: دراسة قرآنية)، لإبراز رحمته ﷺ بهم من خلال دراسة آيات قرآنية ذكرها الله ﷻ في كتابه الكريم دالة على ذلك.

### الهدف من البحث:

خدمة كتاب الله والغوص في درره واستخراج بعض كنوزه، ومعرفة كيف كان ﷺ يعامل المنافقين بما يشبه معاملة المهتدين من الرحمة والرفق ومقابلة الإساءة بالعفو أو الإحسان؛ فهو عاملهم على ظواهرهم دونما بحث عما تُكِنُّه سرائرهم، وتتطوي عليه دخائل نفوسهم، هو ﷺ القدوة المرتضاة من الله تعالى لكافة البشر ورحمة العالمين وأساس سلم العالم.

### أهمية البحث:

تتأكد أهمية البحث لكونه يتناول آيات رحمة النبي ﷺ بالمنافقين، ومعانيها العظيمة التي اشتملت عليها.

### أسباب اختياره:

1. شرف الموضوع لارتباطه بالقرآن الكريم وتعلقه بنبي الرحمة ﷺ.
2. إبراز شيئاً من سيرة النبي ﷺ العطرة الحافلة بالمآثر والمليئة بالمكرمات، المفعمة بالفضائل، فهي مدخر الدروس التي تنبض بالنور، وترشد إلى الخير والسلام، وتوقظ الهمم، وتشجذ العزائم، وتذكي الإيمان، وترسم الطريق إلى مرضاة الله.
3. أن موضوع رحمة النبي ﷺ بالمنافقين من الموضوعات التي ينبغي أن تتشر في هذا الزمان الذي سادت فيه بعض المعلومات المغلوطة والمكذوبة على نبينا ﷺ، والتي اتهم فيها بأنه رجل حرب، غليظ القلب، وأن الدين الذي جاء به هو دين العنف والرهبة والقتال.

٤ . تزويد المكتبة الإسلامية بدراسة قرآنية تتجلي فيها رحمة النبي ﷺ بالمنافقين؛ ليستلهم منها القارئ الكريم الدروس والعبر ويستفيد من هدي الرسول ﷺ في معاملاته وفي جميع شؤون حياته ﷺ .

### منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي الاستنباطي.

### خطة البحث:

سأقسم البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهارس علمية على النحو التالي:

المقدمة: وفيها الهدف من البحث وأهميته وأسباب اختياره، ومنهج البحث، وخطة البحث، وخطوات البحث.

التمهيد: ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الرحمة في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: أهمية الرحمة وأثرها في التعامل.

المطلب الثالث: تعريف النفاق وصفات المنافقين.

المبحث الأول: رحمة النبي ﷺ للعالمين

المبحث الثاني: الآية الدالة على وصفه ﷺ بأنه رحمة للمنافقين.

المبحث الثالث: الآيات الدالة على عتاب الله ﷻ للنبي ﷺ بشأن

أعدائه ودلائلها على رحمته ﷺ .

الخاتمة، وفيها أبرز النتائج العلمية للبحث، وتوصياته.

الفهارس العلمية.

## خطوات البحث:

وجاءت كالتالي:

١. جمع الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع رحمة النبي ﷺ بالمنافقين.
  ٢. دراسة موضوع رحمة النبي ﷺ بالمنافقين في تلك الآيات من خلال استقراء كتب التفسير وغيرها واستتباط ما فيها من فوائد ونكت حول الآيات.
  ٣. تخريج الآيات الكريمة بذكر اسم السورة ورقم الآية.
  ٤. الاستشهاد بأدلة من السنة النبوية المطهرة تفيض على الدراسة والاستتباط تأكيداً أو بياناً.
  ٥. العناية بتخريج الأحاديث النبوية من مصادرها الأصلية والحكم عليها ما أمكن.
  ٦. شرح الألفاظ الغريبة بالرجوع إلى مصادر اللغة المعتمدة.
  ٧. الوقوف عند بعض المسائل التي رأيتُ أنها بحاجة إلى بيان وتوضيح مع ترجيح وبيان لما جانب الصواب منها.
- أسأل الله الإخلاص والقبول في القول والعمل والتوفيق لخدمة الدين ونصرته، وأن يتجاوز عن التقصير والزلل، إنه نعم المولى ونعم النصير.



## التمهيد

وفيه ثلاثة مطالب:

### المطلب الأول تعريف الرحمة لغة واصطلاحاً

الرحمة في اللغة: هي الرقة والعطف، إذ مادة: (رح م) تدور حول هذين المعنيين.

قال ابن فارس: (الراء والحاء والميم أصل واحد، يدل على: الرقة والعطف والرأفة. يقال من ذلك: رحمه يرحمه إذا رَقَّ له وتعطف عليه، والرُّحْم والمرحمة والرَّحمة بمعنى<sup>(١)</sup>).

وتستعمل الرحمة تارة ويراد منها رقة القلب التي تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وتارة تستعمل ويراد بها مجرد الرقة، وتارة أخرى تستعمل الرحمة ويراد منها مجرد الإحسان.

ولأهل اللغة في تعريف الرحمة عدة أقوال، ومنها:

قال الراغب الأصفهاني رحمته: (والرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى

(١) انظر: مقاييس اللغة (٣/٣٩٨) مادة: (رحم).

المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة نحو رحم الله فلاناً<sup>(١)</sup>.

وقال ابن منظور رحمته: (الرحمة: الرقة والتعطف، والرحمة في بني آدم: رقة القلب وعطفه)<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكر أهل العلم عدة تعريفات للرحمة لا تخرج عن معناها اللغوي، ومما قيل في تعريفها:

أ. (الرحمة حالة وجدانية تعرض غالباً لمن به رقة القلب، وتكون مبدأً للانعطاف النفساني الذي هو مبدأ الإحسان)<sup>(٣)</sup>.

ب. (وهي رقة القلب وصفوه ورحمته للخلق وزوال قسوته وغلظته وهو من أخلاق صفوة الخلق)<sup>(٤)</sup>.

ج. (الرحمة رقة القلب يلامسها الألم حينما تدرك الحواس أو يتصور الفكر وجود الألم عند شخص آخر، أو يلامسها السرور حينما تدرك الحواس أو يتصور الفكر وجود المسرة عند شخص آخر)<sup>(٥)</sup>.

وجمع ابن القيم رحمته معاني الرحمة المتقدمة بقوله: (مما ينبغي أن يعلم: أن الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد، وإن كرهتها نفسه، وشقت عليها، فهذه هي الرحمة الحقيقية، فأرحم الناس بك من أوصل إليك مصالحك، ودفع المضار عنك، ولو شق عليك في ذلك)<sup>(٦)</sup>.

- (١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص/ ١٩٨) مادة: (رحم).
- (٢) لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور (١٢/ ٢٢١): مادة: (رحم).
- (٣) الكليات، تأليف: أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ص/ ٤٧١).
- (٤) فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن، تأليف: عبدالرحمن بن ناصر السعدي (ص/ ١١٤).
- (٥) الأخلاق الإسلامية وأسسها، تأليف: الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني (٣/ ٢).
- (٦) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم (٢/ ١٧٥-١٧٤).



## تعريف الرحمة اصطلاحاً:

التعريف الأول بالنسبة لإضافتها إلى الله ﷻ:

رحمة الله تعالى صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تليق بجلاله وعظمته، وهي لا تدرك بذاتها وإنما تدرك بآثارها، فمن آثارها ومستلزماتها العفو عمن يستحق العقوبة، وترك عقوبته، والإحسان من الله إلى عباده، من يستحق منهم ومن لا يستحق والتفضل عليهم بالنعيم.

التعريف الثاني: تعريف الرحمة بالنسبة للمخلوق:

وهي رقة يجدها المخلوق في قلبه تحمله على العطف والإحسان إلى سواء ومواساته، وتخفيف آلامه<sup>(1)</sup>.

## المطلب الثاني

### أهمية الرحمة وأثرها في التعامل

أ. أهمية الرحمة:

مما يلفت النظر في كتاب الله تعالى أن كل السور فيه- باستثناء سورة التوبة- قد صُدِّرت بالبسملة، المشتمة على صفتي (الرحمن) و(الرحيم) وتصدير كل السور بهاتين الصفتين أمر له دلالاته الواضحة على أهمية الرحمة في الإسلام، كما أن الجمع بينهما في بداية كل سور القرآن الكريم يعطي الانطباع البيّن على أن الرحمة مُقدّمة بلا منازع على كل الصفات الأخرى، وأن التعامل بالرحمة هو الأصل الذي لا ينهار أبداً ولا يتداعى أمام غيره من الأصول.

ولقد انفردت صفة الرحمة في القرآن الكريم بالصدارة مقارنة بأي

(1) الرحمة في القرآن الكريم. تأليف: موسى عبده عسييري (ص/ ٢١-٢٢).

صفة خلقية أخرى، حيث ذكرت في القرآن ثلاث مئة وخمس عشرة مرة  
وبجميع اشتقاقاتها.

والرحمة خلقٌ عظيم ووصف كريم أوتيهِ السعداء وحُرِمه الأشقياء،  
وهي ضاربة في جذور المخلوقات، ومختلطة بكيان الموجودات، عن أبي  
هيريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِئَةَ رَحْمَةٍ،  
فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلَّهُمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً،  
فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَبْتَئَسْ مِنَ الْجَنَّةِ، وَلَوْ  
يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

وقال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِئَةَ رَحْمَةٍ كُلَّ  
رَحْمَةٍ طَبَاقٌ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الْأَرْضِ رَحْمَةً، فَبِهَا  
تَعْطَفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا، وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، فَإِذَا كَانَ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ»<sup>(٢)</sup>.

كما أن النبي صلى الله عليه وسلم رغب في الرحمة والشفقة على خلق الله فقال: «لَا  
يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ»<sup>(٣)</sup>، فالقلوب القاسية التي لا تعرف الرحمة  
ولا الشفقة ليست هي قلوب المؤمنين الصادقين، إذ الحياة لا تصلح إلا  
بالرحمة وأول من ينتفع بها صاحبها في الدنيا والآخرة، وفي الحديث عن  
النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مَقْسُطٌ مَوْفِقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ  
رَقِيقٌ الْقَلْبِ بِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ فَقِيرٌ عَفِيفٌ مُتَّصِدِقٌ»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب: الرجاء مع الخوف (٨/ ٩٩)، رقم: (٦٤٦٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: التوبة، باب: سعة رحمة الله تعالى (٤/ ٢١٠٩)، رقم: (٢٧٥٢)  
عن سلمان الفارسي رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التوحيد، باب: باب قول الله تبارك وتعالى: (قُلْ ادْعُوا اللَّهَ  
أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَاتَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) (الإسراء: ١١٠) (٩/ ١١٥) رقم: (٧٣٧٦)،  
عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٦/ ٤٩٠): (٧٤٥٣)، قال عنه الألباني (ص/ ١٧): (صحيح).



## ب- أثر الرحمة في التعامل:

إذا تمكنت الرحمة من قلوب أفراد المجتمع الإسلامي وبنيه فإنهم يرقون للضعيف ويألمون للحزين ويحنون على المريض ويتنون للمحتاج وإن كان حيواناً أعجم، وبهذه القلوب الحية الرحيمة يصفو المجتمع ويتبؤ عن الجريمة ويصبح مصدر خير وبر وسلام لما حوله ومن حوله<sup>(١)</sup>.

## المطلب الثالث

### تعريف النفاق وصفات المنافقين

#### النفاق في اللغة:

النفاق فعل المنافق يقال: نافق ينافق منافقة ونفاقاً، أما أصله فقد اختلف فيه على قولين، فقيل: إنه مأخوذ من النفق؛ لأن المنافق يستتر كفه فهو كمن يدخل النفق يستتر فيه، وقيل: إنه مأخوذ من نافقاء اليربوع أي جحره، فإنه يخرق الأرض حتى إذا كاد أن يبلغ ظاهر الأرض ترك قشرة رقيقة حتى لا يعرف مكان هذا المخرج، فإذا رابه ريب دفع تلك القشرة برأسه فخرج، ومنه اشتقاق النفاق لأن صاحبه يكتم خلاف ما يظهر، فكأن الإيمان يخرج منه، أو يخرج هو من الإيمان في خفاء، وظاهر جحر اليربوع تراب كالأرض وهو في الحقيقة حفرة، وكذلك المنافق ظاهره إيمان وباطنه كفر<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: مكارم الأخلاق (ص/٤٩)، خصال الأصحاب: مواقف وصور لحميد خصال ما اتصف به خيار هذه الأمة من أصحاب رسول الله ﷺ تأليف: محمد بن علي بن عثمان آل مجاهد (ص/٨٧).

(٢) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٤٥٤ - ٤٥٥)، والنهاية لابن الأثير (٥/ ٩٨) ولسان العرب (٨/ ٤٥٨) والقاموس المحيط للفيروز آبادي (١١٩٦) مادة (نفاق).

## النفاق في الاصطلاح:

هو ستر الكفر وإظهار الإسلام، وقد يسمى المنافق زنديقاً كما يفعله بعض الفقهاء<sup>(١)</sup>.

## صفات المنافقين:

النفاق نبت شيطاني يُروى بماء الحقد، وينمو ويترعرع في الظلام، وي طرح نار الفرقة والعذاب، ولأهله صفات خبيثة ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز، وهي كثيرة وسأذكر بعضاً منها:

### ١. مرض القلب:

قال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٠]، قال الطبري: (وأصل المرض: السقم، ثم يقال ذلك في الأجساد والأديان، فأخبر الله جل ثناؤه أن في قلوب المنافقين مرضاً، وإنما عنى تبارك وتعالى بخبره عن مرض قلوبهم الخبير عن مرض ما في قلوبهم من الاعتقاد)<sup>(٢)</sup>.

### ٢. الخوف والرعب من انكشاف أمرهم:

قال تعالى: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَخِرُوا إِيَّائِيَ فَخُرِّجْ مَا تُحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ٦٤] يعلم المنافقون خبث طويتهم وسوء مقاصدهم ولذا هم يحذرون أشد الحذر من انكشاف سرهم، وتبين أمرهم، وأن يطلع المؤمنون على نواياهم، وما يخططونه للنيل من الإسلام والمسلمين، ولكن يأبى الله إلا أن يفضحهم من خلال فلتات ألسنتهم، وزفرات ما تكنه قلوبهم، وقد نزلت سورة التوبة لفضحهم فذكرتهم بأوصافهم ولم تذكرهم بالأسماء لتحصل فائدة التعميم بفضحهم على مر العصور.

(١) انظر: الإيمان الأوسط لابن تيمية (٧ / ٤٧١)، وطريق الهجرتين لابن القيم (ص / ٢٧٤).

(٢) تفسير الطبري (١ / ٢٧٨).

قال ابن سعدي رحمته الله: (كانت هذه السورة الكريمة - أي التوبة - تسمى (الفاضحة) لأنها بينت أسرار المنافقين، وهتكت أستارهم، فما زال الله يقول: (ومنهم ومنهم)، ويذكر أوصافهم إلا أنه لم يعين أشخاصهم)<sup>(١)</sup>.

### ٣. الجلوس مع المستهزئين بآيات الله:

قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِنْدِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٠]. من صفات المنافقين السخرية والاستهزاء بآيات الله وما هذا إلا لمرض في قلوبهم، قال الطبري: (وقد نزل عليكم أنكم إن جالستم من يكفر بآيات الله ويستهزيء بها وأنتم تسمعون، فأنتم مثله، يعني: فأنتم إن لم تقوموا عنهم في تلك الحال، مثلهم في فعلهم، لأنكم قد عصيتم الله بجلوسكم معهم وأنتم تسمعون آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها، كما عصوه باستهزائهم بآيات الله)<sup>(٢)</sup>.

### ٤. الاستهزاء بالمؤمنين:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَفُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ﴾ [البقرة: ١٤]. قال الطبري: (أخبر الله عنهم في هذه الآية أنهم يقولون للمؤمنين المصدِّقين بالله وكتابه ورسوله بألسنتهم: آمنا وصدَّقنا بمحمد وبما جاء به من عند الله، خداعاً عن دمائهم وأموالهم وذرائعهم، ودرءاً لهم عنها)<sup>(٣)</sup>.

ولا ريب أن الإيمان منقبة سامية، وشرف لا يدانيه شرف، ومن أفضل ما ينادي به الله المؤمن، بيد أن المنافقين لا يقيمون للإيمان وزناً، ولا لأهله شأنًا، فهم يلقون المؤمنين بوجهه، والمنافقين بوجه آخر، والوجه الحقيقي

(١) تفسير ابن سعدي (ص/ ٣٤٢).

(٢) تفسير الطبري (٩/ ٣٢٠).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٢٩٦).

لهم هو ما يلقون به شياطينهم، أما ذلك الوجه المستعار للقاء المؤمنين فما هو إلا نفق مظلم يصدر من تحته كره شنيع للكتاب والسنة والمؤمنين.

#### ٥. التكاثر عن الصلاة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٤٢﴾ [النساء: ١٤٢]. قال ابن كثير رحمته : (هذه صفة المنافقين في أشرف الأعمال وأفضلها وخيرها وهي الصلاة، إذا قاموا إليها قاموا وهم كسالى عنها لأنهم لا نية لهم فيها ولا إيمان لهم بها ولا خشية ولا يعقلون معناها)<sup>(١)</sup>، وقال القرطبي: (يصلون مراعاة وهم متكاسلون متثاقلون لا يرجون ثواباً ولا يعتقدون على تركها عقاباً)<sup>(٢)</sup>.

فالمنافق قد يؤدي الكثير من الأعمال الصالحة والعبادات الجماعية، بيد أنه لا يستشعر حلاوة ذلك، حيث إن حلاوة الطاعة والأنس بها لا يتذوقها قلب خرب قد ملئ بالحق على الإسلام وأهله، ولذا فهو يؤدي أعمال الطاعات بحركة مجردة من الإخلاص الذي هو الأصل في مقاصد العبودية.

#### ٦. صد الناس عن الإنفاق في سبيل الله:

قال تعالى: ﴿هُم الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مَن عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧﴾ [المنافقون: ٧].

ديدن المنافقين هو تجفيف المنابع في كافة سبل الخير والبر والإحسان والدعوة إلى الله، حيث يضيعون ذرعاً بما يرونه مما تنفقه أيدي المؤمنين، والتي تنفق إنفاق من لا يخشى الفقر فرحةً مسرورةً، راغبةً في نوال البر من الله تعالى.

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٨٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٤٢٢).

قال سيد قطب: (وهي قوله -أي قول المنافقين للمؤمنين: لاتنفقوا- يتجلى فيها خبث الطبع، ولؤم النحيزة، وخطة التجويع التي يبدو أن خصوم الحق والإيمان يتواصلون بها على اختلاف الزمان والمكان، وذلك أنهم لخسنة مشاعرهم يحسبون لقمة العيش هي كل شيء في الحياة، كما هي في حسهم فيحاربون بها المؤمنين)<sup>(١)</sup>.

وبالرغم من خبث المنافقين، وخبث صفاتهم وتنوعها وتعددتها إلا أن النبي ﷺ كان بهم رحيماً رقيقاً، وذلك من أجل استصلاحهم ودعوتهم ليكونوا لبنة صالحة في المجتمع.

وسياتي -بإذن الله- بيان الآيات الدالة على رحمته ﷺ بهم.



## المبحث الأول رحمة النبي ﷺ للعالمين

إن الرحمة التي تجلت في شخصية النبي ﷺ، وفي أقواله وأفعاله على اختلاف الأحداث والمواقف والأمكنة والأزمنة لهي أكبر دليل على أنها صفة لازمة دائمة له، فهي لم تكن متكلفة أو مبتذلة تظهر في بعض المواقف دون بعض، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقوله: (إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مَّهْدَاةٌ)<sup>(١)</sup>، فأرسال النبي ﷺ من أعظم النعم، وهي رحمة منه سبحانه وتعالى لعباده.

ولقد صيغت الآية السابقة بأبلغ نظم إذ اشتملت مع وجازة ألفاظها على مدح الرسول ﷺ ومدح مُرسله تعالى، ومدح رسالته بأن كانت مظهر رحمة الله تعالى للناس كافة وبأنها رحمة الله تعالى بخلقه، فهي تشتمل على أربعة وعشرين حرفاً بدون حرف العطف الذي عطفت به، ذكر فيه الرسول، ومرسله، والمرسل إليهم، والرسالة، وأوصاف هؤلاء الأربعة، مع إفادة عموم الأحوال، واستغراق المرسل إليهم، وخصوصية الحصر<sup>(٢)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ عموم فيه وجهان ذكرهما ابن القيم رحمه الله فقال: (وأصح القولين في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٩١/١)، حديث رقم (١٠٠)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: (هذا حديث صحيح على شرطهما)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٦٣/١).

(٢) التحرير والتنوير (١٦٥/١٧).

[الأنبياء: ١٠٧] أنه على عمومها، وفيه على هذا التقدير وجهان، أحدهما: أن عموم العالمين حصل لهم النفع برسائله، أما أتباعه فنالوا بها كرامة الدنيا والآخرة، وأما أعداؤه المحاربون له، فالذين عجل قتلهم وموتهم خير لهم من حياتهم؛ لأن حياتهم زيادة لهم في تغيظ العذاب عليهم في الدار الآخرة، وهم قد كتب عليهم الشقاء، فتعجيل موتهم خير لهم من طول أعمارهم في الكفر، وأما المعاهدون له فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته، وهم أقل شراً بذلك العهد من المحاربين له، وأما المنافقون فحصل لهم بإظهار الإيمان به حقن دمايتهم وأموالهم وأهلهم واحترامها وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث وغيرها، وأما الأمم النائية عنه فإن الله سبحانه رفع برسائله العذاب العام عن أهل الأرض فأصاب كل العالمين النفع برسائله، والوجه الثاني: أنه رحمة لكل أحد، لكن المؤمنون قبلوا هذه الرحمة فانتفعوا بها دنيا وأخرى، والكفار ردوها، فلم يخرج بذلك عن أن يكون رحمة لهم، لكن لم يقبلوها، كما يقال: هذا دواء لهذا المرض، فإذا لم يستعمله لم يخرج عن أن يكون دواء لذلك المرض).

وقد ظهرت هذه الرحمة في مظهرين، الأول: تخلق نفسه الزكية بخلق الرحمة، ولهذا خص الله محمداً ﷺ في سورة الأنبياء بوصف الرحمة ولم يوصف به غيره من الأنبياء، والثاني: إحاطة الرحمة بتصاريح شريعته ففيها من مقومات الرحمة العامة للخلق كلهم<sup>(١)</sup>.

وصدق أحمد شوقي حين وصف نبي الرحمة ﷺ بقوله:

زانتك في الخلق العظيم شمائل يُغرى بهن ويُولع الكرماء<sup>(٢)</sup>.



(١) انظر: التحرير والتنوير (١٧/١٦٥).

(٢) الشوقيات: قصيدة: (ولد الهدى) (ص/ ٩٤).

## المبحث الثاني

### الآية الدالة على وصفه بأنه رحمة للمنافقين (١)

قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . كان بعض المنافقين الذين في المدينة إذا خلوا إلى بعضهم أخذوا يتحدثون في النبي ﷺ بما يؤذيه ويقعون ويسخرون منه وينتقصون من قدره، وكان النبي عليه ﷺ يطلع على كثير مما يدور بينهم، أحياناً عن طريق الوحي، وأحياناً عن طريق بعض المؤمنين الذين يؤلمهم ما يسمعونهم منهم من الكلام الجارح فينزل الوحي يصدقهم في بعض الأحيان . وكان النبي ﷺ يغض عن أولئك المنافقين كرمًا منه وتسامحًا، وإذا جاؤوا إليه معتردين لم يجبههم باللوم والتعسف، بل يقبل منهم ظواهرهم، ويكل سرائرهم إلى الله ﷻ .

وكانوا يخافون من انكشاف أمرهم بإطلاع النبي ﷺ على ما يقولونه في حقه من الكلام السيئ، ولكن بعضهم لكثرة ما يعاملهم به النبي ﷺ من العفو قد ظنوا أن أمرهم قد خفي عليه، وأنه يصدقهم في كل ما يقولونه

(١) اقتصرنا في هذا المبحث على هذه الآية لورود لفظ الرحمة فيها: ﴿ وَرَحْمَةٌ ﴾ ، وأما بقية الآيات الدالة على رحمة النبي ﷺ بالمنافقين كقوله تعالى: ﴿ أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٨٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَصِلْ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ﴾ [التوبة: ٨٤]، فسيأتي الكلام عليها في مبحث عتاب الله عز وجل لنبيه بشأن أعدائه والله أعلم .



له وقبل جميع اعتذاراتهم، فلجوا في الطغيان في غوايتهم حتى بلغ لؤمهم وخبث نفوسهم أن اعتبروا ما كان يعاملهم به ﷺ من العفو والسماحة نوعاً من الغفلة والبله، فنزل القرآن يكشف حقيقتهم ويبين لهم خطأ ما توهموه في النبي ﷺ من أنه يقبل اعتذاراتهم<sup>(١)</sup>.

ولما كان كل منهم يدعي الإيمان كان قوله: ﴿مِنْكُمْ﴾، تعريضاً بغير الصادقين منهم.

والذي يظهر والله أعلم ثبوت رحمة النبي ﷺ للمنافقين أخذاً من هذه الآية، ومن قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. قال ابن القيم رحمه الله في تفسير هذه الآية: (وأما المنافقون فحصل لهم بإظهار الإيمان به حقن دمائهم وأموالهم وأهلهم واحترامها وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث وغيره)<sup>(٢)</sup>.



(١) المنافقون في القرآن الكريم. تأليف: د. عبدالله الحميدي (ص/ ٤١٨).

(٢) جلاء الأفهام (ص/ ٢٨٨).

## المبحث الثالث

### الآيات الدالة على عتاب الله ﷻ للنبي ﷺ بشأن أعدائه من المنافقين ودلائلها على رحمته:

العتاب هو أحد الأساليب البلاغية الرقيقة التي يعبر بها عن بقاء المودة والمحبة عن الملامة.

قال القرطبي رحمته: (إن المعاتبة لا تكون إلا من محب لحبيبه)<sup>(١)</sup>.

وقال ابن القيم رحمته: (وقد أكثر الناس من مدح عتاب الأحبة واستلذاذه والسرور به، فكيف بعتاب أحب الخلق على الإطلاق إلى المعتوب عليه، والله ما كان أحلى ذلك العتاب وما أعظم ثمرته وأجل فائدته)<sup>(٢)</sup>.

وعتاب الله لرسوله - وإن سمي عتاباً - فهو ليس من جنس عتاب البشر بعضهم لبعض إذ لا شبهة بين الخالق والمخلوق، ولأن الله قد يعاتب رسوله لا لتقصير أو خطأ بل لتبئيه أصحابه وتوجيههم من خلال رسول الله ﷺ فيوجه إليه الخطاب تشريفاً وتكريماً مع إنه يراد به غيره<sup>(٣)</sup>.

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة اتفق المفسرون على أنها جاءت بأسلوب العتاب لرسول الله ﷺ.

(١) الجامع لأحكام القرآن (٤٠١/٢٠).  
(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (٥٠١/٣).  
(٣) منهج القرآن الكريم في تثبيت الرسول ﷺ وتكريمه (ص/٤٠٢-٤٠٣).

ومن آيات العتاب الدالة على رحمته ﷺ بالمنافقين ما يلي:

الآية الأولى: قال تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٨٠]. قال ابن كثير رحمته: (يخبر تعالى نبيه ﷺ بأن هؤلاء المنافقين ليسوا أهلاً للاستغفار، وأنه لو استغفر لهم، ولو سبعين مرة فإن الله لا يغفر لهم، وقد قيل: إن السبعين إنما ذكرت حسماً لمادة الاستغفار لهم؛ لأن العرب في أساليب كلامها تذكر السبعين في مبالغة كلامها، ولا تريد التحديد بها، ولا أن يكون ما زاد عليها بخلافها)<sup>(١)</sup>.

وقال الشوكاني رحمته: (وليس المراد من هذا أنه لو زاد على السبعين لكان ذلك مقبولاً كما في سائر مفاهيم الأعداد، بل المراد بهذا المبالغة في عدم القبول، فقد كانت العرب تجري ذلك مجرى المثل في كلامها عند إرادة التكثير، والمعنى: أنه لن يغفر الله لهم وإن استغفرت لهم استغفاراً بالغاً في الكثرة غاية المبالغ)<sup>(٢)</sup>.

فهذه الآية دلت على أن الاستغفار لا ينفع لمثل حال أولئك المنافقين لكن شفقة منه ﷺ ورحمة بهم استغفر لبعضهم مع علمه ﷺ أن الاستغفار لا يفيدهم شيئاً، وذلك عندما طلب ابن عبد الله بن أبي بن سلول النبي ﷺ أن يصلي على أبيه وأن يشعره قميصه، والقصة في صحيح البخاري ومسلم: (فعن ابن عمر رحمته قال: لما توفي عبد الله جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلي، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله ﷺ: إنما خيرني الله فقال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾).

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٨٨).

(٢) فتح القدير (٢/ ٥٤٩).

هُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴿١﴾، وسأزيده على السبعين، قال: أنه منافق قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ (١).

وقول ابن حجر رحمته في شرحه لهذا الحديث قد جلى الاستشكال الذي في هذا الحديث من أن النبي ﷺ لم يأخذ بقول عمر رضي الله عنه في الصلاة على عبد الله بن أبي بن سلول فنقل قول الخطابي رضي الله عنه في ذلك وأن النبي ﷺ فعل ذلك لكمال شفقتة على من تعلق بطرف من الدين ولتطبيب قلب ولده، فقال رضي الله عنه: (وإنما لم يأخذ النبي ﷺ بقوله وصلى عليه إجراء له على ظاهر حكم الإسلام واستصحاباً لظاهر الحكم، ولما فيه من إكرام ولده الذي تحققت صلاحيته ومصالحة الاستئلاف لقومه، ودفع المفسدة وكان النبي ﷺ في أول الأمر يصبر على أذى المشركين ويعفو ويصفح، ثم أمر بقتال المشركين فاستمر صفحه وعفوه عن يظهر الإسلام ولو كان باطنه على خلاف ذلك؛ مصلحة الاستئلاف وعدم التنفير عنه؛ ولذلك قال لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، فلما حصل الفتح ودخل المشركون في الإسلام، وقل أهل الكفر وذلوا، أمر بمجاهرة المنافقين، وحملهم على حكم مر الحق، ولا سيما وقد كان ذلك قبل نزول النهي الصريح عن الصلاة على المنافقين، وغير ذلك مما أمر فيه بمجاهرتهم وبهذا التقرير يندفع الإشكال عما وقع في هذه القصة بحمد الله تعالى ويقول د. صلاح الخالدي: (ولكن الرسول ﷺ غلب جانب الرحمة والشفقة من رسالته وشخصيته فصلى عليه، ومشى في جنازته ووقف على قبره) (٢).

الآية الثانية: قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤].

ورد في سبب نزول هذه الآية أنه: (لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه

(١) أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ رقم: (٨٠١)، ومسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عمر رضي الله عنه رقم: (٤٦٥).

(٢) عتاب الرسول ﷺ في القرآن تحليل وتوجيه تأليف: د. صلاح عبد الفتاح الخالدي (ص/ ٧٦).

إلى رسول الله ﷺ وقال: أعطني قميصك حتى أكنفه فيه وأصلي عليه وإستغفر له، فأعطاه قميصه ثم قال: «أذني حتى أصلي عليه»، فأذنه، فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر بن الخطاب وقال: أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين؟ فقال: (أنا بين خيرتين: أستغفر لهم أو لا أستغفر)، ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّا تَأْتِيهِ وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ فترك الصلاة عليهم<sup>(١)</sup>.

(يقول جل ثناؤه لنبية محمد ﷺ: ولا تصل يا محمد على أحد مات من هؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عن الخروج معك أبداً ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ يقول: ولا تتول دفنه وتقبيره)<sup>(٢)</sup>.

ويقول القرطبي رحمه الله في توجيه استغفار النبي ﷺ للمنافقين وصلاته على ابن أبي سلول: (وأما الاستغفار للمنافقين الذي خير فيه فهو استغفار لساني لا ينفع وغايته تطيب قلوب بعض الأحياء من قرابات المستغفر له والله أعلم)<sup>(٣)</sup>.

الآية الثالثة: قال تعالى: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾  
[التوبة: ١١٣].

هذه الآية اختلف أهل التأويل في نزولها على أربعة أقوال: فقال بعضهم: نزلت في شأن أبي طالب عم النبي ﷺ؛ لأن النبي ﷺ أراد أن يستغفر له بعد موته، وقال آخرون: بل نزلت في سبب أم رسول الله ﷺ، وذلك أنه أراد أن يستغفر لها، فمنع من ذلك، وقال آخرون: بل نزلت من أجل أن قوماً من أهل الإيمان كانوا يستغفرون لموتاهم من المشركين، فنهوا عن ذلك.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) جامع البيان (١١/٦١٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٠/٣٢٢).

وقد تأول قوم قول الله: ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ ﴾ الآية، أن النهي من الله عن الاستغفار للمشركين بعد مماتهم لقوله: ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾. وقال آخرون نزلت في رجل استغفر لأبويه وكانا مشركين، فقال له علي بن أبي طالب عليه السلام: أتستغفر لهما وهما مشركان؟ فقال: أو لم يستغفر إبراهيم لأبيه؟ فذكر ذلك علي للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية والتي بعدها<sup>(١)</sup>.

والذي عليه جمهور المفسرين أن الآية نزلت في أبي طالب صلى الله عليه وسلم. قال ابن عطية: (واختلف المفسرون في سبب هذه الآية فقال الجمهور: ومداره على ابن المسيب وعمرة بن دينار، نزلت في شأن أبي طالب)<sup>(٢)</sup>. فعن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: (لما حضر أبا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال: «أي عم قل معي لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله»، فقال أبو جهل وابن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبد المطلب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»، فنزلت: ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾<sup>(٣)</sup>. أما بالنسبة لكلام المفسرين عن هذه الآية فقال أبو حيان: (ودلت الآية على المبالغة في إظهار البراءة عن المشركين والمنافقين والمنع من مواصلتهم

(١) انظر: جامع البيان (١٢/١٩-٢٤)، وزاد المسير (٣/٥٠٧).

(٢) المحرر الوجيز (٣/٩٠).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب: ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ رقم:

(٨٠٢)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في

النزع وهو الغرغرة رقم (٣٤).

ولو كانوا في غاية القرب، ونبه على الوصف الشريف من النبوة والإيمان، وأنه منافع للاستغفار لمن مات على ضده وهو الشرك بالله<sup>(١)</sup>.

وهذه الآية متضمنة لقطع الموالاتة للكفار، وتحريم الاستغفار لهم، والدعاء بما لا يجوز لمن كان كافراً، ولا ينافي هذا ما ثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه قال يوم أحد حين كسر المشركون ربايعيته وشجوا وجهه: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»، لأنه يمكن أن يكون ذلك قبل أن يبلغه تحريم الاستغفار للمشركين، وعلى فرض أنه قد كان بلغه، كما يفيد سبب النزول، فإنه قبل يوم أحد بمدة طويلة، فصدور هذا الاستغفار منه لقومه إنما كان على سبيل الحكاية عن تقدمه من الأنبياء، كما في صحيح مسلم عن عبد الله، قال: كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»<sup>(٢)</sup> وفي البخاري، أن النبي ﷺ ذكر نبياً قبله شججه قومه، فجعل النبي يخبر عنه بأنه قال: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»<sup>(٣)</sup> قوله: ﴿مَنْ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [النساء: ٤٨] هذه الجملة تتضمن التعليل للنهي عن الاستغفار، والمعنى: أن هذا التبيين موجب لقطع الموالاتة لمن كان هكذا، وعدم الاعتداد بالقرابة؛ لأنهم ماتوا على الشرك، وقد قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]، فطلب المغفرة لهم في حكم المخالفة لوعد الله ووعيده<sup>(٤)</sup>.

هذا والله أعلم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وسلم.



(١) البحر المحيط: ١٠٨/٥.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة أحد، رقم: (٩٩٠).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الديات، باب إذا عرض الذمي بسب النبي ﷺ ولم يصرح نحو: قوله السام عليكم رقم: (٦٥١).

(٤) فتح القدير (٢/٥٨٠).

## الختام

### النتائج:

- انفردت صفة الرحمة في القرآن الكريم بالصدارة مقارنة بأي صفة خلقية أخرى، حيث ذكرت الرحمة في القرآن وبجميع اشتقاقاتها ثلاث مئة وخمس عشرة مرة.
- أن كثرة الحديث عن الرحمة في القرآن الكريم من أجل ترغيب المسلمين بالتحلي بهذا الخلق العظيم، ولبيان أن الإسلام دين الرحمة والرأفة.
- سيرة النبي ﷺ العطرة سجل حافل بالمآثر مليء بالمكرمات، مفعم بالفضائل، هي كنز المواعظ والعبر، ومدخر الدروس التي تنبض بالنور، ترشد إلى الخير، وتوقظ الهمم، وتشحذ العزائم، وتذكي الإيمان، وترسم الطريق إلى مرضاة الله.
- تضع سيرة النبي ﷺ المعالم أمام الدعاة والمصلحين وتجسم القيم العليا والمبادئ الرفيعة في شخص النبي ﷺ واقعاً محسوساً وحياة كريمة فاضلة.



- للرحمة آثار ونتائج تنعكس على الفرد والمجتمع ولها كبير الأثر في إشاعة الأمن والاستقرار النفسي.

### التوصيات:

- التأكيد على أن الإسلام هو دين الرحمة في زمن كثرت فيه الافتراءات والأكاذيب عليه.
- العناية بالبحوث التي فيها التعريف بنبي الرحمة ﷺ والدعوة إلى الدين الإسلامي بطريقة عصرية جاذبة تناسب الجيل الحالي.
- حث المسلمين على الرحمة والتراحم وضرورة اتخاذ القرآن الكريم دستوراً لهم في جميع علاقاتهم.
- ضرورة إعداد الأنشطة والفعاليات والبرامج المختلفة اللازمة لرفع مستوى التراحم في المجتمع الإسلامي وأهمية ذلك من خلال ربط ذلك بتدبر القرآن الكريم.
- العناية بدراسات مستقبلية وافية ودقيقة لمعرفة الآثار التي يحققها خلق الرحمة في الإبداع العلمي والتفوق الحضاري والتعايش الإنساني والأمن والاستقرار النفسي.



## فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ١. الأخلاق الإسلامية وأسسها. تأليف: الشيخ: عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩هـ.
- ٢. الأدب المفرد. تأليف: محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار البشائر الإسلامية - بيروت: لبنان، ط: الثالثة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٣. أساليب دراسة الشخصية. تأليف: فيصل عباس، بيروت - لبنان، دار الفكر ١٩٩٠م.
- ٤. أصول التربية الإسلامية. تأليف: د. عبدالرحمن المالكي، دار الفكر - بيروت: لبنان ٢٠٠٦م.
- ٥. أصول التربية الإسلامية وأساليبها. تأليف: عبدالرحمن النحلوي، دار المعرفة - بيروت، لبنان - ٢٠٠٨م.
- ٦. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان. تأليف: ابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيقي: محمد الفقي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- ٧. تفسير القرآن العزيز. تأليف: أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عيسى ابن محمد المري الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (ت ٣٩٩هـ)، تحقيق: أبو عبدالله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة - مصر - القاهرة، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ٨. تفسير القرآن العظيم. تأليف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ط: الأولى - ١٤١٩هـ.



٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تأليف: عبدالرحمن ابن ناصر بن عبدالله السعدي (ت ١٣٧٦هـ) تحقيق: عبدالرحمن ابن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١٠. جامع البيان في تأويل آي القرآن. تأليف: محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١١. الجامع لأحكام القرآن. تأليف: أبو عبدالله محمد بن أحمد الخزرجي القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة: مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
١٢. جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام. تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، دار العروبة، الكويت، الطبعة: الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٣. خصال الأصحاب مواقف وصور لحמיד خصال ما اتصف به خيار هذه الأمة من أصحاب رسول الله ﷺ، تأليف: محمد بن علي بن عثمان آل مجاهد، مكتبة السعيد - الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
١٤. الرحمة في القرآن الكريم، موسى عبده عسيري، ط: ١، مكتبة الرشد، الرياض: ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
١٥. سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي). تأليف: محمد بن إسحاق ابن يسار (ت ١٥١هـ)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
١٦. صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال. تأليف: حسين ابن محمد المهدي، دار الرسالة.

١٧. السيرة النبوية. تأليف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت ٢١٣هـ) تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر، الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م.
١٨. شرح صحيح البخاري. تأليف: علي بن خلف بن بطلال (ت ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط: الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م.
١٩. صيد الخاطر. تأليف: عبدالرحمن بن عبي بن محمد بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان - ٢٠٠٦ م.
٢٠. عتاب الرسول ﷺ في القرآن تحليل وتوجيه، د. صلاح عبدالفتاح الخالدي (ص / ٧٦). دار القلم، دمشق.
٢١. فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستتبطة من القرآن، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالرزاق البدر: ١١٤، ط ١، دار ابن الجوزي، الدمام: ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠ م.
٢٢. فتح من الرحيم الرحمن في بيان كيفية تدبر كلام المنان. تأليف: أحمد بن منصور، المكتب الإسلامي.
٢٣. فصول في التفكير الموضوعي. تأليف: عبدالكريم بكار، دار القلم، دمشق، الطبعة الرابعة ١٤٢٦هـ.
٢٤. القاموس المحيط. تأليف: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الثامنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م.
٢٥. مجاز القرآن. تأليف: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت ٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فواد سزكين، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الأولى: ١٣٨١هـ.



٢٦. لسان العرب. تأليف: محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر - بيروت، لبنان، الثالثة - ١٤١٤هـ.
٢٧. المجالسة وجواهر العلم. تأليف: أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق: أبو عبدة مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية - البحرين، دار ابن حزم - بيروت ١٤١٩هـ.
٢٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تأليف: عبدالحق بن غالب ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافى محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى - ١٤٢٢هـ.
٢٩. مختصر منهاج القاصدين. تأليف: ابن قدامة، تحقيق وتعليق: شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق - بيروت ١٣٩٨هـ.
٣٠. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. تأليف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية - بيروت.
٣١. معاني القرآن. تأليف: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى ١٤٠٩هـ.
٣٢. معاني القرآن وإعرابه. المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، تحقيق: عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٣٣. معجم مقاييس اللغة. تأليف: أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٣٤. مفهوم التفكير في ضوء القرآن الكريم. تأليف: محمد هندي، مجلة الدراسات القرآنية، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، العدد ٢، ١٤٢٩هـ.
٣٥. مفتاح دار السعادة. تأليف: ابن قيم الجوزية، دار الفكر، ط: ٣، ٢٠٠٤م.

٣٦. المعجم الوسيط. تأليف: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.
٣٧. المفردات في غريب القرآن. تأليف: الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ضبط: هيثم طعيمة، الطبعة: الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٣٨. المنافقون في القرآن الكريم. تأليف: د. عبدالله الحميدي، الطبعة: الأولى، دار المجتمع، جدة - السعودية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٣٩. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، ط ٣، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
٤٠. النفاق وآثاره ومفاهيمه. تأليف: الشيخ عبد الرحمن الدوسري، دار طيبة، الرياض - السعودية ١٤١٣هـ - ١٩٩١م.
٤١. النكت والعيون. تأليف: أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
٤٢. الكليات، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، ط: ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
٤٣. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط ١، دار صادر، بيروت: بدون.



# رحمة النبي بالأسارى

إعداد:

يعقوب طالب يعقوب العبد الهادي





## المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٢].  
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].  
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد :

فقد امتنَّ الله ﷻ على الناس كافةً ببعثته نبيه محمد ﷺ، وامتنَّ عليهم بأن جعل هذا النبي رحمةً للعالمين، فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً

لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ [الأنبياء]، فهو الرحمة المهداة للإنس والجن، والمؤمن والكافر، والموافق والمخالف، بُعث إليهم جميعاً يدعوهم إلى الحق؛ ليخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.

ورسول الله ﷺ بما حباه الله تعالى بمكارم الأخلاق وجميل الصفات، مفضول ومحبول على الرحمة في قلبه، «فكان لينه رحمةً من الله بالامة في تنفيذ شريعته بدون تساهل، وبرفق وإعانة على تحصيلها، فلذلك جعل لينه مصاحباً لرحمة من الله أودعها الله فيه، إذ هو قد بُعث للناس كافة، وورد أن صفح النبي ﷺ كان سبباً في دخول كثير في الإسلام»<sup>(١)</sup>.

وقد وصف الله نبيه بالرحمة في أكثر من موضع، فقال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وأثر عنه ذلك في قوله وفعله، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعاً: «إنما أنا رحمةٌ مهداة»<sup>(٢)</sup>. وقد امتلأ قلبه شفقةً ورحمةً بالخلق، فكان خير أسوة حتى تأثر بخلقه وجميل صفاته ورحمته كثيرٌ من الناس، وكان ﷺ يحث الناس بالرحمة، فقال: «إني لم أبعث لعاناً، ولكن بُعثت داعياً ورحمةً»<sup>(٣)</sup>، فدعوته للناس إنما هي مقرونة بالرحمة بهم، ولهذا كان من أسمائه «نبي الرحمة»، فهو القائل: «أنا محمد، وأحمد، والمُقَفِّي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة»<sup>(٤)</sup>.

والمتبع لسيرة النبي ﷺ وسنته وهديه يجد الرحمة والرفقة والشفقة في دعوته وتعامله مع جميع فئات المجتمع، ولهذا تلقى الناس دعوته بالقبول؛ فهم قد لمسوا هذا الخلق الجميل منه، فهو لم يبعث للناس مُعَنِّفًا ولا مُغَلِّظًا، وإنما بُعث نبياً وهادياً.

(١) «التحرير والتنوير» (١٥٤/٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣١٧٨٢)، والدارمي (١٥)، ومرسلاً. وأخرجه موصولاً: ابن الأعرابي في «المعجم» (٢٤٥٢)، والآجري في «الشریعة» (١٠٠٠)، والحاكم في «المستدرک» (١٠٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٩٩).

(٤) أخرجه مسلم (٢٣٥٥).



ولما كان ﷺ القدوة الحسنة للمؤمنين؛ فقد أمر أمته بهذا الخلق العظيم، وحثهم على التعامل به، فقال النبي ﷺ: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله ﷻ»<sup>(١)</sup>، وقال: «من لا يَرْحَم لا يُرْحَم»<sup>(٢)</sup>، وقال: «وإنما يرحم الله ﷻ من عباده الرحماء»<sup>(٣)</sup>.

ورحمة رسول الله ﷺ للبشرية جمعاء، كما جاء بذلك الكتاب العزيز: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(١٧)</sup> فليست مقتصرة على المؤمنين فحسب، بل هي تعم المسلم والكافر، قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز: «فمن دخل في رسالته كانت الرحمة كاملة في حقه، ودخل الجنة ونجا من النار، ومن لم يدخل قامت عليه الحجة وانتفت المعذرة، وصار بذلك قد رحم من جهة بلاغه ومن جهة إنذاره.. ثم ما يحصل من الخير من الغيث الذي ينتفع به الكافر والمسلم، وما يحصل من الأمن في العهود والمواثيق يحصل به الرحمة والخير للمسلم والكافر، إلى أشبه ذلك من الخيرات التي تقع بأسباب هذه الرسالة، حتى للكافر»<sup>(٤)</sup>.

وعلى خطى رسول الرحمة سارت الأمة فأصبح هذا الخلق منهجاً لها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أئمة السنة والجماعة وأهل العلم والإيمان فيهم العدل والإيمان والرحمة.. ويرحمون الخلق؛ فيريدون لهم الخير والهدى والعلم، لا يقصدون الشرَّ ابتداءً؛ بل إذا عاقبهم وبينوا خطأهم وجهلهم وظلمهم؛ كان قصدهم بذلك بيان الحق ورحمة الخلق»<sup>(٥)</sup>.

وإن جوانب رحمة النبي ﷺ بالخلق كثيرة جداً، فكلُّ موقفٍ من مواقفه يدل على رحمته، وكل خصلة من خصاله تدل على رأفته، فرحمته شملت

(١) أخرجه البخاري (٧٢٧٦)، ومسلم (٢٣١٩) واللفظ له، من حديث جرير ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٨)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (١٢٨٤)، من حديث أسامة ﷺ.

(٤) من فتاوى «نور على الدرب»، ينظر: الموقع الرسمي على الانترنت.

(٥) «الاستغاثة» (ص ٣٨٠).

الكبير والصغير، والذكر والأنثى، والعالم والجاهل، والموافق والمخالف، والقريب والبعيد .

ولما كانت رحمته كذلك؛ كان من المناسب التطرق إلى جانب من جوانب رحمته، ألا وهو رحمته ﷺ بالأسارى، وهم نوع من المخالفين الذين كان يعايشهم ﷺ في حياته ودعوته، وهؤلاء الأسارى لم يكتفوا بمخالفته في الرأي والدين فحسب، بل جرَّهم هذا إلى تحمُّل أعباء الحرب والقتال ضده، وما قد يترتب عليه من إزهاق للروح أو إصابة بجروح؛ حملهم على هذا كله بغضُّهم وعداؤهم للإسلام ولنبيه، أما وقد صاروا أسارى عنده وتحت قبضته وحكمه؛ لم تمنعه تلك المخالفة من الحكم بالعدل والإنصاف، ومن إظهار رحمته تجاههم، فهم وإن كانوا أعداءه إلا أنه ما قاتلهم إلا لأجل الدخول في دين الله، فما منعه ذلك من رحمته؛ لينظروا إلى أخلاقه ﷺ وهديه، وكيف تكون معاملته له في أسرهم، فقد يكون ذلك سبباً في إسلامهم، ويكون هذا الأسر خيراً لهم في دينهم ودنياهم.

وللأسارى أحوال وأحكام وحدود للتعامل معهم مبسوطَةٌ في كتب الفقه، فلا يشملهم حكمٌ واحدٌ يسري على الجميع، بل منهم من يقتل، ومنهم من يُقتدى منه بمال، ومنهم من يَمُنُّ عليه فيطلقه بلا مقابل، كل بحسب ما تقتضيه المصلحة<sup>(١)</sup>.

إننا نعيش في زمن اختلطت فيه الأوراق، واختلفت فيه الأفهام، ما بين الإفراط والتفريط، والغلو والجفاء، فنجد الخطأ في فهم النصوص الشرعية من بعض الجماعات المتطرفة المنتسبة للإسلام، مما أدى إلى التطبيق الخاطئ الذي شوَّه سماحة الإسلام وجماله ورحمته، وإن ما يُشاهد في وسائل الإعلام من الاعتداء على الأسرى والتمثيل بهم، وسومهم أشدَّ أنواع العذاب والأذى؛ لأمر يُحتم علينا قراءة سيرة النبي

(١) ينظر: المطلب الرابع من التمهيد.

﴿ﷺ﴾ قراءة فاحصة متأنية، فننظر كيف تعامل معهم، وكيف كانت الرحمة في قلبه، مما كان له الأثر البالغ في نجاح دعوته، فكم نحن بحاجة إلى النظر في سيرته، والبحث في حياته ومنهجه.

وأما من جانب المنظمات الدولية؛ فقد شرعت البنود والاتفاقيات في شأن الأسرى؛ إلا أنها اتفاقيات نظرية لا تمت صلةً بالواقع، فمن ذلك: توقيع أربع اتفاقيات في جنيف في الثاني عشر من أغسطس سنة ١٩٤٩م، واعتمدت وعرضت للتوقيع والتصديق والانضمام من قبل المؤتمر الدبلوماسي لوضع اتفاقيات دولية لحماية ضحايا الحروب، فكانت الاتفاقية الثالثة بشأن معاملة أسرى الحرب<sup>(١)</sup>، إلا أن حروبهم ضد المسلمين على مرّ التاريخ يشهد لهم سوء تعاملهم، وقبح أفعالهم، وواقعهم يشهد جرائمهم تجاه أسرى المسلمين.

والإسلام قد سبق مثل هذه الاتفاقيات بأربعة عشر قرناً، والنبى ﴿ﷺ﴾ قد وضع الضوابط العامة والقواعد الكلية للتعامل مع أسرى الحرب من خلال سيرته وهديه، في حين لم يكن للجاهلية أخلاق للحرب ولا أسس للتعامل.

وبعد.. فهذا البحث ما هو إلا محاولة لاستقراء سيرة النبي ﴿ﷺ﴾ وهديه في كيفية التعامل مع الأسارى في دار الحرب والإسلام، وإبراز جانب رحمته ﴿ﷺ﴾ ورأفته بهم، وكيف كان لهذه الرحمة الأثر العظيم لنجاح دعوته، وستذكر هذه الأمة بالخلق السامي الذي كان عليه ذلك الرهط الذي سار فاتحاً وهادياً للبشرية بعد وفاته ﴿ﷺ﴾.

### أهمية الموضوع:

تكمن أهمية البحث في بيان تعامل النبي ﴿ﷺ﴾ مع نوع من أنواع المخالفين الذين تعامل معهم النبي ﴿ﷺ﴾ وهم الأسارى، مع تسليط الضوء

(١) ينظر: موقع اللجنة الدولية للصليب الأحمر (ICRC).

على كيفية تعامله معهم، وبيان أوجه رحمته بهم، وما هي أحوالهم معه، وبيان أثر هذه الرحمة في نفس أولئك الأسارى.

ومن خلال هذا الاستقراء يتبين خطأ من خالف هذا الهدي، ويتبين زيف دعوى من يقول: إن الدين الإسلامي ما هو إلا دين وحشية وعنف وقسوة! فستظهر له رحمته ﷺ بمخالفه، وخصوصاً من كان يحاربه في ساحة القتال.

### سبب اختيار الموضوع:

هناك أسباب داعية للتطرق إلى هذا الموضوع، وهي:

أولاً: بيان هدي النبي ﷺ ورحمته بخصومه وأعدائه إذا تمكن منهم وصاروا تحت حكمه، وذلك من خلال تطبيقاته العملية مع الأسرى الذين نزلوا في حكمه، فمثل هذه الحال تتوق النفس إلى التشفي والعنف والقسوة.

ثانياً: ما نجده من خلط وتلبيس وتدليس وليّ للنصوص الشرعية الثابتة؛ من أن الأسرى لهم حكم واحد بدون تفصيل، أو أنه يجب شرعاً أن نتعامل معهم بأسلوب القسوة والشدة والغلظة، وأن الرحمة إنما هي ضعف للمسلمين وتخذيّل لهم!!

### مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في بيان كيفية تعامل النبي ﷺ مع المخالفين عموماً، وتسييل الضوء على جانب مهم في سيرته وحياته، وهو كيف كان تعامله مع الأسرى؟ وبيان أوجه رحمته بهم، وما هي أحوال الأسرى معه؟ وبيان أثر الرحمة في نفس الأسير وقومه.

## أهداف البحث:

يهدف البحث إلى بيان أوجه رحمة ﷺ بالأسرى، وأثر هذه الرحمة في نفوس الأسرى وأقوامهم، من خلال استقراء حياته ﷺ، والتعرف على هديه في التعامل مع الأسرى، واستخلاص القواعد النبوية من خلال الأمثلة التطبيقية في سيرته، والذي يظهر سعة رحمة النبي ﷺ بمن يخالفه عموماً، وبالأسرى خصوصاً، والرد على ينسب له خلاف ذلك للنبي ﷺ.

## خطة البحث:

اشتملت على: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، على ما يلي:  
فالمقدمة تشتمل على: أهمية الموضوع، وسبب اختيار الموضوع، وخطة البحث، ومنهج البحث.

وأما التمهيد؛ ففيه التعريف بالرحمة، والتعريف بالأسارى، وحال الأسرى قبل الإسلام، وأنواع الأسارى وأصنافهم.

والمبحث الأول: في الرفق بالأسارى ودعوتهم.

والمبحث الثاني: فيه الإحسان إلى الأسارى.

والمبحث الثالث: في إطلاق الأسارى وفكاكهم.

والخاتمة تشتمل على خلاصة البحث، وأهم النتائج والتوصيات.

## منهج البحث:

يسير البحث على منهج الاستقراء القائم على التحليل والاستنتاج،

وفق ما يلي:

أولاً: جمع ما وقفتُ عليه من مرويات تتعلق بالموضوع من كتب السنة عموماً وكتب السير والمغازي على وجه الخصوص، ثم قسمتها على الأبواب وصنفتها بحسب التاريخ، مع التعليق والإيضاح على كل رواية بما تظهر جوانب الرحمة من خلال سيرته.

ثانياً: ذكرت في كل باب بعض الأمثلة والروايات، لا على سبيل الاستقصاء الشامل، فلم ألتزم بذكر كل ما ورد، وإنما ذكرت ما يبين هديه وطريقته في تعامله مع الأسرى.

ثالثاً: عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها من المصحف، بذكر اسم السورة ورقم الآية بين معكوفين [ ].

رابعاً: تخريج الأحاديث والمرويات الواردة في البحث تخريجاً مختصراً من كتب السنة والسير والمغازي، بذكر رقم الحديث أو الجزء والصفحة إن خلت الطبعة من ترقيم للأحاديث.

هذا وأسأل الله ﷻ أن أكون قد وفقت في كتابة هذا البحث، كما أسأله أن ينفع به مَنْ قرأه أو اطلع عليه، فإن كان من صوابِ فَمَنْ الله وحده، وإن كان من خطأ فمني والشيطان، والحمد لله رب العالمين.





## التمهيد

### المطلب الأول التعريف بالرحمة

#### أولاً: الرحمة في اللغة:

قال ابن فارس: «الراء والحاء والميم أصل واحد يدل على الرقة والعطف والرأفة، يقال من ذلك: رحمه يرحمه، إذا رَقَّ له وتعطف عليه، والرحم والمرحمة بمعنى. والرحم: علاقة القرابة، ثم سميت رحم الأنثى رحماً من هذا، لأن منها ما يكون ما يرحم ويرق له من ولد. ويقال شاة رحوم، إذا اشتكت رحمها بعد النتاج. وقد رحمت رحامة، ورحمت رحماً<sup>(١)</sup>. وتطلق الرحمة على عدة معان، منها: الرقة والتعطف والمغفرة، ويقال: رحمت عليه: أي: دعا له بالمغفرة، وتراحم القوم أي: رحم بعضهم بعضاً<sup>(٢)</sup>.

#### ثانياً: الرحمة في الشرع:

لم يختلف المعنى اللغوي عن الشرعي، فقد قال الراغب الأصفهاني: «الرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة»<sup>(٣)</sup>.

(١) «معجم مقاييس اللغة» (٢/٤٩٨).

(٢) «لسان العرب» لابن منظور (١٢/٢٣٠).

(٣) «المفردات في غريب القرآن» (١/٢٤٧).

وقال ابن عاشور: «هي رقة في النفس، تبعث على سوق الخير لمن تتعدى إليه»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن القيم: «الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد، وإن كرهتها نفسه وشقت عليها»<sup>(٢)</sup>.

وهذه المعاني لا تعارض بينها، فهي تجتمع في كونها رافة ورقة في القلب لإيصال المصالح إلى المرحوم.

وقد جاءت الرحمة في آيات عدة من الذكر الحكيم على صور عدة:

فوصف الله نفسه بالرحمة بقوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]،

وسمى نفسه ﴿الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾ [الفاتحة: ٢] كما وصف نبيه ﷺ بقوله: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ

رءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [١٠٧]

[الأنبياء: ١٠٧]، وقال عنه: ﴿وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ﴾ [التوبة: ٦١].

ووصف كتابه بأنه رحمة، فقال: ﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُم بِكِتَابٍ فَصَلَّنَاهُ عَلٰىٰٓ عَلٰى هُدٰى

وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [٥٢] [الأعراف: ٥٢]، وكذا وصف توراة موسى ﷺ، فقال:

﴿وَفِي نُسُخَتِهَا هُدٰى وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، وقال: ﴿وَمِن

قَبْلِهِ كِتَابٌ مُّوسٰىٓ اِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [هود: ١٧].

## المطلب الثاني التعريف بالأسارى

أولاً: الأسارى في اللغة:

الأسارى: بضم الهمزة على وزن فُعَال، مثل: سُكَّارِي، جمع أسير، ويجمع

(١) «التحرير والتنوير» (٢٦/٢١).

(٢) «إغائة اللفهان» (١٧٤/٢).

أيضاً على أسراء وأسرى<sup>(١)</sup>. قال ابن فارس: «الهمزة والسين والراء أصل واحد، وقياس مطرد، وهو الحبس، وهو الإمساك»<sup>(٢)</sup>. ويقال للأسير: الأخيد والمقيد والمسجون<sup>(٣)</sup>. ويطلق على الذكر والأنثى، يقال: رجل أسير وامرأة أسير.

وقد فرق أبو عمرو بن العلاء في معنى الأسرى والأسارى، فالأسارى: الذين في وثاق، والأسرى: الذين في اليد، وإن لم يكونوا في وثاق<sup>(٤)</sup>. وتعقب الطبري هذا القول، وذكر أن هذا مما لا وجه له يفهم في لغة أحد من العرب، ولكن ذلك من جمع الأسير مرةً على فعلى ومرة على فعلى؛ لما ذكرت من تشبيههم جمعه بجمع سكران وكسلان وما أشبه ذلك<sup>(٥)</sup>.

### ثانياً: الأسير في الشرع:

لم يختلف المعنى اللغوي عن الشرعي من حيث الاستعمال، إذ الأصل واحد وهو الحبس، قال الماوردي: «هم المقاتلون من الكفار إذا ظفر المسلمون بأسرهم أحياء»<sup>(٦)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «بل إذا أسر الرجل منهم في القتال أو غير القتال، مثل أن تلقيه السفينة إلينا، أو يضل الطريق، أو يؤخذ بحيلة؛ فإنه يفعل به الإمام الأصلاح»<sup>(٧)</sup>.

وعلى هذا لا يكون لفظ الأسير مقتصرًا على من أخذه المسلمون في القتال، بل كل من يظفر بهم من المقاتلين أو من دخلوا دار الإسلام بغير

(١) «لسان العرب» لابن منظور (١٩/٤).

(٢) «معجم مقاييس اللغة» (١٠٧/١).

(٣) «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص ٣٤٣).

(٤) «شمس العلوم» للحميري (٢٥٧/١).

(٥) ينظر: «جامع البيان» (٢١٣/٢).

(٦) «الأحكام السلطانية» (ص ٢٠٧).

(٧) «مجموع الفتاوى» (٣٥٥/٢٨).

أمان من الكفار فإن لفظ الأسير يشملهم<sup>(١)</sup>، وعلى هذا يكون الأسير - الذي تترتب عليه أحكام الشرع - مقيداً بأمرين:

الأول: أن يكون مقاتلاً حربياً، أو داخلياً دار الإسلام بلا أمان، فيخرج بذلك الذمي والمعاهد والمستأمن، ويكون لهما أحكاماً أخرى تختلف عن الأسير.

الثاني: أن يكون كافراً غير مسلم، فيخرج بذلك من أسرفي قتال فتنة بين المسلمين كالبغاة، ففي هذه الحال لا تنطبق عليه أحكام الأسير من حيث القتل - إلا إن قتل - والاسترقاق.

### المطلب الثالث

#### حال الأسارى قبل الإسلام<sup>(٢)</sup>

لقد جاء الشرع الحنيف ليغير كثيراً من المفاهيم الخاطئة، ويصح كثيراً مما كان يعتقد الناس صواباً، وحتى ندرك محاسن الإسلام وفضائله لا بد أن يقف الواحد منا على تلك الحال التي كان عليها الناس قبل بعثة النبي ﷺ، فلا يُعرف الإسلام حق المعرفة إلا إذا عُرف ما قبله، وكيف كانوا يتعاملون مع بعضهم البعض.

ففي حقبة من الزمن لم يكن الناس يعرفون للحرب أخلاقاً، ولا للأسرى أحكاماً ولا حقوقاً، بل كانوا يستبيحون الأنفس والأعراض والأموال بدون قيود!!

ومن خلال هذا المطلب سأتطرق إلى بعض النماذج التي كان يتعامل

(١) ينظر: «بدائع الصنائع» للكاساني (١٠٩/٧).

(٢) ينظر: «أحكام الأسرى والسبايا» عبد اللطيف عامر (ص ٩١، ٩٢)، «أخلاق الحروب في السنة».

د. راغب السرجاني.

فيها الناس قبل الإسلام، وليس المقصود هو الحصر والاستقراء التام، وإنما لمحات سريعة؛ لتعرف على تلك المعاملة التي كانوا يتعاملون بها، ومن خلال ذلك سيظهر جلياً كيف أنهم يشتركون جميعاً في قضية واحدة ألا وهي سياسة البطش والعنف والقسوة والقهر. ومن خلال هذا العرض ستظهر فضيلة الإسلام ومحاسنه، وأنه - بحقٍ - دين العدل والرحمة، وأن نبيه هو نبي الرحمة.

فمن ذلك: كان الآشوريون والفرعنة يسملون عيون الأسرى<sup>(١)</sup>، ويسلخون جلودهم ويطعمونها الكلاب، حتى فضل الأسرى السجناء الموت على الحياة<sup>(٢)</sup>. بينما كان الفرس والإغريق يعرضونهم للتعذيب والصلب والقتل. وأما الرومان؛ فكانوا يستخدمون الأسرى وسيلة للترفيه والتسلية، فيضعونهم مع الوحوش في أقفاص مغلقة، ويستمتع الأمراء والوزراء بمشاهدة الوحوش وهي تفترسهم!<sup>(٣)</sup>

وأما اليهود، فقد رأوا في أنفسهم الكبرياء والعظمة، فيعتقدون أنهم مميزون عن باقي الشعوب والأجناس، وأنهم شعب الله المختار، فهم ينظرون إلى جميع الناس بنظرة دونية واحتقار، وعنصرية وازدراء؛ كل هذا دفعهم إلى أن يحاولوا استرقاق العالم والسيطرة عليه بكل ما أمكنهم من وسائل، سواء كانت السيطرة عسكرية أو ثقافية أو اقتصادية؛ فكانوا أشد الناس عداوة لغيرهم، وكانوا يتعاملون مع أسراهم بأقصى تعامل، يملؤهم الحقد والكبرياء والاستعلاء على الناس جميعاً.

فكانوا يتخذون سياسة الاستعباد والقتل للأسير، فجاء في سفر التثنية: «حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها للصلح؛ فإن أجابتك

(١) سَمَلُ العين: فَقَّوْها بجديدة محماة أو بغير ذلك. «لسان العرب» (١١/٣٤٧).

(٢) «أحكام السجن ومعاملة السجناء» حسن أبو غدة (ص٢٥٦).

(٣) «الطريق إلى القدس» د. محسن صالح (ص٤٠)، عن طريق كتاب «الرحمة في حياة الرسول» (ص٣١٠).

على الصلح، وفتحت لك... فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير، ويستعبد لك.. وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً، فحاصرها، وإذا دفعها الرب إهلك إلى يدك؛ فاضرب جميع ذكورها بحد السيف»<sup>(١)</sup>.

وأما السبي فهم يسيئون التعامل معهم، فقد جاء في سفر التثنية أيضاً: «إذا خرجت لمحاربة أعدائك، ودفعهم الرب إهلك إلى يدك، وسبيت منهم سبياً، ورأيت في السبي امرأة جميلة الصورة، والتصقت بها، واتخذتها لك زوجة؛ فحين تدخلها إلى بيتك تحلق رأسها، وتقليم أظافرها، وتنزع ثياب سبيها عنها»<sup>(٢)</sup>.

وأما قبائل العرب في الجاهلية؛ فكانوا يخوضون الحرب لأي سبب كان، قتال لأجل المال أو العرض أو النفس أو أسباب أخرى، ولم تكن هناك قواعد تضبط الحرب عندهم، وإنما هي تصرفات عشوائية، والغالب القوي هو الذي يكون له الحكم والتصرف والسيطرة، ومن ثم لا يخضع الأسير عندهم إلى حكم واحد، فهو تحت رأي من أسره، وفي الغالب يكون مآله القتل نكاية بقبيلته وأهله، مع سوء التعامل.

فلما جاء الإسلام صحح مفهوم التعامل مع الأسارى، ووضع الضوابط والقواعد لكيفية التعامل مع الأسارى بما يحقق العدل والإنصاف.

## المطلب الرابع أنواع الأسارى وأصنافهم

تختلف أحوال الأسارى بحسب أحوالهم والسبب الباعث لاستئثارهم، ولكل من تلك الأحوال أحكامها الشرعية الخاصة، فلا يمكن إطلاق حكم واحد لجميع الأسرى، فيفرق بين الأسارى في الأحكام لاختلاف البواعث.

(١) «العهد القديم»، سفر التثنية، إصحاح ١٣، ١٥، ١٦.

(٢) «العهد القديم»، سفر التثنية، إصحاح ٢٠، ١١، ١٣.

ويمكن تقسيم الأسارى إلى ثلاثة أقسام:

**القسم الأول:** الكفار المحاربون ومن دخل دار الإسلام بلا أمان أو عهد، وهؤلاء يخير فيهم الإمام ما بين أربعة أمور بحسب ما تقتضيه المصلحة:

**أولاً:** القتل، وهذا خاص بالرجال، ويكون لحال مخصوص وسبب ومبرر واضح مما يراه الإمام سبباً للقتل، ومثل ذلك لما قتل النبي ﷺ جماعة من أهل بدر، وقتل رجال بني قريظة، وفي فتح مكة أهدر دم تسعة رجال من أهل مكة، منهم ابن خطل، وعبد الله بن أبي السرح، وعكرمة بن أبي جهل، وغيرهم.

وقد منع النبي ﷺ من قتل النساء والصبيان والشيوخ ومَنْ ليس لهم يدٌ في القتال؛ فهؤلاء يكونون رقيقاً للمسلمين؛ فقد أنكر ﷺ قتل النساء والولدان ونهى عنه<sup>(١)</sup>.

**ثانياً:** الفداء، وهو أن يدفع الأسير مبلغاً من المال أو تدفع له، أو يؤدي منفعة للمسلمين، أو يفادى بأسرى من المسلمين عند الكفار، كل ذلك لأجل أن يخلص نفسه من الأسر، وستأتي صورته في المبحث الثالث.

**ثالثاً:** المَنْ، وهو أن يخلي الإمام سبيل الأسير ويعفو عنه بلا مقابل.

**رابعاً:** الاسترقاق، وهو أن يكون عبداً عند المسلمين ولا يرجع إلى قومه.

وهذه الأحوال الأربعة يخير فيها الإمام بحسب ما يراه مصلحة للمسلمين، وهو اجتهاد قد يصيب فيه ويخطئ. قال ابن قدامة: «ولأن كل خصلة من هذه الخصال قد تكون أصلح في بعض الأسرى، فإن منهم من له

(١) أخرجه البخاري (٣٠١٤، ٣٠١٥)، ومسلم (١٧٤٤)، من حديث ابن عمر.

قوة ونكاية في المسلمين، وبقاؤه ضرر عليهم، فقتله أصلح، ومنهم الضعيف الذي له مال كثير، ففداؤه أصلح، ومنهم حسن الرأي في المسلمين، يرجى إسلامه بالْمَنِّ عليه، أو معونته للمسلمين بتخليص أسراهم، والدفع عنهم، فالْمَنُّ عليه أصلح، ومنهم من ينتفع بخدمته، ويؤمن شره، فاسترقاقه أصلح، كالنساء والصبيان، والإمام أعلم بالمصلحة، فينبغي أن يفوض ذلك إليه.. إذا ثبت هذا، فإن هذا تخيير مصلحة واجتهاد، لا تخيير شهوة، فمتى رأى المصلحة في خصلة من هذه الخصال، تعينت عليه، ولم يجز العدول عنها<sup>(١)</sup>.

وقال ابن قيم الجوزية: «كان يمن على بعضهم، ويقتل بعضهم، ويفادي بعضهم بالمال، وبعضهم بأسارى المسلمين، فعل ذلك كله بحسب المصلحة»<sup>(٢)</sup>.

القسم الثاني: أسارى العرب<sup>(٣)</sup>، فقد استثنى الحنفية أسارى العرب من الاسترقاق، فقال: لا يجوز استرقاقهم كما لا يجوز ضرب الجزية عليهم؛ لأن العرب اختصوا بشرف النسب؛ لكون النبي ﷺ منهم<sup>(٤)</sup>. والجمهور على جواز استرقاق العرب؛ لحديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل»<sup>(٥)</sup>، فإذا ثبت العتق دل على ثبوت الرق عليهم.

ولقوله ﷺ لعائشة...: «أعتقها فإنها من ولد إسماعيل»، قال ذلك لها لما كانت عندها سبية من تميم<sup>(٦)</sup>، فدل على أن الرق قد وقع عليهم، وقد كان النبي ﷺ سبى من هوازن ستة آلاف.

(١) «المغني» (٤٦/١٣ - ٤٧).

(٢) «زاد المعاد» لابن القيم (٩٩/٣).

(٣) «نيل الأوطار» للشوكاني (١٠ - ٧/٨).

(٤) ينظر: «المبسوط» للسرخسي (١١٨/١٠)، «بدائع الصنائع» للكاساني (١١٩/٧).

(٥) أخرجه مسلم (٢٦٩٣).

(٦) أخرجه البخاري (٢٥٤٣)، ومسلم (٢٥٢٥)، من حديث أبي هريرة ﷺ.



قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكان يسبي العرب وكذلك خلفاؤه بعده، كما قال الأئمة وغيرهم: سبى النبي ﷺ العرب، وسبى أبو بكر بني ناحية، وقد تبين مما ذكرناه أن الصحيح جواز استرقاق العرب»<sup>(١)</sup>.

القسم الثالث: أسارى بغاة المسلمين، وهم المسلمون الذين يؤسرون في قتال الفتنة، أو البغاة الذين يخرجون على الإمام، وهؤلاء يقاتلون بقدر ما يدفعون به، ويعاملون بما يدفع به شرهم، وتحرم غنيمة أموالهم وسبى ذريتهم ونسائهم، وهذا بالإجماع؛ لأنهم مسلمون معصومون، وإنما أبيع من دمائهم وأموالهم ما حصل من ضرورة دفعهم وقتالهم كالصائل وقاطع الطريق<sup>(٢)</sup>، كفعل علي ﷺ في النهروان وصفين.

وتكون مدة حبسهم وأسرههم إلى أن يبايعوا الإمام ويرجعوا إلى الطاعة أو تنتضي الحرب وتزول شوكتهم. واتفق الفقهاء على أنه لا يجوز فداؤهم مقابل مال، ويجوز مفاداتهم مقابل أسرى أهل العدل<sup>(٣)</sup>.



(١) «مجموع الفتاوى» (٣١/٣٧٦).

(٢) حكاة ابن قدامة في «المغني» (٨/٥٣٤).

(٣) ينظر: «الموسوعة الفقهية» (٤/٢٠٨ - ٢١٠).

## المبحث الأول الرفق بهم ودعوتهم

لقد امتازت دعوة النبي ﷺ عمومًا بالرفق واللين مع كل الناس حتى مع مخالفيه، ولهذا أمثلة كثيرة من حياته ﷺ، وكان ذلك سببًا في دخول الناس أفواجًا إلى الإسلام، فجماع الأمر في الدعوة هو اللين والرفق، والقاعدة في ذلك قوله ﷺ: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما انتزع من شيء إلا شانه»<sup>(١)</sup>.

ولما كان هذا الخلق من صفاته ﷺ؛ فإننا نجده يطبقه تمامًا مع الأسارى الذين وقعوا بيد المسلمين، ولم يمنعه بغضهم له وقتالهم له من أن ينصفهم ويعدل فيهم في دار الإسلام حيث القوة والغلبة للمسلمين، فكان يرفق بهم ويلين الجانب معهم؛ لأنهم في هذه الحال ضعفاء يحتاجون إلى معاملة مخصوصة، ولنعرض شيئًا من هذه الجوانب الرحيمة؛ لتأمل الأثر الإيجابي المترتب على هذا التعامل النبوي، وسأتطرق إلى حادثتين ممن عاملهم النبي ﷺ بالرفق واللين.

### المطلب الأول خبر ثمامة بن أثال

أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ بعث

(١) أخرجه مسلم (٢٥٩٤)، من حديث عائشة ...

خيلاً قبلَ نجد<sup>(١)</sup> فجاءت بثمامة بن أثال - وهو من بني حنيفة - أسيراً، فربطوه بسارية من سوارى المسجد. فخرج إليه النبي ﷺ فقال: «ما عندك يا ثمامة؟». فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسلّ منه ما شئت. فترك حتى كان الغد، فقال: «ما عندك يا ثمامة؟». فقال: ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكر، فتركه حتى كان بعد الغد. فقال: «ما عندك يا ثمامة؟». فقال: عندي ما قلت لك. فقال: «أطلقوا ثمامة».

فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، يا محمد! والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب دين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟

فبشره رسول الله ﷺ، وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت<sup>(٢)</sup>!! قال: لا، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتىكم من الإمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ<sup>(٣)</sup>.

وفي هذه الرواية من الفوائد العظيمة، والحكم الكثيرة، فقد تمثل وظهر رفقه ﷺ ولينه بثمامة من عدة وجوه:

(١) وهذه السرية كانت بقيادة محمد بن مسلمة، فخرج في ثلاثين ركباً لعشر خلون من المحرم في السنة السادسة، ذهبوا إلى «القرطاء»، فغاروا على بطن بني بكر ابن كلاب، = فقتل نفرًا منهم وهرب سائرهم، وأسروا ثمامة بن أثال، هذه أشهر رواية في أسر ثمامة. ينظر: «المغازي» للواقدي (٥٣٤/٢)، «السيرة» لابن حبان (٢٦٨/١)، «سبل الهدى والرشاد» للصالحى (٧١/٦)، «عيون الأثر» لابن سيد الناس (٦٣/٢). وقد وقع اختلاف في كيفية أسرته كما ذكر ذلك الإمام البيهقي في «دلائل النبوة» (٧٨/٤).

(٢) كانت قريش تقول لكل من أسلم: «صبأ»، حتى اشتهرت هذه اللفظة، وصاروا يطلقونها في مقام الذم. ينظر: «فتح الباري» لابن حجر (٥٧/٨).

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٧٢)، ومسلم (١٧٦٤)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

أولاً: تقييده وربطه في أفضل الأماكن وأشرفها، وهو مسجد رسول الله ﷺ، فلم يربطه في مكان تأنف منه النفوس، أو تستوحش منه القلوب؛ بل جعله في مكان ينظر: فيه إلى تعامل النبي ﷺ مع أصحابه وتعاملهم معه.

ثانياً: تلفظه ﷺ بسؤاله: «ما عندك يا ثمامة»، كأنه يريد أن يستخرج شيئاً مما علق في قلبه، وهو أسلوب غير مباشر لدعوته إلى الإسلام، فلسان حاله يقول: هل عندك شيء يحول بينك وبين الدخول في الإسلام، إن كان عندك ما يمنع فقل أسمع لك.

ثالثاً: صبره ﷺ عنه على شدة جوابه وقسوته تجاهه، فالنبي يسأله ويتلطف معه بالكلام، بينما هو يرد عليه بأسلوب مختلف فيه الترغيب والترهيب.

رابعاً: تكراره السؤال عليه ثلاث مرات، مما يدل على حلمه ﷺ ولينه ورفقه به، وترك العجلة في الحكم عليه، والتريث في حاله، لعل ذلك يكون سبباً في كسب قلبه إلى الإيمان.

خامساً: عفوه وإطلاقه وفكاكه بدون مقابل، فلم يبادر في قتله ﷺ، ولم يفتد منه بمال، وإنما أطلقه منةً منه ﷺ، وذلك أن النبي لم يكن يتشوف إلى قتل مخالفه إلا لمبرر وسبب، مع أن ثمامة قد همَّ بقتل النبي ﷺ لما مرَّ به رسول الله ﷺ، فمنعه عمه من ذلك، فأهدر رسول الله ﷺ دمه<sup>(١)</sup>، فكان يظن أنه مقتول لا محالة، ولهذا قال: «إن تقتل تقتل ذا دم»، لأنه كان سيد أهل اليمامة، فعنده من يطالب بدمه، ولهذا قال له هذا الكلام.

إن لهذا الخلق والتعامل من النبي ﷺ الأثر البالغ في دخول ثمامة للإسلام، فبعد أن كانت العداوة والبغضاء في قلبه؛ انقلبت حاله إلى محبة

(١) ينظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٧٦/٦).

وولاء للنبي ولدينه، فصار النبي من أحب الناس إليه، ودينه أحب الأديان إليه، وبلده أحب البلاد إليه.

قال الحافظ ابن حجر: «وفيه الملاطفة بمن يرجى إسلامه من الأسارى إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام، ولا سيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير من قومه»<sup>(١)</sup>، وقد تحقق إسلامه بعد هذا التعامل الراقي من النبي ﷺ.

## المطلب الثاني خبر أسير بني عقيل

عن عمران بن حصين رضي الله عنه عنه قال: كانت ثقيف حلفاء لبني عقيل، فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ، وأسَرَ أصحاب رسول الله ﷺ رجلاً من بني عقيل، وأصابوا معه العضباء<sup>(٢)</sup>، فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو في الوثاق، قال: يا محمد. فأتاه فقال: «ما شأنك؟» فقال: بم أخذتني؟ وبم أخذت سابقة الحاج<sup>(٣)</sup>، يعني العضباء. فقال إعظاماً لذلك: «أخذتك بجريرة حلفائك ثقيف». ثم انصرف عنه فناداه، فقال: يا محمد، يا محمد، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رقيقاً. فرجع إليه فقال: «ما شأنك؟». قال: إني مسلم. قال: «لو قلتها وأنت تملك أمرك لفلحت كل الفلاح». ثم انصرف. فناداه فقال: يا محمد، يا محمد، فأتاه فقال: «ما شأنك؟». قال: إني جائع فأطعمني، وظمآن فاسقني. قال: «هذه حاجتك»، ففدي بالرجلين<sup>(٤)</sup>.

(١) «فتح الباري» (٨٨/٨).

(٢) هي ناقة النبي ﷺ، وكانت لرجل من بني عقيل، ثم انتقلت إليه ﷺ.

(٣) أي ناقته ﷺ.

(٤) أخرجه مسلم (١٦٤١).

وتتمثل رحمة النبي ﷺ ورفقه بهذا الرجل من عدة وجوه:

أولاً: حسن حوارهِ ﷺ معه، وسعة صدره في جوابه، ولين القول معه، مع أنه ينادي النبي ﷺ باسمه مجرداً «محمد»، فلم يناديه بكنيته ولا بلقبه، مع أنه أسير مغلوب على أمره وهو موثق، وفي موقف ضعف، فلم يحسن الكلام مع النبي، ومع هذا ردَّ عليه النبي ﷺ، ولم يعنفه أو يغلظ عليه.

ثانياً: فداؤه بعد أسره بالرجلين المسلمين مباشرة، فلم يمكث عنده أكثر من ذلك؛ لأن النبي ﷺ لا يتشوف إلى أن يكون عنده الأسير بلا فائدة ولا مبرر، فلما كان الأمر كذلك أطلقه بمجرد أن أطلقت ثقيف الرجلين المسلمين.

ثالثاً: اكتفاء النبي ﷺ بالأسر فقط، ولم يتعد الأمر إلى التعذيب أو الإهانة أو النكال؛ حتى أفرج عنه بعد أطلقوا المسلمين.

رابعاً: تكرار مناداته له وسؤاله للنبي ﷺ يدل على أن الرجل يعلم من النبي ﷺ الرفق واللين، فأيقن أنه عند الرفيق الرحيم الذي لا يظلم عنده أحد، فشعر بالأمان تجاهه.

خامساً: حرص النبي ﷺ على أسارى المسلمين، فكان يسارع في إطلاقهم ما وجد ذلك ممكناً، سواء كان فداءً أو مَنّاً.

وقوله ﷺ: «لو قتلها وأنت تملك أمرك». يحتمل أنه أراد الإسلام تقيّةً، قال الخطابي: «فإنه يتأول على أنه قد كان أطلعه الله على كذبه، وأعلم أنه تكلم به على التقيّة دون الإخلاص، ألا تراه يقول: هذه حاجتك؛ حين قال: إني جائع فأطعمني، وإني ظمآن فاسقني. وليس هذا لأحد بعد رسول الله ﷺ، فإذا قال الكافر: إني مسلم قبل إسلامه، ووكلت سريرته إلى ربه تعالى، وقد انقطع الوحي، وانسد باب علم الغيب»<sup>(١)</sup>.

(١) «معالم السنن» للخطابي (٤/٥٨).



كل هذه الأمور تدل على رفقته ﷺ بالأسير ورحمته، وحسن معاملته الإنسانية لأولئك الأسرى مما ترك الأثر الإيجابي في قلوبهم، فتنحسّن صورة الإسلام عنده، وينشرح صدره للإيمان، ويرجع إلى قومه فيسألونه عن معاملته فيخبرهم عن رقيه وحسن خلقه معه أثناء أسره، وهذا باب عظيم من أبواب الدعوة إلى الله تعالى، أن يكون الداعية - حتى مع مخالفيه - رفيقاً لين الجانب معهم، يسمع منهم، ويجيب على تساؤلاتهم بكل شفقة ورحمة؛ فينال الداعية الثواب والأجر من الله على دعوته وحسن معاملته، وتتحقق هداية التوفيق إلى دين الإسلام، فكان -بحق- نبي الرحمة.

وفيه ردُّ على فرق الضلالة من الخوارج وغيرهم ممن يكفرون أسراهم، يل وقتل كل من يقع في أيديهم من الناس، فهم لا يفرقون بين مسلم وغير مسلم، وما فعلهم هذا إلا دليل على ضلالهم واتخاذهم سبيلاً غير سبيل المؤمنين.



## المبحث الثاني الإحسان إلى الأسرى

إن الله ﷻ قد كتب الإحسان وأمر به في كل شيء، وقد جاءت النصوص الشرعية مستفيضة بالأمر به، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠] وقال: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] والإحسان اسم جامع يشمل فعل كل ما ينبغي أن يفعل من الخير<sup>(١)</sup>. وهو من ثمرات الرحمة، كما قال الراغب: «والرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم»<sup>(٢)</sup>.

ولما كان للأسير حقُّ الإنسانية في التعامل معه؛ كان لتعامل النبي ﷺ المثال الواضح الذي يبين عدله وإحسانه مع مَنْ هم تحت سيطرته وقبضته بعد أن كانوا يقاتلونه، إلا أن هذا لم يمنعه من الإنصاف في الحكم، والعدل في التعامل، فهو القائل: «استوصوا بالأسارى خيراً»<sup>(٣)</sup>، والخير يُعمُّ جميع وجوه الإحسان إليهم.

وقد تعددت أوجه الإحسان في تعامل النبي ﷺ مع الأسرى، وسأطرق إلى أبرز هذه الأوجه مستنداً بما ذكره المحدثون وأهل السير.

(١) ينظر: «التعريفات» للجرجاني (ص ١٢).  
(٢) «المفردات» (ص ٢٤٧).  
(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٩٣/٢٢).



## المطلب الأول إطعام الأسارى وسقيهم وإكرامهم

إن إطعام الأسير وسقيه من أعظم وجوه الإحسان والإكرام، سواء كان هذا الأسير محكوماً عليه بالقتل أو السبي أو الإطلاق، فالطعام والشراب من حقه الإنساني الضروري الذي لا يجوز أن يُمنع أو يحال عنه.

ودليل ذلك: عموم قوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسْكِنًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]، فأثنى الله تعالى على الأبرار الذين يطعمون الطعام مع تشوف النفس إليه وحبها له والرغبة فيه، وذكر منهم الأسير. قال قتادة: «لقد أمر الله بالأسراى أن يحسن إليهم، وإن أسراهم يوماً لأهل الشرك»<sup>(١)</sup>.

وقال أبو بكر ابن العربي: «وفي إطعامه ثواب عظيم، وإن كان كافراً فإن الله يرزقه، وقد تعين بالعهد إطعامه، ولكن من الفضل في الصدقة، لا من الأصل في الزكاة»<sup>(٢)</sup>.

فمن ذلك: أمره ﷺ بإطعام الأسرى وسقيهم وإكرامهم يوم بدر، كما قال ابن عباس رضي الله عنه: «أمر رسول الله ﷺ أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء»<sup>(٣)</sup>، فامتثلوا أمره ﷺ واستجابوا له، فكانوا يطعمونهم أطيب الطعام، بل يؤثرونهم على أنفسهم فيما تشتهي نفوسهم.

فقال أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير رضي الله عنه وكان قد وقع يوم بدر أسيراً: «وكنت في نفر من الأنصار، فكانوا إذا قدموا غداءهم

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٣/٥٤٤ - ٥٤٣).

(٢) «أحكام القرآن» لابن العربي (١٧/٨)، وينظر: «تفسير القرطبي» (٢١/٤٦٠).

(٣) ذكره الحافظ ابن كثير في «التفسير» (٨/٢٨٨)، ولم أجد من أخرجه مسنداً.

وعشاءهم أكلوا التمر وأطعموني البر؛ لوصية رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>. وكان أبو عزيز صاحب لواء المشركين بيد بعد النضر بن الحارث<sup>(٢)</sup>، ومع هذه المكانة التي كان يشغلها أبو عزيز؛ إلا أن هذا لم يكن مانعاً من أن يحسن الصحابة ﷺ إليه، فيطعمونه أفضل الطعام، ويقدمونه على أنفسهم.

ويقول أبو العاص بن الربيع: «كنت في رهط من الأنصار جزاهم الله خيراً، كنا إذا تعشينا أو تغدينا آثروني بالخبزة وأكلوا التمر، والخبز معهم قليل، والتمر زادهم، حتى إن الرجل لتقع في يده كسرة فيدفعها إلي»<sup>(٣)</sup>، فمع قلة الطعام عندهم إلا أنهم يؤثرونهم على أنفسهم.

وكان الوليد بن الوليد بن المغيرة يقول مثل ذلك ويزيد قوله: «وكانوا يحملوننا ويمشون»<sup>(٤)</sup>.

وقد وضع رسول الله ﷺ بوصايا هذه نظاماً سار عليه المسلمون في فتوحاتهم، وأصبح سمة لهم في تعاملهم في غزواتهم في مشارق الأرض ومغاربها، الأمر الذي افتقدته أنظمة العالم أجمع، ولم يقرر إلا بعد الحرب العالمية الثانية!!

فكان هدي النبي ﷺ في تعامله مع الأسرى رحمة، وعليه سار صحابته ﷺ، ولم يكتفوا بإطعامهم فحسب، بل كانوا يؤثرونهم على أنفسهم، ويقدمون لهم أطيب الطعام، إنها الرحمة التي أمر الله بها، والإحسان والعدل الذي بعث النبي ﷺ من أجله، فلم يجرحهم بغضهم لأولئك الأسرى من أن يحسنوا إليهم ويطعموهم ويسقوهم مما لذ وطاب من الطعام والشراب، كل ذلك لندرك محاسن الإسلام، وسماحة الشريعة، والرحمة في التعامل حتى مع ألد الأعداء خصومة.

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٩٣/٢٢).

(٢) ينظر: «السيرة» لابن هشام (٢٨٧/٢).

(٣) أخرجه ابن عساکر في «تاريخ دمشق» (٩/٦٧).

(٤) أخرجه ابن عساکر في «تاريخ دمشق» (٩/٦٧).

وقد كان لتعامل النبي ﷺ وأصحابه الأثر الطيب والإيجابي مع الأسير - سواء أسلم أم لا - فكانوا يتحدثون بذلك عند أقوامهم، مما يعكس السمعة الحسنة عن الإسلام وأهله، مقارنة مع ما كانوا يفعلون هم لو وقع أحد المسلمين أسيراً عندهم.

فلا يجوز أن يمنع الأسير حق الطعام والشراب؛ فإذا كانت المرأة قد دخلت النار في هرة سجنتها حتى ماتت، لا هي أطعمتها ولا سقتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض؛ وهذا في التعامل مع البهائم؛ فكيف بآدمي مأسور لا يملك لنفسه شيئاً.

## المطلب الثاني كسوة الأسارى

ولما كان باب الإحسان والرحمة واسعاً وشاملاً لكل أوجه الخير؛ فقد حرص النبي ﷺ أيضاً على كسوة من عنده من الأسارى، خصوصاً لمن لم يكن له ثوب.

فمن ذلك: كسوته للعباس يوم بدر، فقد أخرج البخاري في باب «الكسوة للأسارى»، من حديث جابر بن عبد الله (قال: لما كان يوم بدر أتى بأسارى من المشركين<sup>(١)</sup>، وأتى بالعباس، ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي ﷺ له قميصاً، فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه<sup>(٢)</sup>، فكساه النبي إياه)<sup>(٣)</sup>.

ومن ذلك: كسوة أسارى هوازن، وأمر ﷺ لهم بالكساء، فقد أمر رجلاً

(١) هذه زيادة من شرح الحافظ في «فتح الباري»، وليست موجودة في رواية البخاري المطبوعة.

(٢) أي على مقداره.

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٠٨).

أن يأتي مكة ويشترى للسبي الكساء، فلا يخرج الحر منهم إلا كاسياً<sup>(١)</sup>.  
وأمره بكسوتهم يدل على حرصه ورحمته بالأسارى وهم في دار الحرب.

ومن ذلك: ما ورد أن ابنة حاتم الطائي كانت من سبايا طيء، فجعلت في حظيرة بباب المسجد كانت السبايا يُحبسن بها، فمر بها رسول الله ﷺ فقامت إليه، وكانت امرأةً جزلة<sup>(٢)</sup>، فقالت: يا رسول الله هلك الوالد، وغاب الوافد، فأمّن عليّ من الله عليك. قال: «ومن وافدك؟». قالت: عدي بن حاتم. قال: «الفار من الله ورسوله!!»<sup>(٣)</sup>.

قالت: ثم مضى وتركني حتى إذا كان الغد مرّ بي، وقد أيستُ، فأشار إليّ رجلٌ من خلفه أن قومي إليه فكلّميه. قالت: فقمّت إليه، فقلت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فأمّن عليّ من الله عليك. قال: «قد فعلت، فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك، ثم أذنيني».

قالت: وأقمت حتى قدم ركب من «بلي» أو من «قضاة»، قالت: وإنما أريد أن آتي أخي بالشام. قالت: فجئت رسول الله ﷺ. فقلت: يا رسول الله، قد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ، قالت: فكساني رسول الله ﷺ، وحملني وأعطاني نفقة، فخرجت معهم حتى قدمت الشام.

فلما وصلت إلى عدي بن حاتم في الشام سألتها: ماذا ترين في أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبياً، فالسابق إليه له فضيلة، وإن يكن ملكاً فلن تذل في عزيمن<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١٩٣/٥).

(٢) الجزل: يطلق على القوي الغليظ، وجيد الرأي، وتام الخلق. ينظر: «لسان العرب» (١٠٩/١١).

(٣) وذلك أنه ذهب إلى الشام لما سمع بقدم خيل النبي.

(٤) «تاريخ الطبري» (١٨٧/٢ - ١٨٨)، وينظر: «سيرة ابن هشام» (٤/١٨٩)، «الروض الأنف» للسهيلي

(٤٧٦/٧)، «عيون الأثر» لابن سيد الناس (٢/٢٩٥).

فلم يكتفِ النبي ﷺ بالكسوة في أثناء الأسر، بل حتى بعد إطلاقه وفكاكه أحسن إليها، وزودها بما تركبه وبنفقة توصلها لبلادها .  
فتأمل كيف أن النبي ﷺ رحم أولئك الأسارى وتألف قلوبهم بكسوتهم، وهذا يدل على اهتمامه البالغ وإحسانه بهم، وإنه ليضرب أروع الأمثلة في الرحمة، وإنه لقدوة في تعامله ورحمته مع مخالفه .

### المطلب الثالث

### تهيئة المسكن المناسب للأسارى

إن توفير المأوى والمسكن المناسب للأسير من كمال رحمته ﷺ بهم، وإحسانه إليهم، وإكرامه لهم؛ فقد حرص على أن يوفر لهم مسكناً لائقاً بهم؛ فلم يكن ليتركهم مقيدين موثقين بلا مأوى يستريحون ويأويهم، فيما أن يكونوا في أشرف الأمكنة وأفضلها وهو مسجده ﷺ، وإما أن يتبرع أحد الصحابة بأن يوفر له مسكناً في بيته، ويحسن إليه ويكرمه، وفي هذا من الحكمة العظيمة البالغة التي لا تخفى على من نظر في هديه وتعامله .

فمن ذلك: ما تقدم في حادثة ثمامة بن أثال والرجل من بني عقيل، فقد أسرهم النبي ﷺ في مسجده، فيتبين من هذا أن الأسير حتى وإن كان كافراً؛ فإنه يجب أن يكون في مكان لائق به، فلا يوثق في مكان يجد فيه الهوان أو الذلة، وهذا من كمال رحمته وعدله .

ومن ذلك: ما رواه الحسن البصري: مرسلًا أن رسول الله ﷺ كان يوتى بالأسير، فيدفعه إلى بعض المسلمين، فيقول: «أحسن إليه»، فيكون عنده اليومين والثلاثة، فيؤثره على نفسه<sup>(١)</sup>.

(١) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/٦٦٨)، ولم أجد من أخرجه مسنداً .

## المطلب الرابع عدم تعذيب الأسارى

جرت العادة في الجاهلية وعند الأمم الأخرى على أن يتم تعذيب الأسير بشتى أنواع العذاب والنكال، سواء كان لسبب -كأن يعترف لهم بالمعلومات والأسرار- أو بدون سبب يذكر، إلا أن رحمة النبي ﷺ أبت مثل هذه التصرفات والأخلاق، فمنع من تعذيب الأسارى، حتى وإن كان صدر فيهم حكم الإمام بالقتل.

فمن ذلك: أن النبي ﷺ بعث علياً وسعداً والزبير إلى ماء بدر يلتمسون خبر قريش، فقدموا بعبدين لقريش، ورسول الله ﷺ قائم يصلي، فسألها أصحابه لمن أنتم؟ فقالوا: نحن سقاة لقريش. فكره ذلك أصحاب رسول الله ﷺ وودوا أن لو كانا لعير أبي سفيان وأنه منهم قريب ليفوزوا به؛ لأنه أخف مؤونة من قتال النفير من قريش لشدة بأسهم واستعدادهم لذلك، فجعلوا يضربونهما، فإذا آذاهما الضرب قالوا: نحن لأبي سفيان. فإذا سكتوا عنهما قالوا: نحن لقريش، فلما انصرف رسول الله ﷺ من صلاته قال: «والذي نفسي بيده، إنكم لتضربونهما إذا صدقا، وتتركونهما إذا كذبا»<sup>(١)</sup>. فقد أنكر عليهم النبي ﷺ هذا الضرب والتعذيب لأجل أن يدلوا لهم بما يريدون من أخبار، وبين لهم أنهم صدقوا في بادئ الأمر، ثم كذبوا لأجل الضرب، فدل على أن التعذيب منهي عنه، ويأتي بعواقب لا تحمد.

ومن ذلك أيضاً: أن سهيل بن عمرو كان من الذين يؤذون النبي ﷺ والمسلمين، ووقع في أسارى بدر، فقال عمر ﷺ للنبي ﷺ: يا رسول الله، دعني أنزع ثيبي سهيل بن عمرو، ويدلع لسانه، فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أبداً. فقال له رسول الله ﷺ: «لا يا عمر، لا أمثل به، فيمثل



(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١٠٩/٣)

الله بي وإن كنت نبياً»<sup>(١)</sup>. وفي رواية: «إنه عسى أن يقوم مقاما لا تدمه»<sup>(٢)</sup> - فانظر- رحمك الله إلى تلك الرحمة التي في قلب النبي ﷺ مع ألد أعدائه، وقد كان سهيل من خطباء قريش المفوهين، وقد وضع النبي ﷺ نفسه مكانه، وخشي أن يؤاخذ الله بهذا الفعل.

ويستأنس بما رواه الواقدي<sup>(٣)</sup>: أنه ﷺ أسر جماعةً من يهود بني قريظة، فلما رأهم موقوفين في العراء في ظهيرة يوم صائف، قال للمسلمين: «لا تجمعوا عليهم حر هذا اليوم وحر السلاح، قيلوهم حتى يبردوا». فرحم النبي ﷺ حالهم في ذلك اليوم، ورأى أن مكثهم في مثل هذا الموقف فيه نوع من التعذيب، وقد يلحقهم الضرر لأجل ذلك، فلهذا أمرهم النبي ﷺ أن يظلوهم رحمةً بهم، مع أن الذي حكم عليهم هو سعد بن معاذ وأقره النبي ﷺ، إلا أن هذا لا ينافي الإحسان إليهم قبله.

وهذا النهي عن التمثيل والتعذيب الجسدي أو النفسي أو غير ذلك من أوجه التعذيب؛ لم يكن من هدي النبي ﷺ في تعامله مع أسراه لا في الحرب ولا في دار الإسلام؛ ليُقَعَّدَ لنا القواعد والضوابط الشرعية في كيفية التعامل مع الأسير، وأن مدارها على الرحمة والإحسان إليه.

## المطلب الخامس الرعاية المعنوية للأسارى

لم يكتف النبي ﷺ بالإحسان المادي والبدني للأسير، بل تعدى إحسانه إلى أن يراعي ما في نفوسهم وقلوبهم، ويهتم بمشاعرهم الإنسانية، فمن

(١) أخرجه الطبري في «التاريخ» (٤١/٢).

(٢) أخرجه الطبري في «التاريخ» (٤١/٢).

(٣) «الغازي» (٥١٤/٢).

ذلك: أنه نهى ﷺ عن أن يفرق بين الأم وولدها؛ ويدل على ذلك: أن أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه مرَّ على السبي، فإذا امرأة تبكي، فقال: ما شأن هذه؟ قالوا: فرقوا بينها وبين ولدها، قال: فأخذ بيد ولدها حتى وضعه في يدها. وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من فرَّق بين والدته وولدها؛ فرَّق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

وأتى أبو أسيد الأنصاري رضي الله عنه بسبي من البحرين فصفوا، فقام رسول الله ﷺ، فنظر إليهم فإذا امرأة تبكي، فقال: «ما يبكيك؟». قالت: بيع ابني في بني عبس. فقال ﷺ لأبي أسيد: «لتركبن فلتجيئن به». فركب فجاء به<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام أحمد: «لا يفرق بين الأم وولدها وإن رضيت»<sup>(٣)</sup>.

وقال الترمذي: «والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم؛ كرهوا التفريق بين السبي بين الوالدة وولدها، وبين الولد والوالد، وبين الإخوة»<sup>(٤)</sup>، ونقل ابن قدامة: الإجماع على منع التفريق بين الأم وولدها<sup>(٥)</sup>؛ لأن ذلك يجزعها ويلحقها الضرر بفراقه، فهي ضعيفة أمامه، وهذه فطرة فطر الله بها الأم تجاه ولدها، بل إن أشد أنواع العذاب والنكال أن يفرق بين الأم وولدها، فلهذا راعى النبي هذه المسألة، وقدر مشاعر الأم الأسيرة عنده، فلم يفرق بينها وبين ولدها.

ومن ذلك: إبعاد الأسير عن موضع قتل أهله بعد القتال؛ لأن ذلك يثير حزنه وضيقه تجاههم بعد أن رأهم قتل أمام عينه، ويدل على ذلك أن رسول الله ﷺ لما فتح «الغموص»<sup>(٦)</sup> أتى بصفية بنت حبي ومعه ابنة

(١) أخرجه أحمد (٢٣٤٩٩)، والترمذي (١٥٦٦).

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٦٥٤)، والحاكم في «المستدرک» (٦١٩٣)، وهو مرسل.

(٣) «المغني» لابن قدامة (١٠٨/١٣).

(٤) «الجامع» (١٥٦٦).

(٥) «المغني» (١٠٨/١٣)، وينظر: «الإجماع» لابن المنذر (ص ٦٤).

(٦) حصن في خيبر لبني أبي الحقيق.



عمّ لها، جاء بهما بلال، فمر بهما على قتلى يهود، فلما رأتهم المرأة التي مع صفيّة صكت وجهها، وصاحت وحثت التراب على وجهها، فقال ﷺ لبلال: «أنزعت الرحمة من قلبك حين تمرُّ بالمرأتين على قتلهما؟»<sup>(١)</sup>.

ففي هذه المواقف دلالة واضحة بيّنة على رحمة النبي ﷺ تجاه الأسير ورأفته بهم، فقد راعى مشاعرهم وأحاسيسهم وقلوبهم، فنهى عن كل ما يثير أشجانهم وأحزانهم، فيكفيهم حزناً على حالهم وما قد يصير إليه مآلهم، إلا أنهم في حكم وتصرف ذلك النبي الرحيم الكريم الذي امتن الله به على البشرية، فما أرسله إلا رحمة للعالمين.

وبعد.. فهذا هو الإحسان الذي أمر به الله ﷻ، وهذا هو العدل والإنصاف الذي طبقه النبي ﷺ. هذه هي الرحمة التي بُعث من أجلها ﷺ، لم تجره براءته مما هم عليه من الكفر والشرك من أن يحسن إليهم ويعدل الحكم فيهم، وهكذا أخذ الصحابة رضوان الله عليهم عنه هذا الهدى النبوي، فصاروا يحسنون إلى من في أيدهم من الأسرى، وعلى خطاهم سار السلف الصالح ومن بعدهم من الأئمة، حتى قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «السبي الذي بأيدينا من المسيحيين يعلم كل أحد إحساننا ورحمتنا ورأفتنا بهم، كما أوصانا خاتم المرسلين ﷺ»<sup>(٢)</sup>.



(١) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (٢٦٤/١).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٦١٨/٢٨).

## المبحث الثالث إطلاق الأسارى وفكاكهم

إن نظام إطلاق الأسير وفكاكه من الأمور التي اختصت وتميزت به هذه الشريعة الرحيمة بالإنسانية، بخلاف بعض التصرفات التي لا تنظر إلا إلى الدم والعنف مع الأسير، فلم يكن في عرف المحاربين إطلاق للأسير، وإنما القتل والتعذيب والاستعباد.

وإطلاق الأسير وفكاكه يعتبر ضرباً من أضراب العفو، وهو منوط بالمصلحة التي يرى الإمام تحققها فيه، قال العلامة السعدي: «وشرط الله في العفو الإصلاح فيه؛ ليدل ذلك على أنه إذا كان الجاني لا يليق العفو عنه، وكانت المصلحة الشرعية تقتضي عقوبته؛ فإنه في هذه الحال لا يكون مأموراً به»<sup>(١)</sup>.

إلا أن الشريعة انتهجت نهج التفصيل في إطلاقه وفكاكه بحسب ما يراه الإمام، فقد كان النبي ﷺ «يمنُّ على بعضهم، ويقتل بعضهم، ويفادي بعضهم بالمال، وبعضهم بأسارى المسلمين، فعل ذلك كله بحسب المصلحة»<sup>(٢)</sup>، أو إن شاء استرقاقه.

وإذا رأى الإمام إطلاق الأسير -سواء كان في دار الحرب أو دار



(١) «تيسير الكريم الرحمن» للسعدي (ص ٧٦٠).

(٢) «زاد المعاد» لابن القيم (٣/٩٩).

الإسلام- فله حالتان:

الأولى: أن يمنّ عليه بلا مقابل.

الثانية: أن يفاديه مقابل عوض.

وقد ذكر الله تعالى هاتين الحالتين في قوله: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَنتَحَمْتُهُمْ فَسُدُّوا أَلْوَاكِفَٰمًا مِّنَّا بَعْدُ وَمِمَّا فَدَاةٌ﴾ [محمد:٤]، وسأذكر هاتين الحالتين مع شيءٍ من الأمثلة التطبيقية من هدي النبي ﷺ، والتي تجسد الرحمة في قلبه لأجل فكاك الأسارى، ولأنه لا يتشوّف إلى القتل أو التعذيب؛ برجاء أن يكون ذلك سبباً لتأليف القلوب للدخول في دين الله تعالى.

## المطلب الأول الفداء

أولاً: تعريف الفداء:

الفداء في اللغة: من فدى فديته فدى وفدأً وافتديته، والمفاداة أن تدفع رجلاً وتأخذ رجلاً، والفداء: أن تشتريه، يقال: فديته بمالي فداءً وفديته بنفسه<sup>(١)</sup>.

وأما في الشرع؛ فلم تختلف الحقيقة الشرعية عن اللغوية، فهي مأخوذة منه، وهو أن يترك الأمير الأسير الكافر، ويأخذ مالاً أو أسيراً مسلماً في مقابلته<sup>(٢)</sup>.

واستعملت الفدية في البديل الذي يتخلص به المكلف عن مكروه توجه إليه<sup>(٣)</sup>، كما قال تعالى في كفارة رمضان: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ

(١) ينظر: «لسان العرب» (١٥٠-١٤٩/١٥).

(٢) «التعريفات» للجرجاني (ص ١٦٥).

(٣) «التعريفات» للجرجاني (ص ١٦٥).

﴿طَعَامٌ مِّسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]، وفي من لم يجد هدي التمتع قال: ﴿فِدْيَةٌ مِّنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦] وذكر الله الفداء في قوله:

﴿وإن يأتوكم أسارى تفاعدوهم﴾ [البقرة: ١٩٦]: أي: تبادلوهم. وفي قراءة حمزة ونافع والكسائي: بتفدوهم أي: بالمال وتتقوذهم<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: صور الفداء:

إن للفداء ثلاث صور جاءت في سنة النبي ﷺ من خلال حروبه وغزواته، سأطرق إليها مع الأمثلة.

#### الصورة الأولى: أن يفاديهم مقابل المال:

وهو أن يتم الاتفاق على مبلغ من المال يدفعه الأسير إن كان معه، أو يدفعه له قومه.

فمن ذلك: أسرى نخلة (٢هـ)، فقد بعث النبي ﷺ سريةً إلى وادي «نخلة»<sup>(٢)</sup> بقيادة عبدالله بن جحش الأسدي ﷺ، وكان معه اثنا عشر رجلاً، وكانت في آخر رجب من السنة الثانية، وقد كتب رسول الله ﷺ له كتاباً وأمره ألا ينظر: فيه حتى يسير يومين ثم ينظر: فيه. ثم قرأ الكتاب بعد يومين، فإذا فيه: «إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصد بها عير قريش، وتعلم لنا من أخبارهم»<sup>(٣)</sup>.

فهذه السرية لم تخرج للقتال، وإنما خرجت لمعرفة أخبار قريش، ولما مرت عير لقريش تحمل زيبياً وأدمًا وتجارة، وكان فيها عمرو بن الحضرمي، وعثمان ونوفل ابنا عبدالله بن المغيرة، والحكم بن كيسان مولى

(١) ينظر: «جامع البيان» للطبري (٢/٢١٤)، «معالم التنزيل» للبغوي (١/١٤٠)، «فتح القدير» للشوكاني (١/١٢٨).

(٢) بين مكة والطائف.

(٣) أخرجه الطبري في «التاريخ» (٢/٤١٠ - ٤١١)، وفي «التفسير» (٣/٦٥٠)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/١٧ - ١٩).



بني المغيرة، فرأى المسلمون قتالهم - اجتهاداً منهم - فرمى أحدهم عمرو بن الحضرمي فقتله، وأسروا عثمان والحكم، وأفلت نوفل، ثم رجعوا إلى المدينة ومعهم العير والأسيرين، وهما أول أسيرين في الإسلام، فأنكر عليهم النبي ﷺ فعلهم .

وبعد ذلك فادى النبي ﷺ عثمان والحكم، فأما الحكم فأسلم وحسن إسلامه، وقتل يوم بئر معونة، وأما عثمان فلحق بمكة ومات بها كافراً<sup>(١)</sup>، ولم تذكر المصادر بماذا فداهم النبي، ويحتمل أنه فداهم بشيءٍ من المال كان معهم، أو أنه فداهم بما معهم من زبيب وأدم .

وهذا الفداء من النبي ﷺ لم يكن بعد حرب حتى يظهر حكم الأسير وأحواله بجلاء .

ومن ذلك: فداء أهل بدر (٢هـ)، فقد منَّ الله ﷻ على المسلمين بالنصر العظيم في غزوة بدر، ووقع كثير من قريش في قبضة النبي ﷺ، فاستشار الصحابة فيهم بقوله: «ما ترون في هؤلاء الأسارى؟». فقال أبو بكر ﷺ: يا نبي الله، هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام. فقال ﷺ: «ما ترى يا ابن الخطاب؟». قال: لا والله يا رسول الله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن علينا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان - نسيباً لعمر - فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها .

هكذا كان رأي عمر ﷺ: لما رأى من المصلحة في قتلهم وعدم بقائهم؛ لشدة أذيتهم للمسلمين على مدى ثلاث عشرة سنة في مكة من التعذيب والنكال . وأما النبي ﷺ فقد رأى رأي أبي بكر، مما يدل على أنه لم يكن يتشوف إلى القتل ولا إلى التعذيب ولا إلى الدم، وإنما يريد هداية الناس،

(١) ينظر: «سيرة ابن هشام» (٢/٦٠١).

وإبلاغ دين الله تعالى بأفضل وأجمل صورة، حتى يعود ذلك بالنفع على الإسلام وأهله، وتظهر هنا رحمته ورأفته بالأسرى الذين كانوا قبل ذلك يقاتلونه.

قال عمر: فلما كان من الغد؛ فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين بيكيان، فقال عمر: يا رسول الله، أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاءً بكيت، وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما؟ فقال رسول الله ﷺ: «أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة»، وأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يُشْرَخَ فِي الْأَرْضِ تَرِيدُوتَ عَرْضِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ تَوَلَّا كَيْتَبٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٧-٦٩] (١).

قال ابن القيم: «وقد تكلم الناس في أي: الرأيين كان أصوب، فرجحت طائفة قول عمر؛ لهذا الحديث، ورجحت طائفة قول أبي بكر لاستقرار الأمر عليه، وموافقته الكتاب الذي سبق من الله بإحلال ذلك لهم، ولموافقته الرحمة التي غلبت الغضب، ولتشبيهه النبي ﷺ له في ذلك بإبراهيم وعيسى، وتشبيهه لعمر بنوح وموسى (٢)، ولحصول الخير العظيم الذي حصل بإسلام أكثر أولئك الأسرى، ولخروج من خرج من أصلابهم من المسلمين، ولحصول القوة التي حصلت للمسلمين بالفداء، ولموافقة رسول الله ﷺ لأبي بكر أولاً، ولموافقة الله له آخرًا، حيث استقر الأمر على رأيه، ولكمال نظر الصديق فإنه رأى ما يستقر عليه حكم الله آخرًا، وغلب جانب الرحمة على جانب العقوبة.

قالوا: وأما بكاء النبي ﷺ فإنما كان رحمةً لنزول العذاب لمن أراد

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣).

(٢) أخرجه أحمد (٢٦٢٢).

بذلك عرض الدنيا، ولم يرد ذلك رسول الله ﷺ ولا أبو بكر، وإن أرادته بعض الصحابة فالفتنة كانت تعم ولا تصيب من أراد ذلك خاصة»<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا فيكون قسم من أهل بدر فداهم النبي ﷺ، وكان فداؤهم ما بين أربع مئة إلى أربعة آلاف درهم، قال ابن عباس: «جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربع مئة»<sup>(٢)</sup>.

وقد فادى النبي ﷺ أبا العاص بن الربيع - زوج زينب بنت النبي ﷺ - بقلادة لها كانت عند خديجة<sup>(٣)</sup>.

ومن الذين فاداهم النبي في بدر: العباس وعقيل، فعن أنس بن مالك ﷺ أن رجالاً من الأنصار استأذنوا رسول الله ﷺ فقالوا: ائذن لنا، فلنترك لابن أختنا عباس فداءه، فقال: «لا تدعون منه درهماً»<sup>(٤)</sup>. وقال العباس ﷺ: «فاديت نفسي، وفاديت عقيلاً»<sup>(٥)</sup>.

### الصورة الثانية: أن يفاديهم بأسرى من المسلمين:

وهو أن يتم الاتفاق بين المسلمين والكفار على أن يتنازل كل منهما عن أسراه، سواء اتفق العدد أم اختلف.

فمن ذلك: أنه ﷺ فادى رجلين من المسلمين برجل من المشركين كما تقدم<sup>(٦)</sup>.

ومن ذلك: أنه فدى رجالاً من المسلمين كانوا بمكة بامرأة من السبي، استوهبها من سلمة بن الأكوع<sup>(٧)</sup>.

(١) «زاد المعاد» (١٠١/٣)، وينظر: «فتح الباري» لابن حجر (٣٢٥/٧)

(٢) أخرجه أبو داود (٢٦٩١).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٦٩٢).

(٤) أخرجه البخاري (٢٥٣٧، ٣٠٤٨).

(٥) أخرجه البخاري (٢٥٣٩).

(٦) ينظر: المبحث الأول.

(٧) أخرجه مسلم (١٧٥٥).

### الصورة الثالثة: أن يفاديهم مقابل منفعة:

وهو أن يؤدي الأسير خدمةً للمسلمين تنفعهم، ثم يطلق بعد ذلك، وهذه المنفعة يقدرها الإمام بحسب ما يليبي حاجة المسلمين.  
فمن ذلك: أن النبي ﷺ فادى بعض أسارى بدر على أن يعلموا أولاد الأنصار الكتاب<sup>(١)</sup>، وذلك لحاجة المسلمين إلى هذا في ذلك الوقت.

## المطلب الثاني الْمَنّ

الْمَنّ هو تخلية الأمير للأسير الكافر من غير أن يأخذ منه شيئاً<sup>(٢)</sup>، فيطلقه بلا مقابل مادي أو معنوي لوجه الله تعالى، وهذا من كمال رحمته ﷺ بهؤلاء الأسرى، فعمل هذا العفو المجاني يكون سبباً في إسلامهم. وسواء كان هذا الْمَنّ في دار الحرب أو دار الإسلام، فالإمام مخير في ذلك بحسب المصلحة كما تقدم، وقد مَنَّ النبي ﷺ على عدد من الأسارى. فمن ذلك: بقية أسرى بدر، الذين أخذهم النبي ﷺ إلى المدينة، وهم الذين شفع لهم جبير بن مطعم - وكان من الذين فاداهم النبي ﷺ في بدر، وكان من حلماة قريش وساداتهم، فجاء إليه وهو يصلي المغرب، فسمعه وهو يقرأ بسورة الطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾<sup>(٣٥)</sup> أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ<sup>(٣٦)</sup> أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُحْصِيّطُونَ<sup>(٣٧)</sup> [الطور: ٣٥-٣٧] قال: كاد قلبي أن يطير<sup>(٣)</sup>. وفي رواية أنه سمعه يقرأ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوْعٌ﴾<sup>(٤)</sup> [الطور: ٧] قال: فكأنما صدع قلبي<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (٢٢١٦)، من حديث ابن عباس ...  
(٢) ينظر: «التعريفات» للجرجاني (ص ٢١٧)، «فتح القدير» لابن الهمام (٤٧٥/٥).  
(٣) أخرجه البخاري (٤٨٥٤).  
(٤) أخرجه أحمد (١٦٧٦٢، ١٦٧٨٥).



فلما فرغ ﷺ من صلاته كلمه في بقية الأسرى، فقال ﷺ: «لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء الننتى - يعني الأسرى - لتركتهم له»<sup>(١)</sup>، وقد كانت للمطعم بن عدي يد على النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>؛ وذلك لما دخل في جواره ﷺ راجعاً من الطائف إلى مكة حينما لقي من أهل الطائف ما لقي من الأذى، قال ابن عبد البر: «وإنما كان هذا القول من رسول الله ﷺ في المطعم بن عدي لأنه الذي كان أجار رسول الله ﷺ حين قدم من الطائف من دعاء ثقيف، وكان أحد الذين قاموا في شأن الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم»<sup>(٣)</sup>، فأراد النبي ﷺ أن يرُدَّ هذا الجميل إليه، وقد فعل.

وقد منَّ على أبي عزة الشاعر واسمه عمرو بن عبد الله الجمحي في بدر، وقد أتى به إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله لقد علمت ما لي من مال، وإنني لذو حاجة وعيال، فامنن عليّ، فأخذ عليه عهداً أن لا يقاتله<sup>(٤)</sup>.

ومن ذلك: أسرى بني المصطلق (هـ)، فكان من بين الأسرى الذين أسرهم المسلمون في غزوة بني المصطلق - وتسمى غزوة المريسيع - جويرية بنت الحارث ابن أبي ضرار، وكان سيد قومه، وقد ذكرت عائشة سبب إعتاق سبايا بني المصطلق.

فعن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين قالت: لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن شماس أو لابن عم له، وكتابتته على نفسها، وكانت امرأة حلوة ملاحه، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها، قالت: فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها،

(١) أخرجه البخاري (٣١٣٩)، من حديث جبير بن مطعم ﷺ.

(٢) ينظر: «دلائل النبوة» للبيهقي (٣٥٩/١).

(٣) «الاستيعاب» لابن عبد البر (٢٢٣/١).

(٤) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٦٥/٩)، «دلائل النبوة» (٢٨٠/٣).

وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت، فدخلت عليه، فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له، فكاتبته على نفسي، فجئتك أستعينك على كتابتي.

قال: «فهل لك في خير من ذلك؟». قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: «أقضي كتابتك وأتزوجك». قالت: نعم يا رسول الله. قال: «قد فعلت». قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ تزوج جويرية بنت الحارث. فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ، فأرسلوا ما بأيديهم. قالت فلقد: أعتق بتزويجه إياها مئة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها<sup>(١)</sup>.

فانظر كيف عالج النبي ﷺ مشكلة جويرية...، وهي ابنة سيد قومها، وأنفت أن تكون أمةً عند أحد، فقرر النبي أن يعتقها ويتزوجها، فلما علم الصحابة بهذا الزواج تخرجوا من أن يكون أصهاره تحت أيديهم سبيًا، فأعتقوا مَنْ كان تحت أيديهم من بني المصطلق، فصاروا أحرارًا ببركة هذه المرأة على قومها.

وهذا نوعٌ من الفداء؛ إذ كان بعوض زواج رسول الله ﷺ منها، كما أعتق صافية، وجعل عتقها صداقها<sup>(٢)</sup>.

ومن ذلك: أسرى الحديدية (٦هـ)، كان صلح الحديدية في ذي القعدة من السنة السادسة، فلما وقع الصلح جاء في لحظة غفلة ثمانون رجلاً من أهل مكة هبطوا على النبي ﷺ وأصحابه من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي ﷺ وأصحابه، فأخذهم سلماً فاستحياهم فأنزل

(١) أخرجه أحمد (٢٦٦٥).

(٢) أخرجه البخاري (٩٤٧، ٤٢٠٠، ٥٠٨٦)، ومسلم (١٣٦٥)، من حديث أنس رضي الله عنه.

اللَّهُ ﻋَﻠَﻴْﮭِﻢْ ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ ﻋَنَّا وَأَيْدِيَكُمْ ﻋَنَّهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ ﻋَﻠَﻴْﮭِﻢْ ﴾ [الفتح: ٢٤]، وكان ذلك وقت صلاة الفجر<sup>(١)</sup>.

والغرة: الغفلة، فأرادوا أن يغيروا عليهم وهو غافلون عن الاستعداد للقتال.

وفي رواية أخرى: أنهم خرجوا أثناء كتابة الصلح، قال عبد الله بن مغفل المزني: فبينما نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شاباً عليهم السلاح، فثاروا في وجوهنا، فدعا عليهم رسول الله ﷺ، فأخذ الله بأسماعهم، فقمنا إليهم فأخذناهم، فقال رسول الله ﷺ: «هل جئتم في عهد أحد؟ أو هل جعل لكم أحد أماناً؟» فقالوا: لا. فخلى سبيلهم، فأنزل الله الآية<sup>(٢)</sup>.

وهنا تظهر رحمة النبي ﷺ، حيث جاء المسلمون إلى مكة يريدون العمرة فصدوا عن المسجد الحرام، وقريش مستعدة للقتال والحرب، وهؤلاء الأسرى قد تمكن منهم النبي ﷺ وصاروا تحت حكمه؛ إلا أنه لم يساوم أو يواجه قريشاً ويهددهم بهم؛ لأنه يريد السلم لا القتال.

ومن ذلك: أسرى هوازن (٨هـ)، وبعد غزوة حنين أصاب المسلمون ستة آلاف من السبي من هوازن، ثم إنهم جاؤوا بعد ذلك إلى رسول الله ﷺ مسلمين، وطلبوا من النبي ﷺ أن يمن عليهم.

فمن عبد الله بن عمرو بن العاص و، وأن وفد هوازن أتوا رسول الله ﷺ وهو بالجعرانة وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله، إنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك، فامنن علينا من الله عليك. فقال رسول الله ﷺ: «أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟». قالوا: يا رسول الله! خيرتنا بين أحسابنا وبين أموالنا! بل ترد علينا نساءنا وأبناءنا

(١) أخرجه أحمد (١٤٠٩٠)، وأبو داود (٢٦٨٨)، والترمذي (٢٢٦٤)، من حديث أنس ﷺ.

(٢) أخرجه أحمد (١٦٨٠٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٤٤٧).

فهو أحب إلينا. فقال لهم: «أما ما كان لي ولبني عبدالمطلب فهو لكم، فإذا صليت للناس الظهر فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله ﷺ إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله ﷺ في أبنائنا ونسائنا، فسأعطيكم عند ذلك، وأسأل لكم». فلما صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به، فقال رسول الله ﷺ: «أما ما كان لي ولبني عبدالمطلب فهو لكم». قال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ.

قال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا، وقال عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر: أما أنا وبنو فزارة فلا، قال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا. قالت بنو سليم: لا ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ. قال عباس: يا بني سليم وهنتموني! فقال رسول الله ﷺ: «أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل إنسان ست فرائض من أول شيء نصيبه فردوا على الناس أبناءهم ونساءهم»<sup>(١)</sup>.

وفي هذا يقول مالك بن عوف<sup>(٢)</sup>:

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله في الناس كلهم بمثل محمد  
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدى ومتى تشأ يخبرك عما في غد  
إذا الكتيبة عردت أنيابها بالسهمري وضرب كل مهند  
فكانه ليث على أشباله وسط الهباءة خادر في مرصد  
ومن ذلك: فتح مكة (٨ هـ)، فلما دخل ﷺ مكة فاتحاً ومنتصراً، وكانت الغلبة له على المشركين، وصاروا تحت قبضته، وأيقنوا أنهم هالكون، فقام في جماعة من قريش، فقال لهم: «ما ترون أني فاعل بكم؟». قالوا:

(١) أخرجه أحمد (٧٠٣٧)، وأبو داود مختصراً بنحوه (٢٦٩٤)، والنسائي (٦٤٨٢).

(٢) «دلائل النبوة» للبيهقي (١٩٧/٥).

أخ كريم، وابن أخ كريم. قال: « اذهبوا فأنتم الطلقاء»<sup>(١)</sup>، فكان يقال لهم: الطلقاء.

وفي رواية أنه قال: «أقول كما قال يوسف: ﴿ قَالَ لَا تَأْتِيَبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [يوسف:٩٢] فخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا في الإسلام<sup>(٢)</sup>.

وهكذا عفا عنهم ﷺ بعد أن ظنوا الهلاك إلا أنهم التمسوا العفو منه والصفح، فكان كما ظنوا، إنها الرحمة في قلب ذلك النبي الذي لم يتشوف لإراقة دم أحد رغم ما لقي منهم من الأذى؛ فهو لم يبعث للناس سفاكاً للدم، وإنما بعث رحمةً للعالمين.



(١) «السيرة» لابن حبان (٣٢٧/١)، «معرفة السنن» له (١٨٢٢٩)، وينظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (٥٦٨/٦).

(٢) «السنن الكبرى» للبيهقي (١٨٢٧٥).

## الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فمن خلال البحث عن هدي النبي ﷺ وسيرته في التعامل مع صنف من أصناف المخالفين له - وهم الأسرى - يمكن تلخيص ما تقدم بما يلي:

١. إن الشريعة وضعت القواعد والضوابط في كيفية التعامل مع الأسير، وجاءت سنة النبي ﷺ مبينة التفصيل في حكمهم، ومعرفة حدود التعامل معهم.

٢. إن الرحمة مطلب شرعي في التعامل مع المخالف والأسير خصوصاً، وتتمثل في الرفق واللين والإحسان.

٣. إطلاق لفظ «الأسير» مختص فيمن أخذ من الكفار في الحرب أو دخل دار الإسلام بلا أمان ولا عهد، فيخرج من ذلك بغاة المسلمين وأهل الذمة والعهد.

٤. وضع الإسلام نظاماً أخلاقياً متكاملًا للتعامل مع الأسارى، فكان التعامل قبل الإسلام مع الأسير إما بالتعذيب والقتل أو الاسترقاق، بينما جاءت الشريعة بأرقى التعاملات التي تحمل معنى الرحمة معه.

٥. تتفاوت الأحكام الشرعية المتعلقة بالأسارى، فيكون القتل إن كان لمبرر ومسوغ وفي حالات معينة، أو الفداء أو المَن أو الاسترقاق.
٦. الرفق واللين في التعامل مع الأسير من أبرز ما يبين رحمة النبي ﷺ بالأسير؛ وهذا من أسباب هدايتهم إلى الإسلام.
٧. الإحسان إلى الأسير كان من هدي النبي ﷺ الذي يدل على رحمته معهم، فمن وجوه الإحسان:
  - أ. توفير الطعام والشراب المناسب له.
  - ب. توفير الكسوة والملبس له إن كان محتاجاً إلى ذلك.
  - ج. تهيئة المسكن والمأوى المناسب له.
  - د. عدم تعذيبه أو مسه بأذى لغير مبرر.
  - هـ. مراعاة مشاعره ونفسته.
٨. من رحمة النبي ﷺ بالأسير أنه يعفو عن الأسير ويطلقه، ووجوه الإطلاق تتمثل بما يلي:
  - أ. الفداء مقابل مال يدفعه أو بذل منفعة للمسلمين أو فكاك أسرى مسلمين.
  - ب. المَن عليه والعفو بلا مقابل.

### التوصيات:

أن تكون هناك دراسة موسوعية تشتمل على القواعد النبوية في التعامل مع الآخرين عمومًا ومع المخالفين خصوصًا، وتكون نواةً لمشاريع علمية وبرامج توعوية لعموم المسلمين بهذا الشأن.

أن يتم تطبيق الهدي النبوي في التعامل مع أسرى الحرب والمسجونين في بلاد المسلمين، ويمكن أن تعقد البرامج التدريبية لمنسوبي السلك العسكري وغيرهم؛ حتى تكون البلاد الإسلامية المثل الأعلى في تعاملهم مع الأسرى والمسجونين.

أن يتم جمع هذه الدراسات- في هذا المؤتمر- وتحويلها إلى مركز الرحمة العالمي، بحيث يضم مشاريع علمية وتدريبية وتوعوية للمسلمين وغيرهم، ويسلط الضوء على جانب الرحمة في الإسلام، وكيف أن الشريعة جاءت بالرحمة للناس جميعاً، ويستفاد من التقنية الحديثة الإلكترونية.

هذا ما تيسر ذكره من خلاصة البحث، ومن خلاله تظهر رحمة النبي ﷺ مع صنف من أصناف المخالفين له في الدين، وهم الذين يقاتلهم ويحاربهم، فهي أشد المخالفة حيث بلغ الأمر إلى إزهاق الروح من أجل ذلك، فظهرت كمال رحمته بهم رغم شدة عداوتهم له ﷺ، وأن ذلك لم يحمله على ظلمهم أو الجور فيهم، فهو رحمة للعالمين جميعاً، بوما أرسلناك إلا رحمة للعالمين.





## فهرس المصادر والمراجع

١. الإجماع، محمد بن إبراهيم بن المنذر، تحقيق: فؤاد عبدالمنعم أحمد، دار المسلم، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
٢. أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلامية، د. عبداللطيف عامر، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
٣. أحكام السجن ومعاملة السجناء في الإسلام، حسن أبو غدة، مكتبة المنار، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
٤. الأحكام السلطانية، علي بن محمد الماوردي، دار الحديث، القاهرة.
٥. الأحكام السلطانية، محمد بن الحسين الفراء، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
٦. أحكام القرآن، محمد بن عبدالله بن العربي المالكي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.
٧. أخلاق الحروب في السنة النبوية، أ.د. راغب السرجاني، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.
٨. الاستغاثة في الرد على البكري، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: عبدالله بن دجين السهلي، دارا الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
٩. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبدالله عبدالبر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
١٠. الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد وعلى معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

١١. إغاثة اللفهان في مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض.
١٢. البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
١٣. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، دار الكتاب العربي، ١٩٨٢م.
١٤. تاريخ الأمم والرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
١٥. التحرير والتوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤.
١٦. التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
١٧. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
١٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
١٩. الجامع الكبير، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: د. بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
٢٠. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية مع ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.



٢١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٢. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د. عبدالله ابن عبدالمحسن التركي وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.

٢٣. الخراج، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد وسعد حسن محمد، المكتبة الأزهرية للتراث،

٢٤. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٢٥. دلائل النبوة، أحمد بن عبدالله الأصبهاني، تحقيق: د. محمد رواس قلعه جي وعبدالبر عباس، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

٢٦. الرحمة في حياة الرسول ﷺ، د. راغب السرجاني، رابطة العالم الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

٢٧. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عمر عبدالسلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٢٨. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.

٢٩. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية.

٣٠. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد قره، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

٣١. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي، تحقيق: عادل أحمد وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
٣٢. السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: حسن شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
٣٣. سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غده، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
٣٤. السنن، سعيد بن منصور الخراساني، تحقيق: حبيب الأعظمي، الدار السلفية، الهند، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
٣٥. السنن، عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المغني، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
٣٦. السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، محمد بن حبان البستي، صححه: الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، دار الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ.
٣٧. السيرة النبوية، عبدالملك بن هشام المعافري، تعليق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ.
٣٨. الشريعة، محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: عبدالله بن عمر الدميحي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
٣٩. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري، تحقيق: د. حسين العمري ومطهر الإرياني ويوسف عبدالله، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
٤٠. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، محمد ابن سيد الناس اليعمري تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.



٤١. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية؛ إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٩٠م.
٤٢. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.
٤٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر، تحقيق وتعليق: محب الدين الخطيب وعبدالعزیز بن باز، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الثالثة.
٤٤. فتح القدير، محمد بن عبدالواحد ابن الهمام، دار الفكر، بدون تاريخ للطبعة.
٤٥. فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
٤٦. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ.
٤٧. لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
٤٨. المبسوط، محمد بن أحمد السرخسي، دار المعرفة، بيروت، ١٤١هـ.
٤٩. مجموع الفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن ابن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ.
٥٠. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
٥١. مسند أحمد، أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٥٢. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥٣. المصنف، عبدالله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
٥٤. معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
٥٥. معالم السنن، حمد بن محمد الخطابي، المطبعة العلمية، حلب، الطبعة الأولى ١٣٥١هـ.
٥٦. معجم ابن الأعرابي، أحمد بن محمد ابن الأعرابي، تحقيق: عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
٥٧. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.
٥٨. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
٥٩. معرفة السنن، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبدالمعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
٦٠. المغازي، محمد بن عمر الواقدي، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ.
٦١. المغني، عبدالله بن أحمد بن قدامة، عبدالله بن عبدالمحسن التركي وعبد الفتاح الحلو، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ.



٦٢. المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني،  
تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى،  
١٤١٢هـ.

٦٣. النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد الجزري المعروف  
بابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة  
العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.







## رحمة النبي ﷺ

# بذوي الاحتياجات الخاصة

إعداد:

د. منيرة بنت مدعث القحطاني  
أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك



## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه وأتباعه ليوم الدين.

لقد كان رسول الله ﷺ مثلاً أعلى للإنسانية الكاملة، وكانت شخصيته الخلقية شخصية كاملة سامية متعددة النواحي، وقد اجتمعت فيه محاسن الآداب، ومكارم الأخلاق، ما لم يجتمع لغيره من الناس؛ سواء في شبابه، أو في رجولته؛ سواء قبل بعثته، أو بعدها، وقد أجمع المتقدمون والمتأخرون من الرواة، والمؤرخين في الشرق والغرب على أنه مثال حي للرحمة المهداة إلى البشرية جمعاء.

وفي رحمته ﷺ مع ذوي الاحتياجات الخاصة ضرب ﷺ أروع المثل على الرحمة والتفضل، ومراعاة أعلى آدابها الإنسانية؛ حيث حفلت السيرة النبوية بالمواقف الكثيرة لذوي الاحتياجات الخاصة، وهو ما سوف نتناوله من خلال هذا البحث.

### مشكلة البحث:

إبراز حسن تعامل الدين الإسلامي مع ذوي الاحتياجات الخاصة، ودمجهم مع جميع فئات المجتمع في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية، وإظهار حسن تعامل الرسول ﷺ

معهم، والافتداء بسنته في ذلك، وإبراز دور الإسلام في حسن تعامله مع هذه الفئة، والرحمة والرأفة بهم، وعدّهم من أبرز أفراد المجتمع.

### أهداف البحث:

يهدف البحث إلى ما يلي:

١. إبراز رحمة النبي ﷺ في تعامله مع ذوي الاحتياجات الخاصة؛ حيث قرر الرعاية الكاملة لهم، والعمل على قضاء حوائجهم، مع التمتع بكافة الحقوق، وأن قضاء حوائجهم مقدم على قضاء حوائج الأصحاء.
٢. التأكيد على أن الرحمة معهم غايتها السامية المساواة بين البشر، دون تمييز؛ فهو يساوي بين الجميع، ولا فرق بين عربي ولا عجمي إلا بالتقوى؛ فكان نهر الرحمة، وينبوع الحنان.
٣. تتبع رعاية النبي ﷺ لذوي الاحتياجات الخاصة وصورها، من زيارة، ودعاء، وتكريم، ومواساة، وتأهيل نفسي، وعلاج، وتعليم... إلخ.
٤. كيفية وضع الرسول ﷺ أسس التعامل الكامل معهم، إنسانياً، ونفسياً، وتحريم السخرية منهم، ورفع الحرج عنهم، والافتداء بسنته ﷺ في ذلك.
٥. بيان مدى ما غرسته رحمته ﷺ في أتباعه من حب التكافل الاجتماعي والتراحم فيما بينهم، وتنفيذه كواقع عملي ملموس في حياة المسلم.

### المنهج المتبع:

سوف أتبع المنهج التاريخي والوصفي والتحليلي حسب ما تقتضيه حاجة البحث.

## خطة البحث:

يتناول التمهيد تعريف ذوي الاحتياجات الخاصة من واقع المصادر والمراجع المعتمدة، كذلك نتناول وضعهم ومعاملاتهم في المجتمعات السابقة قبل ظهور الإسلام، ويتحدث أيضاً عن رعاية النبي ﷺ لذوي الاحتياجات الخاصة بكل صورها، وسوف أتبع في البحث رعاية الرسول ﷺ لذوي الاحتياجات الخاصة، وكيف وضع أسس التعامل الكامل معهم، إنسانياً، ونفسياً، وتحريم السخرية منهم، ورفع الحرج عنهم، وبيان مدى ما غرسته رحمته في أتباعه في حب التكافل الاجتماعي، والتراحم فيما بينهم، وأعطى ذوي الاحتياجات الخاصة الثقة في أنفسهم، كي يستطيعوا أن يتعايشوا في المجتمع.

وأسأل الله أن ينفذ بهذا العمل، وأن يكون محققاً لبعض أهداف ومحاور المؤتمر الخيرة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.



## التمهيد

لقد اهتم الإسلام بكل فئات المجتمع اهتماماً كبيراً، وحرص النبي ﷺ والمسلمون على الرعاية الكاملة للضعفاء وذوي الاحتياجات الخاصة، وعليه جاءت الآيات الكريمة في كتاب الله تعالى؛ لتؤكد أن الله تعالى يحث على نصرة الضعيف وإعانتة قدر المستطاع، والمتأمل في آيات الله تعالى يجد نفسه أمام آيات كثيرة توحى بهذا المعنى؛ قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩١]. نستنتج من الآية أنه ليس على المرضى والضعفاء أية مشقة إذا لم يقاتلوا مع إخوانهم الأصحاء، وقد تكرر في القرآن الكريم لفظ ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١] والآية ١٧ من سورة الحج وهكذا نرى أن مفهوم ذوي الاحتياجات الخاصة لم يخرج عن كونهم أشخاص ابتلاهم الله تعالى بما أفقدهم شيئاً من قدراتهم أو حواسهم فأصبحوا معوقين عن الحركة، أو العمل، أو الكسب، أو العطاء كغيرهم من الناس، ومن ثم احتاجوا مزيداً من العناية والرعاية، وبمعنى آخر هم الأشخاص الذين لا يستطيعون تأمين حاجاتهم الأساسية بشكل كامل، أو جزئي، نتيجة لعاهة خلقية، تؤثر في أهليتهم الجسمية أو العقلية<sup>(١)</sup>.

(١) تعريف الجمعية العامة للأمم المتحدة، ١٩٧٥م، ص٧. كما عرفه المؤتمر العربي الأول للتربية الخاصة ١٩٩٥م بأنه: «الفرد الذي يحتاج طوال حياته أو خلال مدة من حياته إلى مواصفات خاصة كي ينمو أو يتعلم أو يتدرب أو يتوافق مع متطلبات حياته اليومية أو الأسرية أو الوظيفية أو المهنية» ص٨.



وكذلك هم أقل قدرة من غيرهم نتيجة لما يُعانون من إصابات مرجعها عوامل وراثية، أو خلقية، أو بيئية مكتسبة (حادث، إصابة... إلخ)<sup>(١)</sup>؛ مما يتسبب عنها قصور وظيفي جسدي، أو عقلي، ويترتب عن القصور آثار صحية، أو اجتماعية، أو نفسية<sup>(٢)</sup>. وقد عرف الإنسان الإعاقة منذ أقدم العصور وكان المجتمع قبل الإسلام يُعد ذوي الاحتياجات الخاصة عبئاً ثقيلاً عليه، ولهذا كان يتخلص منهم بأشكال متنوعة، كما أنهم كانوا يلقون أنواعاً مختلفة من إساءة المعاملة، والرفض، وكانت نظرة الناس إلى المرضى، وأصحاب الاحتياجات الخاصة نظرة احتقار وازدراء، لاعتقادهم أنه ليس لوجودهم فائدة تذكر، يضاف إلى هذا الخوف المنتشر من مخالطة المرضى خوف العدوى، وكان المجتمع الجاهلي، يقاطع ذوي الاحتياجات الخاصة، ويعزلهم، ويمنعهم من ممارسة حياتهم الطبيعية، كحَقهم في الزواج، والاختلاط بالناس<sup>(٣)</sup>.

وكانت الجزيرة العربية تضم قبائل متاثرة ومتناحرة من بدو رحل يتنقلون طلباً للماء والكلأ، باستثناء مجتمع اليمن ومكة، وكانت طبيعة الحياة وقسوتها لا ترحم فقيراً، ولا معاقاً في مجتمع القبائل المتقلبة، حيث تترك القبيلة معاقها ومريضها خلفها في المنازل، ولا تنقله معها؛ لأنه لا أحد يقدر على تقديم الرعاية له<sup>(٤)</sup>.

أما مجتمع مكة الجاهلي فكان شبيه بحضارة مصر الفرعونية، حيث يسيطر عليها الطبقيّة، أشرف وعبيد<sup>(٥)</sup>، وكانوا يتخلصون من البنات

(١) مجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، الدليل الموحد لمصطلحات الإعاقة والتربية الخاصة والتأهيل، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص٣٧.

(٢) عبدالمطلب القرطبي، سيكولوجية ذوي الاحتياجات الخاصة وتربيتهم (مكتبة الأنجلو المصرية ١٤٢٣هـ/ ٢٠١٢م) ص٨.

(٣) محمود عبدالرازق شفشق، تاريخ التربية، دراسة ثقافية اجتماعية، دار النهضة العربية، القاهرة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، ص٥٠.

(٤) سيد الناصري، الحرب والمجتمع القديم (الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م) ص٦.

(٥) عبدالرحمن زكي، الحرب عند العرب (دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧م)، ص٨.

السويات، والمعاقات والمشوهات عن طريق وأدهن، أما الأولاد المعاقون والمكفوفون فكانوا موضع سخرية عند القوم<sup>(١)</sup>.

وتتحدد الرعاية الاجتماعية في الجاهلية في مواقف فردية مؤقتة مبنية على أعراف وعادات في الرجولة، والحلم، والعفو عند المقدرة، وإغاثة الملهوف، ونصرة العصبية<sup>(٢)</sup>.

وهكذا تتمثل مظاهر الرعاية الاجتماعية قبل ظهور الأديان السماوية في التخلص من الضعفاء، والمعاقين، والمشوهين عن طريق عزلهم عن المجتمع، وقتلهم، وتكبيلمهم بالسلاسل، والسخرية منهم، ووأد البنات<sup>(٣)</sup>.

واشتدت حاجة الإنسانية إلى من يخرجها مما تعاني منه من جهل مظلم؛ فعندما ظهر الإسلام ونادى بعدم التفرقة بين البشر، وإقامة المساواة، كما أكد على وجوب النظر إلى الإنسان على أساس عمله، وقلبه، وليس على أساس شكله، أو مظهره، وطلب كف الأذى المعنوي المتمثل في النظرة، والكلمة، والإشارة وغيرها من وسائل التحقير والاستهزاء<sup>(٤)</sup>.

وينظر الإسلام إلى ذوي الاحتياجات الخاصة نظرة إيجابية، حيث يساويهم بغيرهم، ولم يهمل المجتمع الإسلامي أمر علاج الإعاقات التي كان لها علاج معروف في ذلك الوقت<sup>(٥)</sup>، وأعطاهم حقوقهم كاملة في إنسانية آخذة، ورفق جميل، مما أبعد عنهم شبح الخجل، وظلال المسكنة، بل إن الإسلام لم يقصر نداءه الإنساني عليهم فقط، بل امتد

(١) محمد عبدالهادي عفيفي، في أصول التربية (مكتبة الأنجلو المصرية ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) ص ٦٣.

(٢) حسين قاسم عبدالعزيز، موجز تاريخ العرب والإسلام (مكتبة النهضة، بغداد ١٣٩١هـ / ١٩٧١م) ص ١١.

(٣) أنور محمود زناتي، الطريق إلى صدام الحضارات، مرجع سابق، ص ١٦.

(٤) أنور الجندي، تاريخ الإسلام في مواجهة التحديات (مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م) ص ١٠٢.

(٥) رمضان محمد القذافي، سيكلوجية الإعاقة (الجامعة المفتوحة، الجمهورية العربية الليبية ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ص ١٣-٢٠.





النطاق فشمّل المرضى عامة، واستطاع المريض -أيًا كان مرضه- أن يستظل براية الإسلام التي تحمل في طياتها الرأفة والرحمة والخير، وأن يتسم عبير الحياة، في عزة وكرامة، كما أن الإسلام لم يقصر هذا النداء على مناسبة خاصة بهم؛ لأن القواعد التي أرساها الإسلام سارية المفعول منذ أن جاء بها المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها<sup>(١)</sup>.

واتخذ الفكر الاجتماعي الإسلامي موقفًا إيجابيًا من حقوق ذوي الاحتياجات الخاصة، فنأدى بالمساواة بين الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنُكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، والمفهوم الإسلامي للمساواة يقوم على أن تحكم العلاقة بين الناس قواعد سابقة على نشأة هذه العلاقة، تتمثل في الشريعة كوضع إلهي، دون إنكار تفاوت الناس في الإمكانيات والمقدرات الذاتية، وبناءً على هذا؛ فقد أقر الفكر الاجتماعي الإسلامي التمييز الإيجابي لذوي الاحتياجات الخاصة دون تناقض مع المفهوم الإسلامي للمساواة<sup>(٢)</sup>.

نظرة الإسلام ورعايته لذوي الاحتياجات الخاصة نظرة خاصة، بداية من تخفيفه عليهم في بعض الالتزامات الشرعية؛ لقول الله تعالى: ﴿يَسِّرْ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾ [النور: ٦١]، وانتهاءً ببيت الأمل في نفوسهم، ومراعاة حقوقهم الجسمانية والنفسية، وتأكيد لهذا الموقف الإيجابي فقد نقل القرآن عتاب الله تعالى لنبيه الكريم ﷺ في قصة عبد الله ابن أم مكتوم (ت ١٤هـ / ٦٣٥م): ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾ وَمَا

(١) مجموعة من أعضاء هيئة التدريس، كلية التربية، جامعة عين شمس، الرعاية التربوية لذوي الاحتياجات الخاصة (القاهرة ٢٠١٥م) ص ٤٣.

(٢) سعيد إسماعيل علي، اتجاهات الفكر التربوي الإسلامي (دار الفكر العربي، عين شمس، القاهرة ١٤١١هـ / ١٩٩١م) ص ١٤؛ محمد وجيه الصاوي، دراسات في الفكر التربوي (مكتبة الفلاح، الكويت ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م) ص ١٩.

﴿يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ، بِرُحْمِكَ﴾ (٢) أَوْ بِذِكْرٍ فَنَنْفَعُهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَا مِنْ أَسْتَعْنَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ، تَصَدَّى (٦) ﴿

[عبس: ١-٦]؛ فهذه الآيات تقرر أن معيار التقييم هو الإيمان والعمل الصالح، وأن الإعاقة التي لا يمكن تجاوزها هي الإعاقة الروحية والخلقية، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرَ وَلَكِنَّ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

وقد وضع الإسلام قواعد أصيلة لتوفير الحياة الطيبة للإنسان من حيث هو إنسان<sup>(١)</sup> ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، ومن ثم يتجلى مدى رعايته الخاصة لبعض الفئات من حيث توفير مزيد من الحقوق، والإعفاء من بعض الواجبات، ليحصل التوازن والتكافؤ بين معطيات كل إنسان وقدراته، فيعيش المجتمع حياة كريمة، سواء في ذلك من هو معافى ذو مرة سوي، ومن هو معاق ذو ضعف طارئ أو أصلي.

وتتقضي الشريعة الإسلامية بمنح الحقوق الأساسية للإنسان من حيث هو إنسان، فحرية نفس الإنسان مصونة، وضروريات العيش لابد من توفيرها لكل محتاج.

كما أكد الإسلام على تجنب الإساءة لذوي الاحتياجات الخاصة، والصاق الألقاب بهم، كالقول هذا أعمى، وهذا أعرج، وهذا مجنون، ونهى عن تبادل هذه الألقاب السيئة التي تجرح المشاعر، وتؤدي للظلم، يقول تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا نَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

كما رفع الإسلام عنهم الحرج، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١].

(١) محمد كرد علي، الإسلام والحضارة العربية (لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م)، ص ١٢٧؛ صالح أحمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، مؤسسة دار الكتب (الموصل ١٩٨١م) / ١٤٠٢هـ (١٩٨١م) ص ٢٦.



وسبق الفقه الإسلامي القوانين الوضعية في الاعتناء بذوي الاحتياجات الخاصة؛ حيث قرر الإسلام مبدأ المساواة الإنسانية مسقطاً بذلك كل الفروق، وأن ليس ثمة تفضيل في إنسانيتهم، وإنما التفضيل يكون على أساس كفايتهم، وأعمالهم، وما يقدمه كل فرد من أفراد المجتمع لوطنه ولدينه<sup>(١)</sup>.

وقد حمل الإسلام الحنيف جملة مظاهر الاعتناء بذوي الاحتياجات الخاصة من أهمها: تكريم الله تعالى لهم، مواساتهم، تحريم السخرية منهم، مراعاة أحوالهم في التكاليف الشرعية، تقديم تلبية احتياجاتهم على احتياجات غيرهم. وقدم الرعاية اللازمة لفئة ذوي الاحتياجات الخاصة، وسهل لهم الاندماج في المجتمع؛ مما يؤهلهم للانطلاق نحو الإسهام في بناء المجتمع، وتقدمه، وازدهاره، وسيكون منهم العلماء والمفكرون<sup>(٢)</sup>.

ولنا أن نقول: إنه في ظل الإسلام وصل ذوو الاحتياجات الخاصة إلى أعلى المراتب؛ فكان منهم العلماء والمحدثون، مثل: ابن عباس، وعاصم الأحول، وعمرو بن أخطب الأعرج، وعبدالرحمن الأعمى، وغيرهم.

كل هؤلاء العظماء من ذوي الاحتياجات الخاصة، وغيرهم كثير، كان لهم دور محمود في الدولة الإسلامية، ولا عجب في ذلك وهم قد خرجوا من تحت عباءة الشخصية المحمدية ذات الخلق الرفيع.



(١) سعود بن عبدالعزيز العوضي، حقوق ذوي الاحتياجات الخاصة في الفقه الإسلامي (أطروحة ماجستير، جامعة طنطا، كلية الحقوق، قسم الشريعة الإسلامية ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م) ص ١٨.

(٢) هاشم فارس عبود، رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة بين الشريعة والقانون وأثر ذلك في الجانب التربوي (مجلة العلوم التربوية، مصر ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م) مج ١، ص ٧٤.

## رعاية الرسول ﷺ

### لذوي الاحتياجات الخاصة بكل صورها

لقد حفلت السيرة النبوية بالعديد من المواقف التي تخص ذوي الاحتياجات الخاصة، وأظهرت عظمة الرسول ﷺ، ونصرته لهم، والوقوف بجوارهم، وإكرامهم، ومواساتهم، والدعاء لهم، ونهى عن السخرية منهم، ورفع الحرج والعزلة عنهم، وبث الثقة في نفوسهم، كما شجعهم على خوض غمار الحياة بنفس راضية، وأوصى برعايتهم اجتماعياً ونفسياً وتربوياً، وعمل على كفالتهم، وتأهيلهم، ودمجهم في الحياة الاجتماعية.

كان لموقف الرسول ﷺ مع حادثة ابن أم مكتوم أثر عظيم فيما يخص التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة؛ فهو رجل أعمى جاء إليه ﷺ وكان عنده أكابر القوم يدعوهم إلى الإسلام فأعرض عنه؛ فنزلت في حقه آيات عتاب للنبي ﷺ لتثبت للجميع أن ذوي الاحتياجات الخاصة هم جزء لا يتجزأ من هذا المجتمع، وأن العناية بهم وتقديم الخدمات المتميزة لهم، هي مبدأ من مبادئ الإسلام الخالدة، كما في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ وَتَوَقَّؤُا۟ ۙ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهٗ يُزَكَّىٰ ۚ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ۗ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ۖ فَأَن ت لَهُ تَصَدَّىٰ ۙ﴾ [عبس: 1-6].

ومن ذلك التاريخ وتقدير واحترام ذوي الاحتياجات الخاصة توجه



إسلامي، وقيمة دينية كبرى، حظي في ظلها هؤلاء بكل مساندة ودعم وتقدير، حتى وصل بعضهم إلى درجات كبيرة من العلم والمجد والنبوغ.

وفي هذه القصة دلالة شرعية على تقديم حاجات ذوي الاحتياجات الخاصة على حاجات من سواهم، وفيما يروى أن النبي ﷺ كان بعد هذه الحادثة يبسط رداءه لابن أم مكتوم ويقول له مداعباً: «أهلاً بمن عاتبني فيه ربي»<sup>(١)</sup>، وأصبح بذلك من خيرة الصحابة، شارك في الحكم زمن النبي ﷺ، وجعله مؤذناً له مع بلال بن رباح؛ فعن عائشة رضي الله عنها أن ابن أم مكتوم كان مؤذناً لرسول الله ﷺ وهو أعمى<sup>(٢)</sup>.

وقد أولى الرسول ﷺ عنايته بذوي الاحتياجات الخاصة من جميع الجوانب:

### الجانب الإنساني:

من التعاليم السامية التي تركها لنا رسول البشرية محمد ﷺ وجوب عدم تجاهل ذوي الاحتياجات الخاصة، ومنهم المكفوفين، حتى ولو لم يكن يشعروا بوجودنا، يقول ﷺ: «ترك السلام على الضيرر خيانة»<sup>(٣)</sup>، ومفهوم هذا الحديث لا يقتصر على السلام فحسب؛ وإنما هو ضرب مثلاً لخطورة إهمال المبصر حق الكفيف، فعدم إرشادنا له خيانة، وعدم السؤال عنه خيانة، وعدم معاونته فيما يحتاج إليه خيانة.

كما حذر الرسول الكريم ﷺ أشد التحذير من تضليل الكفيف عن طريقه، أو إيذائه، عبساً، أو سخريةً، فقال ﷺ: «ملعون من كمه أعمى عن

(١) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، تفسير القرطبي (دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م) ج١٩، ص١٨٤.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الصلاة، باب جواز أذان الأعمى إذا كان معه بصير، ٢٨٧/١ برقم (٣٨١).

(٣) أخرجه السيوطي في جامع الأحداث ١١/٢٥٢ برقم ١٠٧٠٧، قال الألباني في «السلسلة الضعيفة والموضوعة»، ج٧، ص٤٠٩، برقم ٣٣٩٩، ضعيف.

طريق»<sup>(١)</sup>؛ ومن المؤكد أن مضمون تلك الأحاديث الشريفة تنطبق على ذوي الاحتياجات الخاصة كافة، وليس على المكفوفين فقط، وهذا يُعد قمة التعامل الراقي مع ذوي الاحتياجات الخاصة، وحفظ كرامتهم، والنهي التام عن اتخاذ العيوب الخلقية سبباً للتندر، أو التلهي، أو السخرية، أو التقليل من شأن أصحابها.

كما حث الرسول ﷺ على رفع الحرج عنهم لأن ذلك يشعر ذوي الاحتياجات الخاصة بمسحة من حزن واسى لعدم تمكنهم من أداء جميع التكاليف والواجبات.

ومن رحمته ﷺ أنه رفع الحرج عنهم، مثلما حدث مع عمرو بن الجموح رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>، رغم كونه من ذوي الاحتياجات الخاصة، فقد كان رجلاً أعرج، شديد العرج؛ إلا أن ذلك لم يكن مانعاً له من وصوله إلى أعلى درجات التكريم؛ لهماهته العالية، وبذله الواسع في سبيل الله، وكان له بنون أربعة يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد، فلما كان يوم أحد (٣هـ / ٦٢٤م)، أرادوا حبسه، وقالوا له: إن الله ﷻ قد عذرك، فأتى رسول الله ﷺ فقال: إن بني يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة، فقال له ﷺ ليرفع الحرج عنه: «أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك» ثم قال لبننيه: «ما عليكم ألا تمنعوه، لعل الله يرزقه شهادة» فخرج مع الجيش فقتل يوم أحد<sup>(٣)</sup>، فقال ﷺ: «والذي نفسي

(١) أخرجه أحمد في «مسنده»، برقم (١٧٧٩). وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٨٩١).

(٢) صحابي كان في الجاهلية من سادات بني سلمة وأشرفهم، وواحدًا من زعماء المدينة، وهو آخر الأنصار إسلامًا، وهو صهر عبد الله ابن حرام، إذ كان زوجًا لأخته هند بنت عمرو، توفي سنة ٢هـ، ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)، الإصابة في تمييز الصحابة (تحقيق علي محمد الجاوي، دار الجيل، بيروت ١٤١٢هـ / ١٩٩٢) ص ٢٦٥.

(٣) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في «معرفة الصحابة» ١٥٦/١٤، وصححه الألباني في فقه السيرة ص ٢٦٠، وابن هشام، محمد بن عبد الملك، السيرة النبوية (تحقيق طه عبدالرؤف سعد، دار الجيل، بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م) ج ٢، ص ٩٠.

بيده! إن منكم من لو أقسم على الله لأبره، منهم: عمرو بن الجموح، ولقد رأيتَه يظأ في الجنة بعرجته»<sup>(١)</sup>.

إن الرحمة هنا متعددة ومتداخلة، إنه في البداية رحيم به فلا يريد المشقة له لعرجه، فيعفيه من أمر الجهاد ويرحمه بالمنع، وهو في الوقت ذاته رحيم بعائلته أن تُفجع فيه بموته، وخاصة أن أربعة من أبنائه قد خرجوا للجهاد، فليبق هو لرعاية مصالح بيتهم، ثم عندما وجد اشتياقه للجهاد رحم شوقه هذا ورغبته، وقدر موقفه، وأحس بمشاعره، فقبل منه، بل وتوسط عند أبنائه، وهوّن عليهم، ولما استشهد عمرو بن الجموح بشرهم ﷺ بمصيره لئلا يجزع أبنائوه، ولكيلا يندموا على خروجه، إنها رحمت متتالية متتابعة مع أن الأمر مختص بجهاد وقتال.

وقد كان النبي ﷺ يقول عن عمرو بن الجموح، تكريماً وتشريفاً له: «سيدكم الأبيض الجعد عمرو ابن الجموح»<sup>(٢)</sup>، وقد قال له النبي ﷺ ذات يوم: «كأني أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة»<sup>(٣)</sup>.

مما سبق من واقعة عمرو بن الجموح نجد أنه صلوات الله وسلامه عليه رفع عنهم فريضة الجهاد في ساحة القتال، يرفض أن يخرج معه ضعيف إلى القتال رحمة به، مع أن المسلمين كثيراً ما كانوا قلة، ويحتاجون إلى

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» ٤٩٣/١٥ برقم ٧٠٢٤، وقال الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان ١٢٦/١٠ برقم ٦٩٨٥ (حديث حسن)، وابن سيد الناس، محمد بن يعمرى، عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير (تعلق إبراهيم محمد رمضان، دار القلم، بيروت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) ج ١، ص ٤٢٢؛ محمد بن يوسف الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (تحقيق عادل أحمد عبدالموجود، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) ج ٤، ص ٢١٤.

(٢) ذكره الطحاوي في «مشكل الآثار» ٢١١/١٢، لأبي جعفر (ت ٣٢١هـ / ٩٢٢م)، (تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢٤٧/٣٧ برقم ٢٢٥٥٣ بتحقيق شعيب الأرنؤوط، وقال الهيثمي في «المجتمع» ٣١٥/٩ رجاله رجال الصحيح، وقال الحافظ بن حجر في «الفتح» ٢١٦/٣ إسناده حسن، أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبدالله بن أحمد، معرفة الصحابة (دار الوطن للنشر، الرياض ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م) ج ٤، ص ١٩٨٤.

كل عون، لكنه كان رحيماً بضعفاء أمته، ولا يقبل أن يشق عليهم حتى لو رغبوا هم في ذلك، فلم يكلفهم حمل سلاح أو الخروج إلى نفي في سبيل الله، إلا إن كان تطوعاً؛ ورأى منهم رسول الله ﷺ بعض القدرة على القتال. بيد أن هذا التخفيف الذي يتمتع به ذوي الاحتياجات الخاصة في الشرع الإسلامي، يتسم بالتوازن والاعتدال، فخفف عن كل صاحب إعاقة قدر إعاقته، وكلفه قدر استطاعته، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «رُفِعَ القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وفي رواية: حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل أو يفيق»<sup>(١)</sup>.

وقد بلغ من عناية الرسول ﷺ بهم أن نهى عن السخرية منهم والتقليل من شأنهم تقديراً واحتراماً لهم، وتعظيماً لشأنهم ومكانتهم في المجتمع، فحينما ضحك بعض المسلمين من ساقى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه النخيلتين يوم صعد نخلة رد عليهم الرسول الكريم ﷺ: "تضحكون من ساقى ابن مسعود! لهما أثقل في الميزان عند الله من جبل أحد"<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ت ٤٠هـ / ٦٦١م) قال: أمر النبي ﷺ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن يصعد شجرة فيأتيه منها بشيء، فنظر أصحابه إلى ساق عبد الله فضحكوا من حموشة ساقيه، فقال رسول الله ﷺ: «ما تضحكون؟ لرجل عبد الله أثقل في الميزان من أحد»<sup>(٣)</sup>.

لقد نهى النبي ﷺ نهياً تاماً عن السخرية من ذوي الاحتياجات

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» كتاب الحدود باب في المجنون يسرق أو يصيب حداً ١٤١/٤ برقم ٤٤٠٣، وابن ماجه في «سننه» كتاب الطلاق باب طلاق المعتوه والصغير والنائم، ٦٥٨/١ برقم ٢٠٤١، وصححه الألباني في الإرواء، ٤/٢.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٩٨/٧، والحاكم في «مستدرکه» ٣٥٨/٣ برقم ٥٢٨٥، والطبراني في «المعجم الكبير» ٧٨/٩ برقم ٨٤٥٢، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢٨٩/٩: (رجاله رجال الصحيح)، وقال الألباني في «إرواء الغليل» ١٠٤/١ (سنده حسن).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» ٢٤٢/٢، والبخاري في الأدب المفرد ٩٢/١ برقم ٢٣٧، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢٨٨/٩: (رجاله رجال الصحيح)، وقال الألباني في «إرواء الغليل» ١٠٤/١ (سنده حسن).





الخاصة، واعتبار ما يعانون منه عيباً أو سبباً للتقليل من شأنهم، وحث  
ﷺ على احترامهم وإعطائهم كامل حقوقهم الإنسانية، ومساواتهم  
بأقرانهم؛ ليحيوا حياة كريمة فلا يفضل عليهم أحد مهما كان مركزه  
الاجتماعي.

ولم يقتصر تعامله ﷺ على ذلك إنما نهى عن الشماتة فيهم، فقال  
ﷺ: «لا تظهر الشماتة في أخيك فيعافيه الله ويبتليك»<sup>(١)</sup>.

فكان رسول الله ﷺ بتلك المعاملة أسوة حسنة للمسلمين في تعامله مع  
ذوي الاحتياجات الخاصة؛ لذلك قال عنه عثمان بن عفان رضي الله عنه (ت ٣٥هـ/  
٦٥٦م): «إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر، وكان  
يعود مرضانا ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير»<sup>(٢)</sup>.

من ذلك ما يروي أنس بن مالك أنه مر رجل برسول الله ﷺ فقال رجل  
من الحاضرين: «يا رسول الله، هذا مجنون، فأقبل النبي ﷺ على هذا  
الرجل فقال: «أقلت مجنون؟ إنما المجنون المقيم على المعصية ولكن هذا  
مصاب»<sup>(٣)</sup>.

وهذا يدل دلالة قاطعة على حسن تعامل الرسول ﷺ مع هذه الفئة  
من المجتمع، وحثه لنا على الاقتداء به في التعامل معهم. وقد وضع  
تعامله ﷺ مع ذوي الاحتياجات الخاصة بالرفق بهم وتلبية رغباتهم فقد  
كان يعود المرضى، ويدعو لهم، ويطيب خاطرهم، ويبث في نفوسهم  
الثقة، ويدخل على قلوبهم الفرح، يذهب إلى أحدهم في أطراف المدينة

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم (٢٥٠٦)، وقال «حديث حسن غريب»، والطبراني في «المعجم  
الكبير» ٥٣/٢٢.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ١/٣٨٠ برقم ٥٠٤، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/٢٢٨ (رجاله  
رجال الصحيح).

(٣) أخرجه أبو إسحاق الشافعي في «الغيلانيات» ١/٣٧٦ برقم ٤٠٠، وذكره السيوطي في «جامع  
الأحاديث» ٢٢٢/٢٣ برقم ٣٦١٥٣.

خصيصاً ليقضي له حاجة بسيطة، أو ليصلي في بيت أحدهم ركعات تلبية لرغبته، ومن ذلك موقفه ﷺ من عتبان بن مالك وهو رجل كفيف من الأنصار، كان يقول للرسول ﷺ: «إنها تكون الظلمة والسييل وأنا رجل ضيرير البصر، وأنا أصلي لقومي فإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم؛ لم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي بهم، ووددت يا رسول الله أنك تأتيني فتصلي في بيتي فأتخذة مصلى. فرد عليه نبي الرحمة قائلاً: «سأفعل إن شاء الله»، قال عتبان فغدا رسول الله ﷺ وأبو بكر ﺭﺯﻯ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻨﻬﻤﺎ حين ارتفع النهار فاستأذن رسول الله ﷺ فأذنت له فلم يجلس حتى دخل البيت، ثم قال: «أين تحب أن أصلي من بيتك؟» فأشرت له إلى ناحية من البيت فقال رسول الله ﷺ فكبر فقمنا فصفنا فصلى ركعتين ثم سلم<sup>(١)</sup>.

وقد بلغ من اهتمام الرسول بذوي الاحتياجات الخاصة والحرص عليهم: أن خصهم بالدعاء لهم بالصالح والتقوى والعفو والعافية، كما طلب من المسلمين الدعاء لهم بالشفاء، فعن عطاء بن أبي رباح قال لي ابن عباس: «ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء<sup>(٢)</sup>، أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع اليه لي، فقال ﷺ: «إن صبرت فلك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك» قالت: إني أتكشف، فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها<sup>(٣)</sup>.

كما جاء رجل ضيرير البصر إلى النبي ﷺ فقال الضيرير: ادع الله أن يعافيني، فقال ﷺ: «إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك»، قال: فادعه، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الصلاة، باب الرخصة في المطر والعلّة أن يصلي في رحله، حديث رقم (١٣٤) والنسائي في «سننه» في كتاب الصلاة باب إمارة الأعمى ٨٠/٢ برقم ٧٨٨.

(٢) وقال ابن حجر في «فتح الباري» ١٠/١١٥: (هذه المرأة اسمها أم زفر).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب المرضى «باب فضل من يصرع من الريح» ٩/٤ برقم ٢٢١٨، ومسلم في «صحيحه» كتاب البر والصلة والآداب ٤/١٩٩٤ برقم (٢٥٧٦).

إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه فيَّ»<sup>(١)</sup>.

فقد تجلت رحمته ﷺ بهذا الضير الضعيف وعذره وعفا عن تصرفه، فلم يأمر بأذيته أو تعنيفه، على الرغم من حساسية الموقف ورهبته؛ فالجيش الإسلامي في طريقه للجهاد ومواجهة المشركين، والوضع متأزم، ومع ذلك ضرب لنا الرسول ﷺ أسمى آيات فن التعامل والرحمة بذوي الاحتياجات الخاصة، فأبى ﷺ إلا العفو والصفح عنه، فليس من الشجاعة والمروءة وشيم الأخلاق الاعتداء على الضعفاء والمحتاجين والنيل منهم مهما بلغت سوء تصرفاتهم، فقد سن ﷺ معهم سنة الرفق وحسن التعامل والدعاء لهم بالشفاء والعفو والعافية؛ فهو ﷺ يضرب لنا أسمى آيات التواضع وحسن التعامل والرفق بذوي الاحتياجات الخاصة.

### الجانب الاجتماعي:

بلغ من رؤية الرسول ﷺ الثاقبة حرصه على تأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة ودمجهم في الحياة الاجتماعية، فلم يفرق ﷺ بين المسلم السليم جسدياً ونفسياً وبين ذوي الاحتياجات الخاصة، فقد كان اهتمامه بالإنسان ذاته، وما لديه من صفات ومواهب ومميزات وقدرات خاصة، فرحمته ﷺ بذوي الاحتياجات الخاصة جعلته ينظر إليهم نظرة إيجابية مهتمًا بالجانب الإيجابي فيهم متيحًا الفرصة أمامهم للحياة الطبيعية، ومنحهم الفرص وساواهم في الحقوق وحرص على النظر للإنسان على أساس عمله وقلبه وليس على أساس شكله ومظهره، واهتم بكف الأذى المعنوي من الكلمة والنظرة والإشارة، ومنع الاحتقار والاستهزاء بهم<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي في باب الدعوات (باب ١١٩) ٤٦١/٥ برقم ٢٥٧٨، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو الخطمي»، والنسائي في «الكبرى» كتاب عمل اليوم والليلة باب ذكر حديث عثمان بن حنيف ٤١٧/١ برقم ٢٥٧٨، وذكره الألباني في «صحيح وضعيف»، الترمذي برقم ٢٥٧٨ وقال: صحيح.

(٢) مهدي محمد القصاص، التمكين الاجتماعي لذوي الاحتياجات الخاصة، دراسة ميدانية، المؤتمر العربي الثاني عن الإعاقة الذهنية بين التجنب والرعاية، جامعة أسبوط ٢٥/٤هـ/ ٢٠١٤م.

وبلغ من حرصه على دمجهم في الحياة الاجتماعية أن اهتم ﷺ بتأهيلهم وتقوية قدراتهم الجسدية والنفسية حتى يتغلبوا على ضعفهم وعجزهم، كما حرص على تعزيز الثقة بأنفسهم وقدراتهم بتكليفهم ببعض الأعمال التي تتناسب مع أوضاعهم وقدراتهم الجسدية مثل: حراسة النساء والغنائم أو نقل أخبار الكفار، فلم يتجاهلهم النبي ﷺ في سيرته العطرة المليئة بالمواقف والأحداث التي وضحت رحمته وحبه لتلك الفئات الضعيفة التي تحتاج التكافل والمساعدة من كل فئات المجتمع المختلفة نتيجة لعجزهم وفقرهم وعدم قدرتهم على الأعمال الشاقة التي يقوم بها الأصحاء.

وقد تولى عدد منهم مناصب مهمة في الدولة الإسلامية اعترافاً بقدراتهم ومواهبهم منهم عبدالله ابن أم مكتوم الذي أوكل له الرسول ﷺ عملاً مهماً وخطيراً يتطلب قدرات خاصة وجدها ﷺ فيه، وهي استخلافه على المدينة أثناء غيابه ثلاث عشرة مرة<sup>(١)</sup>.

ليس هذا فحسب بل أوكل ﷺ مهمة في غاية الزهمية أخرى لصحابي من ذوي الاحتياجات الخاصة وهو معاذ بن جبل ﷺ (ت ١٨هـ / ٦٣٩م) عندما أرسله عاملاً على اليمن بين لأهلها مدى ما يتمتع به ﷺ من مهارات وقدرات حتى إن الرسول ﷺ وصفه يقول: «إني قد بعثت عليكم من خير أهلي»<sup>(٢)</sup>. فلم يمنعه ﷺ ما يعاينه من عرج من تبوء مكانة مهمة في إدارة الدولة الإسلامية والمشاركة في الحياة السياسية والاجتماعية في الدولة<sup>(٣)</sup>.

كما حرص ﷺ على كفالة ذوي الاحتياجات الخاصة لأنهم من الضعفاء

(١) محمد بن محمد العواجي، مرويات الإمام الزهري في المغازي (الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م) ج ١، ص ٥٣٨.

(٢) الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٢٢٣.

(٣) رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة بين الشرائع السماوية، مركز خدمات المنظمات غير الحكومية،

ص ١١-١٢.

الذين يستحقون الكفالة والمودة، فقد قال ﷺ: "ابغوني ضعفاءكم فإنما ترزقون وتتصرون بضعفائكم"<sup>(١)</sup>.

ورعايته ﷺ لذوي الاحتياجات الخاصة من باب التراحم والرعاية لهم، فقد قال ﷺ للأقرع بن حابس (ت: ٣١هـ / ٦٥٢م): "من لا يرحم لا يُرحم، الراحمون يرحمهم الرحمن: ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء"<sup>(٢)</sup>.

كما حرص ﷺ على مراعاة ظروف ذوي الاحتياجات الخاصة في العبادات وخاصة الصلاة فيطلب من الأئمة والصحابة التخفيف عليهم في الصلاة، وضح ذلك من قوله ﷺ: "من صلى بالناس فليخفف، فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة"<sup>(٣)</sup>.

كما وضح أيضاً من حديث أنس رضي الله عنه أن امرأة كان في عقلها شيء، فقالت: يا رسول الله إن لي إليك حاجة! فقال: «يا أم فلان! انظري أي السكك شئت، حتى أقضي لك حاجتك» فخلا معها في بعض الطرق، حتى فرغت من حاجتها<sup>(٤)</sup>.

وهذا يدل على تواضع الرسول ﷺ وحبه وحلمه وصبره على قضاء حوائج الناس عامة وذوي الاحتياجات الخاصة خاصة، كما يدل على

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» كتاب الجهاد باب ما جاء في الاستفتاح بصعاليك المسلمين ٢٠٦/٤ برقم ١٧٠٢، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، وابن حبان في «صحيحه» كتاب الخروج وكيفية الجهاد، باب ذكر استحباب الانتصار بضعفاء المسلمين عند قيام الحرب على ساق ٨٥/١١ برقم ٤٧٦٧.

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه» كتاب الأدب باب الرحمة ٢٨٥/٤ برقم ٤٩٤١، والترمذي في «سننه» كتاب البر والصلة باب ما جاء في رحمة المسلمين ٢٢٣/٤ برقم ١٩٢٤، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، وأحمد في «مسنده» ١٦٠/٢.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب الأدب باب تخفيف الإمام في الركوع ١٤٢/١ برقم ٧٠٢ و٧٠٤، ومسلم في «صحيحه» في كتاب الصلاة باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام ٣٤٠/١ برقم ١٨٢.

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الفضائل باب قُرب النبي عليه السلام من الناس وتبركهم به ١٨١٢/٤ برقم ٧٦.

قربه ﷺ من الناس وتلمس احتياجاتهم حتى يحصلوا على حقوقهم التي كفلها لهم الإسلام. وهذا فن تعامل من الرسول ﷺ يرشدنا فيه إلى الاقتداء بهديه والعمل بعلمه حتى نكفل لجميع أفراد المجتمع حقوقهم ومصالحهم، ورسالة منه ﷺ للمسؤولين عن مصالح الناس بالعمل على تلمس حاجاتهم والقيام بها دون أن يطالبوا بها، لأنه ﷺ حاجة كفلها لهم الإسلام وعلى ولاة الأمر رعايتها وخاصة لذوي الاحتياجات الخاصة. وهذا مما يرفع الروح المعنوية لدى هذه الفئة، ويشعرهم بعظمة الإسلام، وكفالتة لحقوقهم في الدنيا والآخرة.

### الجانب النفسي والتربوي:

اهتم الرسول ﷺ بالجانب النفسي والتربوي لذوي الاحتياجات الخاصة، وعمل على رعايتهم نفسياً وتربوياً؛ فخفض عنهم بعض التكاليف، فقد روى البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال: رأيت مروان بن الحكم جالساً في المسجد، فأقبلت حتى جلست إلى جنبه، فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره: أن رسول الله ﷺ أملى عليه: لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر قال: فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملها عليّ، فقال: يا رسول الله، لو أستطيع الجهاد لجاهدت، وكان رجلاً أعمى، فأنزل الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ وفخذه على فخذي، فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي، ثم سُري عنه، فأنزل الله ﷻ: ﴿عَبْرُ أُولَى الضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥].

كما بلغ من رحمة الرسول ﷺ بذوي الاحتياجات الخاصة أن جعل المجتمع برمته هو الذي يحتاج لهم، ليبين مدى أهمية وجودهم في المجتمع، وحاجة المجتمع لهم تبين ذلك من قوله ﷺ: «هل تتصرون وترزقون إلا بضعفائكم»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الجهاد والسير، برقم (٤٥٩٢).  
(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب فضل الجهاد والسير باب من استعان بالضعفاء والصالحين

فهو بهذا الحديث يؤكد ﷺ أن هؤلاء الضعفاء هم سبب استمرار النصر والرزق في المجتمع، وهم سر قوته ومنعته وعزته، ومن ثم فإن رعايتهم وحسن معاملتهم والاهتمام بهم وكفالة حقهم غاية اجتماعية يجند المجتمع كله لتحقيقها والعناية بها حتى يكفل الله لهم النصر والرزق. وهذا الهدي النبوي من رسول الرحمة ﷺ يؤدي إلى رفع معنويات ذوي الاحتياجات الخاصة ويشعرهم بمكانتهم وأهميتهم ودورهم في المجتمع، وأنه كلما زادت العناية بهم ودمجوا في المجتمع الذي يعيشون فيه علا المجتمع وركي في تعامله، واستقرت أحواله السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

كما حرص ﷺ على علاج ذوي الاحتياجات الخاصة نفسياً فأشركهم مع الأسوياء في قوله: ما من مسلم يُشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة<sup>(١)</sup>.

ومن هذا يبين الرسول ﷺ أن ما أصاب ذوي الاحتياجات الخاصة من ضرر وصبروا عليها كان خيراً لهم، فهو بذلك يبشرهم باستحقاقهم جزاء صبرهم على ما أصابهم من ضرر، كما يبشرهم بقوله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكانت خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكانت خيراً له»<sup>(٢)</sup>. وهذا الوصف النبوي لما يتحلى به المؤمن والمعاضى من مقتبس من نور الآية الكريمة: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (١٥٦) **أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** ﴿١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٦-١٥٧].

فليس هذا فحسب، بل بشرهم بما سينالونه في الآخرة من جزاء على

في الحرب ٣٦/٤ برقم ٢٨٩٦.

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها، ٤/١٩٩١ برقم ٢٥٧٢.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الزهد والرقائق باب المؤمن أمره كله خير ٤/٢٢٥٩ برقم ٢٩٩٩.

ما أصابهم في الدنيا من ضرر، وذلك في قوله ﷺ عما روته عائشة رضي الله عنها قالت: "إن الله ﷻ أوحى إليّ أنه من سلك مسلكاً في طلب العلم سهلت له طريق الجنة، ومن سلبت كريمته أثبتته عليهما الجنة"<sup>(١)</sup>.  
وفي هذه الأحاديث بشارة من الرسول ﷺ لذوي الاحتياجات الخاصة أنه من صبر على ما أصابه الله راضياً محتسباً كان جزاؤه الجنة.





## الخاتمة

هكذا كان المنهج النبوي في التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة، في وقت لم تعرف فيه الشعوب ولا الأنظمة حقاً لهذه الفئة، فقرر -الشرع الإسلامي- الرعاية الكاملة والشاملة لذوي الاحتياجات الخاصة، وجعلهم في سلم أولويات المجتمع الإسلامي تكريم أصحاب البلاء منهم، لاسيما من كانت له موهبة أو حرفة نافعة أو تجربة ناجحة، وحث على عيادتهم وزيارتهم، ورغب في الدعاء لهم، وحرّم السخرية منهم، ورفع العزلة والمقاطعة عنهم، ويسر عليهم في الأحكام، ورفع عنهم الحرج، وشرع العفو عن المخطئ والجاهل.

وقد اتضح لنا مما سبق أن الرسول ﷺ أعطى لذوي الاحتياجات الخاصة الثقة في أنفسهم لكي يستطيعوا أن ينخرطوا في المجتمع ويعيشوا فيه بكل أمن وأمان محتسبين الأجر والثواب عند الله.

تلك الحقوق التي أعطاها رسول الإنسانية جمعاء صورة صادقة للتعاليم الإسلامية، والمثل الحي لكل ما جاء به القرآن الكريم، وكانت تعاملات الرسول الكريم معهم صورة باهرة لهذه المبادئ السامية؛ فقد ميّزت شخصية الرسول ﷺ بالكثير من الجوانب الأخلاقية المضيئة

والهادية لكل إنسان يريد الميزة لنفسه، والترقي لسلوكه، والتعمق لفكره، وحسن الخلق لمعاملته مع الناس.

ومن خلال تلك التعاليم السامية وجب على كل الدول وأبناء المجتمع إعطاء ذوي الاحتياجات الخاصة كل رعاية وعطف ورحمة؛ تحقيقاً لقوله ﷺ: "تري المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى"<sup>(١)</sup>.

كما نخلص مما سبق إلى أن المبادئ الإسلامية في رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة، كما رسمتها إجمالاً وتفصيلاً السنة النبوية الشريفة، تُعد سبقاً حضارياً مميزاً غير مسبوق، وتضاهي أرقى النظم الاجتماعية المعاصرة التي ينعم الإنسان المعاصر بامتيازاتها، بل وتتفوق عليها من جهة كونها مبادئ واقعية قابلة للتجسيد والتكيف حسب مقتضيات الزمان والمكان، إلى جانب اعتبارها ذات خاصية روحية إيمانية تصل ذوي الاحتياجات الخاصة بالبعد الأخروي، وبالخالق ﷻ مما يصرف مشاعرهم إلى وجهة إيجابية، ويخفف من وطأة الإصابة عليهم.

وقد أوصت الدراسة بعدة توصيات من أهمها:

١. مراعاة الحقوق الأدبية والنفسية للمعاقين في المعاملة والعدل والابتعاد عن كل صور الإهانة أو التحقير.
٢. دمج ذوي الاحتياجات الخاصة في الحياة العامة، والعمل على تأهيلهم، وإيجاد فرص العمل بما يتناسب وقدراتهم الجسمية والعقلية.
٣. العمل على تقديم الخدمات التعليمية والتدريبية لهم من خلال التنسيق مع الجهات المختصة الحكومية أو غيرها.

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ١٠/٨ برقم (٦٠١١)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، برقم (٢٥٨٦).

٤. تقديم الحماية اللازمة والكافية لهم من خلال سن القوانين والحفاظ على المكتسبات والمطالبه بالحقوق والضرب على أيدي المسيئين لهم أو المعتدين عليهم.

٥. ضرورة قيام دراسات وأبحاث تفصيلية عن دور الإسلام الحنيف ورؤيته للتعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة من خلال نصوص القرآن وتتبع سيرة الرسول ﷺ، وتأثير ذلك على المجتمعات المعاصرة في مختلف المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية والخلقية، والافتداء بسنة الرسول ﷺ في تعامله مع هذه الفئة.

٦. تربية الأجيال القادمة من شباب أمتنا على احترام الإنسان، لاسيما الضعيف من ذوي الاحتياجات الخاصة، وإيجاد جيل واع ومدرك لاحترام النفس البشرية، ويستفيد من هذا المخزون الحضاري والثقافي رفيع المستوى التي تركه لنا خير البشر.

٧. التوصية بضرورة إدراج مناهج متخصصة لذوي الاحتياجات الخاصة لتدرس في المدارس والكليات؛ فتزيد من تعميق أو اصر المجتمع ونسيجه المتكامل، وتحقيق الأهداف الإسلامية السامية النابعة من صميم ديننا الإسلامي العظيم.

أسأل الله العلي القدير أن ينفع بهذا البحث، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.



## فهرس المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر:

١. التباجي، سليمان بن خلف بن سعد (ت ٤٧٤هـ / ١٠٨١م) التعميل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، تحقيق أبو لبابة حسين، ط ١، دار اللواء للنشر والتوزيع، (الرياض ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).
٢. البخاري، أبو عبدالله إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م) الأدب المفرد، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار البشائر الإسلامية، (بيروت ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).
٣. صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، (بيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).
٤. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م) سنن البيهقي الكبرى، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، مكتبة دار الباز، (مكة المكرمة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).
٥. شعب الإيمان، تحقيق محمد سعيد بسيوني زغلول، ط ١، مكتبة دار الكتب العلمية، (بيروت ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م).
٦. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، بلا ت).
٧. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، ط ١، دار الجيل، (بيروت ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).



٨. تهذيب التهذيب، ط١، دار الفكر، (بيروت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).
- ابن حنبل، الإمام أحمد بن محمد الشيباني (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م)
٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، (مصر، بلا ت).
- ابن سيد الناس، محمد بن يعمرى (ت ٧٣٤هـ / ١٣٣٣م)
١٠. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير (تعليق إبراهيم محمد رمضان، دار القلم، بيروت ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م).
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى (ت ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م)
١١. الموافقات في أصول الأحكام (مطبعة المدني، القاهرة).
- الصالحى، محمد بن يوسف الشامى (ت ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م)
١٢. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).
- الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)
١٣. سبل الإسلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، تحقيق محمد عبدالعزيز، ط٤، دار إحياء التراث العربي (بيروت ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م)
- الطحاوي، أبو جعفر (ت ١٣٢١هـ / ٩٩٣م)
١٤. مشكل الآثار (تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ / ١٢٧٢م)
١٥. الجامع لأحكام القرآن (تحقيق سالم مصطفى البدرى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م).
١٦. تفسير القرطبي (دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م).
- المزى، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن (ت ٧٤٢هـ / ١٣٤٣م)
١٧. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد معروف، ط١،

- مؤسسة الرسالة (بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م).
- مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ / ٨٧٤م)
١٨. صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي (بيروت، بلا ت).
- النسائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ / ٩١٥م)
١٩. السنن الكبرى، تحقيق عبدالغفار سليمان البندري، وسيد كسروي حسن، ط ١، دار الكتب العلمية (بيروت ١٤١١هـ / ١٩٩١م).
- أبو نعيم، أحمد بن عبدالله بن أحمد (ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م)
٢٠. معرفة الصحابة (دار الوطن للنشر، الرياض ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م).
- ابن هشام، محمد بن عبدالملك (ت ٢١٨هـ / ٨٣٣م)
٢١. السيرة النبوية، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد، ط ١، دار الجيل (بيروت ١٤١١هـ / ١٩٩١م).
- الألباني، محمد ناصر (ب ت)
٢٢. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، تحقيق زهير الشاويش، ط ٢، المكتب الإسلامي (بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م).
٢٣. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، مكتبة المعارف (الرياض، ١٩٩٢م).
- ثالثاً: المراجع العربية والمعربة:
- الجندي، أنور
٢٤. تاريخ الإسلام في مواجهة التحديات (مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).
- الخطيب، جمال
٢٥. الإعاقة الحركية والشلل الدماغي (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م).



زكي، عبدالرحمن

٢٦. الحرب عند العرب (دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧م).

زناتي، أنور محمود

٢٧. الطريق إلى صدام الحضارات (مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت).

شفشق، محمود عبدالرزاق

٢٨. تاريخ التربية، دراسة تاريخية ثقافية اجتماعية (دار النهضة

العربية، القاهرة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م).

الصاوي، محمد وجيه

٢٩. دراسات في الفكر التربوي (مكتبة الفلاح، الكويت ١٤٢٠هـ /

١٩٩٩م).

عبدالعزیز، حسین قاسم

٣٠. موجز تاريخ العرب والإسلام (مكتبة النهضة، بغداد ١٣٩١هـ /

١٩٧١م).

عفيفي، محمد عبدالهادي

٣١. في أصول التربية (مكتبة الأنجلو المصرية ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م).

علي، محمد كرد

٣٢. الإسلام والحضارة العربية (لجنة التأليف والترجمة والنشر،

القاهرة ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م).

علي، سعيد إسماعيل

٣٣. اتجاهات الفكر التربوي الإسلامي (دار الفكر العربي، عين شمس،

القاهرة ١٤١١هـ / ١٩٩١م).

القذافي، رمضان محمد

٣٤. سيكولوجية الإعاقة (الجامعة المفتوحة، الجمهورية العربية الليبية

١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).

القصاص، مهدي محمد

٣٥. التمكين الاجتماعي لذوي الاحتياجات الخاصة: دراسة ميدانية،  
المؤتمر العربي الثاني عن الإعاقة الذهنية بين التجنب والرعاية،  
جامعة أسيوط، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م.

العلي، صالح أحمد

٣٦. محاضرات في تاريخ العرب، مؤسسة دار الكتب (الموصل ١٤٠٢هـ /  
١٩٨١م).

العواجي، محمد بن محمد

٣٧. مرويات الإمام الزهري في المغازي (الجامعة الإسلامية بالمدينة  
المنورة، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).

الناصر، سيد

٣٨. الحرب والمجتمع القديم (الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة  
الأسرة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م).

رابعاً: الدوريات

عبدون، هاشم فارس

٣٩. رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة بين الشريعة والقانون وأثر ذلك في  
الجانب التربوي (مجلة العلوم التربوية، مصر ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م).

رابعاً: الرسائل الجامعية

العوضي، سعود بن عبدالعزيز

٤٠. حقوق ذوي الاحتياجات الخاصة في الفقه الإسلامي (أطروحة  
ماجستير، جامعة طنطا، كلية الحقوق، قسم الشريعة الإسلامية  
١٤٣٣هـ / ٢٠١١م).





# رحمة رسول الله ﷺ بأمة وطلبه من ربه التخفيف في الشرائع

إعداد:

د. عائشة بنت فراج بن علي العتلا  
الأستاذة المساعدة في قسم الكتاب والسنة  
في كلية الدعوة وأصول الدين  
جامعة أم القرى



## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين، جعل الرحمة وصفاً من أوصاف كماله فهو الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على من بعثه ربه هدى للعالمين ورحمة للناس أجمعين، فكان أعلم الخلق بالحق وأرحم الخلق بالخلق، تخلق بالرحمة معلماً وداعياً، وتحلى بها مربيّاً وراعياً، فكان الرحمة المهداة والنعمة المسداة، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد..

فإن المطلع على سيرة النبي ﷺ لياخذ بمجامع قلبه ويأسر لبه ذلك الأنموذج الفريد الكامل الشامل لمكارم الأخلاق وخلال الخير من حياء وكرم وشجاعة ووفاء وحلم وصدق حديث، فما من خلق كريم هدى إليه القرآن إلا وقد تخلق به النبي ﷺ فكان القرآن خلقه حقاً، كما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت فقيل لها: يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ، قالت: أأست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى قالت: «فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن»<sup>(١)</sup>.

وقد امتدح الله ﷻ جميل خلقه فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٤)</sup>  
[القلم:٤]، وكان من أبرز صفاته الكريمة وأخلاقه الحميدة خلق (الرحمة)؛

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٧٤٦) كتاب صلاة المسافرين / باب جامع صلاة الليل.

وهو الخلق الذي وصفه الله تعالى به في كتابه بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] فوصفه بأنه رحيم بالمؤمنين رؤوف بلغ منتهى الرحمة بهم، وقال له الحق تبارك تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقد حفلت سنة النبي ﷺ بالمواقف التي أظهرت كمال رحمته بالناس عامة وبأمته خاصة، كما بينت رحمته بأمته في طلبه التخفيف عنهم سواء في العبادات أو المعاملات أو الحدود أو الجنايات، وتلك المواقف المضيئة سوف تكون موضوع هذا البحث المندرج ضمن المحور الرابع من محاور مؤتمر الرحمة في الإسلام، وهو محور (رحمة رسول الله ﷺ بأمته وطلبه من ربه التخفيف في الشرائع)، وسأقتصر من ذلك على ما ورد بالسنة المشرفة.

### أهداف البحث:

١. بيان ما كان يتمتع به النبي ﷺ من الأخلاق العظيمة.
٢. إثبات رسوخ خلق الرحمة في نفس الرسول ﷺ وفيه رد على كل من حاول تشويه الرسالة المحمدية.
٣. ذكر الأحاديث والمواقف العملية لرحمة النبي ﷺ في التخفيف عن الأمة في التكاليف.

### خطة البحث:

قسمت البحث إلى ثلاثة مباحث وذيلته بخاتمة.  
المبحث الأول: اتصاف الرسول ﷺ بخلق الرحمة، وخصائص أخلاقه مع أمته

المطلب الأول: اتصاف الرسول ﷺ بخلق الرحمة.



المطلب الثاني: خصائص أخلاقه ﷺ مع أمته.

المبحث الثاني: رحمة النبي ﷺ بأمته بتخفيف التكاليف عنهم

المطلب الأول: السواك.

المطلب الثاني: في الصلاة.

المطلب الثالث: في الصيام.

المطلب الرابع: في الزكاة.

المطلب الخامس: في الحج.

المطلب السادس: في الأضحية.

المطلب السابع: في الجهاد.

المطلب الثامن: الكفارات.

المطلب التاسع: الحدود.

المبحث الثالث: رحمته ﷺ بأمته بسؤاله ربه ﷻ التخفيف عنهم.

المطلب الأول: في قراءة القرآن.

المطلب الثاني: في الصلاة.

المطلب الثالث: في تخفيف العقوبة عنهم.

### منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي من خلال النقاط التالية:

- استخراج النصوص المتعلقة بموضوع الرحمة وتخريجها.
- تحليل النصوص وبيان العلاقات فيما بينها واستنباط معالم الرحمة في سنته.

- التعريف بغريب الألفاظ والبلدان وذكر الفوائد المتعلقة بموضوع الدراسة.

هذا وأسأل الله تعالى العون والسداد، إنه ولي ذلك والقادر عليه،  
وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.



## المبحث الأول

# اتصاف الرسول ﷺ بخلق الرحمة وخصائص أخلاقه مع أمته

### المطلب الأول

## اتصاف الرسول ﷺ بخلق الرحمة

لما كان الإسلام هو الرسالة الإلهية الخاتمة، وكانت بعثة النبي ﷺ إلى الناس كافة؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور؛ اقتضت حكمة الله تعالى أن تكون الرحمة شعار هذا الدين الخالد، وعنوان رسالة نبيه الخاتم ﷺ؛ لتشرق شمس رسالته رحمة للخلق أجمعين كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [١٠٧] [الأنبياء]، وقال ﷺ: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنْ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

إن موضوع اتصاف رسول الله ﷺ بالرحمة من المواضيع التي تصعب الإحاطة بها واستقصاؤها؛ لأن أفعاله وأقواله وتقريراته وحياته كلها منذ بعثه الله حتى وفاته ﷺ رحمة للأمة وللعالم أجمع؛ إذ فطر ﷺ على الرحمة العظيمة بالخلق حتى قال ابن عباس ﷺ: "كان محمد رحمة لجميع الناس: فمن آمن به وصدق به سعد، ومن لم يؤمن به سلم مما لحق الأمم من الخسف والفرق" (١).

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٥٥٢/١٨)، والطبراني في «معجمه الكبير» (١٢٣٥٨).

لهذا جاءت سيرته ﷺ العطرة بكافة أحداثها وفصولها نوراً للأمة يضيء لها طريق الرحمة والرأفة في شأن الدعوة إلى الله تعالى وفي شتى شؤون الحياة.

ولما قيل له: يا رسول الله ادع الله على المشركين قال: "إني لم أبعث لعناً وإنما بعثت رحمة" (١)

قال القاري: «وإنما بعثت رحمة» أي للناس عامة وللمؤمنين خاصة، متخلفاً بوصفي الرحمن الرحيم، ولقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] أما للمؤمنين فظاهر، وأما للكافرين فلأن العذاب رفع عنهم في الدنيا بسببه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٢٣]، بل عذاب الاستئصال مرتفع عنهم ببركة وجوده إلى يوم القيامة، وقال الطيبي: «أي: إنما بعثت لأقرب الناس إلى الله، وإلى رحمته، وما بعثت لأبعدهم عنها، فاللعن مناف لحالي فكيف ألعن؟» (٢).

ولهذا فإن من أسمائه ﷺ التي سمي بها نفسه (نبي الرحمة) فعن أبي موسى الأشعري قال: كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماءً فقال: "أنا محمد، وأحمد، والمقفي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة" (٣).

قال النووي: «وأما (نبي التوبة، ونبي الرحمة)، ونبي الرحمة فمعناها متقارب، ومقصودها أنه ﷺ جاء بالتوبة وبالترحم قال الله تعالى: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ﴾ [البلد: ١٧] (٤). ووصف ﷺ نفسه فقال: "يا أيها الناس! إنما أنا لكم رحمة مهداة" (٥).

= وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد" (٦٩ / ٧):  
"فيه أيوب بن سويد وهو ضعيف جدا وقد وثقه ابن حبان بشروط فيمن يروي عنه، وقال: إنه كثير الخطأ، والمسعودي قد اختلط".

- (١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٥٩٩) كتاب البر والصلة والآداب باب/ النهي عن لعن الدواب.
- (٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣٧١٤ / ٩).
- (٣) صحيح مسلم (٢٣٥٥) كتاب الفضائل / باب في أسمائه ﷺ.
- (٤) شرح النووي لصحيح مسلم (٨٦ / ١٥).
- (٥) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٢٩٨١) وسنده صحيح، انظر: السلسلة الصحيحة =





قال القاري: «(مهداة) بضم الميم أي: ما أنا إلا رحمة للعالمين أهداها الله إليهم، فمن قبل هديته أفلح وظفر، ومن لم يقبل خاب وخسر، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]». ولا شك أن من قبل هذه الهداية واهتدى بنورها فله خصوصاً أضعاف ما غيره من هذه الرحمة.

وقال الحسين بن الفضيل: لم يجمع الله لأحد من الأنبياء اسمين من أسمائه إلا للنبي محمد ﷺ، فإنه قال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥] (١).

وأخبر الله ﷻ عن رسول الله ﷺ فقال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] أي شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم ولهذا كان حقه مقدماً على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأمة الإيمان به تعظيمه وتعزيه وتوقيره (٢).

قال ابن عاشور: ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ﴾ [التوبة: ٦١] عطف جملة ورحمة على جملتي يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين لأن كونه رحمة للذين يؤمنون بعد علمه بنفاقهم أثر لإغضائه عن إجرامهم وإمهالهم حتى يتمكن من الإيمان من وفقه الله للإيمان منهم، ولو آخذهم بحالهم دون مهل لكان من سبق السيف العذل، فالمراد من الإيمان في قوله: آمنوا الإيمان بالفعل، لا التظاهر بالإيمان، كما فسر به المفسرون، يعنون بالمؤمنين المتظاهرين بالإيمان المبطنين للكفر، وهم المنافقون (٣).

= للألباني (٤٩٠) وصحيح الجامع الصغير (٤١١٠).

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٣٠٢/٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي (٣٥٦/١).

(٣) التحرير والتوير (٢٤٣/١٠).

## المطلب الثاني خصائص أخلاقه مع أمته

لما كان الإسلام دين الأخلاق الحميدة؛ كان من أعظم مقاصد رسالة الإسلام إتمام مكارم الأخلاق، وفي هذا يقول رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»<sup>(١)</sup>، ولهذا أدبه ربه فأحسن تأديبه؛ فكان بنفسه مثلاً حياً لتطبيق شرائع الإسلام وأخلاقه الكاملة، وكان أحسن الناس خلقاً إذ تخلق بالقرآن كما قالت عائشة رضي الله عنها: «مستشهادة بقول الله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾»<sup>(٢)</sup> [القلم:٤] فوصفه الباري جل وعز بعظمة الخلق؛ مؤكداً ذلك بالأقسام في صدر السورة؛ ليبين أن اتصافه بمكارم الأخلاق والخصال جبلة طبع عليها ولم يكن ذلك النبل منه ﷺ تصنعاً أو تكلفاً، بل هو فطرة فطره الله عليها.

قال القرطبي: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤] قيل: هو رفقه بأمته وإكرامه إياهم<sup>(٣)</sup>.

ومن الأخلاق العظيمة التي تحلّى بها ﷺ:

- حرصه على نجاة أمته وشفقته عليها يوم القيامة حيث قال: «لكل نبي دعوة دعاها لأمته وخبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة»<sup>(٤)</sup>.
- حرصه على التيسير على أمته والتخفيف عنهم؛ فقد أوصى معاذ ابن جبل وأبا موسى الأشعري رضي الله عنهما حين بعثهما إلى اليمن بالتيسير فقال: «بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا»<sup>(٥)</sup>.

(١) مسند أحمد (٥١٣/١٤) حديث (١٩٥٢) وسنده صحيح، انظر: حاشية السندي على مسند أحمد (١٥٩/٦)، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٤٥).

(٢) تقدم تخريج أثر عائشة رضي الله عنها (ص: ٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٢٧/١٨).

(٤) أخرجه البخاري (٦٣٠٤) كتاب الدعوات/باب لكل نبي دعوة مستجابة، ومسلم (١٩٨) كتاب الإيمان/اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته.

(٥) أخرجه البخاري (٦٩) كتاب العلم/باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم، ومسلم (١٧٢٢) كتاب الجهاد



• رفقهُ ﷺ ولين جانبه: فقد كان رفيقاً يحب الرفق في الأمر كله ورغب في الرفق في الأمور كلها بقوله ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه»<sup>(١)</sup>.

• حلمه ولينه ﷺ فلم يغضب لنفسه قط، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء يؤتى إليه حتى ينتهك من حرمان الله فينتقم لله"<sup>(٢)</sup>.

• أناته وتشبته ﷺ: كان رسول الله ﷺ يتأني في شأنه كله، ومن ذلك أنه كان لا يغير على قوم حتى يتبين له كفرهم، فعن أنس رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ إذا غزا قوماً لم يغر حتى يصبح فإن سمع أذاناً أمسك وإن لم يسمع أذاناً أغار بعد ما يصبح"<sup>(٣)</sup>.

• كان من دعائه ﷺ: "واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت"<sup>(٤)</sup>.

يتجلى من عرض بعض خصاله السامية ﷺ طبيعة فريدة جُبل عليها، ولا شك أن معظم ما اتصف به ﷺ له علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالخلق الأسمى، الذي فُطر عليه، وهو خلق الرحمة، فإيثاره ورفقه وحلمه ولينه وأناته وحرصه على التيسير والتخفيف، له ارتباط وثيق بالرحمة، التي دعا ﷺ إلى التخلق بها فقال: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء"<sup>(٥)</sup>، وحذّر من تركها فقال ﷺ: "من

والسير/باب في الأمر بالتيسير.

(١) صحيح مسلم (٢٥٩٤) كتاب البر والصلة / باب فضل الرفق.

(٢) صحيح البخاري (٦٢٨٨) كتاب الحدود / باب إقامة الحدود والانتقام لحرمان الله.

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٤٣) كتاب الجهاد والسير / باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، وألا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً.

(٤) صحيح مسلم (٧٧١) كتاب صلاة المسافرين / باب صلاة النبي ﷺ ودعائه بالليل.

(٥) أخرجه أبو داود (٤٩٤١)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٥٦) وانظر:

السلسلة الصحيحة (٩٢٥).

لا يرحم الناس لا يرحمه الله ﷻ" (١)، وأخبر عن شقاء من نزلت منه، فقال: «لا تتزع الرحمة إلا من شقي» (٢)، قال المباركفوري: قوله: (لا تتزع الرحمة) بصيغة المجهول أي لا تسلب الشفقة على خلق الله، ومنهم نفسه التي هي أولى بالشفقة والمرحمة عليها من غيرها، بل فائدة شفقتة على غيره راجعة إليها لقوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٧] (إلا من شقي) قال الطيبي: لأن الرحمة في الخلق رقة القلب، والرقة في القلب علامة الإيمان، فمن لا رقة له لا إيمان له، ومن لا إيمان له شقي، فمن لا يرزق الرقة شقي (٣).



- (١) أخرجه البخاري (٦٠١٣) كتاب الأدب/باب رحمة الناس والبهائم، ومسلم (٢٣١٩) الفضائل / باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وفضل ذلك.
- (٢) أخرجه أبو داود (٤٩٤٢) والترمذي (١٩٢٣)، وحسنه الألباني. صحيح الجامع الصغير (٧٤٦٧).
- (٣) تحفة الأحوذى، للمباركفوري (٤٢/٦).

## المبحث الثاني

### رحمته ﷺ بأمته بتخفيف التكاليف عنهم

لقد كان لرحمة رسول الله ﷺ بأمته وشفقته عليهم آثارها المباركة في التكاليف الشرعية، إذ حرص ﷺ على التخفيف عنهم ورفع ما يشق عليهم تيسيراً عليهم ورحمة بهم، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في قوله ﷻ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقد بلغ من رحمته ﷺ بهم أن كان يخشى العقوبة عليهم إن هم فرطوا في الالتزام بما شرع الله لهم، فعن عبد الله بن مسعود قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ عليّ القرآن» فقلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: فإنني أحب أن أسمع من غيري فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قال: أمسك فإذا عيناه تذرفان»<sup>(١)</sup>. وبكاؤه ﷺ هذا هو من رحمته بهم، فإن الحجة قد قامت عليهم ولم يبق لهم عذر ولا مفر من عقاب الله إذا أشهد عليهم رسوله ﷺ.

قال ابن حجر: بكي رحمة لأمته لأنه علم أنه لا بد أن يشهد عليهم بعملهم، وعملهم قد لا يكون مستقيماً فقد يفضي إلى تعذيبهم والله أعلم<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٤٥٨٢) كتاب التفسير/ باب فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد.

(٢) فتح الباري (١٢٤/٩).

وأما ابن بطال فذهب إلى أن سبب بكاءه ﷺ أنه مثل لنفسه أهوال يوم القيامة وشدة الحال الداعية له إلى شهادته لأتمته، وهذا أمر يحق له طول البكاء<sup>(١)</sup>.

ولما تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ﴾ [المائدة: ١١٨] رفع يديه وقال: «اللهم أمتي أمتي.. وبكى، فقال الله ﷻ: يا جبريل اذهب إلى محمد، وربك أعلم فاسأله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل ﷺ فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال وهو أعلم، فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك»<sup>(٢)</sup>.

وهذا يبين كمال شفقة النبي ﷺ على أتمته واعتناؤه بمصالحهم، واهتمامه بأمرهم<sup>(٣)</sup>.

وبلغ من شفقته ﷺ أنه كان يمنع أصحابه من الإكثار في المسألة لئلا يشدد الله عليهم، فإن الإكثار من المسائل من أسباب التشديد على الأمة، كما قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدَّ لَكُمْ سَأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ بُدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة: ١٠١]. وكل من له عناية بالوقوف على حكم التشريع ومقاصده لا يخفى عليه أن من أعظم تلك الحكم والمقاصد التخفيف عن العباد ورفع الحرج عنهم، يتجلى هذا في كل أبواب الفقه وفروعه باباً باباً وفرعاً فرعاً في العبادات وفي المعاملات وفي الحدود وفي الجنايات وفي غيرها.

وفي هذا المبحث سأذكر طرفاً من تلك الأحكام تكون شاهداً على المقصود ودليلاً على ما سواها:

(١) انظر: شرح ابن بطال (٢٨١/١٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٠٢) كتاب الإيمان / باب دعاء النبي ﷺ لأتمته.

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم (٦٦/٢).

## المطلب الأول السواك

حرص النبي ﷺ على السواك في جميع أحواله وخاصة أوقات الصلوات؛ لكون الصلاة مناجاة للرب عز وجل، فاقتضى أن تكون على حال كمال ونظافة إظهاراً لشرف العبادة وهي الصلاة، ومع ذلك لم يفرض ﷺ على أمته السواك خشية الاشفاق عليهم<sup>(١)</sup>، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: "لولا أن أشق على أمتي أو على الناس لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة"<sup>(٢)</sup>.

وفي لفظ عند أحمد وغيره مرفوعاً: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع الوضوء ولأخرت العشاء إلى ثلث الليل أو شطر الليل»<sup>(٣)</sup>.

وهذا يدل على أن الجرح والمشقة مرفوعان عن هذه الأمة كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] قاله ابن حجر<sup>(٤)</sup>.

والمشقة هي: ما يشق على النفس احتماله فكأن النفس انشقت لما نالها من صعوبة ذلك الشيء<sup>(٥)</sup> وقال في النهاية: (لولا أن أشق) أي لولا أن أثقل عليهم بالمشقة وهي الشدة<sup>(٦)</sup>.

لقد كانت شفقتة ﷺ العظيمة بأمته هي الباعث له على دفع مشاق التكليف عنهم، ومنها عدم إيجاب السواك للصلاة سواء كانت فرضاً أم نافلة.

(١) انظر: التوضيح شرح الجامع الصحيح، لابن الملقن (٤٢٢/٧).

(٢) أخرجه البخاري (٨٨٧) كتاب الجمعة / باب السواك يوم الجمعة، ومسلم (٢٥٢) كتاب الطهارة / باب السواك.

(٣) أخرجه أحمد (٧٤١٢)، (٣٧٤/١٢) وسنده صحيح.

(٤) فتح الباري، لابن حجر (٤٨٣/٢).

(٥) فيض القدير، للمناوي (٥ / ٢٣٩).

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٤٩١/٢).

## المطلب الثاني في الصلاة

لقد كانت الصلاة قرّة عين رسول الله ﷺ وأحب الأعمال إليه، فعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: "حبب إلي النساء والطيب وجعلت قرّة عيني في الصلاة"<sup>(١)</sup>، وكانت راحته فيها، ويهرع إليها إذا حزبه أمر<sup>(٢)</sup>، ومع ذلك حرص على أن يخفف على الناس في كل ما يتعلق بالصلاة، سواء في أوقاتها أو في طولها أو في عددها، كما خشى ﷺ أن يفرض من نوافلها ما لم يفرض، وفيما يلي أمثلة على تخفيفه في باب الصلاة:

### أ. التخفيف في وقت صلاة العشاء وعدم تأخيرها

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «أعتم<sup>(٣)</sup> النبي ﷺ بالعشاء، فخرج عمر فقال: الصلاة يا رسول الله، رقد النساء والصبيان، فخرج ورأسه يقطر يقول: «لولا أن أشق على أمتي أو على الناس لأمرتهم بالصلاة هذه الساعة»<sup>(٤)</sup> وزاد مسلم «إنه لوقتها لولا أن أشق على أمتي»<sup>(٥)</sup>.

وفي رواية عند أبي داود والنسائي: «ولولا ضعف الضعيف وسقم السقيم وحاجة ذي الحاجة لأخرت هذه الصلاة إلى شطر الليل»<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه النسائي في «سننه» (٣٩٤٩) كتاب عشرة النساء / باب حب النساء، وأحمد في «مسنده» (٣٠٥ / ١٩)، (١٢٢٩٤) وسنده حسن.

(٢) روى أحمد بسنده عن حذيفة (٢٣٢٩٩)، (٣٢٠ / ٣٨)، كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى، وأخرجه أبو داود (١٣١٩)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٨٣٢).

(٣) أي دخل في وقت العتمة وهي وقت صلاة العشاء، واعتم إذا مر قطعة من الليل. انظر: النهاية في غريب الحديث (١٨١ / ٣)، التعريفات الفقهية، لمحمد عميم الإحسان المجددي (١٤٣)، لسان العرب لابن منظور (٤١ / ٩) مادة: (عتم).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥٧١) مواقيت الصلاة / باب النوم قبل العشاء لمن غلب، (٧٢٣٩) باب ما يجوز من اللو، ومسلم (٦٣٨) كتاب الصلاة / باب وقت العشاء وتأخيرها.

(٥) صحيح مسلم (١٠٠٩).

(٦) أخرجه أبو داود (٤٢٢) كتاب الصلاة / باب وقت العشاء الآخرة، والنسائي (٥٣٧) كتاب المواقيت / باب آخر وقت العشاء.





وهذا يدل على أنه ﷺ كان يراعي حالهم لمشقة التأخير عليهم إلى وقتها الأفضل.

وقوله ﷺ: (إنه لوقتها لولا أن أشق على أمتي) معناه: إنه لوقتها المختار أو الأفضل، ففيه تفضيل تأخيرها، وأن الغالب كان تقديمها، وإنما قدمها للمشقة في تأخيرها، وقد نبه على تفضيل التأخير بهذا اللفظ، وصرح بأن ترك التأخير إنما هو للمشقة، ومعناه -والله أعلم- أنه خشي أن يواظبوا عليه فيفرض عليهم، ويتوهموا إيجابه؛ فلهذا تركه كما ترك صلاة التراويح، وعلل تركها بخشية افتراضها والعجز عنها. (١)

### ب. امتناعه عن الخروج لصلاة التراويح في رمضان:

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ صلى ذات ليلة في المسجد فصلى بصلاته ناس، ثم صلى من القابلة فكثر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ فلما أصبح قال: «قد رأيت الذي صنعتكم ولم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم» (٢).

قال الحلبي: والمعنى أن يفرض عليكم، فلا ترعوه حق رعايته فتصيروا في استيجاب الذم أسوة من قبلكم. وهذا كله رأفة ورحمة ﷺ، وجزاه عنا أفضل ما جازى رسولاً ونبياً عن أمته (٣).

ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: إن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم (٤).

(١) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم (١١٨/٥).

(٢) أخرجه البخاري (١١٢٩) كتاب التهجد/ باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل، ومسلم (٧٦١) صلاة المسافرين/ الترغيب في قيام رمضان.

(٣) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (٦٨/٤).

(٤) أخرجه البخاري (١١٢٨) الباب السابق، ومسلم (٧١٨) كتاب صلاة المسافرين/ باب استيجاب صلاة الضحى.

فترك ﷺ الخروج للناس لصلاة التراويح خشية أن تفرض عليهم مع أنه ﷺ كان يقوم الليل كله حتى تتفطر قدماه، وما ذلك إلا رحمة منه بأمتة وشفقة عليهم ﷺ .

### ج. تخفيفه الصلاة بالناس وغضبه من إطالة الصلاة والاشفاق على المصلين:

وقد دل على ذلك الأحاديث التالية:

١. عن جابر بن عبد الله قال: أقبل رجل بناضحين وقد جنح الليل فوافق معاذاً يصلي فترك ناضحه وأقبل إلى معاذ فقرأ بسورة البقرة أو النساء، فانطلق الرجل، وبلغه أن معاذاً نال منه، فأتى النبي ﷺ فشكا إليه معاذاً فقال النبي ﷺ: "يا معاذ أفتان أنت أو أفاتن ثلاث مرار، فلولا صليت بسبح اسم ربك والشمس وضحاها والليل إذا يغشى؛ فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة"<sup>(١)</sup>.

٢. عن أبي مسعود أن رجلاً قال: واللّه يا رسول الله إني لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا، فما رأيت رسول الله ﷺ في موعظة أشد غضباً منه يومئذ، ثم قال: "إن منكم منفرين فأيكم ما صلى بالناس فليتجاوز فإن فيهم الضعيف والكبير وذو الحاجة"<sup>(٢)</sup>.

٣. عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "إذا صلى أحدكم للناس فليخفف، فإن منهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء"<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥) كتاب الأذان/من شكا من إمامه إذا طوّل، ومسلم (٤٦٥) كتاب الصلاة/القرأة في العشاء.

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٢) كتاب الأذان/باب تخفيف الإمام في القيام وإتمام الركوع، ومسلم (٧١٣) أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام.

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٢) الأذان/باب إذا صلى لنفسه فليطول ما شاء، ومسلم (٤٦٧) الصلاة/باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام



٤. عن أبي قتادة الأنصاري وأنس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: "إني لأقوم إلى الصلاة وأنا أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه"<sup>(١)</sup>.

وهذه الأحاديث تدل أن أئمة الجماعة يلزمهم التخفيف لأمر رسول الله ﷺ لهم<sup>(٢)</sup>، وأن مراعاة أصحاب الأعذار وأحوال الناس كان منهجاً له صلوات الله وسلامه عليه، وذلك لتلا يلحق المشقة بأمته. وأما طلبه من الله عز وجل التخفيف في فرض الصلاة فساذكره في المبحث الثالث.

## المطلب الثالث في الصيام

وتتجلى لنا رحمة النبي ﷺ في باب الصيام في الأمور التالية:

### أ. النهي عن الوصال:

الوصال هو: أن يصل صيام أيام متعددة دون إفطار في ما بينها<sup>(٣)</sup>، وقد نص الفقهاء على كراهته<sup>(٤)</sup>.

وقد نهى النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم عن الوصال رفعاً للحرص والمشقة ولطفاً ورحمة بهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الوصال، فقال رجل من المسلمين: فإنك يا رسول الله تواصل، قال رسول الله ﷺ: وأيكم

(١) أخرجه البخاري (٧٠٧) الأذان/باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، ومسلم (٤٧٠) الصلاة / باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام.

(٢) انظر: التوضيح، لابن الملقن (٥٦٥/٦)

(٣) انظر: تهذيب اللغة، للأزهري (٢٢٢/٤)، لسان العرب، لابن منظور (٧٢٩/١١) مادة: (وصل).

(٤) انظر: المغني لابن قدامة (١٧٥/٢)، المجموع للنووي (٢٥٦/٦)، مواهب الجليل للحطاب (٣٩٩/٢)،

حاشية ابن عابدين (٢٧٦/٢).

مثلي إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني، فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يوماً ثم يوماً ثم رأوا الهلال، فقال: لو تأخر الهلال لزدتكم، كالمنكل<sup>(١)</sup> لهم حين أبوا أن ينتهوا»<sup>(٢)</sup>.

وقد صرّحت عائشة رضي الله عنها بالعلة التي نهى صلى الله عليه وسلم من أجلها عن الوصال وهي الرحمة بأمتة والشفقة عليهم لما يخافه عليهم من الضعف ويريده بهم من الشفقة، فقالت: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال رحمة لهم، فقالوا: إنك تواصل، قال: " إني لست كهيئتكم إني يطعمني ربي ويسقيني"<sup>(٣)</sup>.

قال البخاري: نهى عن الوصال رحمة لهم وإبقاء عليهم وما يكره من التعمق<sup>(٤)</sup>.

### ب. الأمر بتعجيل الإفطار:

حث النبي صلى الله عليه وسلم على تعجيل الفطر رحمة بالصائمين، ولئلا تطول مدة الصيام وتتجاوز غروب الشمس، فيشق عليهم الصيام، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر"<sup>(٥)</sup>.

ومعنى الحديث لا يزال أمر الأمة منتظماً وهم بخير ما داموا محافظين على هذه السنة، وإذا أخروه كان ذلك علامة على فساد يقعون فيه<sup>(٦)</sup>.

قال المهلب: والحكمة في ذلك أن لا يزداد في النهار من الليل، ولأنه أرفق بالصائم وأقوى له على العبادة<sup>(٧)</sup>.

(١) أي عقوبة لهم، والتكيل: العقوبة التي تتكل الناس عن فعل جعلت له جزاء، وقد نكل به تكليلاً ونكل به إذا جعله عبرة لغيره.

انظر: النهاية في غريب الحديث (١١٦/٥) مادة: (نكل)، عمدة القاري، للعيني (٧٤/١١).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٦٤) كتاب الصيام / باب الوصال.

(٣) أخرجه البخاري (١٨٢٨) كتاب الصيام / باب الوصال، ومسلم (١٨٥٠) الباب السابق.

(٤) صحيح البخاري (ص: ٢٨٧) كتاب الصيام / باب الوصال.

(٥) أخرجه البخاري (١٩٥٧) كتاب الصيام / باب تعجيل الإفطار، ومسلم (١٠٩٥) الصيام / باب فضل السحور وتأكيد استحبابه.

(٦) شرح صحيح مسلم للنووي (٧ / ١٨١).

(٧) انظر: شرح ابن بطال لصحيح البخاري (١٠٤/٤)، فتح الباري (٤ / ٢٥٣).



## ج. التأكيد على السحور والحث عليه:

امتدح النبي ﷺ السحور قال: إنه بركة، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "تسحروا فإن في السحور بركة" (١).

وكون السحور أنه بركة؛ لأنه يقوي على الصوم وينشط له ويخفف المشقة فيه (٢).

بل كان ﷺ يأمرهم بتأخير السحور ليعينهم ذلك على الصيام، فعن أبي عطية قلت لعائشة: فينا رجلان من أصحاب النبي ﷺ أحدهما يعجل الإفطار ويؤخر السحور والآخر يؤخر الإفطار ويعجل السحور، قالت: أيهما الذي يعجل الإفطار ويؤخر السحور؟ قلت: عبدالله بن مسعود، قالت: هكذا كان رسول الله ﷺ يصنع (٣).

قال ابن أبي جمرة: كان ﷺ ينظر ما هو الأرقق بأتمته فيفعله؛ لأنه لو لم يتسحر لاتبعوه فيشقق على بعضهم ولو تسحر في جوف الليل؛ لشق أيضاً على بعضهم ممن يغلب عليه النوم فقد يفضي إلى ترك الصبح أو يحتاج إلى المجاهدة بالسهر، وفيه تقوية على الصيام لعموم الاحتياج إلى الطعام ولو ترك لشق على بعضهم الصيام (٤).

## د. العفو عن الأكل والشرب ناسياً:

لما كان النسيان مما يعتري الإنسان ولا يمكنه التحرز منه؛ تجاوز الشارع عما يفعله المكلف ناسياً، فعفا النبي ﷺ عن أكل الصائم وشربه ناسياً، بل جعله إطعاماً وسقياً من الله ﷻ رحمة ورأفة وتيسيراً على الصائم الناسي (٥).

(١) أخرجه البخاري (١٩٢٣) كتاب الصيام /باب بركة السحور من غير إيجاب، ومسلم (١٨٢٥) كتاب الصيام /فضل السحور

(٢) انظر: فتح الباري (١٧٩/٤).

(٣) أخرجه مسلم (١٠٩٩) كتاب الصيام / فضل السحور، والنسائي واللفظ له (٢١٢٩).

(٤) فتح الباري (١٧٧/٤)، وانظر: عمدة القاري، لليعني (٢٩٩/١٠).

(٥) والراجح أن من نسي وهو صائم فآكل وشرب فصومه صحيح ولا قضاء عليه، وخالف في ذلك المالكية فقالوا يتم صومه وألزموه بالقضاء =

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من أكل ناسياً وهو صائم فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه"<sup>(١)</sup>.

قال الطيبي: «إنما للحصر، أي ما أطعمه أحد ولا سقاه إلا الله، فدل على أن هذا النسيان من الله تعالى ومن لطفه في حق عباده تيسيراً عليهم ودفعاً للحرج»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن حجر: «في الحديث لطف الله بعباده والتيسير عليهم ورفع المشقة والحرج عنهم»<sup>(٣)</sup>.

### هـ. النهي عن صوم الدهر:

نهى النبي صلى الله عليه وسلم أمته -وهو الرحيم بهم- عن صوم الدهر رفقاً بهم وإبقاء عليهم، وبالغ في النهي عنه فجعل صيامه وعدمه سواء، فعن ابن عمرو رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا صام من صام الدهر"<sup>(٤)</sup>.

وفي رواية مسلم: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عبد الله بن عمرو بلغني أنك تصوم النهار وتقوم الليل فلا تفعل؛ فإن لجسدك عليك حظاً ولعينك عليك حظاً وإن لزوجك عليك حظاً، صم وأفطر، صم من كل شهر ثلاثة أيام فذلك صوم الدهر، قلت: يا رسول الله إن بي قوة، قال: فصم صوم داود عليه السلام صم يوماً وأفطر يوماً، فكان يقول: يا ليتني أخذت بالرخصة<sup>(٥)</sup>. قال النووي: «فيه بيان رفق رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمته، وشفقته عليهم، وإرشادهم إلى مصالحهم،

= انظر: المدونة (٢٦٦/١)، الاستذكار (١٨٦/١٠)، المعني لابن قدامة (١٣١/٣)، المجموع للنووي (٣٢٣/٦).

(١) أخرجه البخاري (١٩٣٣) الصيام/الصائم إذا أكل أو شرب ناسياً، ومسلم (١١٥٥) الصيام/أكل الصائم وشربه

(٢) انظر: عون المعبود، للعظيم أبادي (٢٣/٧).

(٣) فتح الباري (٢٠١/٤).

(٤) أخرجه البخاري مطولاً (١٩٧٩) كتاب الصيام /باب صوم داود، ومسلم (١١٥٩) كتاب الصيام / النهي عن صوم الدهر.

(٥) أخرجه مسلم (١١٥٩) كتاب الصيام /النهي عن صوم الدهر.



وحثهم على ما يطبقون الدوام عليه، ونهيههم عن التعمق والإكثار من العبادات التي يخاف عليهم الملل بسببها أو تركها أو ترك بعضها، وقد بين ذلك بقوله ﷺ: (عليكم من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا)<sup>(١)</sup>، وبقوله ﷺ في هذا الباب: (لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل)<sup>(٢)</sup>، وفي الحديث الآخر: (أحب العمل إليه ما داوم صاحبه عليه)<sup>(٣)</sup>، وقد ذم الله تعالى قومًا أكثروا العبادة ثم فرطوا فيها فقال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَائِهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

وفي هذه الروايات المذكورة في الباب النهي عن صيام الدهر<sup>(٤)</sup>.

وحينما أصرَّ عبدالله بن عمرو على صيام الدهر لم يتركه وما أراد بل نهاه عن ذلك رحمةً به وتخفيفاً عليه، فقال عبدالله بن عمرو: أخبر رسول الله ﷺ أنه يقول لأقومن الليل ولأصومن النهار ما عشت، فقال رسول الله ﷺ: أنت الذي تقول ذلك؟ فقلت له: قد قلت يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: فإنك لا تستطيع ذلك، فصم وأفطر ونم وقم وصم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر، قال: قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك، قال: صم يوماً وأفطر يومين، قال: قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك يا رسول الله، قال: صم يوماً وأفطر يوماً وذلك صيام داود عليه السلام وهو أعدل الصيام، قال: قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك، قال رسول الله: لا أفضل من ذلك، قال عبدالله بن عمرو عليه السلام: لأن أكون قبلت الثلاثة الأيام التي قال رسول الله ﷺ أحب إلي من أهلي ومالي<sup>(٥)</sup>.

- (١) أخرجه البخاري (٤٣) كتاب الإيمان / باب أحب الدين إلى الله أدومه، ومسلم (٧٨٢) صلاة المسافرين / باب فضيلة العمل الدائم.
- (٢) أخرجه البخاري (١١٥٢) كتاب التهجد / باب ما يكره من ترك قيام الليل، ومسلم (١١٥٩) الصيام / باب النهي عن صوم الدهر.
- (٣) أخرجه البخاري (١٩٨٧) كتاب الصيام / باب هل يخص شيئاً من الأيام، ومسلم (٧٨٢) كتاب الصيام / باب صيام النبي في غير رمضان.
- (٤) شرح صحيح مسلم، للنووي (٣٢/٨).
- (٥) أخرجه البخاري (١٩٧٧) كتاب الصيام / باب حق الأهل في الصوم، ومسلم (١١٥٩) النهي عن صوم الدهر.

وإنما قال عبد الله ابن عمرو: لأن أكون قبلت الثلاثة الأيام التي قال رسول الله ﷺ أحب إلي من أهلي ومالي؛ لأن الصحابة رضوان الله عليهم كان يشق عليهم ترك الفعل الذي فارقوا رسول الله ﷺ عليه، فلم ير أن يرجع عنه إن كان قد ضعف عنه.

قال ابن حجر<sup>(١)</sup>: ومع عجزه وتمنيه الأخذ بالرخصة لم يترك العمل بما التزمه، بل صار يتعاطى فيه نوع تخفيف كما في رواية حصين المذكورة: «وكان عبد الله حين ضعف وكبر يصوم تلك الأيام كذلك يصل بعضها إلى بعض ثم يفطر بعدد تلك الأيام فيقوى بذلك، وكان يقول: (لأن أكون قبلت الرخصة أحب إلي مما عدل به، لكني فارقت على أمر أكره أن أخالفه إلى غيره)<sup>(٢)</sup>.

قال ابن حجر: «وفي قصة عبد الله بن عمرو هذه من الفوائد: بيان رفق رسول الله ﷺ بأمة وشفقته عليهم، وإرشاده إياهم إلى ما يصلحهم وحثه إياهم على ما يطيقون الدوام عليه، ونهيه عن التعمق في العبادة لما يخشى من إفضائه إلى الملل المفضي إلى الترك أو ترك البعض، وقد ذم الله تعالى قومًا لازموا العبادة ثم فرطوا فيها»<sup>(٣)</sup>.

## المطلب الرابع

### في الزكاة

وتظهر رحمة النبي ﷺ في مراعاته لما فُطر عليه البشر من حب المال والتعلق بما غلامه فأمر بأخذ الوسط حتى لا يشق عليهم فلم يحاب الأغنياء ولم يجحف بالفقراء، بل حقق العدل التام؛ إذ مبني الزكاة على

(١) في فتح الباري (٤/٢٨٠).

(٢) أخرجه ابن خزيمة (٢١٠٥) وسنده صحيح.

وانظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض (٤/١٢٦)، والمفهم، للقرطبي (٣/٢٢٨).

(٣) فتح الباري (٤/٢٨٧).



مراعاة الجانبين، وذلك يكون بأخذ الوسط؛ لما في أخذ الخيار من الإضرار بأرباب الأموال، ولما في أخذ الأرزال من الإضرار بالفقراء، فكان نظر الجانبين في أخذ الوسط<sup>(١)</sup>.

ويشهد لذلك الأحاديث التالية:

١. عن معاذ بن جبل حين بعثه ﷺ إلى اليمن قال: «إنك ستأتي قوما أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»<sup>(٢)</sup>.

ومعنى كرائم الأموال: جمع كريمة وهي نفائسها التي تتعلق بها نفس مالكةا ويختصها لها حيث هي جامعة للكمال الممكن في حقها من غزارة لبن وجمال صورة أو كثرة لحم أو صوف<sup>(٣)</sup>.

٢. عن سويد بن غفلة قال: (أتانا مصدق النبي ﷺ قال: فجلستُ إليه فسمعتُه وهو يقول: إنَّ في عهدي أن لا أخذ من راضع لبن، ولا يُجمع بين مُتفرِّق، ولا يُفرِّق بين مجتمع، وأتاه رجل بناقة كوماً<sup>(٤)</sup>، فقال: خذها، فأبى أن يأخذها)<sup>(٥)</sup>.

٣. وعن أنس بن مالك ﷺ: (أنَّ أبا بكر ﷺ كتب لهم: إنَّ هذه فرائض

- (١) انظر: بدائع الصنائع، الكساني (٣٢/٢)، حاشية ابن عابدين (٢٨٦/٢).
- (٢) أخرجه البخاري (١٤٩٦) كتاب الزكاة / باب أخذ الصدقة من الأغنياء، ومسلم (٢٩) الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الدين.
- (٣) انظر: النهاية في غريب الحديث (١٦٧/٤)، لسان العرب (٧٨/١٢) مادة: (كرم)، التعريفات الفقهية للمجددي (١٨١).
- (٤) أي الناقة الطويلة السنم. انظر: النهاية في غريب الأثر (٤ / ٢١١)، معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (ص: ٩١٢) مادة: (كوم)
- (٥) أخرجه أبو داود (١٥٦٧)، والنسائي (٢٤٤٤)، وقال الألباني في صحيح النسائي (٢٩/٥): حسن صحيح.

الصدقة التي فرض رسول الله ﷺ على المسلمين التي أمر الله ﷻ بها رسول الله ﷺ، وفيه: (ولا تُؤخذ في الصدقة هَرِمَةٌ<sup>(١)</sup>) ولا ذات عوار<sup>(٢)</sup> ولا تيس، إلا أن يشاء المصدق<sup>(٣)</sup>.

وبعد المنع من أخذ كرائم الأموال حذر ﷺ من الظلم عامة وخاصة، فقال: (واتق دعوة المظلوم) قال في عون المعبود: " وفيه تشبيه على المنع من جميع أنواع الظلم والنكته في ذكره عقب المنع من أخذ كرائم الأموال الإشارة إلى أن أخذها ظلم"<sup>(٤)</sup>.

وبهذا يتبين الفرق العظيم والبون الشاسع بين شريعة الإسلام العادلة وبين القوانين الوضعية الجائرة، فنظام المال في الإسلام يقوم على أساس العدل والرحمة بالمعطي والآخذ، وأما القانون الوضعي فيقوم على استغلال أصحاب الأموال بفرض الضرائب عليهم في جميع أموالهم واقتطاع جزء كبير منها قد يتراوح ما بين ٢٠٪ إلى ٥٠٪ ويصل لأكثر من ٧٧٪ بنسبة تصاعدية تتزايد مع الدخل أو التركة<sup>(٥)</sup>، فما أرحم الله ﷻ وما أعدل شريعته وما أقسى قوانين البشر وما أظلمها به ﴿أَفْحَكُمُ الْجَهْلِيَّةُ يَبْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]

## المطلب الخامس في الحج

وتتجلى رحمة النبي ﷺ في باب الحج فيما يلي:

- (١) أي كبيرة، الهَرَمُ: الكبَر. انظر: النهاية في غريب الحديث (٥ / ٢٦١)، معجم مقاييس اللغة (١٠٦٩) مادة: (هرم)
- (٢) العوار: العيب. النهاية في غريب الحديث (٢ / ٢١٨) مادة: (عوار)
- (٣) أخرجه البخاري (١٤٥٥) كتاب الزكاة/باب لا تؤخذ في الصدقة هرة ولا ذات عوار.
- (٤) عون المعبود، للأبادي (٤ / ٣٢٧).
- (٥) انظر: النظم الضريبية، عبدالكريم صادق (ص: ١٨٧)، النظم الضريبية، يونس البطريق (ص: ٢٩٥)



## أ. فرض الحج مرة واحدة في العمر:

لم يفرض النبي ﷺ الحج كل عام حتى مع القدرة عليه؛ لأنه كان يتعامل مع التكاليف برحمته المعهودة ورفقه العظيم، فأراد مراعاة عموم المسلمين بما فيهم الضعفاء والنساء وذو الحاجة وصاحب العمل؛ ولما في الحج من سفر وعناء وحاجته للنفقة والجهد، وعامة الناس لا يتيسر لهم هذا كل عام.

فعن أبي هريرة قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: (أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا) فقال رجل: أكلَّ عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: (لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم، ثم قال ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه)<sup>(١)</sup>.

قال الماوردي: «ولأن الحج يتعلق بقطع مسافة والتزام مؤونة وفي تكرار وجوبه مشقة ولهذا المعنى فارق سائر العبادات»<sup>(٢)</sup>.

وبهذا تظهر رأفته بأمته ووضع الحرج عنهم فلم يفرضه عليهم كل عام، على الرغم تكرر سؤال الرجل وإلحاحه في الجواب لم يجب ﷺ (ب) نعم) لعلمه بأن الأمة إذا شددت على نفسها شدد الله عليها؛ لذا ذكرهم بعاقبة الأمم السابقة التي أكثرت سؤال أنبيائها، ورسول الله ﷺ يريد الرحمة بأمته وإنقاذهم من الهلكة.

## ب. مبيته في مزدلفة

من مظاهر رحمته ﷺ بالحجاج نومه في المزدلفة بعد وصوله وصلاته

(١) أخرجه مسلم (١٣٢٧) كتاب الحج/باب فرض الحج مرة في العمر.

(٢) الحاوي للماوردي (٦/٤).

المغرب والعشاء ففي حديث جابر بن عبد الله: (أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئاً، ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر وصلى الفجر)<sup>(١)</sup>.

قوله: (لم يسبح بينهما) فمعناه لم يصل بينهما نافلة، والنافلة تسمى سبحة لاشتمالها على التسبيح<sup>(٢)</sup>.

فلم يؤثر عنه ﷺ أنه أحيا هذه الليلة بالقيام، ولا شك أن هذا من رحمته ﷺ بأمته؛ لعلمه بما أصابهم هذا اليوم من المشقة من الوقوف بعرفة، ثم الدفع منها.

قال الماوردي: "لا يتنفل بين صلاتي الجمع، لأن التنفل بينهما يقطع الجمع ولا في إثر واحدة منهما أي لا يتنفل قبل المغرب ولا بعد العشاء، لأنه مأمور بالتأهب لمناسكه"<sup>(٣)</sup>.

### ج. إذنه للضعفة بالدفع من المزدلفة ليلاً

ومن دلائل رحمته ﷺ بالضعفة إذنه لهم بالدفع من مزدلفة ليلاً؛ ليدركوا الرمي قبل الزحام.

فمن عائشة رضي الله عنها قالت: (نزلنا المزدلفة فاستأذنت النبي ﷺ سودة أن تدفع قبل حطمة الناس<sup>(٤)</sup>)، وكانت امرأة بطيئة فأذن لها فدفعت قبل حطمة الناس، وأقمنا حتى أصبحنا نحن، ثم دفعنا بدفعه فلأن أكون استأذنت رسول الله ﷺ كما استأذنت سودة أحب إلي من مفروح به)<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨) كتاب الحج/حجة النبي ﷺ.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥٤/٨).

(٣) الحاوي (١٧٤/٤)

(٤) أي: قَبْلَ أن يزدحموا وَيَحْطِمُ بعضهم بعضاً. النهاية في غريب الحديث (٤٠٣/١) مادة: (حطم)

(٥) أخرجه البخاري (١٦٨١) كتاب الحج/باب من قدم ضعفة أهله بليل، ومسلم (١٢٩٠) الحج/

استحباب تقديم الضعفة من النساء.



قال المهلب: «إنما قدم النبي ﷺ ضعفة أهله خشية تراحم الناس عليهم عند الدفع من المزدلفة إلى منى، فَأَرَخَصَ لهم أن يدفعوا قبل الفجر، وأن يرموا الجمرة قبل طلوع الشمس لخوف الازدحام عليهم»<sup>(١)</sup>.

#### د. رميه الجمرات بحصى مثل حصى الخذف:

وحصى الخذف: هو حصى مائل إلى الصغر<sup>(٢)</sup>، وذكر النووي أنه في حجم حبة الباقلاء<sup>(٣)</sup>، والرمي بمثل هذا الحصى لا يؤذي أبداً لا سيما أن وجود الزحام واختلاط الناس حول الجمار مظنة إصابة بعضهم بطريق الخطأ.

#### هـ. تيسره على المسلمين في أداء المناسك يوم النحر

من تمام رحمته ﷺ بأمته ورفع الحرج عنهم أن قال لكل من قدم أو أخر شيئاً من المناسك يوم النحر: (افعل ولا حرج)، والحكمة من هذا التيسير منه ﷺ أن أعمال ذلك اليوم كثيرة قد ينساها بعض الحاج وقد يجهلها بعضهم.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص: «رأيت النبي ﷺ عند الجمرة وهو يسأل، فقال رجل: يا رسول الله نحرت قبل أن أرمي؟ قال: ارم ولا حرج. قال آخر: يا رسول الله حلقت قبل أن أنحر. قال: انحر ولا حرج، فما سئل عن شيء قدم ولا أخر إلا قال افعل ولا حرج»<sup>(٤)</sup>.

(١) شرح ابن بطال (٣٥٨/٤).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة (٣٠٨)، لسان العرب (٦١/٩)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير

لرافعي، للفيومي (ص: ١٦٥) مادة: (حذف)

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم (١٥٦/٨).

(٤) أخرجه البخاري (١٢٤) كتاب العلم / باب السؤال والفتيا عند رمي الجمار، ومسلم (١٣٠٦) الحج /

من حلق قبل النحر أو نحر قبل الرمي.

## المطلب السادس في الأضحية

حث النبي ﷺ على الأضحية وندب إليها فضحى ﷺ بكبشين: الأول عنه وآله، والثاني عمن لم يضح من المسلمين، رحمة بمن لم يضح من أمته في يوم العيد الأكبر، لينالهم من الأجر مثل أجر من ضحى. فعن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ كان إذا ضحى اشترى كبشين سمينين أقرنين أملحين، فإذا صلى وخطب الناس أتى بأحدهما وهو قائم في مصلاه فذبحه بنفسه بالمدينة، ثم يقول: "اللهم إن هذا عن أمتي جميعاً ممن شهد لك بالتوحيد وشهد لي بالبلاغ"، ثم يؤتى بالآخر فيذبحه بنفسه ويقول: "هذا عن محمد وآل محمد"، فيطعمهما جميعاً المساكين ويأكل هو وأهله منهما فمكثتا سنين ليس رجل من بني هاشم يضحى قد كفاه الله المؤنة برسول الله ﷺ والغرم<sup>(١)</sup>. وهذا يدل على أن أمته أمواتهم وأحياءهم قد نالهم النفع والأجر بتضحيتهم<sup>(٢)</sup>. قال الحلبي: «وهذا أبلغ ما يكون من البر والشفقة»<sup>(٣)</sup>.

## المطلب السابع في الجهاد

### أ. تركه الخروج لجميع الغزوات

حرص الصحابة رضِيَ اللهُ عنهم على اتباع النبي ﷺ وامثال سيرته فكانوا يقتدون به ويخرجون إلى الغزو في سبيل الله في العسر واليسر ولا يتخلفون عنه

(١) أخرجه ابن ماجه (٣١١٣)، وأحمد (٢٧١٩٠)، (١٦٨/٤٥)، والبخاري مختصراً (٥١٢٨)، ومسلم بعمناه (٣٦٣٧).

(٢) انظر: الفروع لابن مفلح (٢/٢٤٣).

(٣) شعب الإيمان، للبيهقي (٣/٤٨٥).

ﷺ؛ وكان بعضهم لا يجد القدرة على الخروج في سبيل الله، فترك النبي ﷺ الخروج في بعض سرياه لئلا يشق عليهم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "والذي نفس محمد في يده لولا أن أشق على المؤمنين ما قعدت خلف سرية تغزو في سبيل الله، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة فيتعونني، ولا تطيب أنفسهم أن يقعدوا بعدي"<sup>(١)</sup>.

والمراد بالمشقة أن نفوسهم لا تطيب بالتخلف ولا يقدرّون على التأهب؛ لعجزهم عن آلة السفر من مركوب وغيره وتعذر وجوده عند النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>.

### ب. عدم تكليف النساء والصبيان بالجهاد

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد، قال: لا، لكن أفضل الجهاد حج مبرور<sup>(٣)</sup>، وفي رواية «جهادكن الحج»<sup>(٤)</sup>.

دلّ الحديث على أن النساء لا جهاد عليهن واجب، وهذا إجماع من العلماء<sup>(٥)</sup>، وليس في قوله ﷺ: «جهادكن الحج» دليل أنه ليس لهن أن يتطوعن بالجهاد وإنما فيه أنه الأفضل لهن، وإنما كان الحج أفضل لهن من الجهاد؛ لأنهن لسن من أهل القتال للعدوّ ولا قدرة لهن عليه، وليس للمرأة أفضل من الاستتار وترك المباشرة للرجال بغير قتال، فكيف في حال القتال التي هي أصعب؟ والحج يمكنهن فيه مجانية الرجال والاستتار عنهم؛ فلذلك كان أفضل لهن من الجهاد<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٢٩٧٢) الجهاد/الجمائل والحملان في السبيل، ومسلم واللفظ له (١٨٧٦) الجهاد/ فضل الجهاد والخروج في سبيل الله.

(٢) فتح الباري (٢١/٦).

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٨٤) الجهاد/ فضل الجهاد والسير.

(٤) أخرجه البخاري (٢٨٧٥) الجهاد/ جهاد النساء.

(٥) انظر: مراتب الإجماع، لابن حزم (ص: ١١٩).

(٦) انظر: شرح ابن بطال (٧٥/٥).

وكذلك الصبيان لم يوجب عليهم النبي ﷺ جهاداً<sup>(١)</sup> رحمة بهم بل إنه ﷺ رد سبعة عشر شاباً عرضوا عليه، وهم أبناء أربع عشرة سنة، لأنهم لم يبلغوا، وعرضوا عليه وهم أبناء خمس عشرة، فأجازهم<sup>(٢)</sup>.

### ج. الفطر في رمضان لخوفه على صحابته شدة الإرهاق

أفطر رسول الله ﷺ في السفر بعد شروعه في الصوم شفقة بصحابته وخوفاً عليهم من الضعف عند اللقاء، وذلك حينما رأى أن الصوم شقَّ عليهم وأنهم أحبوا أن يقتدوا به.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ خرج عام الفتح إلى مكة في رمضان فصام حتى بلغ كراع الغميم<sup>(٣)</sup> فصام الناس، ثم دعا بقدر من ماء فرفعه حتى نظر الناس إليه ثم شرب، فقبل له بعد ذلك: إن بعض الناس قد صام، فقال: أولئك العصاة أولئك العصاة<sup>(٤)</sup>.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة فصام حتى بلغ عسفان<sup>(٥)</sup>، ثم دعا بماء فرفعه إلى يديه ليريه الناس فأفطر حتى قدم مكة وذلك في رمضان<sup>(٦)</sup>.

وسبب ورود هذا الحديث أن النبي ﷺ حين خرج إلى مكة للفتح وصام

(١) انظر: المغني، لابن قدامه (٣١١/٩)، مواهب الجليل، للحطاب (٣٥٠/٣)، المجموع للنووي (١٩٧/٩)، حاشية ابن عابدين (١٢٤/٤).

(٢) انظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للصالح (١٨٧/٤).

(٣) جنوب عسفان بستة عشر كيلاً على الجادة إلى مكة، أي على (٦٤) كيلاً من مكة على طريق المدينة. انظر: معجم البلدان (٢٩٤/٣). والمعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية، لعاتق البلادي (٢٨٨).

(٤) أخرجه مسلم (١١١٤) كتاب الصيام/ إذا أفطر أياماً من رمضان ثم سافر.

(٥) بلدة على (٨٠) كيلاً من مكة شمالاً على طريق المدينة، وسميت عسفان لتعسف السبل فيها انظر: معجم البلدان لياقوت (٣١٣/٤)، ومعجم المعالم الجغرافية في السيرة، لعاتق البلادي (٢٤٩).

(٦) أخرجه البخاري (١٩٤٨) كتاب الصيام/ باب من أفطر ليراه الناس، ومسلم (١١١٣) باب جواز الصوم والفطر في السفر.





الناس قيل له: إن الصوم شق عليهم وهم ينظرون إلى فعلك، فدعا بماء فرفعه حتى ينظر الناس فيقتدوا به في الإفطار، وكان لا يأمن الضعف عن القتال عند لقاء عدوهم<sup>(١)</sup>.

قال ابن عباس: «إنما أراد النبي ﷺ بالفطر في السفر التيسير عليكم»<sup>(٢)</sup>.

### د. منعه الضعفاء من القتال

ومن ذلك منعه عمرو بن الجموح من القتال في بدر فأخرج ابن إسحاق أن عمرو بن الجموح، كان رجلاً أعرج شديد العرج فكان له بنون أربعة يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد أمثال الأسد، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا له: إن الله قد عذرك، فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن بني يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه، والله إنني لأرجو أن أظأ بعرجتي هذه في الجنة، فقال رسول الله ﷺ: «أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك»، وقال لبيته: «لا عليكم أن لا تمنعوه لعل الله أن يرزقه الشهادة» فخرج معه فقتل يوم أحد<sup>(٣)</sup>.

ومع هذه الرحمة المعهودة فإن النبي ﷺ تعامل مع تعلق عمرو بن الجموح للجهاد بالرفق فأذن له في الخروج لشدة رغبته، فلما استشهد هوَّ على أبنائه مصابهم وبشرهم بمآله حين مرَّ عليه وهو شهيد فقال: «كأنني أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة»<sup>(٤)</sup>، فاجتمع فيه ﷺ الرحمة والرفق والشفقة والحكمة.

(١) شرح الكرماني لصحيح البخاري (١١٨/٤)، وانظر: عمدة القاري (٥٠/١١).

(٢) أخرجه الطحاوي في معاني الآثار (٦٧/٢) وسنده صحيح.

(٣) أخرجه ابن هشام في سيرته (٩٠/٢)، وأحمد (٢٢٥٥٣)، (٢٤٧/٣٧).

(٤) أخرجه أحمد (٢٢٥٥٣)، (٢٤٧/٣٧) وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح (٥/٢٢١).

## المطلب الثامن في الكفارات

وتظهر رأفة النبي ﷺ في الكفارات عمومًا وعلى سبيل المثال في كفارتي الجماع في نهار رمضان وكفارة من لطم عبده.

١. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل، فقال: يا رسول الله هلكت! قال: ما لك؟ قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله ﷺ: هل تجد رقبة تعتقها؟ قال: لا، قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا، فقال: فهل تجد إطعام ستين مسكينًا؟ قال: لا، قال: فمكث النبي ﷺ فبينما نحن على ذلك أتى النبي ﷺ بعرق فيها تمر والعرق المكث، قال: أين السائل؟ فقال: أنا، قال: خذها فتصدق به، فقال الرجل: أعلى أفقر مني يا رسول الله! فوالله ما بين لابتيها يريد الحررتين أهل بيت أفقر من أهل بيتي، فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه ثم قال: أطعمه أهلك" (١).

وسبب ضحك رضي الله عنه كان من تباين حال الرجل حيث جاء خائفًا على نفسه راغبًا في فداؤها مهما أمكنه، فلما وجد الرخصة طمع في أن يأكل ما أعطيه من الكفارة (٢)، ولا شك أن رفق النبي ﷺ بهذا الرجل وإحسانه إليه مظهر فريد من مظاهر رحمته بأتمته؛ إذ جاءه الرجل غارمًا فرجع من عنده غانمًا.

٢. عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه" (٣).

(١) أخرجه البخاري (١٩٣٦) كتاب الصيام/إذا جامع في رمضان ومسلم (١١١١) الصيام/تغليظ

تحريم الجماع في نهار رمضان

(٢) انظر: فتح الباري (٢١٨/٤)

(٣) أخرجه مسلم (١٦٥٧) كتاب الأيمان/صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده

في هذا الحديث الرفق بالماليك، وحسن صحبتهم وكف الأذى عنهم، وأجمع المسلمون على أن عتقه بهذا ليس واجباً، وإنما هو مندوب رجاء كفارة ذنبه، وإزالة إثم ظلمه<sup>(١)</sup>.

وكما مر بنا في رحمة النبي ﷺ في الزكاة ومراعاته جانب الفقراء والأغنياء، تظهر هنا رحمته أيضاً ومراعاته للعبيد وتطبيب أنفسهم كما لم يغفل الجانب الآخر فراعى حاجة السيد وتبرئة ذمته، ففي حديث معاوية بن سويد: "كنا بني مقرن على عهد رسول الله ﷺ ليس لنا إلا خادم واحدة فلطمها أحدنا فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: أعتقوها قالوا: ليس لهم خادم غيرها، قال: فليستخدموها فإذا استغنوا عنها فليخلوا سبيلها"<sup>(٢)</sup>.

## المطلب التاسع في الحدود

برغم أن الحدود في الشرع عقوبات مغلظة إلا أن للرحمة الإلهية والشفقة النبوية فيها حضورهما المقتضي لدفعها ما أمكن ذلك أو الرفق بمن دعت الرحمة إلى الرفق به ممن تحتم إقامة الحد عليه، وهذا ما سيتبين من من خلال أحاديث النبي ﷺ التالية:

١. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ادفعوا الحدود ما وجدتم له مدفعاً"<sup>(٣)</sup>.

٢. في حديث عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: "ادرعوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن كان له مخرج فخلوا سبيله، فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة"<sup>(٤)</sup>.

(١) شرح النووي لصحيح مسلم (١٠٥/١١) وانظر: بداية المجتهد، لابن رشد (١٥٣/٤)

(٢) أخرجه مسلم (١٦٥٨) الأيمان/باب صحبة المالك وكفارة من لطم عبده

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٥٣٥)، وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه (٢٥٤٥) وفي الإرواء (٢٣٥٦).

(٤) أخرجه الترمذي (١٣٤٤)، والحاكم في مستدرکه (٨٢٨٦)، والبيهقي في سننه (٢٣٨/٨)، وصححه =

ودل هذان الحديثان على وجوب السؤال عما يدرأ الحدود والعقوبات على المسلمين والملتزمين للأحكام وقوله: (ما استطعتم) أي مدة استطاعتكم ذلك بأن وجدتم إلى الترك سبيلاً شرعياً فلا تحدُّوا أحداً منهم إلا بأمر متيقن لا يتطرق إليه التأويل<sup>(١)</sup>. ولا يخفى ما في هذا التوجيه من تغليب لجانب الرحمة والرأفة. وفي الحديث الثاني حث للإمام على معاملة الناس بالرأفة والرحمة، وأن يرجح سبيل العفو ما أمكن، والكلام في غير خبيث شرير متظاهر بالإيذاء والفساد<sup>(٢)</sup>.

٣. عن سعيد بن سعد بن عبادة قال: كان بين أبياتنا إنسان مخدج<sup>(٣)</sup> ضعيف، لم يرع أهل الدار إلا وهو على أمة من إماء الدار يخبث بها، وكان مسلماً، فرفع شأنه سعد إلى رسول الله ﷺ فقال: «اضربوه حده» قالوا: يا رسول الله، إنه أضعف من ذلك، إن ضربناه مئة قتلناه، قال: «فخذوا له عثكالا<sup>(٤)</sup> فيه مئة شمراخ<sup>(٥)</sup>، فاضربوه به ضربة واحدة، وخلوا سبيله»<sup>(٦)</sup>.

وهذا الحديث يبين عظم رحمة النبي ﷺ بأمتة ومراعاته لأحوال المذنبين منهم، مع حرصه على تطهيرهم.

= الحاكم وخالفه الذهبي، وضعفه الألباني في السلسلة (٢١٧٩). لكنه يعتضد هو والحديث الذي قبله بما صححه ابن حجر موقوفاً عن عمر وابن مسعود، انظر: التلخيص الحبير (٤/١٦٠)، وقال الشيخ ابن باز في «فتاويه» (٢٥/٢٦٣): «الحديث له طرق فيها ضعف لكن مجموعها يشد بعضه بعضاً، ويكون من باب الحسن لغيره».

- (١) انظر: فيض القدير (١/٢٩٣).
- (٢) انظر: فيض القدير، للمناوي (١/٢٩٣).
- (٣) مخدج: ناقص الخلقة. غريب الحديث لابن قتيبة (١/٤٠٦).
- (٤) العثكال: العذق من أذواق النخل الذي يكون فيه الرطب. النهاية في غريب الحديث (٣/١٨٣). مادة: (عثكل).
- (٥) الشمراخ: كل غصن من أغصان العثكال يسمى شمراخ وهو الذي عليه البسر. انظر: النهاية (٢/٥٠٠)، لسان العرب (٧/١٩٢) مادة: (شمرخ).
- (٦) أخرجه أحمد (٢١٩٣٥)، (٣٦/٢٦٣)، وأبو داود (٤٤٧٢)، وابن ماجه (٢٥٧٤). وسنده صحيح.



قال البغوي: "والعمل على هذا عند بعض أهل العلم، ذهبوا إلى أن المريض الذي به مرض لا يرجى زواله إذا وجب عليه حد الجلد بأن زنى وهو بكر، يضرب بعثكال عليه مئة شمراخ ضربة واحدة، بحيث تمسه الشماريخ كلها، فيسقط الحد عنه"<sup>(١)</sup>.

والذي ذهب إلى هذا من أهل العلم الشافعي وأحمد خلافاً لمالك<sup>(٢)</sup>.



(١) شرح السنة، للبغوي (٣٠٣/١٠).

(٢) انظر: المغني (٤٨/٩)، بداية المجتهد (٢٢١/٤)، روضة الطالبين، للنووي (١٠٠/١٠)، حاشية ابن

عابدين (١٦/٤).

## المبحث الثالث رحمته ﷺ بأمته بسؤاله ربه ﷻ التخفيف عنهم

وسأذكر في هذا المبحث أمثلة على طلب النبي ﷺ من الله ﷻ التخفيف في التكاليف، ومنها:

### المطلب الأول طلب التخفيف في قراءة القرآن

عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ أتاه جبريل ﷺ فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا<sup>(١)</sup>.

وطلب النبي ﷺ من الله ﷻ القراءة على الأحرف السبعة رحمة بأمته؛ لتسهل عليهم القراءة والحفظ، ومراعاة لحال العرب واختلاف ألسنتهم. قال الطبري في شرح حديث الأحرف السبعة: "ومعنى ذلك كله،

(١) أخرجه مسلم (٨٢١) صلاة المسافرين/ بيان أن القرآن على سبعة أحرف.

الخبر منه ﷺ عما خصه الله تعالى به وأمته من الفضيلة والكرامة التي لم يُؤتها أحداً في تنزيل، وذلك أن كل كتاب تقدم كتابنا نزوله على نبي من أنبياء الله، صلوات الله عليهم، فإنما نزل بلسان واحد، متى حُوّل إلى غير اللسان الذي نزل به كان ذلك له ترجمة وتفسيراً لا تلاوة له على ما أنزله الله... ومنها ظهور سرّ الله تعالى في توليه حفظ كتابه العزيز وصيانة كلامه المنزل بأوفى البيان والتميز..<sup>(١)</sup>.

وقال ابن الجزري: «وأما سبب وروده على سبعة أحرف؛ فالتخفيف على هذه الأمة وإرادة اليسر بها، والتهوين عليها شرفاً لها وتوسعة ورحمة، وخصوصية لفضلها وإجابة لقصد نبيها أفضل الخلق وحبیب الحق حيث أتاه جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف فقال ﷺ: "أسأل الله معافاته ومعونته فإن أمتي لا تطيق ذلك ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف"<sup>(٢)</sup>.

## المطلب الثاني

### طلب التخفيف في الصلاة

عن أنس بن مالك عن أبي ذر قال: قال النبي ﷺ: «فرض الله ﷻ على أمتي خمسين صلاة، فرجعت بذلك حتى مررت على موسى، فقال: ما فرض الله لك على أمتك؟ قلت: فرض خمسين صلاة، قال: فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعت فوضع شطرها، فرجعت إلى موسى قلت: وضع شطرها، فقال: راجع ربك فإن أمتك لا تطيق، فراجعت فوضع شطرها، فرجعت إليه فقال: ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك،

(١) تفسير الطبري (٧٠/١).

(٢) النشر في القراءات العشر (٢٢/١).

فراجعته فقال: هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لديّ، فرجعت إلى موسى فقال: راجع ربك فقلت: استحييت من ربي" (١)، وفي رواية: «إني قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي وأجزى الحسنه عشرًا» (٢).

قوله: (فإن أمتك لا تطيق) كأنه علم ذلك من جهة أنهم أضعف من أمتهم جسدياً وأقل منهم قوة وأمتهم قد كلفت بأقل من هذا فعجزت، والعادة أن ما يعجز عنه القوي يعجز عنه الضعيف (٣).

وتظهر هنا شفقة النبي ﷺ على أمتهم ورحمته بهم، فهذا هو ﷺ يراجع ربه بعد نصح موسى عليه السلام عندما فرضت الصلاة خمسين صلاة فقال له: (فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ) فراجع المرة تلو المرة حتى أصبحت خمس صلوات في الفعل وخمسين في الأجر وهذا فضل من الله ورحمة. ويتبين بهذه المراجعة في تخفيف عدد الصلوات أن الشارع لا يقصد في تكاليفه المشقة على العباد وإلحاق العنت بهم، وفي هذا بيان ما تفضل الله على هذه الأمة ورحمته بها وحرص نبينا ﷺ على تحصيل هذه الرحمة.

### المطلب الثالث طلب تخفيف العقوبة عنهم

عن عامر بن سعد عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: "سألت ربي ثلاثاً فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالفرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها" (٤).

- (١) أخرجه البخاري (٣٤٩) كتاب الصلاة/كيف فرضت الصلاة، ومسلم (١٦٣) كتاب الإيمان/الإسراء برسول الله ﷺ.
- (٢) أخرجه البخاري (٣٨٨٧) كتاب مناقب الأنصار / باب المعراج.
- (٣) حاشية السندي على ابن ماجه (١٨٩/٣).
- (٤) أخرجه مسلم (٢٨٩٠) كتاب الفتن وأشراف الساعة/هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض.





السنة: الجذب والقحط. والبأس: الشجاعة والشدة في الحرب.  
والمراد ألا يقتتل المسلمون، وإنما يقع قتالهم على الدنيا، لأنهم قد اجتمعوا  
في الدين<sup>(١)</sup>.

فما أعظم رحمة النبي ﷺ بأمة ورأفته بهم حتى من يستحق العقوبة  
منهم، فحريّ بالمسلم ان يتأمل طويلاً في هذا الحديث ليدرك عظم  
رحمة النبي ﷺ ولطفه بأمة.



## الخاتمة

- الحمد لله، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة..
- وبعد،، فهذه أهم النتائج التي توصلت إليها في ختام هذا البحث:
- اتصاف النبي ﷺ بخلق الرحمة الذي فُطر عليه كان من أقوى وسائل التأثير في الدعوة إلى الله ﷻ.
  - لا يمكن الإحاطة بموضوع رحمة النبي ﷺ؛ لأن حياته كلها من بعثته حتى وفاته رحمة للأمة.
  - اختص الله ﷻ نبيه ﷺ بأحسن الأخلاق من إيثار ورفق وحلم وأناة، فإنه ﷺ إنما بعث لإتمام صالح الأخلاق، وجميع هذه الأخلاق التي اتصف بها نابعة من خلق الرحمة.
  - من آثار رحمة النبي ﷺ بأمته التخفيف في التكاليف الشرعية ورفع الحرج عنهم.
  - بلغ من رحمة النبي ﷺ أنه كان يخشى على أمته العقوبة إن هم قصرُوا في ما كلفوا به.
  - بلغ من شفقة النبي ﷺ أنه كان يمنع أصحابه من الإكثار في المسألة لتلا يشدد الله عليهم.



- ما من باب من أبواب الفقه في العبادات أو المعاملات أو الحدود إلا وقد ظهرت فيه رحمة النبي ﷺ وحرصه على تخفيف التكاليف عن أمته.
- تخفيف التكاليف عن الأمة إما أن يكون ابتداء من النبي ﷺ، وإما أن يكون بطلبه ﷺ من الله ﷻ.
- من أمثلة التكاليف التي وضعت عن هذه الأمة رحمةً بها ورفعاً للحرج عنها -على سبيل المثال لا الحصر-: السواك، والتخفيف في وقت صلاة العشاء، وامتناعه ﷺ عن صلاة التراويح خشية أن تفرض على أمته، وتخفيفه على الناس في الصلاة، والنهي عن الوصال، والأمر بتعجيل الفطر وتأخير السحور مع التأكيد على أهميته، والعفو عن أكل الصائم وشربه ناسياً، ونهيه ﷺ عن صوم الدهر.
- تظهر رحمة النبي ﷺ في باب الزكاة في مراعاته لطبقتي الفقراء والأغنياء بأخذ الوسط من المال.
- فرض الحج مرة في العمر من مظاهر رحمة النبي ﷺ بأمته، وكذلك تيسيره عليهم في سائر مناسك الحج.
- رحم النبي ﷺ من لا يجد سعة من المال فضحى عنه، وهذا أبلغ ما يكون من الرأفة والشفقة.
- ترك النبي ﷺ الخروج إلى جميع الغزوات كان رأفةً منه بأصحابه، وكذلك عدم إيجابه الجهاد على النساء والأطفال والضعفاء.
- دلت سنته ﷺ على أن من مقاصد الحدود والكفارات في الشرع التطهير والتزكية وهذا غاية الرحمة.
- طلب الرسول ﷺ من الله ﷻ التخفيف في قراءة القرآن على سبعة

أحرف؛ مراعاة لحال العرب واختلاف ألسنتهم، ولتسهيل عليهم القراءة والحفظ مظهر كريم من مظاهر رحمته بأمته، وكذلك سؤاله ربه ﷻ التخفيف في الصلاة حتى خفت من خمسين صلاة إلى خمس صلوات، وسؤاله ربه أيضاً أن يخفف على أمته العقوبة.

### التوصيات:

- أوصي في نهاية البحث بالتوصيات التالية:
  - الحث على مضاعفة الجهد في العناية بالسنة المشرفة وبسيرة النبي ﷺ جمعاً وتحقيقاً وتفقهاً.
  - إطلاق قناة فضائية خاصة بسيرة النبي ﷺ وشمائله وأخلاقه، وترجمة برامجها إلى اللغات الأخرى، وتكون إحدى الوسائل الدعوية للتعريف بخاتم الأنبياء والمرسلين.
  - الدعوة إلى التراحم بين المسلمين ونبذ الفرقة والخلاف فيما بينهم، والتأكيد على أهمية التخلق بأخلاق النبي ﷺ في معاملاتنا كلها.
  - الدفاع عن نبي الرحمة ﷺ والرد على الشبهات المثارة حول سيرته.
- هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.



## قائمة المصادر والمراجع

١. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، للألباني، ط ٢ - ١٤٠٥ هـ المكتب الإسلامي - بيروت.
٢. إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض، ط ١، ١٤١٩ هـ، دار الوفاء - مصر.
٣. بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد، دار الحديث - القاهرة.
٤. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني الحنفي، ط: ٢، ١٤٠٦ هـ، دار الكتب العلمية.
٥. تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، للمباركفوري، دار الكتب العلمية - بيروت.
٦. التحرير والتنوير، لابن عاشور، تاريخ الطبعة: ١٩٨٤ هـ، الدار التونسية للنشر - تونس.
٧. تهذيب اللغة، للأزهري، ت: محمد عوض، ط: ٢٠٠١، م، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٨. التعريفات الفقهية، لمحمد عميم الإحسان المجددي، ط ١، ١٤٢٤ هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
٩. التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لابن حجر، ط ١: ١٤١٩ هـ، دار الكتب العلمية.
١٠. التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن، ط ١، ١٤٢٩ هـ، دار النوادر - سوريا، لبنان.
١١. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لابن سعدي، ط ٣، ١٤١٧ هـ، مؤسسة الرسالة.

١٢. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ت: أحمد البردوني، ط: ٢، ١٣٨٤هـ، دار الكتب المصرية - القاهرة
١٣. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري ت: أحمد شاکر، ط: ١، ١٤٢١، مؤسسة الرسالة
١٤. الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، للترمذي، تحقيق: أحمد شاکر، دار الكتب العلمية - بيروت.
١٥. الجامع الصحيح، لأبي عبد الله البخاري، ط: ١، ١٤١٦هـ، دار السلام.
١٦. الجامع لشعب الإيمان، ت: مختار الندوي، ط: ١٤١٦هـ، الدار السلفية - الهند
١٧. حاشية السندي على ابن ماجه، دار الجيل - بيروت
١٨. حاشية ابن عابدين (رد المحتار على الدر المختار) الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ، دار الفكر-بيروت
١٩. حاشية مسند أحمد، للسندي، ت: نور الدين طالب، ط: ١، ١٤٢٨هـ، دار النوادر - سوريا، لبنان
٢٠. الحاوي الكبير، للماوردي، ت: محمد عوض، ط: ١، ١٤١٩هـ، دارالكتب العلمية - بيروت.
٢١. روضة الطالبين وعمدة المفتين، للنووي، ت: زهير الشاويش، ط: ١٤١٢، ٣هـ، المكتب الإسلامي.
٢٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، للألباني، ١٤١٥هـ، مكتبة المعارف- الرياض.
٢٣. سنن الترمذي (الجامع الصحيح) ت: أحمد شاکر، دار الكتب العلمية - بيروت.
٢٤. سنن ابن ماجه، لابن ماجه، تحقيق وترقيم وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان للتراث.



٢٥. سنن أبي داود، لأبي داود السجستاني، تعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
٢٦. سنن النسائي (المجتبى)، تحقيق وترقيم: مكتب تحقيق التراث الإسلامي، دار المعرفة - بيروت.
٢٧. السنن الكبرى للبيهقي، ت: محمد عبدالقادر عطا، ط ١٤١٤هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
٢٨. السيرة النبوية لابن هشام، ط ١٤٢٢هـ، دار الحزم - بيروت.
٢٩. شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ت: أبي تميم ياسر إبراهيم، ط ١، ١٤٢٠هـ، مكتبة الرشد.
٣٠. شرح صحيح البخاري، للكرماني، دار الفكر - بيروت.
٣١. شرح السنة للبغوي، ط ٢، ١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت.
٣٢. شرح النووي على صحيح مسلم، ط ٢، ١٣٩٢هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٣٣. شرح معاني الآثار، للطحاوي، ت: محمد أزهرى ومحمد سيد، ط ١٤١٤هـ، عالم الكتب - بيروت.
٣٤. شعب الإيمان، للبيهقي، تحقيق: محمد السعيد، ط ١٤١٠هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
٣٥. صحيح الترغيب والترهيب، للألباني، ط ٥، مكتبة المعارف - الرياض.
٣٦. صحيح الجامع الصغير وزيادته، للألباني، ط ٢، ت: ١٤٠٦هـ، المكتب الإسلامي - بيروت، دمشق.
٣٧. صحيح ابن خزيمة، ت: محمد الأعظمي، ط ١، دار الثقة - مكة المكرمة.
٣٨. صحيح مسلم مع شرح النووي، ترقيم: محمد فؤاد، ط ١، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
٣٩. صحيح وضعيف الترمذي، للألباني.

- ٤٠ . صحيح وضعيف ابن ماجه، للألباني.
- ٤١ . عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني، دار إحياء التراث- بيروت.
- ٤٢ . عون المعبود شرح سنن أبي داود، للأبادي ط ١٤١٠هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٤٣ . غريب الحديث، لابن قتيبة، ت: د. عبدالله الجبوري، ط ١، ١٣٩٧ هـ، مطبعة العاني - بغداد.
- ٤٤ . فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، حقق الأجزاء الثلاثة منه: الشيخ عبدالعزيز بن باز، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، ط ٣، ١٤٢١هـ، دار الفيحاء - دمشق، الناشر: دار السلام - الرياض.
- ٤٥ . فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي على كتاب الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، للحافظ السيوطي، دار المعرفة - بيروت.
- ٤٦ . كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي، ت: علي حسين البواب، دار الوطن - الرياض
- ٤٧ . لسان العرب، لابن منظور، ط ٣، ١٤١٣هـ، إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي - بيروت.
- ٤٨ . مجموع فتاوى العلامة عبدالعزيز بن باز رحمه الله، أشرف على طبعه: محمد بن سعد الشويعر.
- ٤٩ . المدونة للإمام مالك، ط: ١، ١٤٢٥هـ، دار الكتب العلمية.
- ٥٠ . مسند الإمام أحمد، أشرف على تحقيقه: عبدالله التركي، ط ١، ١٤١٧هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- ٥١ . المستدرک على الصحيحين، للحاكم، ت: مصطفى عطا، ط ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٥٢ . مشكل الآثار، للطحاوي، ت: شعيب الأرناؤوط، ط ١٤١٥هـ،





مؤسسة الرسالة - بيروت.

٥٣. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف: عبدالعظيم

الشناوي، دار المعارف - مصر.

٥٤. المعجم الأوسط، للطبراني، تحقيق: طارق بن عوض وعبدالمحسن

الحسيني، دار الحرمين - القاهرة.

٥٥. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، لعاتق البلادي

ط٢٠١٤، ١هـ، دار مكة - مكة المكرمة.

٥٦. المغني، لابن قدامة، مكتبة القاهرة - مصر.

٥٧. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي، ط١، ١٤١٧هـ، دار

ابن كثير - دمشق.

٥٨. مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، ط١،

١٤١٥هـ، دار الفكر - بيروت.

٥٩. مواهب الجليل للحطاب، ط٣، ١٤١٢هـ، دار الفكر

٦٠. النظم الضريبية، عبدالكريم صادق، الدار الجامعية - بيروت.

٦١. النظم الضريبية، يونس البطريق، ١٩٧٨م الدار الجامعية - بيروت.

٦٢. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق: محمود

الطناحي، ط: ٢، ١٣٩٩هـ، دار الفكر.

٦٣. النشر في القراءات العشر لابن الجزري، ت: علي محمد الضباع،

المطبعة التجارية الكبرى.





# مظاهر رحمة المصطفى ﷺ للمخالفين لدعوته

إعداد:

مختار علي ميكاونو



## المقدمة

الحمد لله الرحمن الرحيم، رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما، وسعت رحمته الخلائق أجمعين، كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة، الذين آمنوا بالله ربا وبالإسلام ديناً، واتبعوا النور الذي أنزله على أنبيائه ورسوله، كتب على نفسه الرحمة، ووعد الرحماء بجزيل الثواب والغفران، فكان رسولنا صلوات الله وسلامه عليه أرحم العباد بالعباد بعد رب العباد، كان رحيمًا بالفقراء والأغنياء، والكبار والصغار، والرجال والنساء، والمؤمنين والكافرين، كان خلقه القرآن، كانت حياته كلها تفسيراً لقول الخالق ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وكان حريصاً على نشر هذه الرحمة بين العباد؛ والدليل على ذلك قوله لأصحابه وأتباعه إلى يوم القيامة: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء».<sup>(١)</sup> فقد نال من رحمة هذا النبي الكريم القريب والبعيد، حتى الذين آذوه وعادوه وصدوا عن سبيل الحق الذي أرسل به لإخراج الخلق من ظلمات الكفر إلى رحمة

(١) أخرجه أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني في سننه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية)، كتاب الأدب، باب في الرحمة، رقم ٤٦٥٨، ج ٤، ص ٢١٤؛ والترمذي محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك أبو عيسى في سننه، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ٢، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين، رقم ١٩٢٤، ج ٤، ص ٢٢٣؛ وقال: حسن صحيح.

اللَّهُ الواسعة الكاملة الشاملة، فصل اللهم وسلم عليه حين يمسي العباد  
وحين يصبحون، وابعثه المقام المحمود الذي وعدته، إنك لا تخلف الميعاد .

### أهداف البحث:

أهم أهداف هذه الدراسة هي: إبراز معاني الرحمة وحققتها في  
شخصية المصطفى ﷺ، وذكر بعض الصور والنماذج من رحمته ﷺ  
لجميع أصناف المخالفين لدعوته: كاليهود والنصارى والمشركين والوثنيين  
وغيرهم من أهل الأديان، وإزالة بعض المفاهيم والشبه الخاطئة لدى  
بعض المخالفين لسنة ومنهجه .

### مشكلة البحث:

التباس المعاني الصحيحة للرحمة الواردة في الكتاب والسنة على  
فئام من الناس، وعدم المعرفة الكافية بمدلولاتها ومجالاتها وأنواعها؛  
مما أدى إلى إدخال نقيضها في مسمياتها، وإخراج جملة من أسسها  
وأصولها من مفهومها . وجهل ثلة من المخالفين لسيرته ﷺ أهم المظاهر  
والمواقف الشاهدة على رحمته ﷺ، ولين جانبه مع المخالفين لدعوته؛  
الذي تسبب في إساءة فهم كثير من النصوص .

استشكل كثير من المخالفين لدعوة النبي ﷺ بعض المواقف والوقائع  
والحوادث التي وقعت في زمنه ﷺ سواء بينه وبين أصحابه أو بينه وبين  
المخالفين له، أو بين أصحابه وبين المخالفين، فأذاعوا بصوت عال بين  
الامة أنها تتعارض مع مفاهيم الرحمة، ولا يمكن الجمع بينهما بحال من  
الأحوال، حتى انخدع بعض من ليس لديه عناية صحيحة بالكتاب والسنة  
لهذه الدعوة، ووقفوا حائرين ناكسين رؤوسهم أمام الأعداء والمشككين،  
لذلك يرى الباحث ضرورة التعرف الصحيح على هذا الجانب، وعلاج



هذا الإشكال من خلال نصوص الكتاب والسنة، ورفع دعوى عدم إمكان الجمع بين تلك النصوص والوقائق.

### منهج البحث:

المنهج الاستقرائي: لجمع الآيات والأحاديث وأقوال السلف والعلماء من المصادر والمراجع ذات الصلة بالموضوع.

المنهج التحليلي: لبيان المعاني الصحيحة لنصوص الكتاب والسنة الواردة في هذا الموضوع، وبيان درجة الحديث من حيث القبول أو الرد، وتفسيره وفق قوانين المحققين من أهل العلم.

### خطة البحث:

المقدمة:

المبحث الأول: الرحمة ومدلولاتها وأنواعها في الكتاب والسنة وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الرحمة لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: معاني الرحمة وأنواعها في القرآن الكريم والسنة النبوية.

المبحث الثاني: صور ونماذج من رحمته ﷺ بالمخالفين لدعوته وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: صور ونماذج من رحمته ﷺ باليهود.

المطلب الثاني: صور ونماذج من رحمته ﷺ بالنصارى.

المطلب الثالث: صور ونماذج من رحمته ﷺ بالمشركين والوثنيين.

المبحث الثالث: شبهات غير المسلمين حول رحمة النبي ﷺ والرد  
عليها وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: شبهات حول رحمته باليهود والنصارى.

المطلب الثاني: شبهة حول رحمته بالمشركين والوثنيين.

المطلب الثالث: شبهات حول رحمته بالمخالفين عموماً:

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.





## المبحث الأول

### الرحمة ومدلولاتها وأنواعها في الكتاب والسنة

وفيه مطلبان:

#### المطلب الأول

#### تعريف الرحمة لغة واصطلاحاً

معنى الرحمة لغة:

الرحمة: مصدر من رَحِمَ يَرَحِمُ فهو رَاحِمٌ، رَحْمَةٌ وَرَحْمًا ومرحمة، وهي تدل على الرقة والرأفة والعطف والشفقة، يقال: تراحم الناس: أي رحم بعضهم بعضاً، ورقَّ بعضهم لبعض، وتعطف عليه. وجمعها رَحَمَاتٌ<sup>(١)</sup>.

معنى الرحمة في الاصطلاح:

عرف العلماء الرحمة بتعريفات متعددة، أقتصر على ذكر ثلاثة من أصحّها، وأشار إلى مظانها في المراجع ليسهل الرجوع إليها للراغب،

(١) انظر: ابن منظور محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ)، ج١٢، ص٢٣١؛ والجوهري إسماعيل بن حماد أبو نصر الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، (بيروت: دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ج٥، ص١٩٢٩؛ وابن فارس أحمد بن زكرياء أبو الحسين القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ج٢، ص٤٩٨.

منها: تعريف الراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى: يقول: «الرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة»<sup>(١)</sup>

والتعريف الثاني: للعلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: يقول: «الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد، وإن كرهتها نفسه وشقت عليها».<sup>(٢)</sup>

والتعريف الثالث للإمام الرازي رحمه الله تعالى: «الرحمة عبارة عن التخليص من أنواع الآفات، وعن إيصال الخيرات إلى أصحاب الحاجات».<sup>(٣)</sup>

ومدلولها: إيصال النفع والإحسان والخير والنعمة إلى الغير، أو دفع الشر والمكروه وكف القبيح وإزالة الأذى في العاجل أو الآجل، فهي كل خير ينال العباد في الدنيا أو الآخرة. ليعم التعريف الرحمة المضافة إلى الخالق سبحانه والمضافة إلى غيره من الخلق. والله تعالى أعلم.

## المطلب الثاني معاني الرحمة وأنواعها في القرآن الكريم والسنة النبوية

الرحمة في القرآن الكريم والسنة النبوية إذا أضيفت إلى الله تعالى، فلا تعدو أحد أمرين: إضافة مفعول إلى فاعله فهي مخلوقة، ومن

(١) الراغب الأصفهاني الحسين بن محمد أبو القاسم، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان

عدنان الداودي، (بيروت: دار القلم، دار الشامية، ط ١، ١٤١٢ هـ)، ج ١، ص ٣٤٧.

(٢) ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، إغاثة اللهفان من مصاديد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، (الرياض: مكتبة المعارف)، ج ٢، ص ١٧٤.

(٣) فخر الدين الرازي محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين أبو عبدالله التيمي الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٢٠ هـ)، ج ١، ص ٢٤.

أمثلتها في القرآن قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ بِكَفُورٍ ۝١﴾ [هود:٩]، فإن المراد بها النعم التي ينعم الله تعالى بها على عباده من العافية والمال وغيرها<sup>(١)</sup>. ومن السنة قوله تعالى: للجنة: «أنت رحمتي، أرحم بك من أشياء من عبادي»<sup>(٢)</sup>. والثاني: إضافة صفة إلى الموصوف بها<sup>(٣)</sup>. ولا تشبه شيئاً من رحمة المخلوقين ومثالها من الكتاب قوله تعالى إخباراً عن ملائكته الكرام: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧]. ومثالها في السنة قوله ﷺ: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث»<sup>(٤)</sup>. ورحمته تعالى جامعة لجميع معاني الخير في الدنيا والآخرة<sup>(٥)</sup>. وقد وردت في القرآن الكريم على معان عديدة أوصلها بعض العلماء إلى ستة عشر، منها: السعة، والعصمة، والرزق، والنعم، والجنة، والعافية، والنصر، والمنة، والرقعة، والمغفرة، والإسلام، والإيمان، والنبوة، والقرآن، والمطر، والمودة<sup>(٦)</sup>. والحاصل أن

(١) انظر: ابن كثير إسماعيل بن عمر أبو الفداء القرشي البصري الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ج٤، ص٣٠٩.

(٢) أخرجه البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله الجعفي، في صحيحه، تحقيق: مصطفى ديب البغا، (بيروت: دار ابن كثير، ط٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَقَوْلُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ﴾ [ق:٣٠]. رقم ٤٨٥٠، ج٦، ص١٢٨؛ ومسلم بن حجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، في صحيحه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، كتاب صفة القيامة، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها، رقم ٢٨٤٦، ج٤، ص٢١٨٧.

(٣) انظر: ابن بطال علي بن خلف بن عبد الملك أبو الحسن، شرح صحيح البخاري لابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، (الرياض: مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م)، ج١٠، ص٤٧١.

(٤) أخرجه الترمذي فيسننه، كتاب الدعوات، رقم ٢٥٢٤، ج٥، ص٥٣٩؛ وصححه الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم أبو عبد الله الضبي الطهماني النيسابوري، في مستدركه، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م)، رقم ٢٠٠٠، ج١، ص٧٣٠؛ والألباني محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم أبو عبد الرحمن الأشقودري، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقها وفوائدها، (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، ج٧، ص٥٥٦.

(٥) انظر: ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد تقي الدين أبو العباس الحرائي الحنبلي الدمشقي، التحفة العراقية في الأعمال القلبية، (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٩٩هـ)، ص٦٦.

(٦) انظر: ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي بن محمد جمال الدين أبو الفرج الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ص٣٣١-٣٣٤.



أنواع الرحمة وأقسامها لا يمكن حصرها في عدد معين، إلا أنها باعتبار مصدرها تنقسم إلى قسمين: الأول: رحمة الخالق سبحانه على عباده، وهذه أكملها وأصلها. والثاني: رحمة المخلوقين بعضهم ببعض وأكمل هذا القسم رحمة الرسول ﷺ على أمته؛ فإنه أرحم الخلق بالعباد بعد رب العباد، ثم الوالد على أولاده، ثم رحمة الأمير على رعيته، ثم رحمة الشيخ على تلاميذه.<sup>(١)</sup>



(١) انظر: محمود بن إسماعيل بن إبراهيم بن ميكائيل الخَيْرِيَّيْنِي، الدررة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء، (الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز)، ج ١، ص ١٥٦.

## المبحث الثاني

### صور ونماذج من رحمته ﷺ بالمخالفين لدعوته

وفيه ثلاثة مطالب:

#### المطلب الأول

#### صور ونماذج من رحمته ﷺ باليهود

إن كتب السيرة والتاريخ مشحونة بذكر صنوف رحمة النبي ﷺ لجميع أهل الأديان كل منهم أخذ قسطه ونصيبه وذلك من البراهين الواضحة في صدق رسالته، فكان رسول الله ﷺ يعفو ويصفح عن جميع من خالفه وعاداه، من المشركين وأهل الكتاب، فهؤلاء اليهود أعداء الإسلام ورسول الإسلام وأهل الإسلام أظهروا عداوتهم والخديعة والمكر وحاولوا القضاء عليه بشتى الطرق والوسائل، ومع ذلك يقابلهم بالإحسان بكل ممكن، ولعل ما يلي من القصص من أهم المظاهر الشاهدة على ذلك:

#### المظهر الأول:

عقد الصلح معهم ومعاملتهم بأنواع من المعاملات: عن نافع، عن عبد الله ﷺ، قال: "أعطى رسول الله ﷺ خيبر اليهود: أن يعملوها ويزرعوها، ولهم شطر ما يخرج منها"، وأن ابن عمر حدثه: "أن المزارع كانت تكرر على

شيء".<sup>(١)</sup> ففي ذلك شفقة عليهم ورحمة حيث لم يسلبها منهم بالكلية بعد الغلبة والقهر عليهم، بل جعل لهم نصيباً منها وهو النصف وهذا غاية الرحمة: أن ترحم مع القدرة على البطش والعقاب،<sup>(٢)</sup> وهم الذين سألوهم أن يقرهم فيها فأجابهم إلى ذلك، ولا شك أن هذا من جملة صنوف رحمته العظيمة المهداة صلوات ربي وسلامه وبركاته عليه.

### المظهر الثاني:

زيارته ﷺ مرضى اليهود وعرض الإسلام عليهم وحرصه على هدايتهم: قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ، فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعبده، فقعده عند رأسه، فقال له: «أسلم»، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار»<sup>(٣)</sup> وكان من عظيم رحمته ﷺ زيارة المرضى من المسلمين وغيرهم، وقد ثبت أنه زار عدداً من غير المسلمين.<sup>(٤)</sup> وفي ذلك دلالة عظيمة على معاملته اليهود بما يعود عليهم بالنفع في الدارين، الذي هو مقتضى الرحمة ومدلولها وأكمل معانيها. وفيه بيان لحقيقة موقفه مع المخالفين له في الدعوة والمنهج، وفيه رفع لشبهة المزاعة أن دعوته كانت شديدة على اليهود وليس فيها رحمة لهم.

### المظهر الثالث:

عدل النبي ﷺ بينهم وبين المسلمين في الخصومات: لحديث أبي هريرة

- (١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب معاملة النبي ﷺ أهل خيبر، رقم ٤٢٤٨، ج ٥، ص ١٤٠.
- (٢) انظر: ابن كثير، المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٦٠.
- (٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي ومات هل يصل عليه؟ وهل يعرض على الصبي الإسلام؟، رقم ١٣٥٦، ج ٢، ص ٩٤.
- (٤) انظر: البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر الخُسْرُو جردى الخراساني، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج ٢، ص ٥٢٧؛ وابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٢٧، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ج ١، ص ٤٧٥.



ﷺ، قال: "استب رجلان: رجل من المسلمين، ورجل من اليهود، قال المسلم: والذي اصطفى محمدا على العالمين، فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين، فرجع المسلم يده عند ذلك، فلطم وجه اليهودي، فذهب اليهودي إلى النبي ﷺ، فأخبره بما كان من أمره، وأمر المسلم، فدعا النبي ﷺ، فسأله عن ذلك، فأخبره، فقال النبي ﷺ: «لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأصعق معهم، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش جانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق، فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله»<sup>(١)</sup> وأي رحمة أعظم من هذه حيث نرى اليوم عند كثير من غير المسلمين الجور والعدوان الكبير في الحكم بين أهل الأديان المختلفة، والتفريط العظيم في حقوقهم، فأين الكيل بالمكيال الأوفى؟.

ومن هذا النمط أيضا قوله ﷺ: «من حلف على يمين، وهو فيها فاجر، ليقطع بها مال امرئ مسلم، لقي الله وهو عليه غضبان» قال الأشعث: في والله كان ذلك، كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجحدني، فقدمته إلى النبي ﷺ، فقال لي رسول الله ﷺ: «ألك بينة»، قلت: لا، قال: فقال لليهودي: «احلف»، قال: قلت: يا رسول الله، إذا يحلف ويذهب بمالي، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧].<sup>(٢)</sup> انظر إلى هذا العدل العجيب والرحمة العظيمة كيف بدأ سؤال المسلم البينة على دعواه، قبل سؤال اليهود القسم على ذلك. وهذا الحديث يدل على صحة القول بأن رحمته ﷺ شاملة لجميع أهل الأديان.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهود، رقم ٢٤١١، ج ٣، ص ١٢٠؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ، رقم ٢٣٧٣، ج ٤، ص ١٨٤٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المساقاة، باب الخصومة في البئر والقضاء فيها، رقم ٢٣٥٦، ج ٣، ص ١١٠؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين، رقم ١٣٨، ج ١، ص ١٢٢.

## المطلب الثاني

### صور ونماذج من رحمته ﷺ بالنصارى

أما النصارى فقد كانت له مواقف معهم أظهر فيها من رحمته ولطفه وشفقته لهم، فكما أن حسن المعاملة مع من آمن به واتبع دعوته كذلك خالق النصارى بخلقه الحسن الجميل بجميع وجوه الرحمة، وإليك طائفة من المظاهر الشاهدة على ذلك:

#### المظهر الأول:

وصيته ﷺ لأصحابه بهم خيرا وإحسانا: وبينتنا في ذلك حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لها ذمة ورحمًا - أو قال: ذمة وصهرًا - فإذا رأيتم رجلين يختصمان في موضع لبنة فاخرج منها». قال: فرأيت عبدالرحمن بن شرحبيل بن حسنة وأخاه ربيعة يختصمان في موضع لبنة، فخرجت منها<sup>(١)</sup>. وكان أهل تلك المنطقة نصارى، وملكها المقوقس، وقد كاتبه النبي يدعوه إلى الإسلام لكنه لم يسلم، فهذه الوصية فيها الشفقة والرحمة على النصارى بالأمر بالإحسان إليهم بعد الغلبة عليهم، والتّمكّن منهم، بعدم المعاقبة على الإساءة بمثلها، وتحمل الأذى والظلم<sup>(٢)</sup>، مع أنهم العدو المتريص، إلا أنه ﷺ حتى في مثل هذه الظروف لم ينس الإحسان، وذلك دأبه مع الموافق والمخالف، أيًا كان لونه وجنسه ومستواه، لعموم رحمته وشمولها.

#### المظهر الثاني:

صلحه معهم ومناظرته إياهم في مواطن كثيرة وقبول هداياهم

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر، رقم ٢٥٤٣، ج٤، ص ١٩٧٠.

(٢) الملا الهروي، علي بن سلطان محمد أبو الحسن نور الدين القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (بيروت: دار الفكر، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، ج٩، ص ٢٨١٥.





وعدم الأخذ بالشدة والغلظة: ومصدق ذلك قصته عليه السلام مع وفد نصارى نجران<sup>(١)</sup> الذين قدموا عليه سنة تسع من الهجرة وقد بلغ عددهم ستون راكبا، قال ابن إسحاق في سياق القصة: «ولما دخلوا المسجد النبوي دخلوا في تجمل وثياب حسان وقد حانت صلاة العصر، فقاموا يصلون إلى المشرق، فأراد الناس منعهم، فقال ﷺ: «دعوهم»<sup>(٢)</sup> فصالحهم على دفع الجزية لما طلبوا منه ذلك، حتى قيل إنهم أول من أدى الجزية من النصارى.<sup>(٣)</sup> وكتب لهم كتاب أمن وأمان حقن به دماءهم وأموالهم فأسلم عدد منهم بسبب هذا اللطف العميم والقيادة الرشيدة الخيرة الناصحة. وهذا بعد أن كان منذ بداية دعوته إلى بضع عشرة سنة يدعو جميع الناس إلى التوحيد ويبلغ رسالة الله تعالى دون قتال ولا جزية مع ما لقيه من الأذى من جميع أصناف أهل الأديان<sup>(٤)</sup> متمثلا قول الباري جل وعلا: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْزِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥]. ومن هذا النمط أيضا: قول أنس بن مالك رضي الله عنه: أهدى أكيدر دومة للنبي ﷺ جبة فتعجب الناس من حسننها، فقال النبي ﷺ: «لمناديل سعد في الجنة

(١) أخرج أصل القصة البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، رقم ٤٢٨٠، ج ٥، ص ١٧١؛ ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، رقم ٢٤٢٠، ج ٤، ص ١٨٨٢.

(٢) ذكر جميع هذه القصة ابن إسحاق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي مرسلاً، انظر: ابن هشام عبد الملك بن أيوب أبو محمد جمال الدين الحميري المعافري، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط ٢، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م)، ج ٢، ص ٦٠-٦٣. وقد استشهد بتفاصيلها عدد من المحققين لثبوت أصلها، وتواترها في كتب السير والمغازي منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية، انظر: مجموع الفتاوى، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، (المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ج ١٧، ص ٣٧٧؛ وتلميذه ابن القيم، انظر: زاد المعاد، ج ٣، ص ٥٤٩، رحمة الله على الجميع. وحديث ابن إسحاق في درجة الحسن على تحقيق أهل الحديث. والله أعلم. انظر: ابن حجر أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٤هـ)، ج ١٣، ص ٣٥٣.

(٣) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن وآخرون، (السعودية: دار العاصمة، ط ٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ج ١، ص ١٧٠.

(٤) انظر: ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ج ٣، ص ١٤٣.



خير منها»<sup>(١)</sup> وقد ثبت أنه ﷺ صالحه على الجزية»<sup>(٢)</sup> وكان نصرانيا، وهذا ليس مع هذا الفرد فقط، بل كان هذا حاله مع بقية البرية مؤمنهم وكافرهم، لذلك قال أهل التفسير: هو رحمة لجميع الخلق في هذه الدنيا وهذه القصص قاضية بصحة شمول رحمته ولين جانبه. وبهذا يتبين كمال رأفته للأمة جميعا.

### المظهر الثالث:

تلطفه مع ضعفائهم ومحاورته إياهم بالحسنى وعدم إجبارهم على الدخول في الإسلام مع القدرة على ذلك: ودليل ذلك قصته مع عدّاس النصراني، حين سأله رسول الله ﷺ: «ومن أي البلاد أنت يا عدّاس، وما دينك؟» قال: نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى، فقال رسول الله ﷺ: «من قرية الرجل الصالح يونس بن مَتَّى؟» فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن مَتَّى؟ فقال رسول الله ﷺ: «ذاك أخي، كان نبيا، وأنا نبي». فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه. قال: يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك. فلما جاءهما عداس، قال: يا عداس! ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي.<sup>(٣)</sup> ومن عدم إجباره لهم قول المغيرة بن شعبه رضي الله عنه: أمرنا نبينا رسول

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل سعد بن معاذ، رقم ٢٤٦٩، ج٤، ص ١٩١٧.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الخراج، باب في أخذ الجزية، رقم ٣٠٣٧، ج٣، ص ١٦٦؛ وحسنه ابن الملقن عمر بن علي بن أحمد سراج الدين أبو حفص الشافعي المصري، البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، تحقيق: مصطفى أبو الفيط وآخرون، (الرياض: دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ج٩، ص ١٨٥؛ وقال الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني: ورجال إسناده ثقات، نبيل الأوطار، تحقيق: عصام الدين الصبايطي، (مصر: دار الحديث، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ج٨، ص ٦٦؛ وفيه عن عنة ابن إسحاق وقد صرح بالتحديث في رواية البيهقي، انظر: ابن الملقن، المصدر السابق.

(٣) أخرج هذه القصة ابن إسحاق، ابن هشام، المصدر السابق، ج١، ص ٤٢١؛ ومن طريقه ابن جرير =



ربنا ﷺ « أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده، أو تؤدوا الجزية»<sup>(١)</sup> وهذا ما طبقه سلمان الفارسي ﷺ حين حاصر قصرًا من قصور فارس؛ فإنه قال لهم: " فإن أسلمتم فلکم ما لنا وعليکم ما علينا، وإن أنتم أبيتم فأدوا الجزية وأنتم صاغرون، فإن أبيتم نابذناکم على سواء»<sup>(٢)</sup> وعلم أصحابه أن ذلك كان من هدي النبي ﷺ؛ لأنه كان أحسن الناس خلقًا وأدبًا، وخلقته كله رحمة لا يفرق بين حر وعبد وشريف ووضيع، وكان يحرص على الصلح ما أمكن ذلك، ففيما سلف من هذه الأحاديث بيان حسن تدبيره وتصرفه الذي يستجلب به سخيمة صدور الأعداء ويقلب العداوة والبغضاء حبا ومحبة. فإذا تأملت حياته مع الأعداء وأحسن التعامل مع النصوص الثابتة عنه ﷺ فلا تحتاج إلى ما يدعو إليه دعاة الحرية وحقوق الإنسان مطلقا.

### المطلب الثالث

## صور ونماذج من رحمته ﷺ بالمشركين والوثنيين

أما المشركون والوثنيون فهم أول من قصدهم النبي ﷺ بلطفه ورحمته؛ لكونهم أقرب أهل الأديان إليه في بداية دعوتهم، إلا أنهم قابلوه بالكذب والمخالفة، وأذوه أشد الأذى حتى أخرجوه من مولده أحب البلاد

= في تاريخه، (بيروت: دار التراث، ط٢، ١٣٨٧هـ)، ج٢، ص٢٤٤-٢٤٥؛ عن محمد بن كعب القرظي مرسلاً؛ قال الهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان أبو الحسن: وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات؛ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، (القاهرة: مكتبة القدسي، ١٤١هـ/١٩٩٤م)، ج٦، ص٢٥؛ وضعها الألباني، انظر: الغزالي: محمد الغزالي السقا، فقه السيرة، (دمشق: دار القلم، ط١، ١٤٢٧هـ)، ص١٢٥.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب دعاء النبي ﷺ للناس رقم ٢٩٤٦، ج٤، ص٤٨؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، رقم ٢١، ج١، ص٥٢؛ وروى عن عمر وابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ.

(٢) أخرجه أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد أبو عبد الله الشيباني، في مسنده، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وأخرون، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، رقم ٢٣٧٢٥، ج٣٩، ص١٢٩؛ والترمذي في سننه، كتاب السير، باب ما جاء في الدعوة قبل القتال، رقم ١٥٤٨، ج٤، ص١١٩، وقال: حديث حسن.

إلى ربه، وما زاده ذلك إلا صبرا وحلما، ومظاهر رحمته معهم أكثر من أن تحصى، وإليك نبذة يسيرة منها:

### المظهر الأول:

رحمته وشفقته بأهل الطائف ومكة المكرمة بعد إيدانهم له عندما عرض له ملك الجبال يطلب منه الإذن على أن يطبق عليهم الأخشبين بأمر الله تعالى، فكان جوابه صلوات الله وسلامه عليه: «أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من ي عبد الله وحده، لا يشرك به شيئا»<sup>(١)</sup>. قال ابن حجر رحمه الله تعالى: «هذا الحديث بيان شفقة النبي ﷺ على قومه ومزيد صبره وحلمه وهو موافق لقوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ رَحِيمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وفي هذا دلالة على حسن إحسانه إليهم، الذي هو من مستلزمات الرحمة، فثبت يقينا صحة عموم رحمته على الجميع»<sup>(٢)</sup>.

### المظهر الثاني:

دعاؤه ﷺ لدوس بالهداية والتوفيق للإسلام والإيمان عندما سأله صاحبهم أن يدعو عليهم بالهلاك والعذاب لتعاطيهم الربا والزنا فقال ﷺ: «اللهم اهد دوسا وائت بهم»<sup>(٣)</sup> أي وفقهم للدخول في الإسلام، وترك ما هم عليه من الكبائر، انظروا إلى هذا المظهر من رحمته وشفقته، مع أن دعاءه في حق مخالفه متيقن الإجابة، وقد دعا كثير من الأنبياء على

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء آمين فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، رقم ٢٢٢١، ج٤، ص ١١٥؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، رقم ١٧٩٥، ج٣، ص ١٤٢٠.

(٢) انظر: ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، (بيروت: دار الكتاب العربي)، ج٣، ص ٢٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب الدعاء للمشركين بالهدى لتألفهم، رقم ٢٩٢٧، ج٤، ص ٤٤؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، باب من فضائل غفار، وأسلم، وجهينة، رقم ٢٥٢٤، ج٤، ص ١٩٥٧.



قومهم بالهلاك لعدم قبولهم الدعوة فأهلكوا بأنواع من العذاب كقوم نوح الذين أهلكوا بالطوفان، وقوم صالح الذين أهلكوا بالصيحة، وأما هذا النبي الكريم فكان كما وصفه ربه بقوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]. ولا شك أن هذا ناشئ عن رحمته وتمام حرصه على إنابة هذه الأمة إلى الله تعالى.<sup>(١)</sup> وفي هذا دلالة واضحة على أن صفة الرحمة غالبية على المصطفى ﷺ، فكيف يظن فيه ظن السوء لولا الجهل وعدم حسن التعامل مع النصوص الصحيحة ومدلولاتها.

### المظهر الثالث:

قوله ﷺ: «إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة»<sup>(٢)</sup> وذلك عندما اشتد العذاب على أصحابه، وكثر من يسب ويظعن في دعوته فقال له بعض أصحابه ﷺ ادع على المشركين. وما ذلك إلا صورة من صور رحمته وبيان كونه موصوفاً بكمال الشفة والرحمة لجميع أهل الأديان، إذ لولا تلکم الرحمة والخلق العظيم الذي نعته به الخالق سبحانه لقضي الأمر بينه وبين أولئك المبطلون الذين عجلوا العذاب والهلاك، فكيف يكون حال من جمع هذه الخصال مناف لمذلول الرحمة ومعانيها أيها المنصفون؟

### المظهر الرابع:

دعاؤه ربه سبحانه أن يكشف القحط عن المشركين في مكة حين يسوا وتيقنوا من الهلاك فأتوا إليه ﷺ، وقال أبو سفيان: «يا محمد إنك جئت تأمر بطاعة الله، وبصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا، فادع الله لهم»<sup>(٣)</sup>

(١) انظر: العيني، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي أبو محمد الحنفي بدر الدين، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج ١، ص ٢٠٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، رقم ٢٥٩٩، ج ٤، ص ٢٠٠٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب دعاء النبي ﷺ «إجعلها عليهم سنين كسني يوسف»، رقم ١٠٠٧، ج ٢، ص ٢٦؛ ومسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة، باب الدخان، رقم ٢٧٩٨، ج ٤، ص ٢١٥٥.

فدعا فكشف عنهم»<sup>(١)</sup>. فسبحان من شهد له باللين والرحمة بقوله:  
﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وجل من أنطق لسان قريش  
قبل الإسلام ببيان أن من مقتدى الرحمة منه أن يدعو الله تعالى أن يرفع  
عنهم القحط، فهذه شهادة واضحة على شدة رحمته ﷺ لغير المسلمين،  
ومكارم أخلاقه السامية.

### المظهر الخامس:

رحمته بالمشركين وغيرهم وقت الجهاد والقتال وقبول الإسلام من كل  
من أظهره مهما كانت إساءته لأهل الإسلام: فقد كان ﷺ يربي أصحابه  
على الإحسان إليهم والشفقة بهم قبل القتال بدعوتهم إلى الإسلام  
والكف عنهم بكلمة الشهادة، وفي أثائه بعدم التمثيل بهم، وبعده في  
الأسرى بالإحسان بهم، ويقول لهم: «اغزوا باسم الله في سبيل الله،  
قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا  
وليدا»<sup>(٢)</sup>. وثبت أنه ﷺ كان ينهى عن قتل النساء والصبيان، ففي هذا  
الحديث وغيره استتبط علماء المسلمين تحريم الغدر والغلول، ووجوب  
الكف عن الصبيان والنساء إذا لم يقاتلوا، وكراهة المثلة<sup>(٣)</sup> وهذه الشفقة  
والرحمة منه ﷺ لم نسمع بها عن أحد من العالمين. وهذا كله دليل على  
شمولية رحمته لكافة أهل الأديان كل بحسب قدره وسببه. وكل واحدة

(١) أخرجه الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي أبو جعفر في تفسيره، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ج ١٩، ص ٦٠؛ والنسائي أحمد بن شعيب بن علي الخراساني أبو عبد الرحمن في سننه الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، رقم ١١٢٨٩، ج ١٠، ص ١٩٤؛ وابن حبان محمد بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي أبو حاتم، الدارمي، البستي، في صحيحه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، رقم ٩٦٧، ج ٢، ص ٢٤٧؛ وصححه شعيب الأرنؤوط، انظر: ابن حبان، المصدر السابق.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بأداب الغزو وغيرها، رقم ١٧٢١، ج ٢، ص ١٢٥٧.

(٣) انظر: النووي يحيى بن شرف أبو زكريا محيي الدين، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ)، ج ١٢، ص ٢٧.



من تلکم القصص والأحاديث شاهدة على رحمته ورأفته لعموم أمة الدعوة، ودرس مفيد لجميع من بلغته دعوته ﷺ .

### المظهر السادس:

عفوه ومنه على المشركين المحاربين لله ورسوله يوم فتح مكة: فقد روى ابن إسحاق عن صفية بنت شيبة قالت: لما نزل رسول الله ﷺ واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة، ففتح له فدخلها ثم وقف على باب الكعبة فخطب. قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أهل العلم أنه ﷺ قام على باب الكعبة فذكر الحديث وفيه ثم قال: يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم؟ قالوا: خيرًا أخ كريم وابن أخ كريم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء. (١) وقال لهم: إني قائل لكم ما قال يوسف لإخوته: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢] (٢). فقد عفى عنهم ولم يأخذ ثأره منهم، ولم يقابلهم على صنيعهم بعد أن قدر عليهم مع ما لديه من قوة الانتقام والانتصار، ولا شك أن ذلك من جنس محاسن تلکم الرحمة التي أرسل بها، ومكارم أخلاقه التي شهدوا له بها قبل البعثة وبعدها التي لا يوجد لها نظير عند جميع أهل الأديان.



(١) ابن هشام، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤١٢؛ وقد حسنه ابن حجر، المصدر السابق، ج ٨، ص ١٨.  
(٢) ضعفه الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، (الرياض: دار المعارف، ط ١، ٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ج ٣، ص ٣٠٧.

## المبحث الثالث شبهات غير المسلمين حول رحمة النبي ﷺ والرد عليها

وفيه ثلاثة مطالب:

هناك أحاديث وقصص تمسك وتشبث بها أعداء الإسلام وبعض ضعفاء الإيمان من المسلمين، الذين خالفوا منهج السنة وسبيل المحققين من أهل العلم في رد المتشابه إلى المحكم، والرجوع إلى أولى الأمر الذين يستنبطون الأحكام بأدلتها الصحيحة الثابتة، بيتغون بذلك تهمة المصطفى ﷺ وزحزحة المسلمين عن ثواب دينهم وعقيدتهم، فضلوا بسبب ذلك عن المعاني الصحيحة، وحادوا عن الجادة، فسوف نذكر بعضها، والرد على شبهاتهم، وفق منهج أهل السنة والجماعة وبالله التوفيق:

### المطلب الأول شبهات حول رحمته باليهود والنصارى

حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في طريق، فاضطروه إلى أضيقه»<sup>(1)</sup>

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، رقم ٢١٦٧، ج ٤، ص ١٧٠٧.



قالوا كيف يكون رحمة باليهود والنصارى وقد أمر بمضايقتهم وأذيتهم وعدم السلام عليهم؟ والجواب على ذلك من أمور:

الأمر الأول: أن النهي عن ابتدائهم بالسلام ليس فيه الشدة والتشديد عليهم بوجه من الوجوه؛ لأن هذه التحية خاصة بالمسلمين<sup>(١)</sup> ولم يرد شيئاً في ديننا يدل على أنها من شعائر اليهود والنصارى، بل جاء ما يدل على أن لهم تحية خاصة بهم، ورثوها عن ملوكهم وأجدادهم وأكابرهم<sup>(٢)</sup>. وقد صح «أن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع، وتسليم النصارى الإشارة بالكف»<sup>(٣)</sup>.

الأمر الثاني: قوله: «فاضطروه إلى أضيقه» أن المراد بذلك، أي لا تتركوا صدر الطريق لهم إجلالاً وهيباً وإعزازاً، وليس معنى ذلك دفعهم إلى طرفه مع عدم الزحمة<sup>(٤)</sup>. فيكون المعنى خذوا حَقِّكم منها كاملاً غير منقوص، والآخذ بحقه لا يوصف بالشدة ولا بعدم الرحمة.

الأمر الثالث: أنه ورد في بعض الأحاديث أن العلة في ذلك هو أن اليهود في زمنه عليه السلام كانوا يحيونه بتحية لم يحيه الله تعالى بها، وفيها سب وشتم له فيكونوا هم الذين تسببوا في سدّ هذا الباب على أنفسهم. لذلك قال أهل العلم إذا سلم أهل الكتاب على المسلم

(١) انظر: ابن خزيمة محمد بن إسحاق بن المغيرة بن صالح بن بكر أبو بكر السلمي النيسابوري، كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، تحقيق: عبدالعزيز بن إبراهيم الشهوان، (الرياض: مكتبة الرشد، ط ٥، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ج ١، ص ٥١.

(٢) انظر: ابن رجب عبدالرحمن بن أحمد بن الحسن زين الدين السلمي الحنبلي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبدالمقصود وآخرون، (المدينة النبوية: مكتبة الغرباء الأثرية، ط ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م) ج ٧، ص ٣٢٧.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في كراهية الإشارة، رقم ٢٦٩٥، ج ٥، ص ٥٦؛ وقال: إسناده ضعيف؛ وصححه الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم ٢١٩٤، ج ٥، ص ٢٢٧.

(٤) انظر: ابن حجر، المصدر السابق، ج ١١، ص ٤٠.

بألفاظ السلام الصحيحة يرد عليهم. فكل من عقل عن النبي ﷺ يعلم يقيناً أنه كان لطيفاً باليهود، وقصصه معهم معروفة شاهدة على تحمله جميع ما صدر منهم من الجفاء. فزال بهذا دعوى عدم الرحمة، لأن الرحمة لا تعني اهمال التنظيم وترك المبادئ والأصول. وفي هذا شفاء لداء تلكم الشبهة لمن تأملها وتدبرها.

## المطلب الثاني شبهة حول رحمته بالمشركين والوثنيين

حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قنت بعد الركعة في صلاة شهراً، إذا قال: «سمع الله لمن حمده»، يقول في قنوته: «اللهم أنج الوليد بن الوليد، اللهم نج سلمة بن هشام، اللهم نج عياش بن أبي ربيعة، اللهم نج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف».<sup>(1)</sup> قالوا كيف يكون رحمة للمشركين وقد دعا عليهم بالجوع والقحط حتى أوشكوا على الهلاك؟ هذا مناف لمعنى الرحمة. والجواب على ذلك بأمرين:

الأمر الأول: قيل لهم دعا عليهم ليتضرعوا إلى الله، لما رأى أن تماديهم وانتهاكهم لحرمات الدين قد طال وجاوز الحد، فخاف أن يصيبهم الله تعالى بعذاب، فيهلكهم بعامه، فدعا عليهم بما هو أهون، فيكون من باب دفع أعظم المفسدتين؛ فإن الهلاك أعظم من الجوع، وقد ثبت عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: «ما خير رسول

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء على المشركين، رقم ٦٣٩٢، ج ٨، ص ٨٤؛ ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة، رقم ٦٧٥، ج ١، ص ٤٦٧.

الله ﷻ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثماً»<sup>(١)</sup>. وهذا نص صريح في توضيح هذا المعنى؛ فاختياره لهم أيسر الأمرين وأخفهما فيه تيسير ورحمة عليهم.

الأمر الثاني: أنه ﷻ كان يدعو على من اشتد أذاه للإسلام والمسلمين ويئس من إسلامه، كما يدعو لمن يرجى رجوعه وإقباله على الإسلام.<sup>(٢)</sup> وكانت مضر من أشد المحاربين ونكاية للإسلام وأهله، ويضيقون على المسلمين، فلما يئس منهم دعا عليهم.<sup>(٣)</sup> ثم إنه ﷻ دعا عليهم قبل نزول آية آل عمران التي نهي فيها عن ذلك ومن ذلكم الحين لم يدع على أحد من الكفار.

### المطلب الثالث

## شبهات حول رحمته بالمخالفين عموماً

حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:<sup>(٤)</sup> قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم مني نفسه وماله، إلا بحقه وحسابه على الله»<sup>(٥)</sup> قالوا: كيف يكون من جاء بالسيف والقتال وإراقة الدماء واستباحة أموال الناس رحمة لغير المسلمين؟ والجواب على ذلك بأمر:

- (١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ رقم ٢٥٦٠، ج٤، ص ١٨٩؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب مباحثته ﷺ للأثام واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرمانه، رقم ٢٢٢٧، ج٤، ص ١٨١٣.
- (٢) انظر: ابن بطال، المصدر السابق، ج٥، ص ١١٢.
- (٣) انظر: المصدر السابق، ج ١٠، ص ١٢٧.
- (٤) حديث متواتر: قد روي عن عدد من الصحابة منهم: أبو هريرة، وعمر بن الخطاب، وجابر بن عبد الله، وسعد بن أبي وقاص، وأنس بن مالك، ومعاذ بن جبل، رضي الله عنهم أجمعين.
- (٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب، رقم ٣١٥٩، ج٤، ص ٩٧؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، رقم ٢١، ج ١، ص ٥٢.

الأمر الأول: أن الأمر بالقتال لمن قاتل وعاند وحارب؛<sup>(١)</sup> وإلا فقد مر معنا أنه عقد الصلح مع عدد من اليهود والنصارى والمشركين. وكان يخيرهم على قبول الإسلام، أو دفع الجزية. كما قال المغيرة بن شعبة رضي الله عنه في جوابه على سؤال عامل كسرى حين سألهم ما أنتم؟ قال: نحن أناس من العرب، كنا في شقاء شديد وبلاء شديد، نمص الجلد والنوى من الجوع، ونلبس الوبر والشعر، ونعبد الشجر والحجر، فبينما نحن كذلك إذ بعث رب السموات ورب الأرضين - تعالى ذكره وجلت عظمتة - إلينا نبيا من أنفسنا نعرف أباه وأمه، فأمرنا نبينا رسول ربنا ﷺ «أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده، أو تؤدوا الجزية»<sup>(٢)</sup> فيكون هذا الحديث عامًّا وقد ورد تخصيصه في أحاديث آخر، ومن ثم لا يجوز حمله على هذا المعنى، وإنما يجب الجمع بينه وبين ما ورد في بابيه، ومما ورد في تخصيصه حديث سليمان بن بريدة، عن أبيه رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ إذا أمر أميرا على جيش، أو سرية، أو صاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قال: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال - فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك، فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على

(١) انظر: ابن حجر، المصدر السابق، ج ١٢، ص ٢٧٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب دعاء النبي ﷺ الناس رقم ٢٩٤٦، ج ٤، ص ٤٨؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، رقم ٢١، ج ١، ص ٥٢؛ وروى عن عمر وابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ.

المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله، وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله، ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا»<sup>(١)</sup> وهذا قول علماء المسلمين أنه لا يقاتل الكافر بمجرد كونه كافرا، من دون دعوته إلى الإسلام.<sup>(٢)</sup>

الأمر الثاني: أن قوله: (أن أقاتل) من قاتل على وزن فاعل (وأن) مصدرية، بمعنى المشاركة، أي أمرت أن أدافع عن نفسي وأحمي دعوتي حتى لو وصل الأمر إلى القتل، ثم إنه لا يلزم من المقاتلة وجوب القتل؛ وإنما مقتضى الأمر الوصول إلى الغاية التي هي نشر هذا الدين، وتبليغ الدعوة، وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له.<sup>(٣)</sup> ومما يزيد ذلك وضوحا أمره تعالى بقتال الفئة الباغية لأجل الإصلاح بين المؤمنين بقوله: ﴿فَقَاتِلُوا آلِي بَنِي سَعْدٍ حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]. فدل ذلك أن المراد من ذلك الرجوع إلى الحق، ورفع الأذى على من بغى عليه وأوذي.

الأمر الثالث: كلمة «الناس» هنا لا تعني جميع الناس: لذلك قال

- (١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياه بأداب الغزو وغيرها، رقم ١٧٢١، ج ٣، ص ١٣٥٧.
- (٢) انظر: الخطابي حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب أبو سليمان البستي، معالم السنن، (حلب: المطبعة العلمية، ط ١، ١٣٥١هـ/١٩٣٢م)، ج ٢، ص ٢٦١.
- (٣) انظر: ابن حجر، المصدر السابق، ج ١٢، ص ٢٠٣.

العلماء المراد بها أهل الأوثان الذين لا يعترفون بتوحيد العبادة فقط، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَعَلُوا لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣]. للإشارة إلى أناس معروفين، وليس كل الناس،<sup>(١)</sup> وهذا سائغ معروف في كلام العرب، فخرج من ذلك اليهود والنصارى بأدلة منها قوله تعالى: ﴿قِيلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].<sup>(٢)</sup> الأمر الرابع: أن الانتقام من المستحق لا ينافي صفة الرحمة؛ والدليل عليه أن الله تعالى وهو أرحم الرحمين، ورحمته أوسع من رحمة الوالدة بولدها، ومع ذلك ينتقم من الكفار والعصاة، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥]. فهذا الانتقام لا ينافي كمال رحمة الله تعالى لعباده، وكما يآدب الوالد ولده بضرب ونحوه، بحسب ما يرى في ذلك من المصلحة لولده، ولا يقال: إن ذلك ينافي الرحمة المكنة في صدره، كما لا يدل ذلك على عدم المحبة والشفقة. فدل ذلك على أن قوله: (أن أقاتل الناس) لا يتصادم مع قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء]. وهذا الذي ينبغي أن يقضى به في تفسير وتأويل هذا الحديث، فبان بذلك بطلان شبهتهم.

حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو

(١) انظر: ابن جرير، المصدر السابق، ج ٧، ص ٤٠٥.  
(٢) انظر: بدر الدين العيني، المصدر السابق، ج ١، ص ١٨١.



منهم»<sup>(١)</sup> قالو كيف يكون من جاء بالقتل والموت رحمة على أهل الأديان،  
والمخالفين لدعوته؟ والجواب بأمرين:

الأمر الأول: أن نصوص الكتاب والسنة لا يمكن تفسيرها وفهمها فهما  
سليما إلا إذا انضم بعضها إلى البعض الآخر، فإننا بعد جمع  
نصوص هذا الباب وجدنا أن قوله: «بعثت بين يدي الساعة  
بالسيف» خاص لمن أبى عن قبول الدعوة بعد بلوغ الحجة والبيان  
وزوال الشبهة، وعرض عليه الصلح، فامتنع عن الصلح، وأصرَّ  
على كفره وعناده، ولم يستجب، وأما من جنح للصلح فإنه يقبل  
منه، ويحقن دمه وعرضه وإن لم يقبّر بدعوة النبي ﷺ. وهذا  
الحديث شبيهه بقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا  
مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ  
بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]. فبين سبحانه في هذه الآية  
الكريمة أنه أنزل الكتاب، وهو النقل المصدق، والحديد وهو  
السلاح. قال العلماء: من جحد الحجج والدلائل بعد قيامها،  
وعدل عن اتباع الرسل بعد بلوغ الدعوة وزوال الشبهة، وصد عن  
طريق الحق، يجب ردؤه بالسيف حتى يفيئ إلى أمر الله تعالى.<sup>(٢)</sup>

الأمر الثاني: أن الله تعالى هو المالك لجميع الخلق والمتصرف فيهم  
وهو الذي أمر النبي ﷺ بسل السيف على كل من كفر بدعوته  
وخالفه، وصد عن سبيل الحق الذي أرسل به، فما ذنب النبي  
ﷺ في تنفيذ أمر خالقه ومولاه؟ مع أنه ليس بدعاً من الرسل في

(١) أخرجه أحمد في مسنده، رقم ٥١١٥، ج ٩، ص ١٢٦؛ وصححه الألباني، انظر: إرواء الغليل في =

تخريج أحاديث منار السبيل، بيروت: المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٥٥ هـ/ ١٩٨٥ م)، ج ٥، ص ١٠٩.

(٢) انظر: ابن رجب، الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي ﷺ بعثت بالسيف بين يدي الساعة،

تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط، (دمشق: دار المأمون، ط ١، ١٩٩٠ م)، ص ٥.

(٣) انظر: ابن كثير، المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٧-٢٨.

تنفيذ هذا الأمر، فقد نذره موسى ﷺ، كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كُتِبَ لَكُمْ وَلَا تَرُدُّوا عَلَيَّ آذَابَكُمْ فَانْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (٢١) [المائدة: ٢١]. فقد أمر موسى ﷺ قومه بدخول بيت المقدس لقتال أعدائهم العمالقة الجبارين، الذين تملكوا أرض أبيهم بعد خروجهم منها في زمن يوسف (عليه السلام).<sup>(١)</sup> كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَدِّ مُوسَىٰ إِذْ قَالَ لِأَخِي لَهُمْ أبعثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٢٦) [البقرة: ٢٤٦-٢٥١]. وكان ذلك في بني إسرائيل بعد موت موسى (عليه السلام) في زمن داود (عليه السلام)، وكان مع جنود طالوت ملك بني إسرائيل، وهو الذي قتل جالوت ملك الكفار.<sup>(٢)</sup> واستقر لهم الأمن والأمان والتمكين، وأمنوا من الخوف بعد أن كانوا خائفين من الأعداء.<sup>(٣)</sup> فدل ذلك على أن سل السيف على كل من خالف دين الله الذي أرسل به رسله قد شرع في الأديان السابقة قبل زمن النبي ﷺ.



- (١) انظر: المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٤-٧٥.  
 (٢) انظر: المصدر السابق، ج ١، ص ٦٦٤-٦٦٥.  
 (٣) انظر: السعدي عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ج ١، ص ١٠٨.



## الخاتمة

الحمد لله الذي قذف في قلوب المؤمنين حب رسوله ﷺ، والدفاع عن كرامته ونشر سنته، نشكره تعالى على ما منّ به علينا من كتابة هذا البحث الذي وصلنا إلى نهايته، وأهم النتائج والتوصيات التي توصلنا إليها يمكن إجمالها في التالي:

### نتائج البحث:

١. بعد التأمل في سيرة الرسول الله ﷺ وسنته ظهر بالبراهين القاطعة: أنه رحمة لجميع الناس مؤمنهم وكافرهم، وأنه أرحم بهم من أمهاتهم.
٢. أن الرسول ﷺ قد رسم لجميع المسلمين منهجاً واضحاً في كيفية التعايش السلمي مع الموافق والمخالف، وطرق كسب قلوب الأعداء.
٣. دلت نصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف والعلماء والوقائع التاريخية على عموم رحمة النبي ﷺ لجميع أصناف المخالفين لدعوته.
٤. ثبت بالتحقيق أن أكبر ما أوقع بعض المسلمين في هذه الشبهات

عدم معرفة الطرق السليمة في التعامل مع النصوص الصحيحة وكيفية الاستفادة منها .

٥ . جميع الشبهات التي أثيرت حول رحمة النبي ﷺ يمكن الجواب عليها وإزالتها بنصوص الكتاب والسنة، وكلام أهل العلم الراسخين المأمونين وأساليب أهل اللغة، التي كان ينطق بها طوال حياته ﷺ .

٦ . تحكيم الرأي والهوى وعدم التسليم للنصوص له نصيب كبير في انحراف الطاعين في شخصيته ﷺ، وضلال أفهام المخالفين لمنهجه وسيرته .

٧ . الطريق السوي لمعرفة تأويل الصحيح لنصوص الكتاب والسنة هو رد المتشابه منها إلى المحكم الواضح ، وجمع نصوص كل باب على طريق المحققين من أهل العلم .

٨ . أطلعنا الدراسة على حقيقة رحمته ﷺ بالمخالفين له في العقيدة والمنهج، وكيف كان رحمة لهم في هذه الدنيا .

٩ . أن مظاهر رحمة المصطفى ﷺ واضحة يدركها كل من استعمل عقله، وجرد نفسه عن الهوى المتبع، والتعصب الطائفي .

### التوصيات، منها:

١ . نرى أنه لا يمكن لهذه الأمة أن يعود لها عزها وشرفها وتمكينها إلا بالتمسك بهدي المصطفى ﷺ في سلوكه وأخلاقه وسياسته .

٢ . ضرورة دراسة سيرته ﷺ وتدريسها بين الأجيال القادمة بشكل أوسع، وبطريقة ملائمة لواقعنا الحاضر .

٣ . ضرورة دراسة ما عند المخالفين من الشبهات حول الإسلام



ورسوله وأهله؛ لكي نستطيع الدفاع على بصيرة.

٤. القيام ببحث مفصل لبيان الضابط الصحيح في معرفة دلالات النصوص الكتاب والسنة وتفسيرها على العموم، والسنة النبوية على الخصوص.

٥. القيام ببحث مفصل لبيان أسباب الحروب والقتال في الإسلام في زمن النبي ﷺ وبعد وفاته، وبيان الغاية في مشروعيته.

٦. القيام ببحث يجيب على سؤال قد يرد على أذهان الناس، وهو: هل شرع الجهاد والقتال على الأنبياء قبل نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام؟.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد القائل: «إنما أنا رحمة مهداة»<sup>(١)</sup> وعلى آله وصحبه، الذين حفظوا لنا تفسير قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].



(١) أخرجه ابن الأعرابي أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم البصري الصوفي أبو سعيد في معجمه، تحقيق: عبدالمحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني، (السعودية: دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، رقم ٢٤٥٢، ج٢، ص ١١٣٦؛ والحاكم، في مستدركه، وقال صحيح على شرط الشيخين، رقم ١٠٠، ج١، ص ٩١؛ وحسنه الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج١، ص ٨٨.

## فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم
٢. ابن أبي شيبة عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي أبو بكر العبسي، ١٤٠٩هـ، مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، (ط١)، الرياض: مكتبة الرشد.
٣. ابن الأعرابي أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم البصري الصوفي أبو سعيد، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، معجم، تحقيق: عبدالمحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني، (ط١)، السعودية: دار ابن الجوزي.
٤. ابن بطلال علي بن خلف بن عبدالمملك أبو الحسن، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، شرح صحيح البخاري لابن بطلال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، (ط٢)، الرياض: مكتبة الرشد.
٥. ابن تيمية أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد تقي الدين أبو العباس الحراني الحنبلي الدمشقي، ١٣٩٩هـ، التحفة العراقية في الأعمال القلبية، القاهرة: المطبعة السلفية.
٦. ابن تيمية أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد تقي الدين أبو العباس الحراني الحنبلي الدمشقي، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن وآخرون، (ط٢)، السعودية: دار العاصمة.
٧. ابن تيمية أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد تقي الدين أبو العباس الحراني الحنبلي الدمشقي، الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق: محمد محيي الدين



عبد الحميد، السعودية: الحرس الوطني السعودي.

٨. ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد تقي الدين أبو العباس الحراني الحنبلي الدمشقي، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
٩. ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي بن محمد جمال الدين أبو الفرج الجوزي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، (ط١)، بيروت: مؤسسة الرسالة.
١٠. ابن حجر أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ١٣٧٤هـ، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار المعرفة.
١١. ابن حبان محمد بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي أبو حاتم الدارمي البُستي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (ط١)، بيروت: مؤسسة الرسالة.
١٢. ابن خزيمة محمد بن إسحاق بن المغيرة بن صالح بن بكر أبو بكر السلمي النيسابوري، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، تحقيق: عبدالعزيز بن إبراهيم الشهوان، (ط٥)، الرياض: مكتبة الرشد.
١٣. ابن رجب عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن زين الدين السَلامي البغدادي، ١٩٩٠م، الحكم الجديدة بالإذاعة من قول النبي ﷺ بعثت بالسيف بين يدي الساعة، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، (ط١)، دمشق: دار المأمون.
١٤. ابن رجب عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن زين الدين السَلامي الحنبلي، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، فتح الباري شرح صحيح البخاري،

- تحقيق: محمود بن شعبان بن عبدالمقصود وآخرون، (ط ١)، المدينة النبوية: مكتبة الغرباء الأثرية.
١٥. ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، ١٩٨٤هـ، التحرير والتتوير «تحرير المعنى السديد وتتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، تونس: الدار التونسية للنشر.
١٦. ابن فارس أحمد بن زكرياء أبو الحسين القزويني الرازي، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، بيروت: دار الفكر.
١٧. ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، الرياض: مكتبة المعارف.
١٨. ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، بدائع الفوائد، بيروت: دار الكتاب العربي.
١٩. ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، زاد المعاد في هدي خير العباد، (ط ٢٧)، بيروت: مؤسسة الرسالة.
٢٠. ابن كثير إسماعيل بن عمر أبو الفداء القرشي البصري الدمشقي، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (ط ٢)، دار طيبة للنشر والتوزيع.
٢١. ابن الملقن عمر بن علي بن أحمد سراج الدين أبو حفص الشافعي المصري، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وآخرون، (ط ١)، الرياض: دار الهجرة للنشر والتوزيع.
٢٢. ابن منظور محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين



الأنصاري الرويفعى الإفريقي، ١٤١٤هـ، لسان العرب، (ط٣)،  
بيروت: دار صادر.

٢٣. ابن هشام عبدالمك بن أيوب أبو محمد جمال الدين الحميري  
المعافري، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق:  
مصطفى السقا وآخرن، (ط٢)، مصر: شركة مكتبة ومطبعة  
مصطفى البابي الحلبي وأولاده. أبو داود سليمان بن الأشعث بن  
إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، سنن أبو  
داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، بيروت: المكتبة  
العصرية.

٢٤. أحمد بن شعيب بن علي الخراساني أبو عبدالرحمن النسائي،  
١٤٢١هـ/٢٠٠١م، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبدالمنعم شلبي،  
(ط١)، بيروت: مؤسسة الرسالة.

٢٥. أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد أبو عبدالله الشيباني،  
١٤٢١هـ/٢٠٠١م، مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون،  
(ط١)، بيروت: مؤسسة الرسالة.

٢٦. الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم أبو  
عبدالرحمن، الأشقودري، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، سلسلة الأحاديث  
الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، (ط١)، الرياض: دار  
المعارف.

٢٧. الألباني محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم،  
الأشقودري أبو عبدالرحمن، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، سلسلة الأحاديث  
الصحيحة وشيء من فقها وفوائدها، (ط١)، الرياض: مكتبة  
المعارف للنشر والتوزيع.

٢٨. البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله الجعفي،

- ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، (ط٢)، بيروت: دار ابن كثير.
٢٩. البيهقي أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر الخُسْرُوْ جَرْدِي الخراساني، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، سنن الكبرى، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، (ط٣)، بيروت: دار الكتب العلمية.
٣٠. الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرَة بن موسى بن الضحاک أبو عيسى، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاکر وآخرون، (ط٢)، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.
٣١. الجوهری إسماعیل بن حماد أبو نصر الفارابي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، (ط٤)، بيروت: دار العلم للملايين.
٣٢. الحاكم محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم أبو عبدالله الضبي الطهماني النيسابوري، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، مستدرک، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية.
٣٣. الحسين بن محمد أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني، ١٤١٢هـ، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (ط١)، بيروت: دار القلم، الدار الشامية.
٣٤. الحميدي عبدالله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله أبو بكر القرشي الأسدي المكي، ١٩٩٦م، مسند الحميدي، تحقيق: حسن سليم أسد الداراني، (ط١)، دمشق: دار السقا.
٣٥. الخطابي حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب أبو سليمان البستي، ١٣٥١هـ/١٩٣٢م، معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود،





(ط ١)، حلب: المطبعة العلمية.

٣٦. السعدي عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م،

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، (ط ١)، بيروت: مؤسسة الرسالة.

٣٧. الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبدالله اليماني، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م،

نيل الأوطار، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، (ط ١)، مصر: دار الحديث.

٣٨. الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي أبو جعفر

١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (ط ١)، بيروت: مؤسسة الرسالة.

٣٩. علي بن سلطان محمد أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري،

١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (ط ١)، بيروت: دار الفكر.

٤٠. العيني محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي

أبو محمد الحنفي بدر الدين، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٤١. الغزالي، محمد الغزالي السقا، ١٤٢٧هـ، فقه السيرة، (ط ١)،

دمشق: دار القلم.

٤٢. فخر الدين الرازي محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين أبو عبدالله

التمي الرازي، ١٤٢٠هـ، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، (ط ٣)، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٤٣. الماوردي علي بن محمد بن محمد بن حبيب أبو الحسن البصري

البغدادي، تفسير الماوردي النكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، بيروت: دار الكتب العلمية.

٤٤. محمود بن إسماعيل بن إبراهيم بن ميكائيل الخيري، الدرّة  
الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء، الرياض: مكتبة  
نزار مصطفى الباز.
٤٥. مسلم بن حجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم،  
تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٤٦. المناوي محمد عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين  
الحدادي زين الدين القاهري، ١٣٥٦هـ، فيض القدير شرح الجامع  
الصغير، (ط١)، مصر: المكتبة التجارية الكبرى.
٤٧. النسائي أحمد بن شعيب بن علي الخراساني أبو عبدالرحمن  
١٤٢١هـ/٢٠٠١م، سنن الكبرى، تحقيق: حسن عبدالمنعم شلبي،  
(ط١)، بيروت: مؤسسة الرسالة.
٤٨. النووي يحيى بن شرف أبو زكريا محيي الدين، ١٣٩٢هـ، المنهاج  
شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (ط٢)، بيروت: دار إحياء التراث  
العرب.



## معالم رحمة النبي ﷺ

### في الحرب

## دراسة مقارنة مع الحروب المعاصرة

إعداد:

د. محمد علي أحمد الأعر

جامعة المجمعة

كلية التربية

قسم الدراسات الإسلامية



## تمهيد

الحمد لله الرحمن الرحيم، الرؤوف الحليم، الذي أرسل رسوله رحمة للعالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الغر الميامين، الرُحَمَاءِ الحُلَمَاءِ الطيبين، ومن سار على سبيلهم، واقتفى آثارهم إلى يوم الدين.  
أما بعد:

الرسالة المحمدية كانت ولا تزال وستظل -بإذن الله- إلى أن يرث سبحانه الأرض ومن عليها- رحمة للعالمين، نزلت لتتقدهم من الشرك والضلالات، وأتون الحروب والصراعات، وضياع الأخلاق، وشقاء القلوب والأرواح والأبدان البائسات، إلى نور التوحيد، واطمئنان القلوب، وإسعاد النفوس، وعز الدنيا والآخرة.

وإذا كانت الرسالة بهذا الوسم؛ فلا شك أن صاحبها كذلك، موسوم بالرحمة في أعلى صورها، وأكمل ما يكون عليه بشرٌ خُلق واختير لهذه المهمة الجليلة، والغاية النبيلة؛ قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال سبحانه: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَنت لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظًا لَّالْقَلْبِ لَأَنفَضُوا مِن حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فبلغ في رحمته المنزل المنيف، الذي لا يدانيه فيه بشر، كما بلغ ذلك في سائر أخلاقه.

هذا مع أن الله تعالى أرسله على حين فترة من الرسل، في زمن كان العالم يعاني فيه أزمة ظاهرة في القيم، وأبرزها قيمة الرحمة؛ وكاد هذا الخلق أن يكون معدوماً وقتها، وكانت الحروب مشتتة بين الشعوب والقبائل لأتفه الأسباب، بل من دون أسباب أصلاً، حرباً مدمرة طاحنة وفيها من الويلات الكثير والكثير، بلا قيم ولا أخلاق، في هذه الأجواء التي تفتقد الرحمة بكل معانيها ومظاهرها- أرسل الله تعالى نبيه؛ ليكون رحمة للعالمين، وليضع أسساً للتعامل تكون فيها الرحمة غالبية للخصومة، ويكون فيها العدل مضبوطاً بالرحمة، بل تكون فيها الحربُ نفسها قائمة على الرحمة.

إن كراهيتنا للحرب الشرسة المعاصرة -ذات الدوافع الدنيوية التي يقودها أعداء الإسلام اليوم- بصورتها، وأخبارها، وآثارها، والمناظر المصاحبة لها، من دماء وأشلاء، حتى أصبح يُخيل لنا أن البشرية فقدت صوابها، ولم تعد تدري لماذا القاتل يقتل، ولمَ المقتول قتل، ولا لِمَ الظالم ظلم، ولا كيف المظلوم انتقم؛ لهي من أهم الأسباب التي دفعتنا للحديث عن الأخلاق، وبخاصة خلق الرحمة في الحروب، لتذكر البشرية التائهة، أن ثمة خلقاً في الأرض يسمى الرحمة، قد يغني في مواطن كثيرة عن الحرب، والكراهية، ولتعلم البشرية أيضاً أن ثمة شخصاً تمثلت الرحمة في سيرته كلها، وكانت السلاح الذي حارب به خصومه، في مواطن عدة، حين حاربوه بالقوة والقسوة، والوسيلة التي جذب فيها كثيراً من الناس إلى دعوته، ونجح في نشر ثقافة الرحمة بين الناس حتى في الحرب.

لذا ارتأيت أن أكتب بحثاً في هذا المجال العلمي أبين فيه أخلاق النبي ﷺ ورحمته في تعامله مع غير المسلمين في الحرب وبعدها، من خلاله أشارك في المؤتمر الدولي «عن الرحمة في الإسلام»،

فأسميت بحثي:



## (معالم رحمة النبي ﷺ في الحرب - دراسة مقارنة مع الحروب المعاصرة)

### أهداف البحث:

- الوقوف على قواعد الحرب وضوابطها في الإسلام ومقارنتها بالحروب المعاصرة.
- إبراز المعاني والمقاصد السامية لرحمة الإسلام في معاملة العدو في الحرب.
- رصد التطبيقات العملية للرحمة في حروب النبي ﷺ.
- التعرف على جوانب الرحمة في سيرة المصطفى ﷺ.
- إبراز العنصر الأخلاقي الذي امتثله النبي ﷺ في الحرب.

### منهج البحث:

المنهج الاستقرائي، وذلك بجمع ما استطعت من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية المتعلقة بهذا الموضوع ودراستها دراسة تحليلية من خلال كتب التفسير والحديث والمغازي والسير، ومن ثم استخلاص جوانب الرحمة والتطبيقات العملية للحرب الرحيمة في سيرة المصطفى ﷺ.

### خطة البحث:

يتألف هذا البحث من مقدمة وثلاثة مباحث:

المقدمة: وفيها تعريف الرحمة، وأهميتها، وبيان منزلة رحمته ﷺ.

المطلب الأول: تعريف الرحمة.

المطلب الثاني: أهمية الرحمة.

المطلب الثالث: بيان منزلة رحمة النبي ﷺ .

المبحث الأول: رحمة النبي ﷺ وحرصه في تجنب الحرب .

المطلب الأول: دوافع حروب الرسول ﷺ

المطلب الثاني: حرص النبي ﷺ على حقن الدماء .

المبحث الثاني: رحمة النبي ﷺ في غير المحاربين (المدنيين)،  
والمستكرهين على الحرب والبيئة .

المطلب الأول: رحمة النبي ﷺ في المدنيين .

المطلب الثاني: رحمة النبي ﷺ في المستكرهين على الحرب .

المطلب الثالث: رحمة النبي ﷺ بالبيئة وعدم الفساد في الأرض .

المبحث الثالث: رحمة النبي ﷺ في الأسرى .

الخاتمة: وفيها أهم النتائج .





## المقدمة

وفيهما تعريف الرحمة، وأهميتها، وبيان منزلة رحمته ﷺ.

### المطلب الأول تعريف الرحمة

الرحمة في اللغة: تدل هذه الكلمة على معاني الرِّقة والعطف والرأفة والمغفرة والإحسان<sup>(١)</sup>.

ومعناها لا يدل على أنها انفعالات مجردة ومشاعر نفسية، لا أثر لها في العالم الخارجي، بل هي كما يقول الراغب الأصفهاني: «رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم»<sup>(٢)</sup>، وتستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة»<sup>(٣)</sup>، فالرحمة -إذن- هي من الكيفيات النفسية والانفعالات، ولكن لها عند المتصف بها أفعالاً وجودية، وآثاراً خارجية من الرفق بالمرحوم، والإحسان إليه، ودفع الضر عنه وإعانتة على المشاق<sup>(٤)</sup>.

(١) لسان العرب، ابن منظور، ١٧٣/٥، معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. (٤٩٨/٢)، انظر: الصحاح، الجوهري تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. (١٩٢٩/٥).

(٢) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ص ١٩٤

(٣) المرجع السابق

(٤) التحرير والتوير، الطاهر بن عاشور، تونس، الدار التونسية ١٩٨٤، (١٦٩/١).

فالرحمة ليست مجرد كلمة أو شعور ينتاب المرء، وإنما هي سلوك، وواقع له مظاهره.

ومقتضى الرحمة بين الخلق: الانتصار للمظلوم، والأخذ على يد الظالم، ونشر العدل والتراحم بين الناس، ومشاركتهم أفراحهم وأحزانهم.

## المطلب الثاني أهمية الرحمة

الرحمة في كمالها المطلق - صفة للرحمن الرحيم، تباركت أسماؤه؛ فإن رحمته تعالى شملت الكون كله علويه وسفليه؛ ولذلك كان من تسبيح الملائكة واستغفارهم: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧].

فهي صفة الخالق سبحانه؛ قال ﷺ: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»<sup>(١)</sup>.

ومن أسمائه تبارك وتعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١] وقال سبحانه عن نفسه: ﴿نَبِيٌّ عَبْدِي أَيُّ أَنَا الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩] وصفة رسوله ﷺ فهو رؤوف رحيم، وصفة أصحابه فهم رحماء بينهم، وصفة أمته فهي أمة مرحومة متراحمة، وصفة شريعته؛ فأينما وجدت المصلحة فتم شرع الله، وهذا منتهى الرحمة.

فرسالته ﷺ كلها رحمة، إذ هي تمثل سبيل الرشاد للتي هي أقوم، وتعاليمها وقيمها وأحكامها هي طوق النجاة، وسبيل التحرر من عبودية العباد والحجر والشجر إلى عبادة الله وحده رب العالمين.

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كُفْرُنَا لِعِبَادِنَا الْفُرْسَانِ﴾ [الصافات]:

وهي كذلك رحمة في مقاصدها، وتطبيقاتها، ووسائلها، وغاياتها؛  
قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

يقول الطاهر بن عاشور: «وحكمة تمييز شريعة الإسلام بهذه المزية أن أحوال النفوس البشرية مضت عليها عصور وأطوار تهيأت بتطوراتها، لأن تَسَاس بالرحمة، وأن تُدْفَع عنها المشقة إلا بمقادير ضرورية، لا تقام المصالح بدونها، فما في الشرائع السالفة من اختلاط الرحمة بالشدّة، وما في شريعة الإسلام من تمحض الرحمة- لم يجرف في زمن من الأزمان إلا على مقتضى الحكمة، ولكن الله أسعد هذه الشريعة والذي جاء بها، والأمة المتبعة لها بمصادفتها للزمن والطور الذي اقتضت حكمة الله في سياسة البشر أن يكون التشريع لهم تشريع رحمة إلى انقضاء العالم.

فأقيمت شريعة الإسلام على دعائم الرحمة والرفق واليسر؛ قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]. وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] وكذلك الرحمة صفة الأمة المرحومة التي وصفها نبيها بمثل قوله: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى»<sup>(١)</sup>.

قال السعدي: «يخبر تعالى عن رسوله ﷺ وأصحابه من المهاجرين والأنصار: أنهم بأكمل الصفات، وأجل الأحوال، وأنهم (أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ) أي: جادون ومجتهدون في عداوتهم، وساعون في ذلك بغاية جهدهم، فلم يروا منهم إلا الغلظة والشدّة، فلذلك ذلَّ أعداؤهم لهم، وانكسروا، وقهرهم المسلمون، ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: متحابون متراحمون متعاطفون، كالجسد الواحد، يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه»<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (٢٥٨٦).  
(٢) تفسير السعدي، تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر

## المطلب الثالث

### بيان منزلة رحمته

الرحمة كذلك صفة الرسول الأعظم ﷺ التي لا تتفك عنه أبداً، لا في سلمه ولا في حربه، ولا في حضره ولا في سفره.

وقد سماه ربه رؤوفاً رحيماً؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ لِي أَسْمَاءً، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحَشِّرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمَيَّ، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ، وَقَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ رُؤُوفًا رَحِيمًا»<sup>(١)</sup>.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] قال ابن كثير: «يخبر تعالى أن الله جعل محمداً ﷺ رحمة للعالمين، أي: أرسله رحمة لهم كلهم، فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة - سعد في الدنيا والآخرة، ومن ردّها وجحدّها خسِر في الدنيا والآخرة»<sup>(٢)</sup>.

وذكر القرطبي عن الحسين بن الفضل قوله: «لم يجمع الله لأحد من الأنبياء اسمين من أسمائه إلا للنبي محمد ﷺ؛ فإنه قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥] وقال الله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] يقول الشنقيطي عند تفسيره لهذه الآية: «ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه ما أرسل هذا النبي الكريم صلوات

السعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م (ص ٧٩٥).

(١) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ (٢٣٥٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم، (٥/ ٢٨٥).



الله وسلامه عليه إلى الخلائق إلا رحمة لهم؛ لأنه جاءهم بما يسعدهم، وينالون به كل خير من خير الدنيا والآخرة إن اتبعوه، ومن خالف ولم يتبع فهو الذي ضيع على نفسه نصيبه من تلك الرحمة العظمى»<sup>(١)</sup>.

ولقد تجلّت مظاهر رحمته ﷺ في حياته كلها، وحفلت بها سيرته العطرة، وامتألت بها شريعته المشرفة، فرحم ﷺ كل صغير وكبير، وقريب وبعيد، وامرأة وضعيف، بل شملت رحمته من حاربه، وجاء بشريعة كلها خير ورحمة للإنسانية، وما من سبيل يُوصّل إلى رحمة الله تعالى إلا بينه للناس، وحضّمهم على التزامه، وما من طريق تبعدهم عن رحمة الله تعالى إلا حذرهم منها؛ رحمة بهم، وشفقة عليهم؛ حتى كادت نفسه من حرصه الشديد على هدايتهم أن تهلك؛ فعاتبه ربه بقوله: ﴿لَعَلَّكَ بِنِعْمِ نَفْسِكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣] وكرّم نبي الرحمة ﷺ الإنسان، ورفع شأنه؛ لأن الله كرّمه وفضّله، وأنزل الناس منازلهم، وخاطب كل قوم بلسانهم، فكان لكل صنف من الناس حظ من خطاب رسول الله ﷺ ومعاملته ورحمته؛ فوَقَّرَ الكبير، ورحم الصغير، وكان في كل موقف تقتضيه الرحمة يرحم، فرحم في حربه وسلمه، رحم الأسير وعامله بالرفق واللين.

تعدّ رحمة النبي ﷺ بُعداً مهماً في شخصيته، وفي دعوته، ومن صميم شخصيته رسولاً ونبياً ومبلغاً عن ربه وهادياً للناس. وحينما نقرأ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء] ونقف أمام الآية ندرك سعة رحمة هذا النبي الكريم، وكيف كان ﷺ يفيض رحمة في خلقه وسلوكه وأدبه وشمائله. وإنه لتناسب وتآلف في أرقى مستوياته بين الرسالة والرسول في هذه الرحمة، حتى لا يُتصور أن يحمل عبء

(١) انظر: أضواء البيان، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، سنة الطبع: ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، (٤/ ٢٥٠، ٢٥١).

بلاغ هذه الرحمة إلى العالمين إلا رسول رحيم ذو رحمة عامة شاملة فياضة طبع عليها ذوقه ووجدانه، وصيغ بها قلبه وفطرته، فهو مثل أعلى للرحمة الإلهية لذلك وصفه الله تعالى بأنه رؤوف رحيم.

لقد أرسله الله تعالى رحمة للعالمين. رحمة شاملة للوجود بأجمعه. يستطيع المؤمنون الاستفادة من الرحمة التي كان يمثلها النبي ﷺ ذلك لأنه (بالمؤمنين رؤوف رحيم) ويستطيع الكافرون والمنافقون أيضاً - إلى جانب المؤمنين - الاستفادة من هذه الرحمة كذلك. فعندما قيل له: ادع على المشركين قال ﷺ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لِعَانًا؛ وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»<sup>(١)</sup>.

وكان لا يقرُّ الظلم ولا يرضى به، ويحذر منه الناس بمثل قوله: «إن الله يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا»<sup>(٢)</sup>؛ هكذا بإطلاق «الناس» أي: كل الناس، فلا ظلم لأحدٍ عدو أو صديق، في سلم أو حرب، وهذا المبدأ طبقه النبي صلى الله عليه بحذافيره في حروبه.

كانت رحمة النبي ﷺ قبل غضبه، بل إنه في الحرب كان يقاتل بشجاعة، ولكنه أيضاً كان صاحب شفقة عظيمة، كان سياسياً، ولكنه في الوقت نفسه صاحب مروءة كبيرة وقلب كبير، بينما كان المشركون جادّين في حملتهم لقتله كان أكثر رحمة بهم، وكان يدعو: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون». فهل يوجد أرحم من محمد ﷺ في مثل هذه اللحظات<sup>(٣)</sup>.

إن خصائص الرسول والرسالة تدل على أن رسالته الخاتمة وأنه خاتم الأنبياء، لقد بعث الله تعالى محمداً ﷺ، برسالته للناس جميعاً، مما يبين

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها (٢٥٩٩).

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق (٢٦١٣).

(٣) معالم رحمة النبي ﷺ، عراقى محمود حامد، رابط: [http://www.alukah.net/publications\\_compe](http://www.alukah.net/publications_compe)

.titons/0/41500/#ixzz3kzz5D7xq

لنا أنه النبي الخاتم، يقول تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا  
وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨] وهذا يقتضي عموم  
رسالته للناس كافة، ولأن رسالته عامة للناس جميعاً فلا نبي بعده، فهو  
خاتم الأنبياء، لذا جعله الله -تعالى- رحمة للعالمين مؤمنهم وكافرهم.



## المبحث الأول

### رحمة النبي ﷺ وحرصه في تجنب الحرب

مما لا شك فيه أن الرسول ﷺ إنما جاء رحمة للبشرية، وإنقاذاً لها من برائن الغواية والضلال، وإخراجاً لها من الظلمات إلى النور، وحتى يصل بالبشر جميعاً إلى أعلى مراتب الأخلاق الإنسانية في كل تعاملاتهم في الحياة، وقد صرَّح ﷺ بهذا الأمر حين قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»<sup>(١)</sup>.

ومن المعلوم أن العالمَ عامةً والعرب خاصةً في زمن نشأة النبي ﷺ، وقبل بعثته قد ذاق من ويلات الحروب الكثير والكثير، وكانت القبائل العربية تتقاتل فيما بينها لأنفة الأسباب، بل من دون أسباب أصلاً،

وقد جاء الإسلام العظيم لينتزع الناس من هذه الحياة بالغة السوء، ولينقلهم نقلة هائلة إلى حيث الأمن والأمان والهدوء والسكينة، ومن ثمَّ كان الرسول ﷺ أحرص ما يكون على إبعاد الناس تماماً عن الحروب، وعن كل ما يؤدي إليها، انطلاقاً من الرسالة السامية التي جاء بها من عند الله عز وجل نوراً وهدايةً وأمناً ورحمةً للإنسانية كلها<sup>(٢)</sup>.

(١) مستدرك الحاكم، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه (٤٢٢١). السنن الكبرى، البيهقي عن أبي هريرة وفيه «صالح» بدل «مكارم» (٢٠٥٧١) وصححه الشيخ الألباني، د، انظر: السلسلة الصحيحة (٤٥).

(٢) انظر: الرحمة في حياة الرسول ﷺ، راغب حنفي السرجاني، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٩م، ص ٢٥٥.





## المطلب الأول

### دوافع حروب الرسول ﷺ

إن الإسلام يسالم من سالمه قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١]، ولا يقاتل إلا من قاتله، أو منع دعوته.

فالحرب في الإسلام لا تهدف إلى إجبار الناس وقهرهم للدخول فيه، ولم يكن ذلك أبداً، لأنه يتعارض بشكل صريح مع المبدأ القرآني في عدم الإكراه في الدين، وإنما «جاهد» الإسلام ليدفع عن المؤمنين الأذى والفتنة التي كانوا يسامونها، وليكفل لهم الأمن على أنفسهم وأموالهم وعقيدتهم، وجاهد الإسلام لتقرير حرية الدعوة - بعد تقرير حرية العقيدة- فقد جاء الإسلام بأكمل تصور للوجود والحياة، وجاء بهذا الخير ليهديه إلى البشرية كلها، ويبلغه إلى أسماعها وقلوبها، فمن شاء بعد البيان والبلاغ فليؤمن، ومن شاء فليكفر، ولا إكراه في الدين. ولكن ينبغي قبل ذلك أن تزول العقبات من طريق إبلاغ هذا الخير للناس كافة، كما جاء من عند الله للناس كافة، وأن تزول الحواجز التي تمنع الناس أن يسمعوا وأن يقتنعوا وأن ينضموا إلى الإسلام إذا أرادوا. ومن هذه الحواجز أن تكون هناك نظم طاغية تصد الناس عن الاستماع إلى الهدى وتفتن المهتدين؛ لذلك فإن الجهاد موجه إلى هذه الطائفة التي تحارب الناس في حرياتهم وتلجم أسنتهم وتحجر على عقولهم، وحين لا تجدي الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة مع هؤلاء فإن آخر العلاج الكي، وإن هذه القلوب القاسية والعقول المتحجرة والنفوس الأمارة لا يصلحها إلا السيف<sup>(١)</sup>.

يقول الأستاذ العقاد: (إن الإسلام إنما يعاب عليه، أن يحارب بالسيف،

(١) انظر: الرحمة في القرآن الكريم، محمد عبد الكريم الحايك ص ١٠٦، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٩٣م.

فكرة يمكن أن تحارب بالبرهان، والإقناع، ولكن لا يعاب عليه أن يحارب بالسيف سلطة تقف في طريقه، وتحول بينه وبين أسماع المستعدين للإصغاء إليه، لأن السلطة لا تزال إلا بالسلطة، ولا غنى في إخضاعها عن القوة<sup>(١)</sup>.

فجاهد الإسلام ليحطم هذه النظم الطاغية، وليقيم مكانها نظاماً عادلاً يكفل حرية الدعوة إلى الحق في كل مكان، وجاهد الإسلام ليقوم في الأرض نظامه الصالح الرفيع؛ ليمتص البشرية كلها بالخير الذي جاء به، وبالرحمة التي حملها. وهو وحده النظام الذي يحقق حرية الإنسان، تجاه أخيه الإنسان، حينما يقرر أن هناك عبودية واحدة لله الكبير المتعال، ويلغي من الأرض عبودية البشر للبشر في جميع أشكالها وصورها، وعلى هذه القاعدة يقوم نظام أخلاقي رحيم، تكفل فيه الحرية لكل إنسان، حتى لمن لا يعتنق عقيدة الإسلام، وتضمن فيه حرمان كل أحد، وتحفظ فيه حقوق كل مواطن في الوطن الإسلامي أيّاً كانت عقيدته ولا يكره فيه أحد اعتناق عقيدة الإسلام<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم: (ومن تأمل سيرة النبي ﷺ تبين له أنه لم يكره أحدًا على دينه قط، وأنه إنما قاتل من قاتله، وأما من هادنه فلم يقاتله ما دام مقيماً على هديته لم ينقض عهده بل أمره الله تعالى أن يفي لهم بعهدهم ما استقاموا له... ولما قدم المدينة صالح اليهود وأقرهم على دينهم، فلما حاربوه ونقضوا عهده وبدؤوه بالقتال، قاتلهم فمنّ على بعضهم، وأجلى بعضهم، وقتل بعضهم، وكذلك لما هادن قريشاً عشر سنين لم يبدأهم بقتال حتى بدأواهم بقتاله، ونقضوا عهده، فعند ذلك غزاهم في ديارهم، وكانوا هم يغزونه قبل ذلك كما قصدوه يوم أحد ويوم الخندق

(١) انظر: موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية، دار الكتاب العربي بيروت ٢/٤٥.

(٢) انظر: السلام العالمي والإسلام ص ١٤-٦٧، ٣٤-٧٧.

ويوم بدر أيضاً هم جاءوا لقتاله، ولو انصرفوا عنه لم يقاتلهم<sup>(١)</sup>.

فليس الإسلام وحده هو المانع من القتل، وليس الكفر وحده هو الموجب له، وهذا ما قرره فقهاء المالكية والحنفية والحنابلة، أن مناط القتال هو الحراة والمقاتلة والاعتداء وليس الكفر؛ فلا يُقتل شخصٌ لمجرد مخالفته للإسلام، إنما يُقتل لاعتدائه على الإسلام، وغير المقاتل لا يجوز قتاله، وإنما يلتزم معه جانب السلم<sup>(٢)</sup>.

ولا ننسى أن نذكر هنا أن الحرب مظهر من أهم مظاهر القوة، ولم يزل القوي مسموع الكلمة، نافذ الرأي، مرهوب الجانب، ولم يزل منطق القوة هو المسيطر في علاقات الدول والجماعات والأفراد، وأما الضعيف فلا يكاد يسمع قوله، ولا يؤبه له في الواقع، وإن كان الحق والعدل في جانبه، ولن يستطيع حماية مصالحه وحقوقه المشروعة إن بقي على ضعفه<sup>(٣)</sup>، وقد جاءت مشروعية الجهاد في الإسلام لحماية المصالح الدينية والدنيوية للمسلمين، وعلى اعتبار أنه وسيلة تحمي به الحقوق والمصالح، لا لكونه غاية في حد ذاته، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وجاء في الحديث الصحيح ما يدل على أنه يكره للمسلم تمني لقاء العدو للقتال: «لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُّوْا اللّٰهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيْتُمْوَهُمْ فَاصْبِرُوا»<sup>(٤)</sup>.

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن قيم الجوزية ص(١٢).

(٢) المدونة الكبرى، الإمام مالك بن أنس: ٦/٣: فتح القدير، الشوكاني ٢٩١/٤.

(٣) العلاقات الدولية في الإسلام مقارنة بالقانون الدولي الحديث، وهبة الزحيلي، دار المكتبي للطباعة والنشر - سوريا (ص ٥).

(٤) البخاري، كتاب الجهاد، باب كان النبي إذا لم يقاتل أول النهار آخر القتال حتى تزول الشمس،

(٢٨٩٤)، ومسلم، كتاب الجهاد، باب كراهية تمني لقاء العدو، (١٧٤٢).

ولسنا نعني بحتمية الحروب أننا نشتهيها أو نترقب حدوثها، بل نحن على العكس من ذلك، فنحن المسلمين لا نجعل الحرب إلا آخر القرارات، ونهاية الحلول، ولا نسعى إليها إلا لردِّ حقٍّ، أو دفعِ شرٍّ، أو تأمينِ حياة. ومن شاء أن يدرس طبيعة الحروب الإسلامية؛ فيدرس طبيعة الإسلام ذاته حتى لا يُطبَّق على هذه الحروب مقاييس غيرها من حروب التوسُّع والعدوان<sup>(١)</sup>. التي مارسها القادة والزعماء أمثال الإسكندر المقدوني، وهولاكو، ونايليون، وهتلر،... وغيرهم الذين كانوا يدخلون الحرب بدوافع دنيوية بحتة، كالشهرة والتشفي والهوى، والمصالح العامة والخاصة، التي جعلت هؤلاء القادة يدخلون أرضاً ليست أرضهم، ويقاتلون أناساً أبرياء، ليسوا خصماً لهم، وكانت النتيجة قتل مئات الألوف، وتدمير مئات المدن، والمحصلة النهائية مزيد من القتل والدمار وعدم الاستقرار.

إن مقولة علماء الأخلاق (إن الأخلاقية تعني فن السيطرة على الأهواء)، تتحقق بجلاء في الفلسفة القتالية لدى النبي ﷺ، فأين هو من هؤلاء القادة، الذين عرفتهم البشرية، وما أكثرهم في الحروب اللاأخلاقية المعاصرة<sup>(٢)</sup>.

هذه حقيقة الإسلام، على عكس ما يروج له، ففي أشد لحظات قوته كان دينا ملزما أتباعه بأداب حضارية، وبأخلاق إنسانية لم تعرف لها البشرية مثيلاً إلى الآن. نعم لم تعرف لها البشرية مثيلاً وواقعا وتاريخنا شاهد على ذلك، فالحروب الصليبية جاءت إلينا من قوم اتهمونا زورا وبهتانا بالإرهاب وعدم التعايش، فكان السفك منهم والغدر والظلم ما دونوهم لا نحن، بدون ذنب جناه المسلمون، أو جريمة ارتكبتها الإسلام أو

(١) أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلامية، الدكتور عبداللطيف عامر: ص ٤٦، ٤٥..

(٢) انظر: مظاهر الرحمة للبشر في شخصية النبي ﷺ الدكتورة سارة آدم، الدكتور زيد عمر

الغيص، ص ٩١.

أحد باسمه، وإنما هو الغدر الغاشم، والحقد الأليم، والتعصب الأعمى، والمغالطات التي تقلب الحق باطلا، وتجعل الذنب رأساً، والرأس عقبا.

وفي العصر الحديث، كان التطهير العرقي للإسلام والمسلمين في أوروبا، ولا أدل على ذلك مما حدث في البوسنة والهرسك، وكوسوفا، وألبانيا، وغيرها. وفي الوقت الحاضر، جاءوا أيضا بأسباب كاذبة مضللة اعترفوا بها لاحقاً، منتهكين القوانين الدولية التي وضعوها بأنفسهم، فكان التدمير للأخضر واليابس في أفغانستان، والعراق، ولبنان، وفي كل بلد نرى قتالهم فيه من الانتهاك ما فيه، والتدمير والتعذيب، والاغتصاب، وسلب الحريات، وقتل المدنيين...

## المطلب الثاني

### حرص النبي ﷺ على حقن الدماء

من نظر إلى طبيعة أهل الجزيرة العربية قبل الإسلام وطبيعة حروبهم، يرى أن شهوة القتل في الحروب إفراس طبيعي لتلك البيئة القاسية التي كانوا يعايشونها، فحر الصحراء وجذب الحياة وشظف العيش قد ألقى بظلاله على نفوسهم، التي ورثت قسوتها من قسوة الطبيعة حولهم، وهذه القسوة كانت تترجم أحياناً بشكل همجي في الحروب.

وفي ظل هذه البيئة القاسية أشرق نور الرسالة المحمدية، وكان لا بد من وأد ترسبات البيئة القاسية من نفوس الأتباع وتوجيه سلوكهم، نحو أخلاقيات الرسالة القائمة على الرحمة والسماحة والصبر والعفو، وتثييط كل النوازع الغضبية من النفس، لذا كانت السنوات الأولى للرسالة في العهد المكي بمثابة مدرسة عملية للأتباع نحو التحلي بتلك الفضائل، وفي

العهد المدني حيث الحروب والمواجهة العسكرية كانت التوجيهات النبوية في أثنائها تهتم بحسم مادة التشفي أو الميل للقتل أو التسرع فيه، وذلك من خلال تثبيط تلك الموروثات التي ورثوها من طبيعة المجتمع وثقافته الدموية، لذا حرص النبي ﷺ في كل غزواته على التأكيد على مبدأ العفو من جهة، ومن جهة أخرى كانت تعاليمه تؤكد على تخفيف نائفة النفوس نحو التشفي أو الميل للقتل، بل نراه حريصاً على نشر ثقافة الرحمة بين الصحابة وتثبيط شهوة التسرع في القتل أو الحرص على إيقاعه، أو الإقدام عليه، وهذا يفسر قلة القتلى في حروبه مقارنة بالإنجازات التي حققها من خلالها<sup>(١)</sup>، ويمكن ملاحظة هذا المنهج من خلال ما يلي:

### أولاً: تربية الجند على عدم التسرع في القتل

كان النبي ﷺ يتعامل بحساسية شديدة مع مسألة سفك الدم، أو حتى التفكير في الإقدام عليه، وهذه الحساسية تظهر بشكل واضح في إحجامه عن الأمر بالقتل حتى مع توفر دواعيه، وذلك تربية لأصحابه بعدم اللجوء لهذا الإجراء حال التمكن إلا في حالات الضرورة القصوى، وبعض التجارب العملية من النبي ﷺ تقفل الباب حتى مع وجود مبررات الإقدام على قتل بعض المجرمين، وهذه التجارب لها الأثر في جيش النبوة على حسم فكرة الإقدام على القتل أو التسرع فيه، وتفتح المجال واسعاً أمام الذرائع المعززة لحقن الدماء، ومن الأمثلة الدالة على هذا الإجراء كثيرة.

ولعل موقف النبي ﷺ مع رأس الفكر الخوارجي ذي الخواصرة يوضح لنا رحمة النبي ﷺ، وحرصه الشديد على تربية أصحابه على حقن الدماء، وعدم التسرع في القتل، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: «بَيْنَمَا

(١) أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية، محمد أحمد المبيض، بحث فائز بالجائزة العالمية للسيرة النبوية في رابطة العالم الإسلامي، ص ١-٣.

نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ - وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اأَعْدِلْ! فَقَالَ: وَيَلَّكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ! قَدْ حَبَبْتُ وَخَسَرْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ فَقَالَ: دَعَهُ»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى «فَقَامَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ! قَالَ: لَا قَالَ: ثُمَّ أَدْبَرَ فَقَامَ إِلَيْهِ خَالِدٌ سَيْفُ اللَّهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ قَالَ: لَا»<sup>(٢)</sup>.

اتهم ذو الخويصرة النبي ﷺ بالظلم في توزيع الغنائم، وهذا الاتهام في حق رسول الله يعد من أعظم الجرائم، وهذا ما أثار الصحابة ﷺ عليه، ولم يجدوا كفارة لهذه الجريمة إلا بضرب عنقه، وهكذا تسارع كل من عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد ﷺ بالاستعداد لضرب عنقه وطلب الإذن بذلك من رسول الله، لكن النبي الأعظم منعهما من ذلك بالرغم من فداحة جرم هذا الرجل، وعلى الرغم من معرفة النبي ﷺ لحقيقة هذا الرجل حيث إنه سيكون أصل الخوارج في مستقبل الأمة الإسلامية، إلا أنه لم يعزز فكرة التسرع في القتل عند الأصحاب، بل نجده يبحث عن ذرائع وشبه تحول دون الإقدام على قتله أو الإساءة إليه.

ومنها موقف النبي ﷺ من رأس النفاق ابن أبي سلول، عندما أراد عمر بن الخطاب ﷺ أن يسفك دمه، فعن جابر بن عبد الله ﷺ، قال: كُنَّا فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمِعَهَا اللَّهُ رَسُولُهُ ﷺ قَالَ: «مَا هَذَا؟» فَقَالُوا كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٦١٠)، وكتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب من ترك قتال الخوارج للتألف، وأن لا ينفذ الناس عنه (٦٩٣٣)، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، (١٠٦٤).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (١٠٦٤).

الأنصاري يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال النبي ﷺ: «دعوها فإنها منتنة» قال جابر: وكانت الأنصار حين قدم النبي ﷺ أكثر، ثم كثرت المهاجرون بعد، فقال عبد الله بن أبي: أوقد فعلوا، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعي يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، قال النبي ﷺ: «دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»<sup>(١)</sup>

وهنا يظهر الهدي النبوي الرحيم في تعويد أصحابه على عدم التسرع في القتل وسفك الدماء، بل يعودهم الصبر والتأني، ووضع أهداف الرسالة وأخلاقياتها نصب أعينهم في كل موقف، فعلى الرغم من فداحة الجريمة، إلا أن النبي ﷺ قد أقفل باب تصفيته في وجه المتسرعين على الإقدام عليه، ودواعي الانتقام قوية في حق هذا الرجل، وأولى الناس بالانتقام منه هو رسول الله ﷺ وليس عمر رضي الله عنه، لكنها أخلاق محمد ﷺ الداعية للفكر الإسلامي الرحيم وتغليبها على كل النزوات والشهوات.

نلاحظ من الموقف السابق أن النبي ﷺ قد ذكر ذريعة تحول دون قتل عمر رضي الله عنه لابن أبي سلول حتى مع توفر كل دواعي القتل، وفي ذلك تربية للأصحاب على عدم اتخاذ قرار القتل أو التسرع به، أو الحرص على إيقاعه حتى مع توفر دواعيه، وهذه التربية كان لها دور كبير في حقن كثير من الدماء، وبالتالي قصرت فكرة الإقدام على القتل على حالات استثنائية تخضع لمقتضيات الضرورة القصوى، وهذه التربية آتت أكلها في كل معارك المسلمين التي تميزت بقلّة القتلى فيها، وعززت من تلك الصورة المثالية التي رسمتها الجيوش الإسلامية في فتوحاتها المتكررة، والتي تميزت بقلّة

(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّكَ الْأَعَزُّ مِنَّا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨] (٤٩٠٧)، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً (٢٥٨٤).



القتلى قياساً مع حجم تلك الفتوح، يقول المفكر والقانوني المعاصر مارسيل بوازار: «منذ الفتح العربي الإسلامي، كان المحاربون المسلمون قد فرضوا على أنفسهم روحاً من التسامح مع غير المسلمين، ومع الشعوب المغلوبة في زمن لم يكن فيه العنف يعرف شرعاً ولا عاطفة»<sup>(١)</sup>

### ثانياً: حقن الدماء عند إعلان الإسلام.

قد يكون قتل أحد الأعداء أمراً حتمياً نتيجة جرائمه السابقة في حق المسلمين، ولكن الأخلاق النبوية الرفيعة كانت تتجه إلى إعطاء هذا العدو فرصة أخيرة إذا أعلن إسلامه، مع أن هذا الإعلان غالباً ما يكون لتجنب القتل، ولكن رسول الله ﷺ كان يقبل إسلام الشخص مهما كان تاريخه العدائي، وليس في هذا إكراه في الدين، لأن الأصل في الأمور بالنسبة لهؤلاء أن الحكم بقتلهم قد صدر بالفعل، وقبول إسلامهم والعفو عنهم بعد صدور هذا الحكم هو منة من رسول الله ﷺ عليهم.

ومن أفضل الأمثلة على هذا الأمر ما رأيناه منه ﷺ عندما أنكر على أسامة بن زيد ﷺ قتله لمشرك محارب بعد أن أعلن إسلامه.

فعن جندب بن عبد الله البجلي أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً من المسلمين إلى قوم من المشركين، وإنهم اتقوا فكان رجل من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين قصد له قتلته، وإن رجلاً من المسلمين قصد غفلته، قال: وكنا نحدث أنه أسامة بن زيد، فلما رفع عليه السيف قال: لا إله إلا الله فقتله، فجاء البشير إلى النبي ﷺ فسأله فأخبره، حتى أخبره خبر الرجل كيف صنع، فدعاه فسأله فقال: «لم قتلته؟» قال: يا رسول الله، أوجع في المسلمين، وقتل فلاناً وفلاناً، وسمى له نفراً،

(١) الإسلام وإنسانية الإسلام Humanisme de l'islam، المفكر السويسري مارسال بوازار Marcel Boisard باللغة الفرنسية، ترجمه د. عفيف دمشقية، دار الآداب، بيروت، لبنان ص ٥٣.

وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقْتَلْتَهُ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: «وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»<sup>(١)</sup>.

فالرجل الذي في القصة كان قد أوجع في المسلمين، وقتل بالفعل عدداً من الصحابة، وحارب أسامة بن زيد ﷺ، ولما سقط السيف من يده، وشعر أن أسامة سيقتله قال: لا إله إلا الله! إن أي إنسان في مكان أسامة لعله سيأخذ نفس القرار الذي أخذه أسامة، فكل الظروف توحى أنه من العجيب أن يدخل الإيمان فجأة في قلب المقاتل المشرك عند رؤية السيف، لكن منهج رسول الله ﷺ في حقن الدماء كان ينتهز الفرص -ولو كانت واهية غير مقنعة- ليرحم بها المقاتل ويعفو عنه!

وفي موقف مشابهه أنكر الرسول ﷺ على خالد بن الوليد مثل هذا الأمر؛ فقد روى ابن عمر ﷺ قال: «بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يَحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا أَسْلَمْنَا، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ صَبَانًا صَبَانًا»<sup>(٢)</sup>، فجعل خالد يقتل منهم وَيَأْسِرُ، وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِّنَّا أَسِيرَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمَ أَمْرِ خَالِدٍ أَنْ يَقْتُلَ كُلَّ رَجُلٍ مِّنَّا أَسِيرَهُ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَقْتُلُ أَسِيرِي وَلَا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِّنْ أَصْحَابِي أَسِيرَهُ. حَتَّى قَدَمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَكَرْنَا لَهُ فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ»<sup>(٣)</sup> مرتين.

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله (٩٧).

(٢) صبا: يقال: صبا فلان: إذا خرج من دين إلى دين غيره، مأخوذ من قولهم: صبا ناب البعير: إذا طلع، وصبأت النجوم: إذا خرجت من مطالعها، وكانت العرب تسمى النبي ﷺ الصابئ، لأنه خرج من دين قريش إلى دين الإسلام. انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/٣).

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة (٤٠٨٤)، وكتاب الأحكام، باب إذا قضى الحاكم بجور أو خلاف أهل العلم فهو رد (٦٧٦٦).

فلما رجعت السريّة ذكروا ما حصل في هذه السريّة لقائدهم ﷺ  
فأنكر على خالد فعله ولم يوافق عليه، وتبرأ من صنيعه أمام الله تعالى<sup>(١)</sup>.

لقد كان هذا تعليماً للأمة كلها، وتحذيراً شديداً من القتل في غير  
محله، بل هو في الوقت نفسه حرص شديد من النبي ﷺ على تفادي  
القتل عند أول فرصة تسنح بذلك، مما يؤكد لنا أن القتال في الإسلام  
إنما هو أمر لا يكون إلا عند الحاجة الماسّة إليه، ومتى وُجِدَت آيةُ فرصة  
للخروج من القتال وحفظ الدماء؛ كان الأخذ بها هو منهج الإسلام ومنهج  
الرسول ﷺ.

### ثالثاً: عرض مبدأ الأمان في مقابل حقن الدماء<sup>(٢)</sup>

كثيراً ما نرى الأقوياء يتسلطون بقوتهم على ضعفاء العالم، فإذا هناك  
تاريخ عداة قديم، وثار موروث عبر الأجيال فإن المجازر تصبح متوقعة  
جداً عند تمكن قوي من ضعيف!

والذي يُراجع تاريخ مكة مع رسول الله ﷺ يتوقع -بلا ريب- انتقاماً  
شرساً من أولئك الذين أوقعوا الظلم بالمسلمين على مدار أكثر من  
عشرين سنة، لكننا لم نر هذا الانتقام، ولا معشاره! بل رأينا رغبة حقيقية  
في حقن الدماء حتى قبل إعلان الإسلام! وحتى نطلع سويّاً على صورة  
جليّة واقعية لهذه الرغبة فلنعد إلى بقية قصة أبي سفيان يوم فتح مكة،  
لقد قبل رسول الله ﷺ إسلام أبي سفيان مع ترده الواضح في إعلان  
إسلامه، ولكنه ﷺ لم يكن يفكر في حقن دمّ أبي سفيان وحده، إنما كان

(١) قال ابن حجر: «وأما خالد فحمل هذه اللفظة على ظاهرها؛ لأن قولهم: صبأنا أي: خرجنا من  
دين إلى دين، ولم يكتف خالد بذلك حتى يصرحوا بالإسلام». وقال الخطابي: «يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ  
خالد نَقَمَ عَلَيْهِمُ الْعُدُولَ عَنْ لَفْظِ الْإِسْلَامِ لِأَنَّهُ فَهَمَ عَنْهُمْ أَنْ ذَلِكَ وَقَعَ مِنْهُمْ عَلَى سَبِيلِ الْأَنْفَةِ، وَلَمْ  
يَنْقَادُوا إِلَى الدِّينِ؛ فَقَتَلَهُمْ مَتَاوَلًا».. وانظر: فتح الباري (٥٧/٨). الخطابي، أبو سليمان، أعلام  
الحديث (١٧٦٥/٣)

(٢) الرحمة في حياة الرسول ﷺ، ص ١٧٧ وما بعدها.

مشغولاً بحقن دماء شعب مكة بكامله! لذلك عندما قال له العباس: يا رسول الله، إن أبا سفيان يحب الفخر، فاجعل له شيئاً، لم يتردد في قبول ذلك، بل انتهزها فرصة وجعل الأمان لأهل مكة جميعاً، فقال: نعم، «مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى السَّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَعْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ»<sup>(١)</sup>.

والمطلع على مجريات الغزوة وطريقة الترتيب والتكتيك العسكري لفتح مكة وفي وصية النبي ﷺ لقادته، كلها توضح حرص النبي ﷺ في حقن دماء أهل مكة<sup>(٢)</sup>.

إننا لا يمكن أن نتصور مدى النبَل الذي في هذا الموقف إلا أن نضع أنفسنا في ذات الموقف، ولنكن صادقين مع أنفسنا، وليكن العالم صادقاً مع نفسه. هل يفعل ذلك أحد غير رسول الله ﷺ؟!؟

أما زال هناك من يدّعي أن الإسلام دين إرهاب وعنف؟!؟

#### رابعاً: قبول فكرة إنهاء الحرب

إنّ الجيوش المنتصرة غالباً ما ترفض أيّ اقتراحات تُشير إلى وقف القتال، أو عدم الإسراف في سفك الدماء؛ ذلك لأنها تعد تقدمها فرصة سانحة لإجهاض أي محاولة لقيام عدوها من جديد. ومن ثمّ أصبح متعارفاً بين الناس أنّ الضعيف فقط هو الذي يطلب السلام، وأنّه ما دام بالجيش قوة فلا بدّ أن يكمل المسيرة، ولا يُنظرُ هنا إلى الأرواح التي تُرهِقُ، ولا إلى الخراب الذي ينتشر، فالهدف هو إقصاء العدو تماماً، ليس فقط عن ساحة القتال، ولكن عن الحياة بكاملها!

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة (١٧٨٠).

(٢) انظر التفاصيل، دروس عسكرية من السيرة النبوية، محمود شيت خطاب، وعبد اللطيف زايد، الناشر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، فتح مكة ص ١١٨ وما بعدها.

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَنْظُرُ لِلْحَرْبِ عَلَى أَنَّهَا ضَرُورَةٌ اضْطِرَّارِيَّةٌ لَا يُرِيدُهَا وَلَكِنْ دُفِعَ إِلَيْهَا دُفْعًا، وَيَنْظُرُ إِلَى عَدُوِّهِ الَّذِي يِقَاتِلُهُ عَلَى أَنَّهُ رَجُلٌ جَهْلٌ الْإِسْلَامَ فَحَارِبُهُ، وَلَوْ عَرَفَهُ لَدَخَلَ فِيهِ، وَلِدَافِعِ عَنْهُ؛ وَلِذَلِكَ نَرَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - فِي حُرُوبِهِ - حَرِيصًا عَلَى انْتِهَازِ الْفُرْصِ لِحَقْنِ دِمَاءِ عَدُوِّهِ، وَمُسْتَعِدًّا لِذَلِكَ اسْتِعْدَادًا كَامِلًا، مِمَّا أَنْتَجَ لَنَا سَجَلًا حَافِلًا بِالْمَوَاقِفِ الَّتِي يَرَاهَا عَمُومُ النَّاسِ عَجِيبَةً، وَلَوْ دَرَسُوا الْإِسْلَامَ لَعَرَفُوا أَنَّهَا لَيْسَتْ إِلَّا بِنُودِ هَذَا الشَّرْعِ الرَّحِيمِ<sup>(١)</sup>.

وَلَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ هَوَاةِ الْحَرْبِ، بَلْ كَانَ يَنْأَى عَنْهَا مَا وَجَدَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا؛ وَلِذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْرَضُ الْإِسْلَامَ أَوْ الْجِزْيَةَ أَوَّلًا، فَإِنْ أَصْرَ الْعَدُوُّ عَلَى الْقِتَالِ، حَارَبَ الرَّسُولَ ﷺ، وَلَكِنَّهُ لَا يَغْلِقُ بَابَ الْمَسَالْمَةِ؛ فَإِنْ رَغِبَ الْعَدُوُّ فِي الصَّلْحِ حَتَّى بَعْدَمَا تَظْهَرُ بِشَائِرِ النَّصْرِ لِلْمُسْلِمِينَ، كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَقْبَلُ الصَّلْحَ، وَيُقْرَهُ، مِنْ ذَلِكَ مَا حَدَثَ فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ؛ حَيْثُ يَقُولُ ابْنُ كَثِيرٍ: «فَلَمَّا أُيْقِنُوا بِالْهَلَكَةِ، وَقَدْ حَصَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْمًا نَزَلَ إِلَيْهِ ابْنُ أَبِي الْحَقِيقِ؛ فَصَالَحَهُ عَلَى حَقْنِ دِمَائِهِمْ، وَيُسَيِّرَهُمْ، وَيُخْلُونَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَالْأَمْوَالِ وَالصَّفْرَاءِ وَالْبَيْضَاءِ وَالْكَرَاعِ وَالْحَلِيقَةِ وَعَلَى الْبَزِّ، إِلَّا مَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ إِنْسَانٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَبَرَّتْ مِنْكُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ إِنْ كَتَمْتُمْ شَيْئًا، فَصَالِحُوهُ عَلَى ذَلِكَ»<sup>(٢)</sup>.

وَفِي غَزْوَةِ بَدْرِ الْكُبْرَى أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَسْتَنْفِدَ كُلَّ وَسَائِلِ الصَّلْحِ وَالسَّلَامِ قَبْلَ أَنْ يَخُوضَ الْمَعْرَكَةَ، فَمَا أُرْسِلَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، فَأَرَادَ أَنْ يَبَادِرَ بِمَبَادِرَةِ السَّلَامِ لِیَرْجِعَ الْجَيْشَانِ إِلَى دِيَارِهِمَا، فَتُحَقَّنَ الدِّمَاءُ، أَوْ لِیَقِيمَ الْحُجَّةَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، فَلَمَّا نَزَلَ الْجَيْشُ الْوُثْقَى أَرْضَ بَدْرِ أُرْسِلَ

(١) الرحمة في حياة الرسول ﷺ ص ٢٨٧، ٢٨٨.

(٢) السيرة النبوية، ابن كثير، (٣/٣٧٧)، وانظر: دلائل النبوة، البيهقي (٤/٢٢٦).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ إِلَى قُرَيْشٍ، وَقَدْ كَانَ سَفِيرَهُمْ فِي  
الْجَاهِلِيَّةِ، فَنصَحَهُمْ عَمْرٌ بِالرَّجُوعِ إِلَى دِيَارِهِمْ حَقْنَ لِلدَّمَاءِ. فَتَلَقَفَهَا  
حَكِيمُ بْنُ حَزَامٍ أَحَدَ عَقَلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: قَدْ عَرَضَ نَصْفًا، فَاقْبَلُوهُ،  
وَاللَّهِ لَا تُتَّصَرُونَ عَلَيْهِ بَعْدَ مَا عَرَضَ مِنَ النَّصْفِ. فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: وَاللَّهِ لَا  
نَرْجِعُ بَعْدَ أَنْ أَمَكَّنَّا اللَّهَ مِنْهُمْ<sup>(١)</sup>. فَاَنْظُرْ حَرَصَ الرَّسُولِ عَلَى حَقْنِ الدَّمَاءِ  
وَحَرَصَ أَبِي جَهْلٍ عَلَى سَفْكِ الدَّمَاءِ، وَاَنْظُرْ إِلَى هَذِهِ الْقِيَمَةِ الْحَضَارِيَّةِ  
الَّتِي يَسْجُلُهَا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ: الْحَوَارِ قَبْلَ الصَّدَامِ<sup>(٢)</sup>.

وَفِي غَزْوَةِ بَنِي الْمِصْطَلِقِ، وَبِرْغَمِ انْتِصَارِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَسْرَهُمْ مِئَةَ بَيْتٍ  
مِنْ بَنِي الْمِصْطَلِقِ، إِلَّا أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ حَقَّنَ دَمَاءَهُمْ، وَلَمْ يَفْعَلْ كَقَادَةِ  
الْجِيُوشِ وَقْتَهَا أَوْ الْآنَ؛ فَيَقْتُلُهُمْ، وَيَقْضِي عَلَيْهِمْ، بَلْ زَادَ الرَّسُولَ ﷺ عَلَى  
الْإِبْقَاءِ عَلَى حَيَاتِهِمْ أَنْ أَعْتَقَ جَوِيرِيَّةَ بِنْتِ الْحَارِثِ سَيِّدِ بَنِي الْمِصْطَلِقِ،  
وَتَزَوَّجَهَا؛ فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: أَصْهَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَأَطْلَقُوا سَرَاحَ جَمِيعِ  
مَنْ بِأَيْدِيهِمْ مِنَ السَّبْيِ<sup>(٣)</sup>.



(١) المغازي، الواقدي - (١ / ٦٢).  
(٢) الأخلاق النبوية في الصراعات السياسية والعسكرية، محمد مسعد ياقوت، ص ٤٠.  
(٣) انظر: سنن أبي داود، كتاب العتق، باب في بيع المكاتب إذا فسخت الكتابة (٣٩٣١)، المسند، الإمام أحمد (٢٨٤/٤٣) رقم (٢٦٣٦٥).

## المبحث الثاني

### رحمة النبي ﷺ في غير المحاربين (المدنيين)، والمستكرهين على الحرب والبيئة

حين يحارب الإسلام أو يجاهد لغاياته السامية الرفيعة، الطاهرة من أي هدف أو غاية من غايات الدنيا من طلب الرغبة في التسلط والسيطرة، والمبرأة من الطمع في المال والثروة، فحربه أخلاقية وجهاده «إنساني»، لا يقصد فيه إلى التكيل والتقتيل والتدمير، وما يجوز أن يمس الأبرياء والضعفاء، ولا أن تتجاوز غايتها الأولى من إزالة قوى الشر والظلم، أو إخضاعها لتأمين الإنسانية شرها وليست هناك نية للإبادة أو التشفي أو الاستذلال...<sup>(١)</sup>

فتميّزت الحروب النبوية بأنها حروب غير دموية، بمعنى أنها لم يكن فيها ما يُعرف الآن بجرائم إبادة الشعوب، حيث نجد فيما يُسمى «بحضارات» العالم الحديثة أن بعض الزعماء أخذوا قرارات نتج عنها إفناء لَكُمْ هائل من البشر في مدينة أو دولة أو أحياناً قارة! لكن حروب رسول الله ﷺ لم تكن على هذه الصورة، ذلك أنه -كما سبق- كان حريصاً على تجنب في القتال ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وإذا اضطر إليه حاول أن ينهيه بسرعة، وأثناء القتال نفسه كان يحفظ دماء المدنيين، وكذلك

يحفظ دماء المستكرهين على القتال، ثم بعد القتال كان يعفو إذا ملك، ويسامح ويرحم إذا غلب. فجاءت حروبه على مستوى من الرقي لا تعرفه -بل لا تفهمه- «الحضارات» الحديثة<sup>(1)</sup>

فالحرب في نظر الإسلام ليست ثأراً، ولا حباً في سمعة، ولا رغبة في مكسب. فهي تأديب وشفقة على الصادين رحمة الله المبتعدين بأنفسهم عن الخير. ولهذا فلا مثلة ولا غدر، ولا قتل للنساء والصبيان، ولا تجويع للأعداء، ولا تدمير، ولا هدم ولا تحطيم ولا إفساد.

فالإسلام لم يترك الحرب دون قيود أو قانون، وإنما وضع لها ضوابط تحد من القتل والتدمير، وجعلها مضبوطة بالأخلاق، ولا تُسَيِّرُهَا الشهوات، كما جعلها ضد الطغاة والمعتدين، لا ضد الأبرياء والمسلمين، وسأتناول أبرز هذه القيود الأخلاقية فيما يلي:

## المطلب الأول

### رحمة النبي ﷺ في المدنيين

«إِنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ، وَلِينِ الْجَانِبِ، وَالرَّحْمَةَ بِالضَّعِيفِ، وَالتَّسَامُحَ مَعَ الْجَارِ وَالْقَرِيبِ تَفْعَلُهُ كُلُّ أُمَّةٍ فِي أَوْقَاتِ السَّلَامِ مَهْمَا أَوْغَلَتْ فِي الِهْمَجِيَّةِ، وَلَكِنْ حُسْنَ الْمَعَامَلَةِ فِي الْحَرْبِ، وَلِينِ الْجَانِبِ مَعَ الْأَعْدَاءِ، وَالرَّحْمَةَ بِالنِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ وَالشُّيُوخِ، وَالتَّسَامُحَ مَعَ الْمَغْلُوبِينَ، لَا تَسْتَطِيعُ كُلُّ أُمَّةٍ أَنْ تَفْعَلَهُ، وَلَا يَسْتَطِيعُ كُلُّ قَائِدٍ حَرْبِيٍّ أَنْ يَتَّصِفَ بِهِ؛ فَالْعَدَاءُ يُوَجِّجُ نِيرَانَ الْحَقْدِ وَالْغَضَبِ، وَنَشْوَةَ النَّصْرِ تُسَكِّرُ الْفَاتِحِينَ؛ فَتَوْقَعُهُمْ فِي أَبْشَعِ أَنْوَاعِ التَّشْفِيِّ وَالْإِنْتِقَامِ، ذَلِكَ هُوَ تَارِيخُ الدُّوَلِ قَدِيمِهَا وَحَدِيثِهَا، بَلْ هُوَ تَارِيخُ



الإنسان منذ سفك قابيل دم أخيه هابيل: ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

فقد حرم الإسلام قتل المدنيين: كالنساء والأطفال والشيوخ والمرضى والجرحى والمتعبدين في معابدهم.... قال تعالى: ﴿وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠] والعدوان يكون بتجاوز المحاربين المعتدين إلى غير المحاربين من الأمنيين المسلمين الذين لا يشكلون خطراً على الدعوة الإسلامية ولا على الجماعة المسلمة، كما يكون بتجاوز آداب القتال التي شرعها الإسلام، ووضع بها حداً للجرائم والأعمال الوحشية التي عرفتها حروب الجاهلية القديمة والحديثة على السواء...»<sup>(١)</sup>.

وتقريراً لذلك التوجيه القرآني فقد كان من أبرز أخلاق النبي في حروبه خلق الرحمة؛ فلقد كان رسول الله رحيمًا بالطفل الصغير، والشيوخ الكبير، والنساء والمرضى والعواجز، والعباد المنقطعين للعبادة وغيرهم، وقد ظهر هذا جلياً في وصايا النبي ﷺ، فقد كان يوصي قادة الجند بالتقوى ومراقبة الله؛ ليدفعه إلى الالتزام بأخلاق الحروب، وبالرحمة في معاملة الناس، فعن بريدة رضي الله عنه عن أبيه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية أبي داود: عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال:

(١) الرحمة في القرآن الكريم، محمد عبدالكريم الحايك ص ١٠٧، مرجع سابق، وانظر: السياسة الشرعية، ابن تيمية، ص ٩٣٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصية إياهم بأداب الغزو وغيرها (٤٦١٩).

«انطلقوا باسم الله، وباللغة، وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخاً فانياً. ولا طفلاً، ولا صغيراً، ولا امرأة، ولا تغلوا، وضموا غنائمكم، وأصلحوا ﴿وَاحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]»<sup>(١)</sup>.

وكان رسول الله ﷺ ينهى عن قتل النساء؛ فعن رباح بن ربيع قال قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ فَرَأَى النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ عَلَى شَيْءٍ فَبَعَثَ رَجُلًا، فَقَالَ: أَنْظِرْ عَلَامَ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ؟ فَجَاءَ فَقَالَ: عَلَى امْرَأَةٍ قَتِيلَةٍ. فَقَالَ: مَا كَانَتْ هَذِهِ لَتُقَاتَلَ قَالَ: وَعَلَى الْمُقَدِّمَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَبَعَثَ رَجُلًا. فَقَالَ: قُلْ لِحَالِدٍ لَا يَقْتُلَنَّ امْرَأَةً وَلَا عَسِيفًا»<sup>(٢)</sup>.

وكان إذا أخطأ المسلمون في حروبهم مع عدوهم، وقتلوا أطفالاً صغاراً، كان ذلك يُغضب رسول الله أشد الغضب، ومثال ذلك ما رواه الأسود بن سريع: أن رسول الله بعث سريةً يوم حنين فقاتلوا المشركين، فأفضى بهم القتل إلى الذرية فلما جاءوا قال رسول الله: «ما حملكم على قتل الذرية؟» قالوا: يا رسول الله، إنما كانوا أولاد المشركين. قال: «أوهل خياركم إلا أولاد المشركين؟! والذي نفس محمد بيده ما من نسمة تولد إلا على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها»<sup>(٣)</sup>.

والناظر في وصايا النبي ﷺ يدرك تماماً كرم أخلاقه، وأنه جاء رحمة للعالمين، فلم يجعل النبي ﷺ المدنيين كالشيوخ والأطفال والنساء هدفاً للحرب، بل نهى عن قتلهم وإيذائهم، ونهى عن الغدر والتمثيل بالقتلى والخيانة.

(١) سنن أبي داود: كتاب الجهاد، باب في دعاء العدو (٢٦١٤)، السنن الكبرى، البيهقي (١٧٩٢٢).

(٢) «التمهيد»، ابن عبد البر ٢٤ / ٢٢٢ من طريق أبي داود، والحديث إنسانه حسن لغيره. سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في قتل النساء (٢٦٦٩)، سنن ابن ماجه (٢٨٤٢)، مسند الإمام أحمد (١٧٦٤٧)، مستدرک الحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٢٥٦٥). وقال الألباني: صحيح. انظر السلسلة الصحيحة (٧٠١) ..

(٣) مسند الإمام أحمد (٤٥٣/٢٤) ح (١٥٦٢٦)، والحاكم في المستدرک وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» (٢٥٦٦)، وقال الألباني: صحيح. انظر: السلسلة الصحيحة (٤٠٢).

فعن صفوان بن عسال قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية، فقال: «سيروا باسم الله وفي سبيل الله. قاتلوا من كفر بالله، ولا تمثلوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليدا»<sup>(١)</sup>.

ومما يؤكد ذلك أيضا ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيوشه قال: «اخرجوا باسم الله تقاتلون في سبيل الله من كفر، لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الولدان، ولا أصحاب الصوامع»<sup>(٢)</sup>.

وعندما بعث النبي ﷺ عبدالرحمن بن عوف إلى دومة الجندل وبعد أن عممه وسلمه السيف قال له: «اغزوا جميعا في سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله، لا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا، فهذا عهد الله وسيرة نبيكم فيكم»<sup>(٣)</sup>.

فما أعظم هذه الوصية وما أكبر أثرها، فهي سبيل لاستمالة القلوب وتأليفها لصالح الإسلام وأهله.

بهذه الوصايا أقبل الناس على اعتناق الإسلام بسلام دون مزيد من إراقة الدماء، وذلك لما اشتمل عليه الإسلام من أمان وتوحيد؛ لأنهم غلبوا جانب التبشير على التشديد والتفجير، وكان الاعتماد على التبشير أكثر من الإنذار والتهديد، مما حدا بالناس على الإقبال على دين اليسر؛ وذلك لأن الإسلام لا يعرف حقدا ولا ضغينة، ولا يريد شرا بأحد.

(١) مسند الإمام أحمد، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره (٢٤٠/٤)، سنن ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب وصية الإمام، قال الشيخ الألباني: حسن صحيح (٢٨٥٨)، سنن الدارمي، كتاب السير، باب وصية الإمام في السرايا (٢٤٣٩)، السنن الكبرى: النسائي (٢٦٠/٥) رقم (٨٨٢٧).

(٢) مسند الإمام أحمد، وقال: الشيخ شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره (٣٠٠/١). مسند أبي يعلى، وقال حسين سليم أسد: إسناده صحيح (٥٩/٥) (٢٦٥٠)، الطبراني، المعجم الكبير ١/٢٢٤ (١١٥٦٢)، السنن الكبرى: البيهقي ٩٠/٩ (١٨٦١٨).

(٣) الحاكم، المستدرک على الصحيحین، کتاب الفتن والملاحم، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتابعه الذهبي: (٨٦٢٣)، وانظر: الطبقات، ابن سعد، (٨٩/٢)، ابن هشام، السيرة النبوية عن ابن إسحاق (١٧٩/٤).

إذن بهذه الأخلاق انتشر الإسلام وعم الخير في جميع أنحاء هذا الكون، ولكن عندما أقصي الإسلام عن واقع الحياة انتشر الفساد وعمت الفوضى، ثم أصبحنا لقمة سائغة لعدونا، فتكالبت على الإسلام الأمم، وحاربوا المسلمين واحتلوا بلادهم واستخدموا كل أساليب الفتك والقتل والظلم باسم الديمقراطيات الزائفة والحريات المصطنعة.

ولو قارنا بين وصايا النبي ﷺ لقادته وأمرائه، وبين وصايا أمم الكفر لوجدنا مفارقة عجيبة بين هذه وتلك، فالقتال في الإسلام كان من أجل تحقيق العدالة، ووصايا الحرب تلك كانت بمثابة تشريعات للحرب المقدسة التي كان يخوضها المسلمون ضد أعدائهم، والتي توضح بجلاء أي نوع من الحرب كان المسلمون يمارسونها ضد الأعداء باختلاف مشاربهم، وتعدد عداوتهم. لقد كانت بشهادة الأعداء قبل الأصدقاء - حرباً فروسية بمعنى الكلمة، لم يشهد، ولن يشهد التاريخ لها مثيلاً -، إن التأكيد في تلك الوصايا بالالتزام بالأخلاق الإسلامية السامية في التعامل مع الأعداء لأمر يثير الدهشة حقاً.

## المطلب الثاني

### رحمة النبي ﷺ في المستكرهين على الحرب

كما لا يجوز أن تتعدى الحرب إلى المدنيين الذين لا يشتركون فيها، كذلك لا يجوز قتال بعض الذين يشتركون في الحرب رغماً عنهم، ولا ينبغي قتال الخدم الذين لا يملكون من أمر أنفسهم شيئاً إلا إذا قاتلوا، أو كان لهم رأي في تدبير الحرب رأي ومكيدة.

في الحروب المعاصرة اليوم يوجد الكثير من الجنود المحاربين

من الرجال أو من النساء يدفعون للقتال على الرغم من أنفسهم، أو يستخدمون كدروع بشرية لمواجهة آلة الحرب العسكرية، وهذا ما نشاهده ونسمعه عن الأنظمة العسكرية التي تدعي التمدن والحضارة والرفقي؛ ولكن أين هم من أخلاق النبوة؟!

من أخلاق النبي ﷺ في الحروب أنه كان يعذر أولئك الذين أكرهوا على القتال، فقد نهى عن قتل من خرج مستكرهاً من المشركين، برغم أن ذلك في ميدان القتال والحرب، والمتعارف عليه بين جميع البشر أن من يقتلك تقتاله، ولكن الرسول ﷺ كان يأخذ بروح القاعدة وليس بنصها؛ لذا فهو قد يأسر المستكره لكي يتجنب مقاتلته ويجنبه القتال أيضاً، ولكن لا يقتله إلا إذا أصر على القتال؛ فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لأصحابه قبيل غزوة بدر: «إني قد عرفت أن رجلاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البختري بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبد المطلب، عم رسول الله ﷺ فلا يقتله فإنه إنما أخرج مستكرهاً»<sup>(١)</sup>.

ولم تكن حالات الحرب والقتال لتخرج النبي ﷺ عن أخلاقه السامية، وعن رحمته التي يتحلى بها حال السلم؛ لذا فقد كان يرحم الغلمان وصغار السن الذين لا يملكون أمرهم، ويأتون للحرب ضد المسلمين أو لمعاونة ساداتهم، مع أن تلك المساعدة هي من صميم أعمال الحرب، لكنه ﷺ كان يرحم طفولتهم، ويعذرهم لأنهم جيء بهم ولا يملكون أمرهم<sup>(٢)</sup>.

ففي غزوة بدر روى ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ بعث علي بن أبي

(١) السيرة النبوية، ابن هشام: ٦٢٨/١، السيرة النبوية، ابن كثير: ٤٣٦/٢، وانظر: الرحمة في حياة الرسول ﷺ، ص ٢٩٠.

(٢) انظر: الرحمة في حياة الرسول ﷺ، ص ١٩١، ١٩٢.

طالب، والزيير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، في نفر من أصحابه، إلى ماء بدر، يلتمسون الخبر له عليه - فأصابوا راوية<sup>(١)</sup> لقريش فيها أسلم، غلام بني الحجاج، وعريض أبو يسار، غلام بني العاص بن سعيد، فأتوا بهما فسألوهما، ورسول الله ﷺ قائم يصلي، فقالا: نحن سقاة قريش، بعثونا نسقيهم من الماء. فكره القوم خبرهما، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان، فضربوهما. فلما أذلقوهما<sup>(٢)</sup> قالوا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما. وركع رسول الله ﷺ، وسجد سجديته، ثم سلم، وقال لهم: «إِذَا صَدَقَاكُمْ ضَرْبْتُمُوهُمَا، وَإِذَا كَذَبَاكُمْ تَرَكْتُمُوهُمَا، صَدَقًا، وَاللَّهُ إِنَّهُمَا لِقُرَيْشٍ...»<sup>(٣)</sup>. مع أن هذين الغلامين اللذين ضربا كانا يمدان الجيش المعادي بالماء، ومشاركين في أعمال العداء إلا أن النبي ﷺ تركهما بعد حوار معهما عن قريش ولم يقتلهم مع أنها حالة حرب رحمة بطفولتهم أولاً، وثانياً لأنهما خرجا مكرهين للقتال.

### المطلب الثالث

#### حرص النبي ﷺ على البيئة وعدم الفساد في الأرض

منطلق الإسلام في الحفاظ على البيئة هو منطلق أخلاقي بحت، فالنبي ﷺ علمنا أن المخلوقات الموجودة في البيئة أمم مثلنا تسبح الله، وهو ما يجعل لها حقوقاً في الحفاظ عليها، وعدم إتلافها أو قتلها إلا للمصالح المعتبرة. وقد تبين لنا هذا من الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قَرَصَتْ نَمَلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَأَمَرَ بِقَرِيَةِ النَّمْلِ، فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنْ قَرَصَتْكَ نَمَلَةٌ

(١) الإبل التي يستقى عليها الماء.

(٢) بالغوا في ضربهم.

(٣) سيرة ابن هشام، عن ابن إسحاق (٢/١٨٩)، السيرة النبوية، ابن كثير (٢/٣٩٧).

أَحْرَقَتْ أُمَّةً مِّنَ الْأُمَمِ تُسَبِّحُ»<sup>(١)</sup> وهذا المعنى موجود أيضاً في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمِن دَابَّتٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ إِلَّا أُمَّةٌ أَمْثَلُكُمْ﴾ [الأنعام: ٢٨].

جاءت رؤية رسول الله للبيئة تأكيداً لتلك النظرة القرآنية الشاملة للكون، التي تقوم على أن هناك صلةً أساسيةً وارتباطاً متبادلاً بين الإنسان وعناصر الطبيعة، ونقطة انطلاقها هي الإيمان بأنه إذا أساء الإنسان استخدام عنصر من عناصر الطبيعة أو استنزفه استنزافاً، فإن العالم برمته سوف يُضارُّ أضراراً مباشرةً.

ومن ثمَّ وضع رسول الله ﷺ قاعدةً عامّةً لكل البشر الذين يَحْيَوْنَ على ظهر الأرض، وهي عدم إحداث ضرر من أي نوع لهذا الكون، فقال رسول الله: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ...»<sup>(٢)</sup>.

لا يمكن وصف الحرب الا بأنها الدمار والعبث والفساد في البر والبحر والجو، بغض النظر عن المنتصر فيها، فإن القتل والخراب قد أهلك الحرث والنسل وبالأخص حروب التكنولوجيا الحديثة، بما تحويه من أسلحة بيولوجية وجرثومية، فدمرت الطبيعة بكل ما تحويه، وهذا شأن الحروب.

لم تكن حروب المسلمين حروب تخريبٍ كالحروب المعاصرة، التي يحرص فيها المتقاتلون من غير المسلمين على إبادة مظاهر الحياة لدى خصومهم، بل كان المسلمون يحرصون أشدَّ الحرص على الحفاظ على العمران في كل مكان، ولو كان ببلاد أعدائهم، فكان النبي ﷺ ينهى عن

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: إذا حرق المشرك المسلم هل يحرق (٣٠١٩).

(٢) سنن ابن ماجة، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره (٢٣٤١) وقال الشيخ الألباني، صحيح لغيره، انظر: السلسلة الصحيحة (٢٥٠) الموطأ، الإمام مالك، كتاب الأفضية، القضاء في المرفق (٢٧٥٨)، المستدرک، الحاكم (٥٧ / ٢ - ٥٨).

قطع الأشجار وعن عقور النخيل، وكان هذا يظهر في وصاياه لأمرائه على السرايا.

وظهر ذلك جلياً في وصايا أبي بكر الصديق لقادته مقتدياً برسول الله، فعندما أرسل جيوشه إلى فتح الشام، أوصاهم بهذا، فعن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه لَمَّا بَعَثَ أُمَرَآءَ الْجُنُودِ نَحْوَ الشَّامِ قَالَ لَهُمْ: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ اغْزُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُ دِينِهِ، وَلَا تَغْلُوا وَلَا تَغْدُرُوا وَلَا تَجَبُّنُوا وَلَا تَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ، وَلَا تُغْرِقَنَّ نَخْلًا وَلَا تُحْرِقَنَّهَا وَلَا تَعْقِرُوا بَهِيمَةً وَلَا شَجَرَةً تُثْمِرُ وَلَا تَهْدُمُوا بَيْعَةً... وَلَا تَقْتُلُوا الْوَلَدَانَ وَلَا الشُّيُوخَ وَلَا النِّسَاءَ وَسَتَجِدُونَ أَقْوَامًا حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الصَّوَامِعِ فَدَعَوْهُمْ وَمَا حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ» (١)

إن الصديق رضي الله عنه يوضح بهذه الكلمات العذبة السياسة الإسلامية في التعامل مع ممتلكات العدو. إننا لا نريد فساداً في الأرض بأي صورة من الصور، حتى لو كان هذا الفساد في أرض عدونا!

فقد نهى الإسلام عن الفساد والتخريب، كإحراق المزارع والمحاصيل، وتدمير القرى والمدن ومظاهر الحضارة والمدنية الإنسانية، وللضرورة العسكرية حكم خاص تقدر فيه الضرورة بقدرها وفق منظور الإسلام للحرب وغاياته منها، ومن هذه الضرورات القليلة التي يجوز فيها قطع الأشجار في الحرب، في غزوة بني النضير أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقطع بعض الأشجار التي كان يختفي خلفها المشركون، فكأنهم تحدثوا أنه صلى الله عليه وسلم يخالف ما نهى عنه من قبل، فنزلت الآيات الكريمة في سورة الحشر: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الحشر].

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم معروفاً بأخلاقه في الحرب، ومنهجه فيها، وحبه

(١) السنن الكبرى، البيهقي ٨٥/٩ ح (١٨١٢٥)،: شرح مشكل الآثار، الطحاوي ١٤٤/٣ رقم (١١١).



للإصلاح في الأرض، وعدم إفسادها، وكان معلوماً بالحفاظ على البيئة حتى تعجب أعداؤه كيف يقطع الأشجار؛ وما هذا التعجب إلا معرفتهم بمنهج النبي صلى في الإصلاح وعدم الإفساد، ولو علموه غير ذلك ما عابوا عليه.

حرم الإسلام الفساد في الأرض، ورفضه بشتى صورته، فحرم التمثيل بالأموال لأنه مناف لكرامة الإنسان من جانب، وهو صورة من صور الفساد؛ لذلك نهى رسول الله ﷺ عن المثلّة، فكان يوصي قادة جيشه بعدم المثلّة فقال: «اغزوا ولا تغلّوا ولا تغدروا ولا تمثّلوا ولا تقتلوا وليدًا»<sup>(١)</sup>.

وفي نهاية هذا المبحث لا بد من المقارنة بين حروب النبي ﷺ والحروب المعاصرة، وبيان أثرهما على المدنيين، وأثرهما في البيئة؛ لنرى أين هي أخلاق الحروب؟ وأين هي المعاهدات الدولية، فكلها حبر على ورق لا قيمة له في الميدان.

«اجتهد عدد من العلماء المعاصرين في إحصاء الخسائر البشرية للمعارك التي حصلت في عهد النبي ﷺ، وحصل تضارب في الأرقام التي وردت عنهم، وكان أعلى هذه الأرقام لا يزيد على ١٠٤٨ شخصاً من الأطراف جميعها، ولعل ثمة اعتبارات كان لها أثر في إحصاء كل باحث، ولكن ثبت أن العدد لا يتجاوز المئات، على أعلى تقدير، خلال ثماني سنوات، في جميع غزواته وسرياه.

بالمقارنة فإن عدد الذين قتلوا في الحربين العالميتين الأولى والثانية فقط، بكل حسرة وألم ٧٧ مليون شخص، خلال ١٢ عاماً تقريباً، منهم ٤٤ مليون مدني، يعني أكثر من ثلثي القتلى من المدنيين، ناهيك عن استخدام أسلحة كيميائية دمرت البيئة بشكل رهيب.

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بأداب الغزو وغيرها (٤٦١٩).

وفي عصر الرحمة في عهد النبي ﷺ قتل قرابة ١٠٠٠ شخص من أتباع النبي وخصومه، لا يكاد يوجد بينهم مدني، في تسع معارك كبيرة، ومواجهات صغيرة، على مدى ٢٣ سنة من مواجهة النبي ﷺ .

وليس خافياً على أحد أن المشاركين في هذه المجازر كانت الدول التي تعرف آنذاك والآن بالدول المتحضرة الراقية! كبريطانيا وفرنسا وأمريكا والاتحاد السوفيتي والصين وألمانيا وإيطاليا واليابان!

أي تحضر هذا؟! وعن أي رقي يتكلمون؟! ثم أين أولئك الذين يصفون رسولنا ﷺ بالعنف والإرهاب؟!، قارن هذه النسب المفجعة بما كان على عهد رسول الرحمة ﷺ<sup>(١)</sup>.

وقارن بين قوانين الحرب في زمن نبي الرحمة واليوم بما يعرف بالقانون الدولي للحرب، وما هو إلا مجرد نظريات وحبر على ورق، انظر إلى أعداء الإسلام وهم يهدمون المساجد والمدارس ويقتلون المدنيين بلا هوادة في فلسطين والعراق وسوريا.. وانظر إلى خوارج العصر الذين يقتلون الناس بلا تفريق بين محارب أو غير محارب وكله باسم الدين.



(١) انظر: أخلاق الحروب في السنة النبوية من ص ٢٩٧-٣٠٠، مظاهر الرحمة للبشر في شخصية النبي ﷺ الدكتورة سارة آدم، الدكتور زيد عمر العيص، ص ٨٧، ٨٨.

## المبحث الثالث رحمة النبي ﷺ في الأسرى (المعتقلين)

في الوقت الذي كانت فيه الحروب الجاهلية لا تعرف أبسط قواعد أخلاقيات الحرب، ظهر النبي ﷺ بمبادئه العسكرية، ليشرع للعالمين تصوراً شاملاً لحقوق الأسرى في الإسلام.

وفي هذا العصر الحديث الذي شرّعت فيه المنظمات الدولية بنوداً نظرية - غير مفعلة وغير مطبقة- لحقوق الأسرى، كاتفاقيات جنيف بشأن أسرى الحرب في معاملة أسرى الحرب ورعايتهم جسدياً ونفسياً، و نرى رسولنا ﷺ يشرع قبلهم بمئات السنين حقوقاً شاملة وجامعة للأسرى، فوضع القواعد والحقوق التي تضمن حفظ كرامتهم الإنسانية التي كرمها الله ﷻ وأيضا معاملتهم معاملة إنسانية لائقة، كما أن هذه القواعد جاءت لتبين مدى حرص الإسلام على تقييد رغبة الإنسان الجامحة إلى الانتقام من البشر خاصة في ظل هذه المواضع، فالإسلام بذلك سبق جميع النظم الوضعية الحديثة في بيان هذه الحقوق، أضف إلى ذلك أن النبي ﷺ لم يجعل هذه الحقوق بنوداً نظرية بعيدة عن واقع الحروب -كما هو الحال في عصرنا-، بل جعلها منهجاً عملياً وطبقها بنفسه في غزواته وطبقها قادته في السرايا والمعارك الإسلامية.

للإسلام نظم وقوانين تحمي الأسير، وقد شرع الله الأسر فقال

تعالى في كتابه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَنْتَضَمُوهُمُ فَشُدُّوا أَلْوَانَكَ فَإِنَّمَا مِنَّا بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤].

ووضع الإسلام تشريعات للأسرى، فقد وردت نصوص كثيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة تحث على معاملة الأسرى معاملة حسنة تليق به بصفته إنساناً، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَعْفُرْ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٠] فإذا كان المولى سبحانه يعدُّ الأسرى الذين في قلوبهم خيراً بالعضو والمغفرة، فإنَّ المسلمين لا يملكون بعد هذا إلا معاملتهم بأقصى درجة ممكنة من الرحمة والإنسانية.

لقد استشار النبي ﷺ وزراءه في أسارى بدر فأشار عليه أبو بكر رضي الله عنه أن يأخذ منهم فدية، فهم بنو العم والعفو عنهم أحسن، ولعل الله أن يهديهم إلى الإسلام. وقال عمر رضي الله عنه: لا والله ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكن أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها!!

فهوي النبي ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قال عمر. فلما كان من الغد أقبل عمر فإذا رسول الله ﷺ يبكي هو وأبو بكر فقال: يا رسول الله! من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائك؟ فقال رسول الله ﷺ: «أبكي للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء! لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة!» وأنزل الله تعالى قوله: ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يُخْرَجَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧].

وقد تكلم العلماء في أي الرأيين كان أصوب فرجحت طائفة قول عمر لهذا الحديث ورجحت طائفة قول أبي بكر لاستقرار الأمر عليه وموافقته الكتاب الذي سبق من الله بإحلال ذلك لهم ولموافقته الرحمة التي غلبت

الغضب، ولتشبيهه النبي ﷺ له في ذلك بإبراهيم وعيسى، وتشبيهه لعمر بنوح وموسى، ولحصول الخير العظيم الذي حصل بإسلام أكثر أولئك الأسرى، ولخروج من خرج من أصلابهم من المسلمين، ولحصول القوة التي حصلت للمسلمين بالفداء ولموافقة رسول الله ﷺ لأبي بكر أولاً ولموافقة الله له آخرًا حيث استقر الأمر على رأيه ولكمال نظر الصديق فإنه رأى ما يستقر عليه حكم الله آخرًا وغلب جانب الرحمة على جانب العقوبة<sup>(١)</sup>.

وانطلاقًا من هذا فقد حرص النبي ﷺ وأوصى أصحابه بحسن معاملة الأسرى فقال: «اسْتَوْصُوا بِالْأَسْرَى خَيْرًا»، كما نهى عن تعذيب وامتهان الأسرى، وجعل لهم حقوقًا وأمر بتفويضها.

فأمر النبي بالإحسان إلى الأسرى، ليُدرِكوا عندها أن الإسلام ما جاء إلا رحمة للعالمين، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ولم يأمر الإسلام بالإحسان إلى الأسرى فقط، بل وضع أسسًا في كيفية معاملة الأسرى، وقرّر لهم واجبات وحقوقًا؛ منها الحقُّ في الطعام، والكسوة، والمعاملة الحسنة، وكل ذلك له شواهد في سنة النبي ﷺ وحضارة المسلمين ومن حقوقهم:

### أولاً: المعاملة الحسنة للأسرى والرفق واللين معهم

أمر الإسلام بحُسن معاملة الأسرى والرفق بهم وعدم إيذائهم، أو التعرُّض لما يجرح كرامتهم، تعدت صور المعاملة الحسنة للأسرى فشملت العفو، أو المعالجة من الأمراض، أو غير ذلك من صور المعاملة الحسنة، مما دفع بعضهم إلى أن يعتقد الإسلام كُثْمَامَةَ بنِ أَنَاثَال، فقد رُوِيَ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْلًا قَبْلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يَقَالُ لَهُ: ثَمَامَةُ بْنُ أَنَاثَالٍ، سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ،

(١) ابن القيم: زاد المعاد، ٣، ١٠١.

فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةَ؟» فَقَالَ: عِنْدِي يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ، إِنْ تَقَتَّلْتَ تَقَتَّلَ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تَنَعَّمَ تَنَعَّمَ عَلَيَّ شَاكِرٌ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةَ؟» قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تَنَعَّمَ تَنَعَّمَ عَلَيَّ شَاكِرٌ، وَإِنْ تَقَتَّلْتَ تَقَتَّلَ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى كَانَ مِنَ الْغَدِ، فَقَالَ: «مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةَ؟» فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تَنَعَّمَ تَنَعَّمَ عَلَيَّ شَاكِرٌ، وَإِنْ تَقَتَّلْتَ تَقَتَّلَ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَطْلِقُوا ثَمَامَةَ»، فَاَنْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ، مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهَكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَاللَّهِ، مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ، مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلِكَ أَخَذْتَنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: أَصَبَوْتَ، فَقَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا وَاللَّهِ، لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةٌ حِنْطَةٌ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»<sup>(١)</sup>.

لقد دفعت هذه المعاملة الحسنة ثمامة إلى الإسلام دفعا قويا، ولو أنه رأى جفاء في المعاملة أو تعذيبا ما فكر لحظة في أن يدخل في هذا الدين. من أخلاق الإسلام أيضا في التعامل مع الأسرى الرفق ولين الجانب، حتى يشعروا بالأمن والطمأنينة، وقد كان من أخلاق رسول الله ﷺ أنه كان يردُّ على استفسارات الأسرى، ولا يسأم أو يملُّ من أسئلتهم، مما يُوحي بسعة صدره، وعمق رحمة النبي ﷺ التي شملت البشر جميعا ..

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، وحديث ثمامة بن أثال (٤٢٧٢) صحيح مسلم، واللفظ له، كتاب الجهاد والسير، - باب ربط الأسير وحبسه، وجواز المن عليه (١٧٦٤).

ففي صحيح مسلم بسنده عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: كَانَتْ ثَقِيفُ حُلَفَاءِ بَنِي عُقَيْلٍ، فَأَسْرَتْ ثَقِيفُ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَسْرَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رَجُلًا مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ، وَأَصَابُوا مَعَهُ الْعَضْبَاءَ، فَأَتَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي الْوَتَاقِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» فَقَالَ: بِمِ أَخَذْتَنِي، وَبِمِ أَخَذْتَ سَابِقَةَ الْحَاجِّ؟ فَقَالَ: «إِعْظَامًا لِذَلِكَ أَخَذْتِكَ بِجَرِيرَةِ حُلَفَائِكَ ثَقِيفَ»، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ، فَنَادَاهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» قَالَ: إِنِّي مُسْلِمٌ، قَالَ: «لَوْ قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ أَفَلَحْتَ كُلَّ الْفَلَاحِ»، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَنَادَاهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» قَالَ: إِنِّي جَائِعٌ فَأَطْعِمْنِي، وَظَمَانٌ فَاسْقِنِي، قَالَ: «هَذِهِ حَاجَتُكَ»<sup>(١)</sup>.

فهذا التردد على الرجل كلما نادى عليه رضي الله عنه - وهو القائد الأول للدولة الإسلامية- ومناداته باسمه رضي الله عنه مجرداً يدل على مدى الرحمة والإنسانية التي يحملها الرسول رضي الله عنه في قلبه لكل البشر.

وقد بلغ أمر معاملة الأسرى إلى حد العفو عنهم، فيروى أن النبي أعطى أسيراً لأبي الهيثم بن التيهان وأوصاه به خيراً فقال له: إن رسول الله أوصاني بك خيراً، أَنْتَ حُرٌّ لَوْجَهَ اللَّهِ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تُقِيمَ مَعَنَا نَطْعَمَكَ مِمَّا نَأْكُلُ، وَنُلْبَسَكَ مِمَّا نَلْبَسُ وَلَا نُكَلِّفُكَ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا تُطِيقُ، وَإِنْ شِئْتَ فَادْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ»<sup>(٢)</sup>.

وكما أمر الإسلام بالمعاملة الحسنة للأسرى ونهى عن تعذيبهم والإضرار بهم، ولقد وصل الأمر إلى أبعد من ذلك، فعندما رأى النبي أسرى بني قريظة في الشمس موقوفين في العراء في ظهيرة يوم قاطظ، نهى النبي

(١) صحيح مسلم، كتاب النذر، - ٣ - باب لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك العبد (١٦٤١).

(٢) انظر: المعجم الكبير، الطبراني (٢٥٤/١٩)

عن ذلك وقال لأصحابه: «أحسنوا إسهارهم، وقيلوهم، واسقوهم، حتى يبردوا، فتقتلوا من بقي، لا تجمعوا عليهم حرّ الشمس وحرّ السّلاح»<sup>(١)</sup>، إنها عظمة النبوة التي تحترم آدمية الإنسان، ولو كان يهوديا حكم الله تعالى به القتل، واليوم وفي أقبية سجون من يسمون (بالمسلمين) من المآسي وفنون التعذيب والتجويع والإهانة والسحق ما يشيب من هولته الولدان.

بل إن شريعة الإسلام تذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، حيث تمنع تعذيب الأسير للإدلاء بمعلومات عن العدو، ويرفض إهانتهم، ويقرر عدم إهمالهم.. كما لا يجوز تعذيب الأسير، ولا إهانتة للحصول على معلومات عسكرية منه.. وقد قيل للإمام مالك: أيعذب الأسير إن رُجِيَ أن يدلّ على عورة العدو؟ قال: ما سمعت بذلك<sup>(٢)</sup>، وهذا ما أنكره النبي على بعض الصحابة عندما ضربوا غلامين من قريش وقعا أسيرين في أحداث بدر، فقال لهم: «إِذَا صَدَقَاكُمْ ضَرَبْتُمُوهُمَا، وَإِذَا كَذَبَاكُمْ تَرَكْتُمُوهُمَا، صَدَقَا، وَاللَّهِ إِنَّهُمَا لِقُرَيْشٍ...»<sup>(٣)</sup> مع أن هذين الغلامين اللذين ضربا كانا يمدّان الجيش المعادي بالماء.

وتنصّ اتفاقية جنيف بشأن معاملة الأسرى على ما يلي: (يجب معاملة الأسرى معاملة إنسانية في جميع الأوقات... وعلى الأخصّ ضدّ جميع أعمال العنف أو التهديد، ولهم الحقّ في احترام أشخاصهم وشرفهم في جميع الأحوال، ويحتفظون بكامل أهليّتهم المدنيّة التي كانت لهم عند وقوع الأسر، ويجب أن تعامل النساء الأسيرات بكلّ الاعتبار الواجب لجنسهنّ وهذا ما جاء به الإسلام قبل أربعة عشر قرناً من الزمان.

(١) انظر: سبيل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م (١٣/٥).

(٢) انظر: التاج والكليل لمختصر خليل، محمد بن يوسف بن أبي القاسم، أبو عبد الله المواق المالكي (المتوفى: ٨٩٧هـ)، دار الكتب العلمية ط: ١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٤ م (٥٤٨/٤).

(٣) سيرة ابن هشام، عن ابن إسحاق (٢/١٨٩)، السيرة النبوية، ابن كثير (٢/٣٩٧).



## ثانياً: حق الأسير بالطعام

من الحقوق التي كفلها الإسلام للأسير حق الطعام فلا يجوز تركه بدون طعام وشراب حتى يهلك، فهذا مخالف لشرع الله، وفي السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي أمثلة ونماذج تدلُّ على ذلك، ولقد أمر الله بذلك فقال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسَكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (٨) [الأنسان: ٨].

يحثُّ الله تعالى عباده المؤمنين على الإحسان إلى أسراهم وإطعامهم، ويعدُّهم بذلك النعيم في الآخرة، فإطعام الأسير المشرك قربة إلى الله يقول الشيخ سلمان العودة: معنى هذا أنه لم يُطعمه مما فضل من قوته، وإنما يُطعمه من طيب طعامه مع حاجته إليه ومحبتته له (١).

وذكر أن رسول الله: أمر أصحابه يوم بدر أن يُكرموا الأسرى، فكانوا يُقدِّمونهم على أنفسهم عند الغداء. قال ابن عباس رضي الله عنهما: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم غزوة بدر أن يُكرموا الأسارى، فكانوا يُقدِّمونهم على أنفسهم عند الغداء، وهكذا قال سعيد بن جبير، وعطاء، والحسن، وقتادة (٢).

هذا أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير يحدثنا عما رأى. قال: كنت في الأسرى يوم بدر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اسْتَوْصُوا بِالْأَسَارَى خَيْرًا» (٣). وَكُنْتُ فِي رَهْطٍ مِنَ الْأَنْصَارِ حِينَ أَقْبَلُوا بِي مِنْ بَدْرٍ فَكَانُوا إِذَا قَدَّمُوا غَدَاءَهُمْ وَعَشَاءَهُمْ حَصُونِي بِالْحَبِزِ، وَأَكَلُوا التَّمْرَ لَوْصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيَّاهُمْ بِنَا، مَا تَقَعُ فِي يَدِ رَجُلٍ مِنْهُمْ كَسْرَةَ خُبْزٍ إِلَّا نَفَحَنِي بِهَا. قَالَ فَاسْتَحْيِي فَأَرَدَهَا عَلَىٰ أَحَدِهِمْ فَيَرُدُّهَا عَلَيَّ مَا يَمَسُّهَا.

وهذا أبو العاصِ بن الربيع يحدثنا قال: كنت في رهط من الأنصار (٤)

(١) حقوق الأسرى في الشريعة الإسلامية، محمد كمال صابر السوسي ص ٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥٨٤/٤ ..

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير ٣ - ٣٠٧

(٤) قبل إسلامه، أيام كان في جيش قريش، وأسرته الصحابة في معركة بدر.

-جزاهم الله خيراً-، كنا إذا تعشينا أو تغدينا آثروني بالخبز وأكلوا التمر، والخبز معهم قليل، والتمر زادهم، حتى إن الرجل لتقع في يده كسرة فيدفعها إليّ، وكان الوليد بن الوليد بن المغيرة يقول مثل ذلك ويزيد: وكانوا يحملوننا ويمشون<sup>(١)</sup>.

فلما كان الحبس مانعاً للمحبوس من التصرف في أمر معاشه وكسبه، وَجَبَ على حابسه أن يَقُومَ بِحَقِّه، ولو كان ذلك في حق الحيوان، فما بالك بالإنسان الذي كرمه الله تبارك وتعالى: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ»، ويكفي أن الله قرن حق الأسير بالمسكين واليتيم، «مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا» حتّى على القيام على إطعامه والإحسان إليه، وقد يكون هذا الإحسان سبباً في هدايته، كما كان الأمر في شأن ثمامة.

### ثالثاً: حق الأسير بالكسوة والمسكن:

ومن الواجبات التي قرّرها الإسلام للأسرى الكسوة، ولقد حثّ الإسلام على كسوة الأسير وتكون كسوة لائقة به تقيه حرّ الصيف وبرد الشتاء، والكساء عموماً أمر واجب لستر العورات، وعدم إشاعة الفاحشة في المجتمع، وأوجب الشرع كسوة الأسير وستر عورته، وقد بوب الإمام «البخاري» باباً كاملاً أسماه (باب الكسوة للأسارى)، وهذا يدل على أهميّة هذا الأمر، وقد ثبت عن رسول الله من حديث جابر أنه لما كان يوم بدر أتى بالأسارى فكساهم، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ أَتَيْتُ بِأَسَارَى، وَأَتَيْتُ بِالْعَبَّاسِ وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ ثَوْبٌ»، فَنَظَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله لَهُ فَمِيصًا، فَوَجَدُوا فَمِيصَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَقْدُرٍ عَلَيْهِ، فَكَسَاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله إِيَّاهُ، فَلِذَلِكَ نَزَعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله فَمِيصَهُ الَّذِي أَلْبَسَهُ»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: المغازي، الواقدي ١/١١٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الكسوة للأسارى (٣٠٠٨) وانظر: فتح الباري، ابن

حجر العسقلاني ٦/١٤٤

وكان يوفر لهم المأوى والمسكن، حتى يتمّ النظر في شأن الأسرى كان المسلمون يجعلونهم في أحد مكانين: إما المسجد، وهو أشرف مكان عند المسلمين، وإما بيوت الصحابة رضي الله عنهم.

وكان المستهدف من إبقاء الأسرى في المسجد أن يروا أخلاق المسلمين وعبادتهم لعلهم يتأثرون به، فيدخل الإيمان في قلوبهم، وقد حدث هذا بالفعل مع بعضهم كالصحابي ثمامة بن أثال رضي الله عنه.

وأما إبقاء الأسرى في منازل الصحابة رضي الله عنهم فكان هذا إكراماً كبيراً من المسلمين لهؤلاء الأسرى؛ فعن الحسن البصري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول: «أَحْسِنْ إِلَيْهِ»، فيكون عنده اليومين والثلاثة، فيؤثره على نفسه<sup>(١)</sup>.

كان هذا الخلق الكريم الذي غرسه المعلم الكبير محمد صلى الله عليه وسلم في أصحابه وجنده وشعبه، قد أثر في إسراع مجموعة من كبراء الأسرى وأشرفهم إلى الإسلام، فأسلم أبو عزيز عقب معركة بدر، بُعيد وصول الأسرى إلى المدينة، وتنفيذ وصيته صلى الله عليه وسلم، وأسلم معه السائب بن عبيد.

وعاد الأسرى إلى بلادهم وأهليهم يتحدثون عن محمد صلى الله عليه وسلم ومكارم أخلاقه، وعن محبته وسماحته، وعن دعوته وما فيها من البر والتقوى والإصلاح والخير<sup>(٢)</sup>.



(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألويسي ٢٩ / ١٥٥، والحديث من مراسيل الحسن البصري.

(٢) انظر: الصلابي، علي محمد: السيرة النبوية، ٢-٤٢.

## الخاتمة

وفي نهاية هذا البحث أبين أهم النتائج والوصايا:

- الإسلام منهج أخلاقي يدعو إلى الالتزام بالأخلاق والقيم الإسلامية والتحلي بها مع العدو والصديق في السلم والحرب.
- دوافع الحرب في الإسلام الشفقة والرحمة، وإنقاذ الناس من التيه والضلال، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وليس حباً في الانتقام، ولا رغبة في السيطرة والاستبداد كما يفعل الأعداء وغيرهم اليوم.
- للحرب في الإسلام أخلاقيات لم ترق إلى معشارها دساتير العصر الحديث، والاتفاقيات الدولية؛ فقد تقدم الإسلام بخطى واسعة في هذا المجال ولا يمكن أن يدركه قانون أو يقترب منه تشريع.
- تذكير البشرية التائهة، أن ثمة خلقاً في الأرض يسمى الرحمة، قد يغني في مواطن كثيرة عن الحرب، والكراهية، وتعلم البشرية أيضاً أن ثمة شخصاً تمثلت الرحمة في سيرته كلها، وكانت السلاح الذي حارب به خصومه، في مواطن عدة، حين حاربوه بالقوة والقسوة، والوسيلة التي جذب فيها كثيراً من الناس إلى دعوته، ونجح في نشر ثقافة الرحمة بين الناس.

- عدم الاعتداء على المدنيين، الذين التزموا جانب الحياد، ولم يشاركوا بأي أعمال عدوانية، ضد المسلمين من الأطفال والنساء والشيوخ وغيرهم ممن لا طاقة له في القتال، وتسقط حصانتهم إذا شاركوا في القتال أو قاموا بأعمال عدوانية.
- وضع الإسلام ضوابط وقواعد لأسرى الحرب، متفقاً بذلك مع القانون الدولي، الذي يمنع ذلك، ولكن الاختلاف في التطبيق والالتزام.
- لم تكن قوانين الحرب في الإسلام مجرد شعارات تطرح، بل كانت تطبيق عملي للحرب الإنسانية الرحيمة التي قادها النبي ﷺ وأوصى بها الناس من بعده، وبرزت فيها الجوانب المشرقة في تاريخ الإسلام.
- نفي شبهة الإرهاب التي ابتدعها أعداء الإسلام، وشاعت في الأوساط العربية عبر المؤتمرات والفضائيات حيث لا نجد أعظم من شريعة الإسلام في احترام الحياة وحفظ الدماء.



## فهرس المراجع والمصادر

١. ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (٧٥١هـ): زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، بدون.
٢. ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبدالحليم (٧٢٨هـ)، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، شرح ابن العثيمين، ط١، دار ابن الهيثم ٢٠٠٥م.
٣. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتوير، تونس، الدار التونسية ١٩٨٤، (١/١٦٩).
٤. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ): السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٣م.
٥. ابن هشام، عبد الملك بن أيوب المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا ورفاقه، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م
٦. الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية- دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ص ١٩٤
٧. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، (د،ت).
٨. البيهقي: أحمد بن الحسين الخرساني، ت ٤٥٨ هـ، السنن الكبرى، تحقيق محمد عطا، دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

٩. الحاكم، أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري (٤٠٥هـ)،  
المستدرک، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية،  
بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
١٠. الحايك، محمد عبدالكريم، الرحمة في القرآن الكريم، رسالة  
دكتوراة، كلية الشريعة الجامعة الأردنية، ١٩٩٣م
١١. خطاب، محمود شيت: دروس عسكرية من السيرة النبوية، محمود  
شيت خطاب، وعبد اللطيف زايد، الناشر للطباعة.
١٢. الزحيلي، وهبة، العلاقات الدولية في الإسلام مقارنة بالقانون  
الدولي الحديث، دار المكتبي للطباعة والنشر - سوريا.
١٣. السرجاني، راغب حنفي، الرحمة في حياة الرسول ﷺ، الطبعة  
الأولى ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
١٤. السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير  
كلام المنان، تحقق: عبدالرحمن بن معلا، مؤسسة الرسالة، الطبعة:  
الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١٥. السوسي، محمد كمال صابر، حقوق الأسرى في الشريعة الإسلامية  
الجامعة الإسلامية، غزة.
١٦. الشامي، محمد بن يوسف الصالحي، سبل الهدى والرشاد، في  
سيرة خير العباد، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، الشيخ  
علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة:  
الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
١٧. الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:  
ضبطه وصححه وخرج آياته: الشيخ محمد عبدالعزيز الخالدي -  
منشورات، محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان -  
ط٢٠٠٣، ١م.

- ١٨ . الصالحي: محمد بن يوسف الشامي، ت ٩٤٢ هـ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق وتعليق عادل أحمد عبدالموجود، علي معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٣ م
- ١٩ . الصلابي، علي محمد، السيرة النبوية، دار المتنبى، الأردن، إربد .
- ٢٠ . عبد اللطيف عامر، أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلامية، ص ٤٦، ٤٥ ..
- ٢١ . عراقي محمود حامد، معالم رحمة النبي ﷺ، ط ١
- ٢٢ . العقاد، عباس محمود، موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية، دار الكتاب العربي بيروت.
- ٢٣ . العيص، د. زيد عمر، مظاهر الرحمة للبشر في شخصية النبي ﷺ بحث للدكتورة سارة آدم، حائز على الجائزة الثانية في المسابقة العالمية التعريف بنبي الرحمة ﷺ .
- ٢٤ . القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى: ٦٧١ هـ) تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة -
- ٢٥ . القزويني: ابن ماجه محمد بن يزيد، ت ٢٧٣ هـ، سنن ابن ماجه، تحقيق وعناية محمد ناصر الدين الألباني، ومشهور آل السلمان، مكتبة المعارف الرياض، ط ١، ١٤١٧ هـ.
- ٢٦ . مارسال بوازار، الإسلام وإنسانية الإسلام Humanisme de l'islam، Marcel Boisard باللغة الفرنسية، ترجمه د. عفيف دمشقية، دار الآداب، بيروت، لبنان
- ٢٧ . المالكي محمد بن يوسف بن أبي القاسم، أبو عبد الله المواق (المتوفى: ٨٩٧ هـ)، التاج والإكليل لمختصر خليل، دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٤ م.





- ٢٨ . المبادئ العامة للنظرية الإسلامية في العلاقات الدولية، د. إبراهيم البيومي غانم.
- ٢٩ . المبيض، محمد أحمد، أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية، بحث فائز بالجائزة العالمية للسيرة النبوية في رابطة العالم الإسلامي.
- ٣٠ . النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (٢٦١هـ): صحيح مسلم، دار الجيل، بيروت.
- ٣١ . الواقدي، أبو عبدالله محمد بن عمر بن واقد (٢٠٧هـ): كتاب المغازي، تحقيق مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.
- ٣٢ . ياقوت، محمد مسعد، الأخلاق





## منهج الرحمة

# لدى الرسول ﷺ مدرسة للتربية

## السليمة للناشئة

إعداد:

عبدالصمد الرضى



## المقدمة

مما لا شك فيه أن شخصية الرسول ﷺ تمثل التطبيق العملي للمنهج التربوي القرآني في أكمل صورته، ولعل من أهم القيم القرآنية الثابتة قيمة «الرحمة» بأمره ﷺ وبالناس، بل وبالعالمين. وأن من تمام الاقتداء بالسنة النبوية السعي إلى بث منهج تربوي عميق مبني على الرحمة في الناشئة. وإذا كانت بعض الدراسات قد لامست موضوع الرحمة في الإسلام بشكل عام، من قبيل مقال: «الرحمة بالصغار من منظور الإسلام» المنشور بموقع للشيخ خالد خليف<sup>(١)</sup>، وكتاب: «أسباب الرحمة» لعبدالله ابن جار الله جار الله<sup>(٢)</sup>، وبحث: هل كان محمد ﷺ رحيماً؟ للباحث محمد حسام الدين الخطيب<sup>(٣)</sup>، وبحث: «معالم الرحمة في تعامل النبي ﷺ مع زوجاته»<sup>(٤)</sup> وغيرها من الدراسات المتعلقة بالسيرة أو الأخلاق أو التوجيهات العامة، فإن تعميق النظر وتدقيقه فيما يتعلق بالشأن

(١) <http://webcache.googleusercontent.com/search?q=cache:gS6RuiPqn3UJ:www.khalidkhalif.net/index.php/201508-27-14-27-51/item/230-2015-08-18-08-34-07+&cd=1&hl=ar&ct=clnk>

(٢) [http://webcache.googleusercontent.com/search?q=cache:pb1U1i12rMcJ:d1.islamhouse.com/data/ar/ih\\_books/single2/ar\\_reasons\\_of\\_mercy.doc+&cd=3&hl=ar&ct=clnk](http://webcache.googleusercontent.com/search?q=cache:pb1U1i12rMcJ:d1.islamhouse.com/data/ar/ih_books/single2/ar_reasons_of_mercy.doc+&cd=3&hl=ar&ct=clnk)

(٣) وهو من منشورات رابطة العالم الإسلامي في إطار البرنامج العالمي للتعريف بنبي الرحمة، مسابقة: مظاهر الرحمة للبشر في شخصية محمد ﷺ

(٤) بحث مقدم بمناسبة المؤتمر الدولي "نبي الرحمة محمد ﷺ المنعقد في الفترة ٢٣-٢٥ شوال ١٤٣١ هـ الموافق ٢-٤ أكتوبر ٢٠١٠.

التربوي «البيداغوجي» المختص بالرحمة عزيز جدا، يكاد يكون نادرا، وتبقى بعض الأسئلة العلمية في هذا الشأن ملحة على الباحثين.

هذا يستدعي من العلماء النظر في دلالات قيمة الرحمة ومقاصدها وأصولها وتجلياتها في المنظومة الإسلامية، كما يتطلب من الخبراء والمستشارين والمشرفين على التكوين في مناهج التربية وأساليبها أن يدركوا حقيقة منهج الرحمة في تربية الرسول ﷺ لأتمته، ثم بعد ذلك، لا مناص من تكوين المنفذين للمناهج التربوية على منهج الرحمة في بناء الناشئة.

- ما هي أصول منهج رحمته ﷺ بأتمته من خلال المنظومة التربوية الخلقية الإيمانية؟
- كيف كان ﷺ يستثمر كل ظرف للرحمة بأتمته من خلال تعهده الدائم لها؟
- كيف يمكن للمربين اليوم النهل من هذه القيمة لتربية الأجيال على خلق الرحمة تحصينا لهم من قيم الكراهية وأساليب العنف التي تعج بها وسائل الإعلام الجديد اليوم، وما يخلفه ذلك من آثار وخيمة على الشباب المسلم؟

للإجابة على هذه الأسئلة الأساسية اخترنا سلوك المنهج الوصفي التحليلي والاستباطي الاستنتاجي، ونظمتنا مجهودنا المقل هذا في:

مقدمة: تتضمن معنى الرحمة ودلالاتها ومقاصدها في تربية النشء.

المبحث الأول: أصول منهج الرحمة لدى الحبيب ﷺ في تربية الناشئة.

المبحث الثاني: معالم هندسة تربوية مبنية على منهج الرحمة من أجل

تيسير منهاج دراسي «رحمة في العالمين»

خاتمة: تتضمن أهم الخلاصات والتوصيات

## مفهوم الرحمة

يدل لفظ "الرحمة" على معاني الرقة والتعطف والمغفرة، مثله المرحة، ويقال: رَحِمْتُهُ وَتَرَحَّمْتُ عَلَيْهِ إِذَا أَشْفَقْتَ عَلَيْهِ وَدَعَوْتَ اللَّهَ لَهُ بِالرَّحْمَةِ. والاسم الرَّحْمَى، وَالرَّحْمُوتُ... وَالرَّحْمَةُ فِي بَنِي آدَمَ عِنْدَ الْعَرَبِ رِقَّةُ الْقَلْبِ وَعَطْفُهُ. وَرَحْمَةُ اللَّهِ: عَطْفُهُ وَإِحْسَانُهُ وَرِزْقُهُ. وَأُمُّ رُحْمٍ وَأُمُّ الرَّحْمِ مَكَّةُ. وَفِي حَدِيثِ مَكَّةَ: هِيَ أُمُّ رُحْمٍ أَيْ: أَصْلُ الرَّحْمَةِ. وَالْمَرْحُومَةُ: مِنْ أَسْمَاءِ مَدِينَةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ (١).

ومفهوم "الرحمة" في الإسلام مفهوم أصيل واسع الدلالة، جاء في القرآن بصيغة الاسم والمصدر والفعل، وبمعان متعددة، فالرحمة صفة لله ﷻ وصف بها نفسه في كتابه، وبها افتتح ﷻ كلامه.

والرحمة هي القرآن الكريم وتعني الرسول ﷺ والنبوة والمغفرة والعفو. والجنة والنعمة والرزق، والمطر. كما تدل على النصر وإجابة الدعاء والعطف والمودة، والعصمة من الفاحشة والمعصية... (٢).

(١) لسان العرب مادة: رحم.

(٢) جاء ذلك في القرآن الكريم في أكثر من ثمانية وستين ومائتي موضع (٢٦٨)، وتفصيل ذلك أن الرحمة هي القرآن الكريم قال تعالى: ﴿قُلْ يُفَضِّلُ اللَّهُ وَرَحْمَتِهِ. فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، والرحمة القرآن. وهو مروى عن الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة. وتعني الرسول ﷺ والنبوة في قوله ﷺ: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥]، قال علي بن أبي طالب ﷺ: يختص برحمته: أي: بنبوته. والمغفرة والعفو في قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، أي: أنه ﷺ يقبل من عباده الإنابة والتوبة. والجنة قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨]، أي: يطمعون أن يرحمهم الله، فيدخلهم جنته بفضل رحمته إياهم والنعمة والرزق قوله ﷺ: ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ﴾ [الزمر: ٢٢٨]، قال الشوكاني: الرحمة: النعمة والرزق. والمطر قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: ٥٧]. كما تدل على النصر من ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكَ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [الأحزاب: ١٧]، قال القرطبي: أي: خيراً ونصراً. وإجابة الدعاء من ذلك قوله ﷺ: ﴿ذَكَرَ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [مريم: ١٠]، قال الشوكاني: يعني إجابته إياه حين دعاه وسأله الولد. والعطف والمودة قال ﷺ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، قال البغوي: متعاطفون متوادون بعضهم لبعض. والعصمة من الفاحشة والمعصية من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّيَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٢]، قال ابن كثير: أي: إلا من عصمه الله ﷻ.

ويرتبط معناها بما تدل عليه ألفاظ أخرى قريبة منها كالرفق والأناة والحلم والتؤدة والتيسير والتخفيف واللين مما يمكن اعتباره في سياقات متعددة مرادفًا لها. كما تتناقض معاني أخرى كالقسوة والغلظة والعنف والظلم والغضب والعسر والحرص الشديد.

وبهذا فمفهوم «الرحمة» الذي يشمل كل خير ونفع يعود إلى الإنسان في دنياه وآخرته، قال ابن القيم رحمة الله عليه: «إن الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح للعبد، وإن كرهتها نفسه وشقت عليه، فهذه هي الرحمة الحقيقية...»<sup>(١)</sup>.

### مقدمات أساسية

من خلال ما سبق نخلص إلى مقدمات أساسية نراها نافعة في تحقيق أهداف البحث نذكرها بحسب ما يقتضيه المقام.

المقدمة الأولى: الله ﷻ هو المصدر الأصل للرحمة: قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام: ١٣٢]. أي: المالك الأصلي للرحمة، والجزء الأعظم مدخر عنده ﷻ، والأيسر ميثوث في الدنيا، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِثَّةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عَنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمَنْ ذَلِكَ الْجُزْءُ يَتَرَاخَمُ الْخَلْقُ حَتَّى تَرَفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشِيَةً أَنْ تُصِيبَهُ»<sup>(٢)</sup>.

المقدمة الثانية: أن سيدنا محمد ﷺ رحمة وتجسيد لرحمة الله ﷻ في خلقه: قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء]. وقال (عليه السلام) في الحديث الشريف: «يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة»<sup>(٣)</sup>، ولقد

(١) ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ١٧٤/٢.

(٢) رواه البخاري صحيح البخاري - كتاب الرقاق، باب الرجاء مع الخوف - حديث: ٦١١٣. وفي رواية قال ﷺ وسلم: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِثَّةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عَنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً، فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَبْسُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ».

(٣) المستدرک علی الصحیحین للحاکم - کتاب الإیمان حدیث: ٩٧ صححه علی شرطهما =



اقتضت حكمة الله ﷻ أن تكون معاني الرحمة وتجلياتها الرسالية في بشر يعيشون مع الناس ويخالطونهم في كافة شؤون حياتهم هاديين موجّهين مرشدين، خاتمهم سيدنا محمد ﷺ الذي اعتبر بحق خير من جسد الرحمة الإلهية وسط أمة هي ملاذ البشرية بعده كانت تتخذة قدوة متبعة.

المقدمة الثالثة: أن المنعم عليهم بالرحمة الإلهية والنبوية أصالة هم المؤمنون ثم باقي الناس: فالله تعالى رحيم بعباده المؤمنين ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ورسوله ﷺ رؤوف بالمؤمنين رحيم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. ورحمته ﷻ الخاصة بالمؤمنين تتجلى في رعايتهم والدفاع عنهم وحمائيتهم من كيد الظالمين، وينبغي أن تكون الرحمة متعدية للغير عامة الأقرب فالأقرب، ومن لا يرحم لا خير فيه، فعن عبد الله بن عمرو قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مَّن فِي السَّمَاءِ، الرَّحْمُ شَجَنَةٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ<sup>(١)</sup>، بل إن الإيمان متعلق برحمة الناس عامة، فمن لا يتصف بهذه الصفة فلا إيمان له، قال ﷺ: «لَنْ تَوْمِنُوا حَتَّى تَرَحَّمُوا، قَالُوا كَلْنَا رَحِيمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ بِرَحْمَةٍ أَحَدِكُمْ صَاحِبُهُ، وَلَكِنَّهَا رَحْمَةُ النَّاسِ رَحْمَةُ الْعَامَّةِ»<sup>(٢)</sup>.

= ووافقه الذهبي، ورواه ابن سعيد والدارمي عن طريق الأعمش عن أبي صالح مرسلًا وسنده صحيح. وعزاه في مجمع الزوائد للبخاري والطبراني، وقال: رجال البزار رجال الصحيح. وذكره الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٨٠٣/١  
(١) رواه الترمذي. كتاب البرِّ والصلة عن رسول الله ﷺ، قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٦٣٠/٢: رواه أبو داود (٤٩٤١) والترمذي (٣٥٠/١) وأحمد (١٦٠/٢) والحميدي (٥٩١) والحاكم (١٥٩/٤) وصححه ووافقه الذهبي، والخطيب في «التاريخ» (٢٦٠/٢) وأبو الفتح الخرقفي في «الفوائد الملتقطة» (٢٢٢-٢٢٣)، كلهم عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي قابوس مولى عبد الله بن عمرو مرفوعًا

(٢) أخرجه الطبراني، ورجاله ثقات. قال ابن حجر في فتح الباري ص ٤٥٣: «- كِتَابُ الْأَدَبِ - رَحْمَةُ النَّاسِ وَالْبِهَائِمِ - ص ٤٥٣- قَوْلُهُ: (بَابُ رَحْمَةِ النَّاسِ وَالْبِهَائِمِ) أَي صُدُورِ الرَّحْمَةِ مِنَ الشَّخْصِ لغيره، وَكَانَهُ أَشَارَ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَفَعَهُ قَالَ: (لَنْ تَوْمِنُوا حَتَّى تَرَحَّمُوا، قَالُوا كَلْنَا رَحِيمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ بِرَحْمَةٍ أَحَدِكُمْ صَاحِبُهُ، وَلَكِنَّهَا رَحْمَةُ النَّاسِ رَحْمَةُ الْعَامَّةِ)» أخرجه الطبراني ورجاله ثقات .

المقدمة الرابعة: أن الرحمة لا تتناقض مع بذل الوسع والاجتهاد: فكونه ﷺ رحماناً وكون نبيه ﷺ رحيماً لا يعني الرخاوة والكسل والترهل، بل من تمام الرحمة تحمل بعض المشاق (المشاق جمع مشقة وتجمع مشقات أيضاً) المقدور عليها في أعمال معينة، وقد يكون الابتلاء وما فيه من أذى رحمة من حيث العاقبة والثمرة، لا من حيث المبتدأ والمنشأ، كما لا يعني التساهل فيما فرض الله ﷻ مما يرى البعض أن فيه قسوة وشدة، بل إن «الشرعية مبناها وأساسها يقوم على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشرعية وإن دخلت فيها بالتأويل»<sup>(١)</sup>. وهكذا، فإن امتدادات ذلك على الناشئة وكيفيات تربيتها ليشكل رحمة حقيقية، تحتاج من المختصين بذل الوسع في بيانها والاستفادة منها عملياً في ميادين العناية بالنشء.

### مقاصد منهج الرحمة في تربية الناشئة

وعليه، فإن أهم المقاصد التي يروم منهج الرحمة لدى رسول الله ﷺ تحقيقها في الناشئة هي:

- المقصد الأول: حفظ فطرتهم ودعمها بتثبيت أسس التوحيد ومقتضياته القلبية والعقلية والعملية.
- المقصد الثاني: استمرار عمل السابقين في الدنيا ببقاء الولد الصالح، إذ هو من العمل الذي لا ينقطع بالموت، وفي ذلك مسؤولية عظمى على الآباء والمسؤولين عن المناهج التربوية بالنسبة لمجموع الأمة.

(١) إعلام الموقعين ج ٣ ص ٣.

• المقصد الثالث: تحقيق حسن تعامل الناشئة مع زمنهم الذي خلقوا له، إذ التربية النبوية ليست نظرية مجردة، بل هي عمل ميداني واقعي لتحقيق سلامة النشء بما يزوده بحصانة منيعة، من العلم النافع، إزاء الفتن الموجهة ضده، خاصة في زمن صار للتشابك المعلوماتي فيه السبق الأعلى في التأثير.

• المقصد الرابع: تثبيت التماسك الاجتماعي والتهديب الخلقي للناشئة والمحافظة عليه من الوقوع في الفاحشة.

• المقصد الخامس: إبقاء شريعة الرحمة على الأرض، بتدريب الناشئة بمنهج رحيم على التكاليف الشرعية منذ صباهم، وجعل ذلك من صميم مكونات هويتهم، وسبباً في خيرتهم للناس جميعاً.

• المقصد السادس: تحقيق التوازن المطلوب في تربية الناشئة بالتأسيس على الجانب الإيماني الذي يلقي بظلاله على الجوانب العقلية والجسدية.

استناداً إلى المقدمات السابقة والمقاصد الأساسية، نتلمس أصول منهج الرحمة التربوي من خلال سنة المصطفى الكريم وسيرته ﷺ عموماً، وفي تربية النشء على وجه الخصوص، ونبذل الوسع في استلهام معالم هندسة تربية على مستوى التخطيط والتدبير (التنفيذ) والتقويم، مما ييسر على المختصين في الجانب التنفيذي الاشتغال على «منهاج دراسي» يكون رحمة في العالمين.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.



## المبحث الأول أصول منهج الرحمة لدى الحبيب ﷺ في تربية الناشئة

تمهيد:

يختلف خطاب التربية ونهجها وطرائقها بحسب المقصودين به حتى تؤتي أكلها النافع، وثمرها اليانع. وهذا أصل شرعي مكين في تربية الأنبياء لأقوامهم: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم: ٤]. وكل النظريات التربوية والتجارب التعليمية تركز التركيز الأكبر على الأطفال باعتبارهم الجهة التي تحمل المشاريع التربوية والحضارية أصالة في الشعوب والأمم. وعلى قدر حسن تربيتهم وتوجيههم، يكونون خير حاملين لرسالة الرحمة التي يتشرفون بالانتماء إليها.

### الأصل الأول الرحمة في التربية الإيمانية

تتجلى معالم منهج الرحمة النبوية في تنشئة الأجيال من حيث الأساس الإيماني في المحافظة على الفطرة السليمة التي يولد عليها المولود ورعايتها

أن تتحرف بفعل المؤثرات الواقعية، فيصفو قلب الطفل إزاء حقائق الإيمان بأركانها الستة المعروفة<sup>(١)</sup>، بمنهج تدريجي لطيف من خلال ما يلي:

### أولاً: إسماع فطرته كلمة الحق والإخلاص.

كلمة التوحيد وكلمة الإخلاص هي كلمة الفطرة، لذلك حرص الرسول ﷺ أن تكون أول ما يرد السمع بعد الخروج من ظلمات الرحم إلى آفاق الحياة الدنيا، وآخر ما يخرج من الجوف بالحث على تلقين الميت من المؤمنين والمسلمين الكلمة الطيبة وشهادة الحق لتتردد الشهادة في كيان النفس الغاربة عن الدنيا وقت سفرها، عسى أن يُختم لها بالفطرة.. أي: رحمة هذه؟! وأي: حنو هذا؟! وأي: رقة هذه؟! إنه سلوك الأنبياء منذ سيدنا وأبينا إبراهيم عليه السلام: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَٰى إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وعند البخاري رحمته: «باب الدعاء للصبيان بالبركة»<sup>(٢)</sup>.

ولعل من الرحمة الربانية أن قصار السور تتضمن كبرى اليقينيات الإيمانية الفطرية حتى يسهل على النشء حفظها وتمثلها منذ الصبا، وسورتا الإخلاص والكافرون مثالان واضحان على ذلك. ومما لا شك فيه أن من أول اهتمام المصطفى في تبليغ نور النبوة ورحمتها كان بالأطفال، فلقد توجه ﷺ أول ما توجه إلى سيدنا علي بن أبي طالب، ولما يكمل ربيع العاشر بعد فدعاه للإيمان فأمن به ولازمه. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى شِعَابِ مَكَّةَ، وَخَرَجَ مَعَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مُسْتَخْفِيًا مِنْ أَبِيهِ أَبِي طَالِبٍ... وَذَكَرُوا أَنَّهُ قَالَ لِعَلِيِّ أَيُّ بَنِي مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ؟

(١) الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وبالقضاء والقدر خيره وشره من الله ﷻ، ومفتاح ذلك الإيمان بالغيب.

(٢) صحيح البخاري. كتاب الدعوات.

فَقَالَ يَا أَبَتِ أَمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَصَدَّقْتَهُ بِمَا جَاءَ بِهِ وَصَلَّيْتُ مَعَهُ لِلَّهِ وَاتَّبَعْتَهُ فَزَعَمُوا أَنَّهُ قَالَ لَهُ أَمَا إِنَّهُ لَمْ يَدْعُكَ إِلَّا إِلَى خَيْرٍ فَالزَمَهُ. (١)

ومن عظيم رحمته حرصه ﷺ على ألا تخرج نفس طفل ولو كان يهوديا إلا على كلمة الفطرة، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ غُلَامًا يَهُودِيًّا كَانَ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرَضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: أَسَلِمَ، فَنظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ جَالِسٌ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: أَطَعِ أَبَا الْقَاسِمِ قَالَ: فَاسَلِمَ، قَالَ: فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ عِنْدِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ. (٢)

وكذا كان دأب المستنين بسنة المصطفى من صلحاء هذه الأمة، قال ابن القيم: «فإذا كان وقت نطقهم فليلقنوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ، وليكن أول ما يقرع مسامعهم معرفة الله ﷻ وتوحيده، وأنه ﷻ فوق عرشه ينظر إليهم ويسمع كلامهم، وهو معهم أينما كانوا..» (٣)

ثانياً: بث حب الله ﷻ ورسوله ﷺ وآل بيته وأزواجه وذريته وترسيخ معنى التحاب في الله:

حب الله ورسوله ﷺ والحب في الله أحد أهم تجليات قيمة الرحمة. والناشئة في أمس الحاجة لبث هذه الخصلة في قلوبهم بكافة الوسائل حتى تغرس في نفوسهم بذرات اليقين في مراحل أولية من مراحل العمر، وقد نطقت بذلك صحاح الأخبار، من ذلك ما روي عن سيدنا أنس ﷺ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ «وَمَاذَا أَعَدَدْتَ لَهَا؟» قَالَ لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي أَحَبُّ اللَّهِ وَرَسُولَهُ ﷺ فَقَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قَالَ أَنَسٌ فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرِحْنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنْتَ

(١) سيرة ابن هشام ٢٤٦/١

(٢) أخرجه البخاري في « صحيحه، كتاب الجنائز، وصحيح ابن حبان - كتاب السير، باب الذمي والجزية - حديث ٤٩٦٢.

(٣) ابن القيم. تحفة المودود بأحكام المولود. ص ٢٢

مَعَ مَنْ أَحَبَبْتَ». قَالَ أَنَسٌ فَأَنَا أَحَبُّ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحَبِّي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ. (١)

وكذا حب آل بيته وأزواجه الطاهرات، فقد علمنا رسول الله ﷺ أن ذلك من أقرب القربات، أخرج مسلم في صحيحه من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قام خطيباً في الناس فقال: «أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشرٌ يوشكُ أن يأتي رسولُ ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما: كتاب الله فيه الهدى والنور؛ فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به»، فحث على كتاب الله، ورغب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» (٢).

وقال رسول الله ﷺ فيما يبلغه عن ربه تعالى: «حقت محبتي للمتحابين في، وحقت محبتي للمتواصين في، وحقت محبتي للمتناصحين في، وحقت محبتي للمتزاورين في، وحقت محبتي للمتبادلين في. المتحابون في على منابر من نور، يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء» (٣).

### ثالثاً: تعليم الناشئة دوام الذكر والدعاء:

قال عز من قائل يخاطب حبيبه ومصطفاه: ﴿أَنْتَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (٤٥) [العنكبوت]. وقال تعالى في محكم كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرٍ﴾ (٦١) [الأحزاب]. وقال له تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٦٨) [الرعد].

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب. باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، حديث: ٣٥٠٦.

(٢) أخرج مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة - ليأخذن بالراية غدا رجل يحبه الله ورسوله ﷺ.

(٣) المستدرک على الصحيحين للحاكم، كتاب البر والصلة، حديث: ٧٢٨٤ قال: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

يفصل المولى الرحيم في هذه الآيات مكانة ذكر الله ﷻ، فهو الأمر الأكبر والأعظم الذي من أجله شرعت العبادات، ويرفع إلى مقام التآسي برسول الله ﷺ، ومن صفات المؤمنين الاطمئنان بذكر الله، فمن لا طمأنينة له بذكر الله لا يستكمل صفات الإيمان، هو غذاء القلب، وحصن المؤمن، وكذا الدعاء هو العبادة.

وتعليم النشء الإكثار من الذكر والدعاء باللسان أولاً في المناسبات المعروفة، ثم على كل حال، ترويض للكيان القلبي ليخلص التوجه لله ﷻ، ولقد كان الصحابة ﷺ يجتمعون بأبنائهم عند ختم القرآن رجاء بركته عن ثابت، أن أنس بن مالك، كان إذا ختم القرآن جمع أهله وولده، فدعا لهم<sup>(١)</sup>، فعن ابن عباس ﷺ: قال لرجل: ألا أطرفك بحديث تفرح به؟ قال: بلى يا أبا عباس يرحمك الله قال ﷺ: اقرأ تبارك الذي بيده الملك، فاحفظها، وعلمها أهلك، وجميع ولدك وصبيان بيتك، وجيرانك، فإنها المنجية، وهي المجادلة. تجادل وتخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها، وتطلب إلى ربها أن ينجيها من النار إذا كانت في جوفه، وينجي الله ﷻ بها صاحبها من عذاب القبر.

## الأصل الثاني

### الرحمة في التنشئة على عبادة الله ﷻ

الدين مراتب، إسلام وإيمان وإحسان، ولا يقدر يرقى في معارج الإحسان من لم يطبق الإسلام أولاً، ثم يتحقق بالإيمان، فيكون مهياً لعبادة المولى كأنه يراه. ولقد تحدثنا عن الرحمة في تثبيت الركن الأول من الدين.

(١) المعجم الكبير للطبراني. حديث: ٦٧٣. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: كتاب التفسير، باب الدعاء عند ختم القرآن



وفيما يلي نتلمس منهج الرحمة في التربية على باقي الأركان صلاة وصياماً وحجاً وزكاة، إذ هي من أهم عناصر الرحمات التي تؤسس لشخصية مؤمنة حقاً وصدقاً. خاصة في المراحل المبكرة من العمر حيث ينفع التمرين والتدريب ليرقى المسلم شاباً مكلفاً على استعداد تام لتحمل مسؤولياته الجسام في هذه الحياة، ولنيسط الأمر كما يلي:

### أولاً: الرحمة في اعتياد المساجد وحضور العيدين، وفي الأمر بالصلاة:

المسجد مهبط السكينة والرحمة، واصطحاب الأطفال إليها من أهم البواعث التربوية التي ترسخ رحمة الإسلام في القلوب، فهذا جابر بن سمرة يحدثنا عن طفولته وصحبته لرسول الله ﷺ، فعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ (أَي: صَلَاةَ الصَّبْحِ) الْأُولَى، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ، وَخَرَجْتُ مَعَهُ، فَاسْتَقْبَلَهُ وَلَدَانٌ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدِّي أَحَدَهُمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، قَالَ: وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي، قَالَ: فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا، أَوْ رِيحًا، كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ<sup>(١)</sup>.

وقد طلب الرسول ﷺ من أئمة المساجد أن يخففوا من الصلاة رأفة بالأطفال عند أخذهم إلى المسجد، لا بطردهم من المساجد كما يفعل كثيرون، فعَنْ أَبِي مَسْعُودِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فُلَانٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا. فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ غَضِبَ فِي مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ فَقَالَ « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مُنْفِرِينَ فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فليُوجِزْ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الْكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ »<sup>(٢)</sup>.

ومما أودع الله ﷻ في قلوب الآباء من الرحمة ابتغاؤهم صلاح أولادهم،

(١) صحيح مسلم. كتاب الفضائل. باب طيب رائحة النبي ﷺ. ولين مسه والتبرك - حديث: ٤٣٩٩.

(٢) صحيح مسلم. كتاب الصلاة. باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام - حديث: ٧٤٢.

لذلك من الرحمة أمرهم بالطاعات أمرًا مشجعًا، واحتفاءً محفزًا بتوجيه الولد لإقامة الصلاة<sup>(١)</sup> وذلك في بداية وعيه وإبان إدراكه بدايات التعلّمات، فلقد وجه النبي ﷺ إلى أمر الصبية بالصلاة عند بلوغهم السنة السابعة<sup>(٢)</sup>.

ولقد كان الحبيب المصطفى ﷺ يصحح أخطاءهم بلطف، فعن أمّ سلمة، قالت: رَأَى النَّبِيُّ ﷺ غُلَامًا لَنَا يُقَالُ لَهُ: أَفْلَحُ، يَنْفُخُ إِذَا سَجَدَ، فَقَالَ: «يَا أَفْلَحُ، تَرَبَّ وَجْهَكَ»<sup>(٣)</sup>

وسار الصحابة على منهج النبوة، فبدأوا بتعليم أطفالهم بأنفسهم، فهذا علي ﷺ يدعو الحسين ليعلمه كيفية الوضوء، ويجيبه على استفساراته، فعن الحُسين بن علي قال دَعَانِي أَبِي عَلِي بَوْضُوءَ فَقَرَّبْتُهُ لَهُ فَبَدَأَ فَغَسَلَ كَفَّيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهُمَا فِي وَضُوءِهِ ثُمَّ مَضَمَّ ثَلَاثًا وَاسْتَنْشَرَ ثَلَاثًا ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْمَرْفَقِ ثَلَاثًا ثُمَّ الْيُسْرَى كَذَلِكَ ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ مَسْحَةً وَاحِدَةً ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْكَعْبَيْنِ ثَلَاثًا ثُمَّ الْيُسْرَى كَذَلِكَ ثُمَّ قَامَ قَائِمًا فَقَالَ نَاوَلَنِي فَنَاوَلْتُهُ الْإِنَاءَ الَّذِي فِيهِ فَضْلٌ وَضُوءُهُ فَشَرِبَ مِنْ فَضْلِ وَضُوءِهِ قَائِمًا فَعَجِبْتُ فَلَمَّا رَأَيْتُ قَالَ لَا تَعْجَبْ فَإِنِّي رَأَيْتُ أَبَاكَ النَّبِيَّ ﷺ يَصْنَعُ مِثْلَ مَا رَأَيْتَنِي صَنَعْتُ يَقُولُ لَوْضُوءِهِ هَذَا وَشَرِبَ فَضْلَ وَضُوءِهِ قَائِمًا.<sup>(٤)</sup>

(١) من التجارب المفيدة تنظيم حفلات في المؤسسات التعليمية بسن السنة السابعة واعتباره يومًا احتفاليًا بالصلاة.

(٢) عَنْ عَمْرٍو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَأَضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ، وَسُنَدُهُ حَسَنٌ، وَاشْتَهَرَ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ، وَاحْتَجُّوا بِهِ، وَشَهْرَتُهُ كَافِيَةٌ، وَسُلْسَلَةُ عَمْرٍو بْنِ شُعَيْبٍ الْأَصْلُ فِيهَا الْقَبُولُ لِأَنَّهَا مِنَ الْحَسَنِ الْمَشْهُورِ إِلَّا مَا اسْتَشْنَى، وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ وَالتَّرْمِذِيُّ فِي بَعْضِ النُّسخِ وَقَالَ: "الْعَمَلُ عَلَيْهِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ" وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ.

(٣) سنن الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في كراهية النفخ في الصلاة، ومسند أحمد، حديث أم سلمة - رقم الحديث: (٢٥٣٦٠)، وينظر أيضًا - تمام المنة - في التعليق على فقه السنة محمد ناصر الألباني ص: (٣١٣) قال: رواه أحمد بإسناد جيد.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الطهارة. باب صفة الوضوء وكماله - حديث: ٣٥٧.

## ثانياً: في التربية على الصوم:

رمضان أوله رحمة، وهو هامة في إحداث التغيير السريع في السلوك، وللصوم آثار عظيمة في بناء شخصية الطفل: «والدربة على التحكم في انفعالاته وضبط غرائزه ونزواته، وتربية روح الاحتمال والصبر لديه، وتفجير معاني العطف والشفقة والرفق والخير في نفسه، وتحريك مشاركته الوجدانية الصادقة للآخرين وإعانة المحتاجين منهم والمعوزين»<sup>(١)</sup>. ومن رحمة الصحابة بأطفالهم أنهم يلاعبونهم أثناء الصوم حتى لا يشعروا بالإرهاق والتعب، فعن الربيع بنت معوذ بن عفراء، قالت: أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قُرَى الْأَنْصَارِ الَّتِي حَوْلَ الْمَدِينَةِ: مَنْ كَانَ أَصْبَحَ صَائِمًا فَلْيَتَمَّ صَوْمَهُ، وَمَنْ كَانَ أَصْبَحَ مُفْطَرًا فَلْيَصُمْ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ ذَلِكَ، قَالَتْ: فَكُنَّا نَصُومُهُ وَنُصُومُ صِبْيَانِنَا الصَّغَارِ وَنَذْهَبُ بِهِمْ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَنَجْعَلُ لَهُمُ اللَّعْبَةَ مِنَ الْعَهْنِ، فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهَا إِيَّاهُ حَتَّى يَكُونَ عِنْدَ الْإِفْطَارِ<sup>(٢)</sup>. كما كانوا يجمعونهم، ويدعون الله ﷻ عند الإفطار، رجاء استجابة الدعاء، في تلك اللحظة المباركة.

## ثالثاً: البذل والصدقة:

تعويد للنشء على البذل والعطاء أسلوباً مهماً في محاربة خلق الشح من نفس الناشئة وكذا أحد أهم أبواب الفلاح ﴿وَمَنْ يُؤَقِّ شِحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦] وتلك لأيم الله لرحمة عميقة، إنها منهاج تربوي وعلاج عملي أصيل لضعف النفس، وتطهيرها من داء الشح والأثرة وعبادة المال<sup>(٣)</sup>. وللصدقة عجائب في رد المصائب عن الناس.

(١) الزنتاني، عبد الحميد الصيد، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، ص ١٣٧-١٣٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب صوم الصبيان - حديث: ١٨٧٣.

(٣) سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٢٩١.

## رابعاً: في تعليم مناسك الحج:

أصل مشروعية الحج رحمة الوالد بولده وطاعة الولد لوالده، سيدنا اسماعيل وسيدنا إبراهيم واسماعيل عليهم السلام اللذين تشرفا بإعادة رفع البيت من قواعده الأصلية، في البقعة المباركة حيث تضاعف الحسنات، وتتنزل الرحمات، سبب الأمان في الدنيا والآخرة. لذا كان ﷺ يربي الأطفال ويعلمهم أثناء الحج بخطاب رحيم فعال، فعن ابن عباس، قال: كَانَ فُلَانٌ رَدِيفُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ عَرَفَةَ، قَالَ: فَجَعَلَ الْفَتَى يُلَاحِظُ النِّسَاءَ، وَيَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ، قَالَ: وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصْرِفُ وَجْهَهُ بِيَدِهِ مِنْ خَلْفِهِ مَرَارًا، قَالَ: وَجَعَلَ الْفَتَى يُلَاحِظُ إِلَيْهِنَّ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ابْنَ أَخِي، إِنَّ هَذَا يَوْمٌ مِنْ مَلَكٍ فِيهِ سَمْعُهُ، وَبَصَرُهُ، وَلِسَانُهُ، غُفِرَ لَهُ»<sup>(١)</sup>.

إن النشوء في رحمة التربية النبوية على العبادات منجاة للمرء في شبابه من الفتن التي تهدد كيانه المعنوي وفطرته الكامنة، وهويته الإيمانية، وإن الله ﷻ ليعجب ممن أمضى شبابه في طاعة الله ﷻ يوم لا ظل إلا ظله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»<sup>(٢)</sup>. فما بالك من الشباب المرحوم برحمة التقوى في هذا العصر.

(١) رواه أحمد بسند صحيح مسند أحمد بن حنبل. انظر: «بشارة المحبوب بتكفير الذنوب» المؤلف: القابوني

(٢) أخرجه البخاري ومسلم

## الأصل الثالث الرحمة في التربية العاطفية

تمهيد:

الرحمة هي مركز العواطف الإيجابية في بناء شخصية الناشئة، من خلالها يتشكل النسيج العاطفي المشع في المجتمع، ويرقى بالعلاقات العاطفية إلى مستوى إحساني رفيع يتعدى فضله المجتمع المسلم ليؤثر في الإنسانية عامة. ولنحن في أمس الحاجة إلى جيل رحيم بنفسه وبالعالم من حوله. من أجل كل ذلك اعتنى الرسول ﷺ أيما عناية بهذا الجانب في حياة الناشئة، يتجلى ذلك من خلال:

**أولاً: البشاشة وحسن الاستقبال والقبلة والعناق:**

الوجه الطلق الباش، والابتسامة الحانية والقبلة الرحيمة رسائل أولية فعالة في إيقاظ مشاعر الخير والحب لدى الطفل ومحاربة شعوره بالإحباط والقنوط واليأس، وكل ذلك نور ساطع من مشكاة الرحمة الثابتة عن المصطفى ﷺ مع الناشئة، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ تَلَقَّى بِصَبِيَّانِ أَهْلِ بَيْتِهِ قَالَ: وَإِنَّهُ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَسَبَقَ بِي إِلَيْهِ فَحَمَلَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ جِيءَ بِأَخِي فَاطِمَةَ فَأَرَدَفَهُ خَلْفَهُ قَالَ: فَأَدْخَلْنَا الْمَدِينَةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ عَلَى دَابَّةٍ. قَالَ الْإِمَامُ النَّووي رَحِمَهُ اللهُ: «هذه سنة مستحبة أن يتلقى الصبيان المسافرين، وأن يركبهم، وأن يردفهم، ويلطفهم، والله أعلم»<sup>(1)</sup>.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَأَعْطَتْهَا عَائِشَةُ ثَلَاثَ تَمْرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ صَبِيٍّ لَهَا تَمْرَةً، وَأَمْسَكَتْ لِنَفْسِهَا تَمْرَةً، فَأَكَلَ الصَّبِيَّانِ التَّمْرَتَيْنِ وَنَظَرَا إِلَى أُمِّهِمَا، فَعَمَدَتِ إِلَى التَّمْرَةِ فَشَقَّتْهَا،

(1) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضائل عبد الله بن جعفر ﷺ، حديث: ٤٥٥٩

فَأَعْطَتْ كُلَّ صَبِيٍّ نَصْفَ تَمْرَةٍ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ فَقَالَ: «وَمَا يُعْجِبُكَ مِنْ ذَلِكَ؟ لَقَدْ رَحِمَهَا اللَّهُ بِرَحْمَتِهَا صَبِيَّهَا»<sup>(١)</sup>

ثانياً: مداعبة الصغار وممازحتهم ومهاداتهم<sup>(٢)</sup>:

المعاني العاطفية تتساب إلى النفوس من خلال التطبيق العملي المناسب للمستوى العمري للمعني بذلك، ومن مظاهر الرحمة بالناشئة أن تلاعبهم بما يحبون كالركض، والتلطف في النطق بالاسم والممازحة وغير ذلك، فعَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةٍ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَدُعِينَا إِلَى طَعَامٍ، فَإِذَا الْحُسَيْنُ يَلْعَبُ فِي الطَّرِيقِ، فَاسْرَعَ النَّبِيُّ ﷺ أَمَامَ الْقَوْمِ، ثُمَّ بَسَطَ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ حُسَيْنٌ يَمُرُّ مَرَّةً هَهُنَا وَمَرَّةً هَهُنَا يُضَاحِكُهُ حَتَّى أَخَذَهُ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ فِي ذَقْنِهِ وَالْأُخْرَى بَيْنَ رَأْسِهِ وَأُذُنَيْهِ، ثُمَّ اعْتَقَهُ وَقَبَّلَهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: حُسَيْنٌ مِنِّي، وَأَنَا مِنْهُ أَحَبُّ اللَّهِ مَنْ أَحَبَّهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سِبْطَانِ مِنَ الْأَسْبَاطِ<sup>(٣)</sup>.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أُمَّ سُلَيْمٍ وَلَهَا ابْنٌ مِنْ أَبِي طَلْحَةَ يُكْنَى أَبَا عُمَيْرٍ، وَكَانَ يَمَازِحُهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَرَأَهُ حَزِينًا، فَقَالَ: مَالِي أَرَى أَبَا عُمَيْرٍ حَزِينًا؟ فَقَالُوا: مَاتَ نُفْرُهُ الَّذِي كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، قَالَ: فَجَعَلَ يَقُولُ: أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّفَيْرُ<sup>(٤)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر: «وفيه جواز الممازحة وتكرير المزح وأنها إباحة سنة لا رخصة، وأن ممازحة الصبي الذي لم يميز جائزة، وتكرير

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (رقم ٨٩)، والحاكم (٤/١٩٦ رقم ٧٣٤٩) وصححه. وكذا صححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (رقم ٨٩)

(٢) لا بأس هنا من الاستفادة من الحكمة البشرية فيما يسمى «بيداغوجيا اللعب، والمقصود به استغلال أنشطة اللعب في اكتساب المعرفة وتوسيع آفاقهم المعرفية، وشحذ همهم واكتشاف قدراتهم، ويعرف أيضاً، ومن أهداف اللعب البيداغوجي بناء مجموعة من التعلّيمات بطريقة مسلية بهدف تنمية مهارات وقدرات عقلية وجسمية ووجدانية قابلة للتقييم، على أن يرتبط ذلك بالوسائل لا الغايات.

(٣) المعجم الكبير للطبراني - باب الياء - من اسمه يعلى - يعلى بن مرة العامري. حديث: ١٨٥٢٩.

(٤) صحيح البخاري. كتاب الأدب. باب الانبساط إلى الناس - حديث: ٥٧٨٣

زيارة الممزوح معه. وفيه ترك التكبر والترفع، والفرق بين كون الكبير في الطريق فيتواقر أو في البيت فيمزح»<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: إِنْ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ لِيَأْخُذَنِي وَيُقْعِدَنِي عَلَى فَخْذِهِ وَيُقْعِدُ الْحَسَنَ عَلَى الْأُخْرَى ثُمَّ يَضُمُّنَا ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ ارْحَمَهُمَا فَإِنِّي أَرْحَمُهُمَا»<sup>(٢)</sup>. قال الإمام ابن بطال رحمته في شرح البخاري: «رحمة الولد الصغير ومعانقته وتقبيله والرفق به من الأعمال التي يرضاها الله ويجازى عليها، ألا ترى قوله عليه السلام للأقرع بن حابس حين ذكر عند النبي أن له عشرة من الولد ما قبل منهم أحداً: «من لا يرحم لا يرحم»<sup>(٣)</sup>، فدل أن تقبيل الولد الصغير وحمله والتحفي به مما يستحق به رحمة الله، ألا ترى حمل النبي عليه السلام أمامة ابنة أبي العاص على عنقه في الصلاة، والصلاة أفضل الأعمال عند الله، وقد أمر عليه السلام بلزوم الخشوع فيها والإقبال عليها، ولم يكن حملها لها مما يضاد الخشوع المأمور به فيها، وكره أن يشق عليها لو تركها ولم يحملها في الصلاة وفي فعله عليه السلام ذلك أعظم أسوة لنا، فينبغي الاقتداء به في رحمته صغار الولد وكبارهم والرفق بهم، ويجوز تقبيل الولد الصغير في سائر جسده... وأما تقبيل كبار الولد وسائر الأهل فقد رخص في ذلك العلماء، قال أشهب: سئل مالك عن الذي يقدم من سفره فتلقاه ابنته تقبله أو أخته أو أهل بيته؟ قال: لا بأس بذلك، وهذا على وجه الرقة وليس على وجه اللذة، وقد كان عليه السلام يقبل ولده وبخاصة فاطمة، وكان أبو بكر يقبل عائشة، وقد فعل ذلك أكثر أصحاب النبي عليه السلام وذلك على وجه الرحمة»<sup>(٤)</sup>.

واقتهى الصحابة عليهم السلام برسول الله ﷺ، فسارعوا إلى مازحة ومداعبة

(١) فتح الباري ١٠/٥٨٤ - ط. مكتبة الرياض الحديثة.

(٢) صحيح البخاري، باب وضع الصبي على الفخذ

(٣) متفق عليه

(٤) ابن بطال شرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته.

أطفالهم، وكانوا ينزلون إلى منازلهم، ويتصابون لهم، ويلاعبونهم. ولقد سنَّ رسول الله ﷺ قاعدة للحب بين الناس، فنصح الأمة بقوله: «تَهَادُوا وَتَحَابُّوا»<sup>(١)</sup>، وبين ذلك عملياً في بناء عاطفة الطفل، فعن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُؤْتِي بِأَوَّلِ الثَّمَرِ فَيَقُولُ «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا وَفِي ثَمَارِنَا وَفِي مُدُنِنَا وَفِي صَاعِنَا بِرَكَّةٍ مَعَ بَرَكَةٍ». ثُمَّ يُعْطِيهِ أَصْغَرَ مَنْ يَحْضُرُهُ مِنَ الْوَالِدَانِ<sup>(٢)</sup>.

**ثالثاً: المسح على رأس الطفل وتفقد أحواله خاصة إذا كان يتيماً:**

كان ﷺ يمسح بيده الشريفة على رؤوس الأطفال من الصحابة فيشعرهم بلذة الرحمة والحنان والحب والعطف، عن أنس: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَزُورُ الْأَنْصَارَ، وَيَسْلُمُ عَلَى صِبْيَانِهِمْ، وَيَمْسَحُ رُؤُوسَهُمْ<sup>(٣)</sup>.

## الأصل الرابع

### الرحمة في التربية على طلب العلم

طلب العلم فرض أكيد على كل مسلم ومسلمة، لا حد له ولا حد للسنن اللازم فيه، فضله عظيم وهو ومن أهم أبوابها: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ

(١) السنن الكبرى للبيهقي - كتاب الهبات. باب التحريض على الهبة والهدية صلة بين الناس.

حديث: ١١١٦٠. والحديث حسنه الألباني في صحيح الجامع ٣٠٠٤.

(٢) صحيح مسلم - كتاب الحج. باب فضل المدينة. حديث: ٢٥١٦.

(٣) صحيح ابن حبان. كتاب البر والإحسان. باب الرحمة. ذكر ما يستحب للمرء استعمال التعطف على

صغار أولاد آدم. حديث: ٤٦٠. قَالَ مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ صُعَيْبِ بْنِ أَبِي صُعَيْبِ

الْعَدَوِيِّ وُلِدَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِأَرْبَعِ سِنِينَ، وَحُمِلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَسَحَ وَجْهَهُ وَبَرَكَ عَلَيْهِ عَامَ الْفَتْحِ،

وَتُوفِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ، وَتُوفِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَعْلَبَةَ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو مُحَمَّدٍ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ

وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً. والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٢٧٨، ٢١١٢.



أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ [غافر: ٧-٨]، إنها رحمة طلب العلم تتجلى في كونها تعالج النشء من كيانه الداخلي ليكتسب المعرفة وحب التعلم والعلماء، وتجليات هذه الرحمة كما يلي:

### أولاً: التعليم حق للصغار واجب على الكبار:

العلم والتعلم رحمة، والجهل والجهالة عذاب، والنبى ﷺ أسس أصلاً أصيلاً وركناً ركينا في الباب، فجعل طلب العلم فريضة لا مناص منها رحمة بالناشئة وهداية لها، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»<sup>(١)</sup>.

والتعلم في مرحلة الطفولة والشباب أبلغ في البقاء وأدوم للنفع، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ فِي شَبَابِهِ اخْتَلَطَ الْقُرْآنُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ، وَمَنْ تَعَلَّمَهُ فِي كِبَرِهِ فَهُوَ يَنْفَلِتُ مِنْهُ وَلَا يَتْرُكُهُ، فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ»<sup>(٢)</sup>.

ولقد أدرك الصحب الكرام هذه الحقيقة فصاروا على هذا النهج، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ قَالَ: كَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ: «قَدِّمُوا إِلَيْنَا أَحَدَاتِكُمْ، فَإِنَّهُمْ أَفْرَغَ قُلُوبًا وَأَحْفَظَ لَمَّا سَمِعُوا، فَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُتِمَّ ذَلِكَ لَهُ أُمَّتَهُ»<sup>(٣)</sup>. وعن هشام بن عروة، قَالَ: كَانَ أَبِي يَقُولُ: «أَيُّ شَيْءٍ تَعَلَّمُوا فَإِنَّكُمْ صِغَارٌ، وَتُوشِكُونَ أَنْ تَكُونُوا كِبَارًا، وَإِنَّمَا تَعَلَّمْنَا صِغَارًا وَأَصْبَحْنَا كِبَارًا، وَصِرْنَا الْيَوْمَ نُسَاءً»<sup>(٤)</sup>.

(١) سنن ابن ماجه - المقدمة. باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ - باب فضل العلماء والحث على طلب العلم. حديث: ٢٢٢، والحديث حسنه السيوطي، وصححه السيوطي، أفرد لذلك كتابا بعنوان: جزء فيه طرف حديث: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» ضبط وتعليق علي حسن علي عبد الحميد

(٢) أخرجه البخاري في تاريخه الكبير بلفظ: «من حفظ القرآن وهو فتى السن خلطه الله بلحمه ودمه»

(٣) الخطيب البغدادي. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع. من كان يخص بالتحديث الشبان ويؤثرهم على المشايخ وذوي الأسنان. حديث: ٦٨٢.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد - عمرة بنت عبد الرحمن. حديث: ٢٥٠٨.

وَرُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام قَالَ: «تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَتَزَيَّنُوا مَعَهُ بِالْوَقَارِ وَالْحَلَمِّ وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ وَلِمَنْ تُعَلِّمُونَهُ، وَلَا تَكُونُوا جَبَابِرَةَ الْعُلَمَاءِ فَيَذْهَبَ بِاطْلَاقِكُمْ حَقَّكُمْ»<sup>(١)</sup>.

## ثانياً: إتقان الناشئة اللغة العربية ولغات أجنبية:

اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم الرحمة العامة، يتعبد بتلاوته بها، كان لا بد من امتلاك ناصيتها، وإدراك الضروري منها، وإلا فلا رحمة بدونها. ولقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تعليمها للناشئة منذ البدايات الأولى لتثبيت المجتمع المسلم الناشئ في المدينة المنورة، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ نَاسٌ مِنَ الْأَسَارَى يَوْمَ بَدْرٍ لَيْسَ لَهُمْ فِدَاءٌ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِدَاءَهُمْ أَنْ يُعَلِّمُوا أَوْلَادَ الْأَنْصَارِ الْكِتَابَةَ<sup>(٢)</sup>.

وكان الخلفاء عليهم السلام متحفزين لحماية اللغة العربية من التمازج الألسني، وغلبة العجمة، فهذا علي بن أبي طالب عليه السلام، طالب العلماء بوضع القواعد الأساسية للعربية وتعليمها للأطفال، خشية حتى لا تستعجم ألسنتهم. وقد كان الإمام الشافعي رحمته الله وهو صغير يتعلم من القبائل العربية حيث رحل إليها، وعاش معها، ولهذا كان فصيح اللسان، وعمدة اللغة العربية بين العلماء.

ومن المستحبات الأكيدة، إن لم نقل إنه من فروض الكفايات لا بد من إتقانه لغة أجنبية سائدة، كما هو في الظروف الراهنة، فقد تبقى الناشئة مهمشة إن لم تتعلم لغة العلوم اليوم اللغة الإنجليزية، حتى يتسنى الاستفادة من الحضارات الأخرى، وهذا ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما وصل إلى

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، بَابُ جَامِعٍ فِي آدَابِ الْعَالَمِ وَالْمُتَعَلِّمِ ...

(٢) مسند أحمد - وَمِنْ مُسْنَدِ بَنِي هَاشِمٍ - مُسْنَدُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم

السنن الكبرى للبيهقي - كتاب قسم الفقيه والغنيمة. جماع أبواب تفريق القسم. باب ما جاء في

مفاداة الرجال منهم بالمال. حديث: ١٢٠١٤.

المدينة المنورة مهاجراً من مكة، عَنْ خَارِجَةَ بِنِ زَيْدٍ، أَنَّ أَبَاهُ زَيْدًا، أَخْبَرَهُ؛ أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ، قَالَ زَيْدٌ: ذَهَبَ بِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَعْجَبَ بِي، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا غُلَامٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، مَعَهُ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ بَضْعَ عَشْرَةِ سُورَةٍ، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ: يَا زَيْدُ، تَعَلَّمَ لِي كِتَابَ يَهُودٍ، فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنَ يَهُودٌ عَلَى كِتَابِي قَالَ زَيْدٌ: فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ، مَا مَرَّتْ بِي خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى حَذَقْتَهُ وَكُنْتُ أَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ، وَأَجِيبُ عَنْهُ إِذَا كَتَبَ<sup>(١)</sup>.

وتعلم زيد بن ثابت لغة يهود في خمس عشرة يوماً يدل على ذكاء مفرط، وقوة حافظته، وقد كان ﷺ ممن حفظ القرآن كله على عهد رسول الله ﷺ، ومن أشهر كتاب الوحي بين يديه، وهو الذي تولى كتابة القرآن وحده في الصحف في عهد الصديق، وكان أحد كتابي المصاحف في عهد عثمان ﷺ.

ثم إن اللغات اليوم مفتاح العلوم الكونية التي أصبحت ضرورية، لمجاراة العجم والفرنجة، والترقي بين الأمم، وصارت مفتاحاً للتعارف الذي أصبح ضرورياً للعيش وأمن الإنسان على حقوقه حين الاختلاط، وللشيخ صفي الدين الحلي وهو ممن كان يحفظ عدة لغات:

بَقَدْرِ لُغَاتِ الْمَرْءِ يَكْثُرُ نَفْعُهُ      وَتِلْكَ لَهُ عِنْدَ الْمَلِمَاتِ أَعْوَانُ  
فَبَادِرْ إِلَى حِفْظِ اللُّغَاتِ مُسَارِعًا      فَكُلُّ لِسَانٍ فِي الْحَقِيقَةِ إِنْسَانٌ<sup>(٢)</sup>

**ثالثاً: اكتشاف ميول الناشئة وتوجيههم وفقهاً:**

لا بد من توجيه الطفل حسب ميوله العلمية، لأنه أدعى لتمكن العلم

(١) مسند أحمد « مسند الأنصار » حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ

(٢) الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم لأبي غدة - (١/١٧١) والأساليب النبوية في التعليم - ط ١

- (١/٥١٧)

من نفسه، وبراعته به، وتفوقه على أقرانه، وقد قرر هذا أيضاً علماء السلف الصالح عليهم السلام، وذلك لحسن البيان وتيسيره للأقوام العجمية، مع أنه ينبغي بذل الوسع في تعليم المرحومين بالإسلام من حديثي العهد به لغة القرآن الكريم.

وَذَكَرَ أَنَّ الْخَلِيلَ (الفراهيدي) اشْتَغَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فِي الْعُرُوضِ، قَالَ: وَكَانَ بَعِيدَ الْفَهْمِ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا: كَيْفَ تَقْطَعُ هَذَا الْبَيْتَ؟ إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعَّهُ وَجَاوِزَهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ، فَشَرَعَ مَعِيَ فِي تَقْطِيعِهِ عَلَى قَدْرِ مَعْرِفَتِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ نَهَضَ مِنْ عِنْدِي فَلَمْ يَعُدَّ إِلَيَّ، وَكَانَهُ فَهَمَ مَا أَشْرْتُ إِلَيْهِ<sup>(١)</sup>.

## الأصل الخامس الرحمة في التربية المدنية الاجتماعية (الدعوية التواصلية)

البنية الاجتماعية السليمة مبنية على التراحم والتآزر والتعاون، وتلك لعمري خصلة ضرورية للبناء السليم للحس المجتمعي لدى الناشئة، ومقولات العصر تسمي ذلك «تربية مدنية»، وذلك نظراً لما عرفته الطفولة عندهم من أمراض نفسية نتيجة التركيبة الاجتماعية المشبعة بالقوانين عند البعض والقسوة عند آخرين أكثر من العاطفة الرحيمة، وهي عندنا تربية على الاندماج الإيماني الإيجابي الفاعل في المجتمع والناس. ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ومن خلال التأمل في منهج الرحمة النبوية نجد هناك أموراً خصها الرسول ﷺ في تكوين الناشئة بال العناية الأساسية في هذا المجال، وعلى رأسها:

(١) ابن كثير. البداية والنهاية. ص ٥٦٥.

صحبة الناشئة في مجالس الكبار وأنشطتهم الاجتماعية:

إذ كانوا يحضرون مجالس النبي ﷺ، صحبة آبائهم، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا عند رسول الله ﷺ فقال «أخبروني بشجرة تشبه أو كالرجل المسلم لا يتحات ورقها ولا ولا ولا، تؤتي أكلها كل حين». قال ابن عمر فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلم، فلما لم يقولوا شيئاً قال رسول الله ﷺ: «هي النخلة». فلما قمنا قلت لعمر: يا أبتاه والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة. فقال: ما منعك أن تكلم. قال: لم أركم تكلمون، فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئاً. قال عمر: لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا»<sup>(١)</sup>.

وعن مجاهد قال صحبت ابن عمر إلى المدينة فلم أسمعهم يحدث عن رسول الله ﷺ إلا حديثاً واحداً، قال كنا عند النبي ﷺ فأتي بجمار فقال «إن من الشجر شجرة مثلها كمثل المسلم». فأردت أن أقول هي النخلة، فإذا أنا أصغر القوم فسكت، قال النبي ﷺ: «هي النخلة»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: يقول الله جل وعلا للعبد يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني، فيقول: يا رب، وكيف أعودك وأنت رب العالمين؟ فيقول: أما علمت أن عبدي فلانا مرض، فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني؟ ويقول: يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، فيقول: يا رب، كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ فيقول: أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، فيقول: يا رب، وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ فيقول: ألم تعلم أن عبدي فلانا استطعمك فلم تطعمه؟ أما إنك لو أطعمته وجدت ذلك عندي»<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح البخاري - كتاب العلم. باب الفهم في العلم

(٢) نفسه

(٣) صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - من عاد مريضاً لم يزل في خرفة الجنة قيل يا رسول

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ يَخُوضُ الرَّحْمَةَ حَتَّى يَجْلِسَ، فَإِذَا جَلَسَ، غُمِرَ فِيهَا<sup>(١)</sup>.

فهذان الحديثان يبرزان أهمية التربية على الرحمة في بعدها الاجتماعي، بزيارة المرضى والتخفيف عنهم ومواساتهم، وهو خلق ينبغي أن ينشأ عليه أطفال المسلمين منذ الصبا.

## الأصل السادس الرحمة في التربية الجنسية

خلق الله ﷻ الدافع الجنسي في النفس البشرية ليكون سبباً في استمرار النوع الإنساني، خليفة الله في الأرض، وسمى الشرع الحنيف هذا السنّ بسنّ التكليف، أي: بدخول الطفل هذا السنّ يصبح مسؤولاً عن تصرفاته محاسباً على أعماله.

ولتحقيق التوازن المطلوب في بناء الوعي الجنسي في نفس الطفل، وتمكينه من التحكم في هذا الدافع، احتاج الأمر إلى كثير من الرحمة، لا الاندفاع لفتح الأبواب مشرعة أمام الهيجان الجنسي كما تعج به وسائل الإعلام اليوم، فعلى عكس التربية المسيحية، لم ينكر الإسلام على الإنسان هذه الرغبة، بل اعترف بها وانتقل بالناشئة انتقالاً رحيماً إلى مراحل النضج الراشد بإذن الله ﷻ، وفي هذا المجال ربي النبي ﷺ أصحابه كباراً وصغاراً على خصلتين هامتين بهما تميزت حضارة المسلمين هما خصلتا الحياء والستر، وهما مقصودان اليوم بالهتك من قبل النظريات التربوية «المتحررة» من كل ضابط، هاتان الخصلتان تتموان مع النشء نموا اندماجياً.

الله وما خرفة الجنة؟ قال: جناها.

(١) المنتقى شرح موطأ مالك - كتاب الجامع - باب العين والمرض - عيادة المريض.

## أولاً: تربية الطفل على غض البصر، وستر العورة:

يتربى النشء على ستر العورة منذ تمييزه بين الشمال واليمين، فهو وقت ابتداء تعلم القرآن الكريم، ثم يدرك المعاني الأولية لستر العورة عند الأمر بالصلاة، إذ ينبغي تعويده على اللباس الساتر لعورته، فنشأ على حب الستر، ذكراً كان أو أنثى، فالصبي يلبس ما يستر عورته، والبنت تبدأ بحجاب الصلاة، وتتعود شيئاً فشيئاً على الحجاب، وهكذا ينشأ مستقيماً صالحاً مهذباً نفسه، قويمة أخلاقه. قوياً في إيمانه إن البصر هو نافذة الطفل على العالم الخارجي، فما تراه عيناه ينطبع في ذهنه ونفسه، وذاكرته بسرعة فائقة، فإذا تعود غض البصر عن العورات كافة المنزلية والخارجية، مستعيناً بمراقبة الله ﷻ له، عَنْ أَبِي رِيحَانَةَ: أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ فَسَمِعَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهُوَ يَقُولُ: «حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنِ سَهْرَتٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَحُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنِ دَمَعَتٍ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ». قَالَ: وَقَالَ الثَّلَاثَةَ فَنَسِيْتُهَا. قَالَ أَبُو شَرِيحٍ سَمِعْتُ مَنْ يَقُولُ ذَاكَ: «حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنِ غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، أَوْ عَيْنٍ فُقِّمَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»<sup>(١)</sup>.

وقد يتهاون الناشئ أحياناً، وينسى أخرى، ويغلبه هواه في لحظة ما، فيرسل بصره نحو الفتيات بشهوة وتلذذ، فماذا فعل رسول الله ﷺ في مثل هذا الموطن؟ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ كَانَ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ، وَكَانَ الْفَتَى يُلَاحِظُ النِّسَاءَ. قَالَ: فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْرِفُ بَصْرَهُ وَيَقُولُ: يَا ابْنَ أَخِي إِنَّ هَذَا يَوْمٌ مِنْ مَلِكٍ سَمِعَهُ إِلَّا مِنْ حَقٍّ، وَبَصْرَهُ إِلَّا مِنْ حَقٍّ، وَلِسَانَهُ إِلَّا مِنْ حَقٍّ؛ غَفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ»<sup>(٢)</sup>.

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم. کتاب الجهاد. قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٢٢٢٢

(٢) أخبار مكة للفاكهي. ذكر فضل يوم عرفة على سائر الأيام وفضل أهل عرفة. حديث: ٢٦٩٤

## ثانياً: التربية على خلق العفة، مع التنبيه إلى خطر الفاحشة وعذابها:

من أسباب الانحراف الخطيرة، ومن أشد مهيجات الفتن في هذا الباب ما تحمله الآلة الإعلامية الجديدة من وابل عاصف من الصور ومقاطع الفيديو وأساليب الخطاب السمعي والبصري الذي يقتل كل خصلة حياء أو ستر في نفوس الناشئة، وذلك أبعد ما يكون عن رحمة الوعي بالوظائف الجنسية الذي يرشد للمهمة الرسالية التي من أجلها خلق الإنسان.

فليس العيب أن يشعر الفتى بالرغبة في التصريف الجنسي، ولكن العيب في أن يكون لذلك تداعيات خطيرة على ذات الفتى ومجتمعه، فعن أبي أمامة قال: إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، اتذّن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه. فقال: أدنه، فدنا منه قريباً. قال: فجلس قال: أتحبّه لأمك؟ قال: لا، والله جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا، والله يا رسول الله جعلني الله فداك قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم. قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا، والله جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم. قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا، والله جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم. قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا، والله جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم. قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء. هم، فوضع رسول الله ﷺ يده على صدره، وقال: «اللهم كفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه»<sup>(١)</sup>.





## المبحث الثاني

### معالم هندسة تربية مبنية على منهج الرحمة

أو من أجل تيسير منهاج دراسي «رحمة في العالمين».

إذا كانت الرحمة النبوية في تربية النشء شاملة لجوانب عديدة من بناء شخصية الطفل، وذات أصول واضحة في منهج التربية النبوية كما بينا ذلك في المبحث السابق، فإن هذه الأصول تتطلب منا التطوير من حيث التنزيل العملي في واقع المسلمين اليوم.

نحن بأمس الحاجة لهندسة تربية تعليمية مبنية على أصول الرحمة، ومتجلية في المنهاج الدراسي المختار من قبل الجهات الملقاة على عاتقها هذه المسؤولية في البلدان الإسلامية ابتداءً، وفيما بين المسلمين القاطنين في بلدان غير المسلمين، سواء باعتبارهم مواطنين أصليين أو مهاجرين، لأن الرحمة الإلهية النبوية لا تحصر في شيء ولا بشيء، إنها رحمة الله المهداة للعالمين.

يتطلب منا ذلك بذل الوسع في وضع معالم هندسة تربية "رحمة في العالمين"، سواء من حيث التخطيط أو التدبير أو التقويم.

نتوكل على الله ﷻ واضعين أهم المعالم حسب ما وسعنا الجهد. ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً، فافتح لنا في معالم تكون منطلق مشاريع بحثية جادة حاديتها ومنطلقها وغايتها أن تعم رحمة الإسلام العالم كله.

- المعلم الأول: في تخطيط المناهج الدراسية (من خبراء البرامج إلى منفذيها مع الناشئة)
- المعلم الثاني: في تدبير أو تنفيذ المناهج الدراسية
- المعلم الثالث: في تقويم البرامج

## المعلم الأول في تخطيط المناهج والبرامج الدراسية

التخطيط هو إعداد خطة لبلوغ الأهداف المتوخاة باختيار الوسائل المناسبة وهيكلته وجدولة الوقت الخاص بإنجازها وتدبيرها فيما بعد<sup>(١)</sup>. ويشمل التخطيط التربوي جميع فترات التربية بدءاً من فترة ما قبل المدرسة الابتدائية، مروراً بشتى مراحل التربية والتعليم في مختلف صوره وأشكاله النظامية وغير النظامية، بل ويتعدى ذلك إلى جميع فئات المجتمع التربوي. من مناهج وطرائق التدريس وإعداد المعلمين والوسائل التكنولوجية والتعليمية وغيرها، استحضاراً للصورة المتوقعة للحالة التي ينبغي أن تكون عليها الناشئة بعد فترة زمنية محددة على ضوء المتاح والممكن من الموارد المادية والطاقات البشرية.

وعليه، فتوقياً مما قد يحدثه من القسوة والعنف الذي تضج به وسائل الإعلام الجديد اليوم، وتتفوق على المناهج الدراسية في استقطاب الشباب المسلم إلى توجهات وتنظيمات، بوعي أو بغير وعي، والتي لا صلة لها بقيمة الرحمة التي هي من أهم القيم المركزية الإسلامية، أقول

(١) دليل التأهيل بالمراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين (مسلك التعليم الثانوي الإعدادي - التربية الإسلامية أنموذجاً. ص ٤٦)

توقياً من كل ذلك، الانتقال من التصورات النظرية والأصول الكلية إلى التخطيط الاستراتيجي العملي لتأسيس جيل الرحمة، إن لم نقل أجيال الرحمة المستقبلية التي تجعل من دين الرحمة ملاذاً خلقياً وتربوياً وحضارياً للناس كافة، وذلك وفق الاقتراحات التالية حسبما توصلت إليه بعد التأمل والدراسة<sup>(١)</sup>:

### أولاً: التنصيص على مركزية قيمة الرحمة في منظومة القيم المراد بثها في الناشئة<sup>(٢)</sup>:

سواء في الاختيارات الكبرى أو الأهداف العامة للمناهج والبرامج الدراسية، أو في أساليب تكوين الأطر التربوية في كليات التربية أو مراكز التأهيل حسب اختيارات كل دولة، أو مفردات المقررات الدراسية الموجهة للناشئة، أو الأنشطة المدرسية المقدمة للناشئة

### ثانياً: التخطيط لاستثمار أنشطة الحياة المدرسية في بث قيم الرحمة والتعاطف:

سواء في فضاءات التعلم وساحات اللعب، أو المجالات البصرية للمتعلمين بتسمية مؤسسات أو قاعات الدرس أو مسجد المؤسسة بمشتقات الرحمة وما في مجالاتها الدلالية: اللطف والتيسير والتعاطف والتواد، أو بملصقات دائمة ومؤقتة مذكرة بهذه القيمة، وكذا في المجال السمعي للمتعلمين

(١) اشتغلت في ميدان التربية والتعليم أستاذاً لمادة التربية الإسلامية حوالي ٢٦ سنة، والآن أستاذاً للتعليم العالي بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين المخصص لتكوين الأساتذة

(٢) أغلب الدول العربية تنص على ضرورة ملاءمة الاختيارات الكبرى للشريعة الإسلامية، لكن في التنزيل يبقى الأمر عاماً، مثلاً الهدف العام الثامن في السعودية هو: "تطوير المناهج وفق القيم الإسلامية بما يؤدي إلى تكامل شخصية الطالب والطالبة وامتلاكهما المعارف ومهارات التفكير العلمي والمهارات الحياتية، وممارسة التعلم الذاتي والتعلم مدى الحياة" وفي المغرب ينص الميثاق الوطني للتربية والتكوين على أن: "يهتدي نظام التربية والتكوين للمملكة المغربية بمبادئ العقيدة الإسلامية وقيمها الرامية لتكون المواطن المتصف بالاستقامة والصلاح، المتسم بالاعتدال والتسامح، الشغوف بطلب العلم والمعرفة، في أرحب آفاقهما، والمتوقد للاطلاع والإبداع، والمطبوع بروح المبادرة الإيجابية والإنتاج النافع."

من نصوص مختارة وأناشيد معينة، وأصوات جميلة... وقد تكون هذه الأنشطة مرتبطة بالمحيط المدرسي كزيارة المستشفيات، وتقديم المساعدات للمحتاجين، والسعي لإدماج ذوي الاحتياجات الخاصة في الحياة المدرسية بشكل إيجابي.

### ثالثاً: التخطيط لدورات تدريبية على قيم الرحمة:

لصالح المديرين ورؤساء المؤسسات التربوية: من حيث أساليب التواصل مع الأطر التعليمية من جهة، ومع عموم المتعلمين من جهة ثانية، مع الآباء وجمعيات المجتمع المدني من جهة ثالثة، من خلال الاطلاع الضروري على مفهوم الرحمة في الإسلام وأثرها في بناء الإنسان المسلم.

رابعاً: التدرج بأساليب بث خلق الرحمة في الناشئة بحسب مراحل التعلم، من الروض فالابتدائي والإعدادي، ثم الثانوي والجامعي من خلال:

- التخطيط لحسن استقبال الواردين الصغار الجدد على مؤسسات التربية والتعليم
- التخطيط لتوفير الحضان الدافئ للمتعلمين في شخص المربين والمربيات من احتضان رؤوف، وابتسامه حانية، وخفض للجناح، وملاعبة هادفة.
- التخطيط للارتقاء بالمتعلمين من مجرد متلقين لمؤثرات سلوكية وتعلمية مبنية على الرحمة إلى شخصيات حاملة لخلق الرحمة من خلال آداب الدخول إلى البيت بعد نهاية الحصص الدراسية وحسن معاملة الأقارب والجيران والمحتاجين من أفراد المجتمع، إلى مدافعين عن خلق الرحمة في كل المجالات المعرفية المتاحة في المراحل العليا

للتعليم كالجامعات والمعاهد العليا وخيرها، وهناك مواد تتماشى بطبيعتها مع خلق الرحمة كالتربية الإسلامية والطب وعلوم الاجتماع وأخرى تحتاج إلى مزيد من تسليط الضوء على معاني الرحمة فيها ...

**خامساً: استثمار تكنولوجيا الإعلام الجديد في بث خلق الرحمة في الناشئة:**

لعل أمضى سلاح معرفي وتربوي وسلوكي اليوم، هو ما فتح الله ﷻ على البشرية من سرعة في الاتصال والتواصل، وعولمة القيم والمبادئ، وقوة التأثير وسهولته، مما يتطلب بذل جهود مضاعفة من أجل بث معارف الرحمة وأخلاقيات الرحمة وسلوكيات الرحمة ونماذج الرحمة للناس كافة، وللناشئة على وجه الخصوص، وذلك بالتخطيط للمواقع وصفحات التواصل الاجتماعي وغيرها لنشر قيم الرحمة في صفوف الجميع.

## المعلم الثاني

### في تدبير أو تنفيذ المناهج الدراسية

التدبير هو الإشراف على سير عمليات تنفيذ التخطيط التربوي وضبط مسار هذه العمليات وتصحيحه إن اقتضى الحال قبل الوصول إلى مرحلة التقويم النهائي<sup>(1)</sup>.

ويشمل التدبير عملية تنزيل التخطيط على مستوى فضاءات التربية والتعليم، وزمنه، والاشتغال التربوي من حيث الطرائق التربوية وتقنيات التنشيط والوسائل التعليمية المستعملة. كل ذلك ينبغي أن يصطبغ بصبغة الرحمة باعتبارها قيمة مركزية في المنظومة التربوية.

## ١. على مستوى فضاءات التعلم:

لفضاءات التربية والتعليم أثر بالغ في بناء شخصية الناشئة حيث أن: «ظهور مشاعر القلق والعدوانية والسلبية لدى الأفراد يتولد حينما يتم فرض المكان بكل أشيائه وتنظيمه الداخلي على الأفراد المتواجدين فيه... لذلك كلما كان إحساسهم بهذا الفضاء عميقاً وحميمياً، كلما قلت مشاعر القلق والخوف وسلوكيات عدم التكيف»<sup>(١)</sup>. نمسك من هذه الدراسة أن فضاءات التربية والتعلم مجال قمين بيبث قيمة الرحمة أو العكس، لذا وجب أثناء الممارسة العملية لتربية الناشئة أن تكون الفضاءات موحية بأجواء المحبة والتراحم والتعاون، وليس عبثاً أن ربط رسول الله ﷺ الرحمة بمجالس القرآن والعلم والذكر، وآثار ذلك على المسلم في الدنيا والآخرة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه»<sup>(٢)</sup>. أجواء هذا الفضاء الإيماني العلمي هي الرحمة بعينها، فيلزم أن تكون كل الفضاءات التربوية أثناء تنزيل البرامج ذات جو رحيم تبرز ثمرته في كافة أوصال المجتمع، خاصة قاعات الدرس حيث يقضي المتعلم أغلب زمنه التعليمي، وهذا يتطلب من المدرس ابتكار

(١) عبدالحق منصف. رهنات البيداغوجيا المعاصرة- دراسة في قضايا التعلم والثقافة المدرسية ص ٤٩

(٢) صحيح مسلم - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر. حديث: ٤٩٧٣

أشكال جديدة غير النظام التقليدي للصف الدراسي بالشكل الذي يعطي للعملية التربوية حيوية جديدة تجعل مشاركة المتعلم فيها تفاعلية كأسلوب العمل بالمجموعات، ونظام التجمع على شكل حرف «ن»، وغير ذلك من الأساليب المبتكرة في التعلم مما يضفي على العملية يسراً ورفقاً، وكل ذلك من معاني الرحمة المطلوبة في كل تجمع ذي بال ومنه التجمع للتعلم.

## ٢. على مستوى تدبير زمن التعلم:

يقصد بزمن التعلم تلك الساعات والدقائق والثواني التي يقضيها المتعلم في الفضاءات التربوية، بكافة أنشطتها وتعلماتها، وبحسب حسن تدبير تلك اللحظات التعليمية تكون رحمة على الناشئة أو نقمة عليهم. وإذا كان تخطيط التعليمات مرتبطاً بحسن التوزيع للمهام التربوية، فإن تدبير زمن التعليمات يقتضي الفعالية والنجاعة في جعل الزمن الدراسي زمن رحمة، بحيث لا يشبع منه المتعلمون ولا يرغبون عنه، بل ويساهم بفعالية في محاربة التسرب الدراسي الذي تعاني منه المدرسة العربية والإسلامية، ولقد رأينا كيف كان رسول الله ﷺ يخصص أوقاتاً لملاعبة الحسن والحسين ﷺ، وكيف كان الصحابة ﷺ يحبون لأبنائهم المكوث في مجالس العلم والذكر، كل ذلك في سياق متناغم مع الأهداف الكبرى للمنظومة التربوية.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن مواقيت استمطار رحمة الله تعالى ينبغي أن يحظى بالاهتمام البالغ من قبل المدرسين والمشرفين التربويين كأوقات الصلاة، وأوقات أذكار المناسبات، وآداب التحية والسلام، وزيارة المريض، وغير ذلك من الأوقات الفاضلة التي يتعلمها النشء في فضاءات التعلم، لتسري في باقي مكونات المجتمع.

## ٣. على مستوى تدبير الاشتغال التربوي:

يشمل تدبير الاشتغال التربوي كلاً من الطرائق التربوية والوسائل

التعليمية وتقنيات التنشيط التربوي، وكلها أدوات لغرس معاني الرحمة في نفوس الناشئة

• الطرائق التربوية: ينوع المربي بين الطريقة الإلقائية عند الحكيم والرواية، والطريقة الحوارية حين يروم استكشاف تمثيلات المتعلمين حول قضية ما، إما بغرض تحبيبهم فيها أو تنفيرهم منها بحسب الهدف المرسوم من العملية. والطريقة المتسمة بالرحمة والتحبب والرفق مع الجدية والحزم والقصد هي أكثر الطرق نجاحاً في تحقيق الأهداف المرسومة.

• الوسائل التعليمية: أي: الأدوات المساعدة على اكتساب المعارف وبت القيم واتخاذ المواقف، وقد تكون هذه الوسائل بصرية أو سمعية أو سمعية بصرية، تحمل ضمن ما تحمله لنفس المتعلم رسائل الرحمة والمحبة، لذلك من مسؤوليات المدرسين وواضعي البرامج اختيار الوسائل الأنجع لتحقيق هذا الهدف خاصة في زمن أصبحت فيه الوسيلة السمعية البصرية مضاهية لغة التعلم، بل ومتفوقة عليها، فصيغة معاني الرحمة عن طريق الوسائل الفعالة من شأنه أن ينتج لنا جيل الرحماء بمن في الأرض، وبيسر لنا استجلاب رحمة من في السماء، ولقد كان ﷺ يستعمل وسائل الرسوم وضرب المثل وغيرها في تعليم الناس وهدايتهم.

• تقنيات التنشيط: هي الأساليب القادرة على إحداث أكبر قدر من التفاعل الإيجابي لمجموعة المتربين في كافة مراحل التربية والتعليم. ولقد رأينا في أصول منهج الرحمة في تربية النشء أن الرسول ﷺ نوع في ذلك تنوعاً كبيراً، يجعل المتعلم مشدوداً إليه، متمثلاً بعمق لما يتلقاه.



لذلك إضفاء معاني الرحمة على هذه التقنيات من شأنه أن ينقل العملية التربوية التعليمية من الخطاب الفوقي الأحادي إلى الخطاب التشاركي الاندماجي، حتى إن الصحابي الجليل الذي بال في المسجد وكادت تعصف به يد البعض، وجد في الرحمة النبوية سعة وتيسيراً ورفقاً فقال: «اللهم ارحمني وارحم محمدًا ولا ترحم بعدنا أحداً»<sup>(١)</sup>.

## المعلم الثالث في التقويم والدعم التربويين

### ١. في التقويم:

التقويم عملية تفحص للممارسة التربوية للتأكد من تحقق الأهداف المخطط لها، واستكشاف مكامن القوة أو الضعف، الأول من أجل الحفز والتطوير والثانية من أجل الدعم والمعالجة.

فكثيراً ما نخطط لبث معاني الرحمة في نفوس المتعلمين وندبر ذلك في التعلّمات، لكن إذا تركنا الأمر دون تقويم فكأننا لم نفعّل شيئاً، لذلك وجب رصد آثار رسوخ معاني الرحمة في سلوك المتعلمين وعدمه من خلال أنواع التقويم المعروفة؛ التشخيصي والتكويني والنهائي. يساعدنا ذلك على تقويم أداء المتعلمين والمدرسين، وعلى نجاعة المناهج والبرامج، وعلى صلاحية الاختيارات الكبرى للتربية في علاقتها بقيمة الرحمة باعتبارها قيمة مركزية في بناء أجيال المستقبل.

### ٢. في الدعم

الدعم هو الإسناد والمعاونة من الناحية اللغوية، ومن حيث الاصطلاح

(١) صحيح ابن حبان. كتاب الرقائق، باب الأدعية - ذكر الزجر عن سؤال العبد ربه ألا يرحم معه

غيره. حديث: ٩٩١

هو خطة تربوية تمكن من التعرف على مواطن الضعف لدى المتعلم تلي عملية التقويم، وتمكن من اتخاذ التدبير اللازمة لتدارك النقص<sup>(١)</sup>.

بناء على هذا البيان لمعنى الدعم، وبناء على معطيات التقويم، قد يكتشف المربون بعض معالم القسوة والعنف في سلوكيات المتعلمين، مما يضطرهم لوضع الخطط الداعمة لإصلاح الخلل الذي قد ينتقل من المؤسسة التربوية إلى المجتمع، إلى صياغة أنظار فكرية وتصورية مبنية على نواقض الرحمة، وهذا خطر جسيم وجب الاحتراز من جميع مقدماته الأولية في كل مراحل التربية والتعليم.



## الخاتمة

من خلال هذه الجولة البحثية في أصول منهج الرحمة في التربية النبوية، ومن خلال مقترحات في معالم هندسة بيداغوجية في بث هذه القيمة في المنظومة التربوية، نرى ضرورة مزيد من العناية بالموضوع من خلال التوصيات التالية:

1. الإكثار من الدراسات المدققة في أثر قيمة "الرحمة" في المنظومة الإسلامية على جميع المستويات التربوية والتعليمية والدعوية والقانونية والقضائية والنفسية والاجتماعية وغيرها.
2. توجيه عناية مراكز الدراسات وكليات التربية ومعاهد تأهيل المدرسين والمدرسات لتأسيس فرق عمل بحوث ودراسات ميدانية للنظر في تفاصيل المناهج الدراسية، ورصد مواطن إمكانيات إدراج منهج الرحمة من خلالها.
3. التنسيق بين المدرسين من جهة والمشرفين على تأهيلهم من جهة ثانية، والأطباء النفسيين من جهة ثالثة لوضع هندسة تربوية مبنية على الرحمة في الصحة النفسية والسلامة التربوية والجودة التعليمية للناشئة.

- ٤ . تأهيل آباء وأولياء أمور التلاميذ بتبنيهم إلى أهمية الرحمة في المراحل الأولى لتربية الأطفال، من خلال دورات تكوينية وتدريبية في الموضوع.
- ٥ . تأسيس مراكز التواصل المعلوماتي باستعمال تكنولوجيا الاتصال والمعلومات لبحث قيم الرحمة في المجتمعات.
- ٦ . الإسهام في المشاريع العالمية التي تعنى بأثر الرحمة في إسعاد البشرية وإنقاذها من تداعيات القسوة والعنف والكرهية السائدة اليوم، وذلك من خلال المواثيق الدولية التي تهتم بشؤون وحقوق الإنسان والتربية والطفل والمرأة، من أجل حفز الدول والحكومات على بث ذلك في برامجها.
- ٧ . العناية بالخطاب الدعوي المؤسس على منهج الرحمة النبوية، من خلال تأهيل الدعاة والأئمة والخطباء وتدريبهم على بث قيم الرحمة لدى رواد المساجد.



## قائمة المصادر والمراجع

- ١ . القرآن الكريم
- ٢ . ابن منظور . لسان العرب
- ٣ . أحمد بن حنبل .. مسند الإمام أحمد .
- ٤ . البخاري ... الجامع الصحيح، وكذا فتح الباري في شرح صحيح البخاري .
- ٥ . البخاري، الأدب المفرد
- ٦ . مسلم ... صحيح الإمام مسلم بشرح النووي
- ٧ . الترمذي . سنن الترمذي
- ٨ . أبوداود ... سنن أبي داود
- ٩ . الحاكم ... المستدرک على الصحيحين .
- ١٠ . محمد ناصر الألباني السلسلة الصحيحة
- ١١ . محمد ناصر الألباني تمام المنة في التعليق على فقه السنة
- ١٢ . محمد ناصر الألباني صحيح الأدب المفرد
- ١٣ . ابن ماجه .. سنن ابن ماجه
- ١٤ . ابن حبان ... صحيح ابن حبان
- ١٥ . ابن أبي شيبة . مصنف ابن أبي شيبة .
- ١٦ . ابن هشام . سيرة ابن هشام .
- ١٧ . عبدالرزاق الصنعاني . مصنف عبدالرزاق الصنعاني
- ١٨ . الطبراني . المعجم الكبير، المعجم الأوسط
- ١٩ . البيهقي . السنن الكبرى
- ٢٠ . الطيالسي مسند البيهقي شعب الإيمان
- ٢١ . أبو نعيم . معرفة الصحابة .

٢٢. ابن سعد. الطبقات الكبرى
٢٣. الخطيب البغدادي. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع.
٢٤. ابن عبد البر جامع بيان العلم وفضله
٢٥. ابن كثير.. البداية والنهاية
٢٦. ابن القيم. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان
٢٧. ابن القيم. إعلام الموقعين
٢٨. ابن القيم. تحفة المودود بأحكام المولود..
٢٩. الزنتاني عبد الحميد الصيد. فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة.
٣٠. عبد الله بن جبار الله جبار الله أسباب الرحمة
٣١. محمد حسام الدين الخطيب هل كان محمد ﷺ رحيماً؟
٣٢. سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية.
٣٣. عبدالفتاح أبو غدة. الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم ط ١
٣٤. مجموعة من الأساتذة المتدربين تحت إشراف الدكتور عبد الحفيظ الملوكي مدير المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين مراكش دليل التأهيل بالمراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين (مسلك التعليم الثانوي الإعدادي - التربية الإسلامية أنموذجاً).
٣٥. عبدالكريم غريب. المنهل التربوي ج ١ ص ٤٧٢ بتصرف مطبعة النجاح
٣٦. عبدالحق منصف. رهانات البيداغوجيا المعاصرة- دراسة في قضايا التعلم والثقافة المدرسية
٣٧. جلال الدين السيوطي جزء فيه طرف حديث: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» ضبط علي حسن علي عبد الحميد



# رحمة الرسول ﷺ بالأسرى والقانون الدولي المعاصر دراسة مقارنة

إعداد:

د. جلوس بنت فرج القحطاني





## المقدسة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد: فقد أصبحت قضية الأسرى من القضايا المؤرقة لشعوب العالم، خصوصاً في وقتنا المعاصر الذي كثرت فيه الإساءة إلى الأسير وعدم احترام إنسانيته، ممن يدعون المحافظة على حقوق الإنسان، ويرفعون شعارات الحرية والإنسانية، وليس -تشريعيهم إلا بنوداً نظرية، بعضهم لم يفعلها، ولم يطبقها- لحقوق الأسرى، ك(اتفاقية جنيف)؛ في حين أن رسولنا ﷺ يُشرّع قبل هذه المنظمات بمئات السنين حقوقاً شاملة وجامعة للأسرى؛ أضف إلى ذلك أن النبي ﷺ لم يجعل هذه الحقوق

بنوداً نظرية بعيدة عن واقع الحروب، كما هو الحال في عصرنا، بل جعلها منهجاً عملياً، وطبّقها بنفسه في غزواته، كما طبّقها الصحابة والتابعون من بعده.

وانطلاقاً من ذلك؛ تبرز ضرورة البحث في هذا الموضوع، الذي يتناول جانباً من جوانب رحمة الرسول ﷺ. ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن نستقصي جميع تعاملات رسول الله ﷺ، التي تظهر حقيقة سيرته، وحسن خلقه في سلمه وحربه وتعاملاته كلها؛ ولكن اكتفينا ببعض هذه المواقف التي تدلّ دلالة واضحة على كمال أخلاقه وعظمة رسالته ﷺ.

### أولاً: أهمية البحث:

تستمد هذه الدراسة أهميتها من خلال ما يأتي:

١. كونها تبرز جانباً من جوانب ديننا الإسلامي، ومدى اهتمامه بأسرى الحرب، وما قدمه لهم وحث عليه من الحقوق الإنسانية، والقيم الحضارية المتميزة التي تجعله يعلو ويسمو على كثير من القوانين الوضعية.
٢. إبراز سمو الشريعة الإسلامية في بيان حقوق الأسرى.
٣. ضرورة إبراز مظاهر رحمة النبي ﷺ بالأسرى، وجعله ﷺ لهم حقوقاً شاملة وجامعة، وتطبيقه لذلك علمياً وعملياً، ومقارنة ذلك بالقانون الدولي المعاصر.
٤. ربما تفيد هذه الدراسة الأفراد ومؤسسات حقوق الإنسان في معرفة سبق الشريعة الإنسانية في الاهتمام بحقوق الإنسان.
٥. قلة الدراسات والبحوث - على حد علم الباحثة - التي تناولت توضيح رحمة الرسول ﷺ بالأسرى والقانون الدولي المعاصر، جعل لهذه

الدراسة أهميتها بوصفه موضوعاً حيويًا يعالج هذه القضية في ضوء الشريعة الإسلامية والقانون الدولي.

٦. مما يؤكد أهمية هذا الموضوع بأنه متجدد وخاصة في ظروف عالمنا المعاصر، فهناك جماعات من المسلمين أسرى في بلدان مختلفة من العالم، فعمل في هذه الدراسة ما يلفت النظر إلى قضيتهم، ويبرز سمو الشريعة الإسلامية، ومدى اهتمامها بالأسرى.

### ثانيًا: أهداف البحث:

١. إبراز مظاهر رحمة الرسول ﷺ في معاملته للأسرى.
٢. التعرف على القانون الدولي المعاصر في معاملته للأسرى.
٣. توضيح المقارنة بين معاملة الرسول ﷺ بالأسرى والقانون الدولي.
٤. التعرف على مشروعية الأسر في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي.
٥. توضيح معنى الرحمة، وصلتها بالرسالة الخاتمة والنبى ﷺ.

### ثالثًا: مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة الدراسة في محاولة معرفة المنهج الشرعي السليم مع أسرى الحرب، ومحاولة الكشف عن حسن المعاملة، التي جاء بها النبي ﷺ فيما يتصل بأسرى الحرب، فقد أوصى بالإحسان إليهم، وملاظمتهم وكيفية محاكمتهم، وقبل ذلك وصية القرآن الكريم بحسن التعامل مع أسرى الحرب، فقد كانت معاملة الأسرى قديمًا تتسم بالغلظة، والقسوة، والتعذيب، والقتل، ثم تطورت تلك المعاملة، حيث أصبح الأسير عبدًا يباع ويشترى<sup>(١)</sup>، واستمر ذلك الوضع حتى أتى الإسلام، ووضع للأسير حقوقًا

(١) انظر: مقارنات بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية، علي علي منصور، ص: ١١٦، دار الفتح للطباعة والنشر، ط١، ١٣٩٠هـ.

أوجب احترامها وعدم إغفالها، وأن يتم التعامل معه بناءً على الأسس السليمة الموضحة في الكتاب والسنة؛ خاصة ونحن في عصر درج على حروب واقتتالات، لا تحترم حقوق الضعفاء والأسرى، والمواثيق في حق هؤلاء قليلة وغير مطبقة، وما نراه في هذا العصر وما تتناقله وكالات الأنباء لما يجري كل يوم ضد الإنسانية من مآسي مؤسفة، تنتهك فيها الأعراض، وتستباح فيها دماء الأبرياء في مشارق الأرض ومغاربها، وهو ما جعل الدول تزيد اهتمامها بحقوق الإنسان، فتقوم بإبرام اتفاقيات كثيرة في محاولة منها للحد من هذه الانتهاكات، وذلك مثل معاهدة جنيف عام ١٩٤٩م.

ومن ثم تحاول هذه الدراسة معرفة المنهج السليم للتعامل مع الأسرى، ولن يحدث ذلك إلا بالكشف عن معالم رحمة الرسول ﷺ ومظاهرها في تعامله مع الأسرى، مع مقارنة ذلك بما ورد في القانون الدولي المعاصر. ومما سبق، يمكن صياغة مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيس الآتي:

- ما معالم الرحمة في تعامل الرسول ﷺ للأسرى مقارنة مع القانون الدولي المعاصر؟

#### رابعاً: الدراسات السابقة:

من خلال البحث في قواعد المعلومات تبين للباحثة أن موضوع «رحمة الرسول ﷺ بالأسرى والقانون الدولي المعاصر.. دراسة مقارنة» لم يطرح سابقاً؛ فغالب الدراسات تحدثت عن الأسرى في الفقه والشريعة الإسلامية وأحكامهم، وتحدثت عن الأسرى في القانون الدولي، والمقارنة بينهم بشكل عام. إلا أن هناك بعض الدراسات التي تطرقت إلى بعض الجوانب من الموضوع، وسأذكر هنا ما اطلعت عليه، مبيّنة الفرق بين تلك الدراسات وما تناوله هذا البحث.

## الدراسة الأولى:

دراسة العامري (٤٠٣ هـ)<sup>(١)</sup>، بعنوان: «أسرى الحرب في الإسلام»، وقد هدفت الدراسة إلى التعرف على أحكام أسرى الحرب في الإسلام، والبحث في أقوال الأئمة والأحكام الفقهية وأقوال الفقهاء المتعلقة بأحكام أسرى الحرب في الإسلام، ومناقشة الشبه التي وجهت للإسلام في إباحته للرق. وقد سلكت هذه الدراسة طريق الاستقاء من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، مع إيراد أقوال الأئمة الأعلام، ويرجع ما يعضده النص، وما يشهد له الدليل عندما تتعارض الأقوال. وتوصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج المختلفة، التي يمكن توضيحها على النحو الآتي:

١. إبراز جانب من جوانب ديننا الإسلامي، ومدى اهتمامه بأسرى الحرب، وما قدمه لهم، وحث عليه من الحقوق الإنسانية والقيم الحضارية المتميزة، التي تجعله يعلو ويسمو على كثير من القوانين الوضعية.
٢. بيان أن الإسلام إنما يستبقي الأسرى لديه، ليلمس في قلوبهم مكان الخير والرجاء والصلاح.
٣. توضيح هدي الإسلام، لا في هذا المجال فحسب، بل في جميع مجالات الحياة العامة والخاصة.

## أوجه الاتفاق والاختلاف:

تتفق هذه الدراسة مع دراسة الباحثة في كيفية معاملة الأسير في الإسلام، وتختلف من حيث إن هذه الدراسة دراسة فقهية متخصصة في الأحكام، أما دراسة الباحثة فقد اهتمت بإبراز رحمة الرسول ﷺ بالأسرى مع مقارنته بما يقابله في القانون الدولي المعاصر كدراسة مقارنة.

(١) أسرى الحرب في الإسلام، محمد عبدالرحمن العامري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المعهد العالي للقضاء، قسم السياسة الشرعية، ١٤٠٢ هـ.

## الدراسة الثانية:

دراسة التويجيري (١٤١٢هـ)<sup>(١)</sup>، بعنوان «أحكام الأسرى في الفقه الإسلامي والنظام الوضعي»، وقد هدفت إلى التعرف على أحكام الأسرى في الفقه الإسلامي والنظام الوضعي، فتطرقت إلى تعريف الجهاد، والأسر في الماضي، وفي الوقت الحالي، وفي أسباب الأسر، ثم في معاملة الأسير، وأنواع الأسرى، وما يتعلق بهم من أحكام، وتوصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج المختلفة، التي يمكن توضيحها على النحو الآتي:

١. مشروعية الأسر في الإسلام والأنظمة الوضعية.
٢. أن الأسرى عند الأمم السابقة كانوا يعاملون بوحشية وقسوة، ويشغلون في أعمال شاقة ومهينة، بينما الإسلام عامل الأسرى بإنسانية ورحمة، لم تتوفر في غيره من القوانين الوضعية.
٣. أن أحكام الإسلام تتسم بالثبات والشمول، بينما تتسم القوانين الوضعية بالنقص، لذا يطرأ عليها التعديل والتبديل.

## أوجه الاتفاق والاختلاف:

تتفق هذه الدراسة مع دراسة الباحثة من حيث موضوع الدراسة، وهو معاملة الأسرى في الفقه الإسلامي والأنظمة الوضعية، وتختلف من حيث إن هذه الدراسة دراسة فقهية متخصصة في الأحكام الفقهية في المذاهب، ومناقشة الأدلة، وبيان الراجح بينها، أما دراسة الباحثة فهي عن كيفية معاملة الرسول ﷺ للأسير، وإبراز خلق الرحمة الذي تجلّى في الاهتمام بجميع ما يخص الأسير من طعام، وكسوة، ونفقة، وغير ذلك، ثم مقارنة ذلك بالقانون الدولي المعاصر.

(١) أحكام الأسرة في الفقه الإسلامي والنظام الوضعي، صالح بن عبدالعزيز التويجيري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المعهد العالي للقضاء، قسم السياسة الشرعية، ١٤١٢هـ.

### الدراسة الثالثة:

دراسة الشمراني (١٤٢٨هـ)<sup>(١)</sup>: بعنوان «سياسة الإسلام في معاملة أسرى الحرب دراسة تأصيلية مقارنة»، وقد هدفت هذه الدراسة إلى التعرف إلى سياسة الإسلام في معاملة أسرى الحرب، والتعريف بأسير الحرب، ومعاملته في التاريخ البشري، وبيان حقوق أسير الحرب وضمناناته في الشريعة الإسلامية، وبيان طبيعة معاملة الإسلام لأسير الحرب، وإيضاح الأحكام الفقهية لأسرى الحرب. وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج المختلفة، التي يمكن توضيحها على النحو الآتي:

١. أن الأسر مشروع في الإسلام والأنظمة الوضعية.
٢. أن الرسل والدبلوماسيين لا يجوز أسرهم في الفقه الإسلامي والنظام الوضعي.
٣. أجاز الفقه الإسلامي والنظام الوضعي تشغيل الأسير.
٤. أن نفقة الأسير تلتزم بها الدولة الحاجزة في الفقه الإسلامي والنظم الوضعية.
٥. ملاطفة الرسول ﷺ للأسرى وحسن التعامل معهم.

### أوجه الاتفاق والاختلاف:

تتفق هذه الدراسة مع دراسة الباحثة في التعرف على سياسة الإسلام في معاملة أسرى الحرب، والتعريف بأسير الحرب ومعاملته في التاريخ البشري، وبيان حقوق أسير الحرب وضمناناته في الشريعة الإسلامية، وتختلف هذه الدراسة عن دراسة الباحثة في أن دراسة الباحثة تتعلق

(١) سياسة الإسلام في معاملة أسرى الحرب دراسة تأصيلية مقارنة، علي سعيد الشمراني، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، كلية الدراسات العليا، قسم العدالة الجنائية، ١٤٢٨هـ.

برحمة الرسول ﷺ بالأسرى، والقانون الدولي المعاصر بصفتها دراسة مقارنة.

#### خامساً: منهج البحث:

تستخدم الباحثة في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي والتحليلي المقارن، وتربط الموضوع بقضايا العصر حسب المستطاع، مع الاعتماد على المصادر المكتوبة بأنواعها المختلفة، من كتب، وبحوث، ورسائل متعددة. وسوف تورد الباحثة أولاً ما ورد عن النبي ﷺ في تعامله مع الأسرى، ثم ما ورد في القانون الدولي فيما يتعلق بالأسرى، وبعد ذلك تتم المقارنة بينهما.

#### سادساً: خطة البحث:

المقدمة، وتشمل:

أهمية البحث، والأهداف والمشكلة، والدراسات السابقة، والمنهج المتبع.

التمهيد، ويشمل:

المطلب الأول: تعريف الرحمة.

الفرع الأول: تعريف الرحمة في اللغة.

الفرع الثاني: تعريف الرحمة في الاصطلاح.

المطلب الثاني: صلة الرحمة بالرسالة الخاتمة والنبي ﷺ الخاتم.

الفرع الأول: صلة الرحمة بالرسالة الخاتمة.

الفرع الثاني: صلة الرحمة بالنبي ﷺ الخاتم.

المبحث الأول: مفهوم الأسير ومشروعية الأسر:

المطلب الأول: تعريف الأسير في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي.



الفرع الأول: تعريف الأسير في اللغة والاصطلاح.

الفرع الثاني: تعريف الأسير في القانون الدولي.

الفرع الثالث: مقارنة بين التعريف الشرعي والقانوني الدولي للأسير.

المطلب الثاني: مشروعية الأسر في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي.

الفرع الأول: مشروعية الأسر في الشريعة الإسلامية.

الفرع الثاني: مشروعية الأسر في القانون الدولي.

المبحث الثاني: مظاهر رحمة الرسول ﷺ بالأسرى مقارنة بالقانون الدولي:

المطلب الأول: معاملة الجرحى والمرضى.

الفرع الأول: معاملة الرسول ﷺ للأسرى من الجرحى والمرضى.

الفرع الثاني: معاملة القانون الدولي للأسرى من الجرحى والمرضى.

الفرع الثالث: المقارنة بين معاملة الرسول ﷺ والقانون الدولي للأسرى من الجرحى والمرضى.

المطلب الثاني: القتلى في ساحة الحرب.

الفرع الأول: معاملة الرسول ﷺ للقتلى في ساحة الحرب.

الفرع الثاني: معاملة القانون الدولي للقتلى في ساحة الحرب.

الفرع الثالث: المقارنة بين معاملة الرسول ﷺ والقانون الدولي للقتلى في ساحة الحرب.

المطلب الثالث: نفقة الأسرى وكسوتهم.

الفرع الأول: معاملة الرسول ﷺ للأسرى في نفقتهم وكسوتهم.

الفرع الثاني: معاملة القانون الدولي للأسرى في نفقتهم وكسوتهم.

الفرع الثالث: المقارنة بين معاملة الرسول ﷺ والقانون الدولي للأسرى في نفقتهم وكسوتهم.

المطلب الرابع: مكان حبس الأسرى.

الفرع الأول: معاملة الرسول ﷺ للأسرى في مكان حبسهم.

الفرع الثاني: معاملة القانون الدولي للأسرى في مكان حبسهم.

الفرع الثالث: المقارنة بين معاملة الرسول ﷺ والقانون الدولي للأسرى في مكان حبسهم.

المطلب الخامس: محاكمة الأسرى.

الفرع الأول: معاملة الرسول ﷺ للأسرى في محاكمتهم.

الفرع الثاني: معاملة القانون الدولي للأسرى في محاكمتهم.

الفرع الثالث: المقارنة بين معاملة الرسول ﷺ والقانون الدولي للأسرى في محاكمتهم.

الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات.

فهرس المصادر والمراجع، والموضوعات.



## التمهيد

### المطلب الأول تعريف الرحمة

#### الفرع الأول: تعريف الرحمة في اللغة:

هي الرأفة والإحسان<sup>(١)</sup>، والرحمة من رحمه يرحمه: إذا رَقَّ له، وتعطف عليه، وأصل هذه المادة يدلُّ على الرقة والعطف والرأفة، وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضاً.

ومنها الرحم: وهي علاقة القرابة.

وقد تُطلق الرحمة، ويُراد بها ما تقع به الرحمة: كإطلاق الرحمة على الرزق والغيث<sup>(٢)</sup>.

#### الفرع الثاني: تعريف الرحمة في الاصطلاح:

هي إرادة إيصال الخير<sup>(٣)</sup>.

وأيضاً رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تُستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ١١٧/٤، دار الكتاب العربي، (د. ط. ت.).

(٢) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤٩٨/٢، دار الجيل، بيروت، (د. ط. ت.).

(٣) التعريفات، الجرجاني، المحقق إبراهيم الأبياري، ص: ١٤٦، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

(٤) مفردات القرآن، الراغب، ٢٤٧/١، دار القلم، ط٤، ١٤٣٣هـ.

وقيل: هي رقة في القلب، يلامسها الألم حينما تدرك الحواس أو تدرك بالحواس، أو يتصوّر الفكر وجود الألم، عند شخص آخر، أو يلامسها السرور حينما تدرك الحواس، أو يتصوّر الفكر وجود المسرة عند شخص آخر<sup>(١)</sup>.

تتفق التعريفات السابقة في أن الرحمة:

هي الرأفة والإحسان إلى المرحوم والرقّة في القلب، وقد اتسم التعريف الأخير بالشمول لمعاني الرحمة.

## المطلب الثاني

### صلة الرحمة بالرسالة الخاتمة والنبى الخاتم ﷺ

#### الفرع الأول: صلة الرحمة بالرسالة الخاتمة:

إن أول ما يلفت الأنظار في كتاب رب العالمين، وهو دستور المسلمين، وأهم مصادر التشريع، أن كل السور فيه - باستثناء سورة التوبة - قد صُدّرت بالبسملة، وأُلحِق بالبسملة صفتا الرحمن الرحيم. وليس يخفى أن تصدير كل السور بهاتين الصفتين أمر له دلالاته الواضحة على أهمية الرحمة في التشريع الإسلامي. ولا يخفى أيضاً التقارب في المعنى بين الرحمن والرحيم، وللعلماء تفصيلات كثيرة وآراء متعددة في الفرق بين اللفظين<sup>(٢)</sup>. وكان من الممكن أن يجمع الله ﷻ مع صفة الرحمة صفة أخرى من صفاته؛ كالعظيم، أو الحكيم، أو السميع، أو البصير، وكان من الممكن أن يجمع مع الرحمة صفة أخرى تحمل معنى آخر يحقق توازناً عند

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن الميداني، ٢/٢، دار القلم، ١، ١٣٩٩هـ.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ١٣/٣٥٨-٣٥٩، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

القارئ، بحيث لا تطغى عنده صفة الرحمة، وذلك مثل الجبار، أو المنتقم، أو القهار، ولكن الجمع بين هاتين الصفتين المتقاربتين في كل بداية لسور القرآن الكريم يعطي الانطباع الواضح جداً، وهو أن الرحمة مُقدّمة بلا منازع على كل الصفات الأخرى، وأن التعامل بالرحمة هو الأصل، الذي لا ينهار أبداً، ولا يتداعى أمام غيره من الأصول. ويؤكد هذا المعنى ويظهره أن أول السور التي نراها في ترتيب القرآن الكريم، وهذا الترتيب توقيفي؛ بمعنى أن الله ﷻ أوحى لرسوله ﷺ أن يرتب القرآن هذا الترتيب، الذي بين أيدينا اليوم، مع أن الآيات والسور نزلت بترتيب مختلف (١).

وخصّ الله ﷻ اسميه الرحمن الرحيم بفاتحة كتابه، فقال ﷻ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾ [الفاتحة: ٢-٣].  
ووصف الله ﷻ نفسه لعباده، فقال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥].

قال الفيروز آبادي: «الرحمة سبب واصل بين الله وبين عباده، بها أرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم كتبه، وبها هداهم، وبها أسكنهم دار ثوابه، وبها رزقهم وعافاهم» (٢).

ومما سبق يتضح أن الرحمة لها صلة بالرسالة الخاتمة التي ختم بها الله جميع الرسائل والأديان، وأن الرسالة في أصلها وطبيعتها رحمة بالناس أجمعين.

### الفرع الثاني: صلة الرحمة بالنبي الخاتم ﷺ:

أن الله ﷻ وضّح الهدف من الرسالة والبعثة بأنه رحمة للعالمين، وذلك

(١) البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله الزركشي، ط٢، ١/٢٦٠، دار المعرفة بيروت، ١٣٩١هـ.

(٢) بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي، (٣/٥٥)، تحقيق: محمد النجار، دار الكتاب المصري، ط١، ١٤٠٦هـ.

حين قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٧) [الأنبياء]. فإذا أضفنا هذا المعنى إلى كل ما سبق ذكره في الفرع السابق، أدركنا حقيقة أن أقوال رسول الله ﷺ وأفعاله هي ترسيخ لمعنى الرحمة، وتطبيق فريد لهذا الخلق العظيم في كل كلمة من كلماته ﷺ، وفي كل حركة من حركاته. إن رسول الله ﷺ ما بُعثَ إلا لهذا الأمر، كما تشير الآية. بل إن الطبري - رحمه الله - يرجح أن هذه الرحمة تشمل المؤمنين والكافرين، فيقول بعد أن يعرض اختلاف العلماء في قضية: هل تشمل هذه الرحمة المؤمنين فقط، أم المؤمنين والكافرين: "وأولى القولين في ذلك بالصواب: أن الله أرسل نبيه محمداً ﷺ رحمة لجميع العالم، مؤمنهم وكافرهم، فأما مؤمنهم فإن الله هداه به، وأدخله بالإيمان به وبالعامل بما جاء من عند الله الجنة، وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء، الذي كان ينزل بالأمم المكذبة رسلها من قبله" (١).

ويؤكد على هذا الفهم أن الرسول ﷺ لم يُبعثَ لقوم بعينهم دون قوم آخرين، إنما بُعث -على خلاف ما حدث مع من قبله من الأنبياء- إلى الناس عامة.

يقول رسول الله ﷺ: (وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً) (٢).

فهذا تصريح منه ﷺ أن رسالته لكافة أهل الأرض، وعليه فهي رحمة للعالمين.

ويقول ﷺ كذلك: (إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنَ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءَ) (٣).

(١) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، الطبري، ٩٩/٩، تحقيق معالي الأستاذ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب، ط ١، ١٤١٤هـ.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في كتاب التيمم، باب (١)، رقم الحديث (٣٢٥).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الجنائز، باب قوله ﷺ يعذب الميت ببيكاه أهله، رقم الحديث (١٢٢٤).

إن الرحمة التي ظهرت في كل أقوال رسول الله ﷺ وأعماله لم تكن رحمة مُتكلِّفة، تحدث في بعض المواقف من قبيل التجمل أو الاصطناع، إنما كانت رحمة طبيعية تلقائية مُشاهدة في كل الأحوال، برغم اختلاف الظروف، وتعدُّد المناسبات.

ولقد رأينا رحمته ﷺ مع الكبار والصغار، ورأيناها مع الرجال والنساء، ورأيناها مع القريب والبعيد، بل ورأيناها مع الصديق والعدو؛ بل إن رحمته تجاوزت البشر، لتصل إلى الدواب والأنعام، وإلى الطير والحشرات، إننا نرى في سيرته أنه يرحم الهرة.. فيُخبر أن امرأة دخلت النار لقسوتها على هرة!!

يقول ﷺ: (دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ، رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعَهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ)<sup>(١)</sup>.

مما سبق عرض بعض الأمثلة على رحمة الرسول ﷺ، ولا يمكن بحال من الأحوال أن نستقصي جميع الأحاديث التي تدل على رحمته، إلا أن ما عرض يدل دلالة واضحة على أن الرسول ﷺ رحمة مهداة للعالمين.



## المبحث الأول مفهوم الأسير ومشروعية الأسر

### المطلب الأول تعريف الأسير في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي

الفرع الأول: تعريف الأسير في اللغة والاصطلاح:

أ. في اللغة:

وَأَسْرَ قَتَبَهُ: شَدَّهُ. ابْنُ سِيْدَةٍ: أَسْرَهُ يَأْسِرُهُ أَسْرًا وَإِسَارَةً: شَدَّهُ  
بِالإِسَارِ، وَجَمَعَهُ أُسْرٌ.

وَالإِسَارُ: القَيْدُ، وَيَكُونُ حَبْلَ الكِتَافِ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الأَسِيرُ، وَكَانُوا  
يَشُدُّونَهُ بِالقَدِّ فَسُمِّيَ كُلُّ أُخِيذٍ أَسِيرًا وَإِنْ لَمْ يَشُدَّ بِهِ. وَيُقَالُ:  
أَسْرَتُ الرَّجُلُ أَسْرًا وَإِسَارًا، فَهُوَ أَسِيرٌ وَمَأْسُورٌ، وَالجَمْعُ أَسْرَى  
وَأَسَارَى. وَالأَسِيرُ: الأَخِيذُ. وَكُلُّ مَحْبُوسٍ فِي قَدٍّ أَوْ سِجْنٍ: أَسِيرٌ<sup>(١)</sup>.

فسمِّي كل أخيد وإن لم يؤسر به أسيرًا.

ب. في الاصطلاح:

قال القرطبي: الأسير: الذي يؤسر فيحبس، وقال ابن عباس:

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (١٩/٤)، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٤٣٠ هـ.





الأسير من أهل الشرك يكون في أيديهم، وقال قتادة، وقال مجاهد: الأسير هو المحبوس. وقال سعيد بن جبير بن عطاء: هو المسلم يُحبس بحق<sup>(١)</sup>.

وأما في الاصطلاح الفقهي، فقد عرّف الماوردي الأسرى بأنهم: «الرجال المقاتلون من الكفار إذا ظفر المسلمون بهم أحياء»<sup>(٢)</sup>.

وبذلك ينحصر مفهوم الأسر الفقهي في المأسورين الأحياء من المقاتلين، ويخرج من هذا التعريف النساء، والصبيان، والأرقاء، والمجانين، والشيوخ الذين لا قتال منهم ولا رأي لهم، وكذلك من أخذ بصلح، أو أمان وأسلم قبل الظفر به؛ فإن لهؤلاء أحكاماً خاصة بهم<sup>(٣)</sup>.

### الفرع الثاني: تعريف الأسير في القانون الدولي:

أسير الحرب: كل شخص يقع في يد العدو بسبب عسكري، لا بسبب جريمة ارتكبتها<sup>(٤)</sup>.

والقاعدة العامة في القانون الدولي تُوجب منح حق الأسر للشخص الذي يتمتع بصفة المقاتل، وحجبه عن الشخص الذي لا يتمتع بهذه الصفة<sup>(٥)</sup>.

كما جاء في تعريف الأسرى: «هم أفراد من القوات المتحاربة، يقعون في أيدي الأعداء، أو يستسلمون إليهم، فيتم اعتقالهم وتجريدهم من السلاح، ويصبحون بذلك غير قادرين على القتال»<sup>(٦)</sup>.

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٤٤٤/١)، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٢٥هـ.

(٢) الأحكام السلطانية، علي بن محمد الماوردي، ص: ١٢١-١٢٦، مطبعة الحلبي، ط ٢، ١٢٨٦هـ.

(٣) انظر: الأحكام السلطانية، علي بن محمد الماوردي، ص: ١٢١، مرجع سابق.

(٤) قانون الحرب، عبدالعزيز علي، ص: ٢١٠، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٢م.

(٥) نظام أسرى الحرب، سهيل حسين الفتلاوي، ص: ٢٧، دار القادسية للطباعة، بغداد، ١٩٨٢م.

(٦) معجم المصطلحات السياسية والدولية، أحمد زكي بدوي، ص: ١١٧، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ١، ١٩٨٩م.

## الفرع الثالث: مقارنة بين التعريفين الشرعي والقانوني الدولي للأسير:

إن القاسم المشترك الأساسي بين مفهوم الأسير في الاصطلاح الشرعي وفي القانون الدولي؛ انطباقه على المقاتلين من الجنود في حدود الحرب تحديداً؛ الأمر الذي يخرج غير المقاتلة من دائرة التعريف. فالذي يُلقى القبض عليه في أوقات السلم؛ لا يمكن أن يُعامل معاملة الأسير الحربي<sup>(١)</sup>.

والفارق بين التعريفين، أن الشريعة الإسلامية خصّت الرجال بالأسر دون غيرهم، وهذا هو الأصل، ما لم يشارك غير الرجال في الحرب بأي نوع كانت تلك المشاركة، بينما النظام الوضعي أطلق ذلك ولم يقيده بالرجال. كما أن الشريعة الإسلامية حصرت الأسر في الكفار متى ظفر بهم المسلمون، بينما أطلق النظام الدولي ذلك ولم يعدّ الديانة موجبة، أو مانعة من الأسر<sup>(٢)</sup>.

## المطلب الثاني مشروعية الأسر في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي

### الفرع الأول: مشروعية الأسر في الشريعة الإسلامية: أولاً: من الكتاب:

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾

- (١) كتاب الجهاد، محمد حسين فضل الله، ص: ٣٠٥، دار الملاك، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.  
(٢) أحكام الأسرى في الفقه الإسلامي والنظام الوضعي، صالح عبدالعزيز التويجري، ص: ٢٢، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١٢هـ.

وَحَذُّوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا  
الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٠﴾ [التوبة: ٥].

فقوله تعالى: ﴿وَحَذُّوهُمْ﴾ عبارة عن الأسر، والأخذ هو الأسر، ويدل  
على جواز أسرهم، وقوله تعالى: ﴿وَأَحْضُرُوهُمْ﴾ أي: احبسوهم، وقيدوهم،  
وامنعوهم من التصرف في البلاد<sup>(١)</sup>.

فهي تدل على جواز الأسر للمقاتلين الحربيين من الكفار<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَخْتَضْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ  
فَمَا مَتَابَعِدُ وَإِمَامًا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآنصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِنَبْلُوًا  
بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٤].

فقوله تعالى: ﴿فَشُدُّوا الْوَتَاقَ﴾ فأسروهم واحفظوهم، والوثاق في  
الأصل مصدر؛ كالخلاص، وأريد به هاهنا ما يوثق به، وقرئ: ﴿الْوَتَاقَ﴾  
بالكسر؛ وهو اسم لذلك، ويجيء فعال اسم آلة؛ كالحزام والركاب نادراً  
على خلاف القياس، وظاهر كلام البعض أن كلا من المفتوح والمكسور  
اسم لما يوثق به<sup>(٣)</sup>، والمراد هو الأسر، فمن لم يقتل من المقاتلين الكفار في  
الحرب أخذ أسيراً حتى تتحقق الغلبة، والانتصار على الأعداء<sup>(٤)</sup>.

وهذه الآية المباركة لا تتناقض مع قوله تعالى: ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ  
لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْخَرَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ [الأنفال: ٦٧]؛ لأن هذه  
الآية ليس فيها المنع من الأسر مطلقاً، وإنما جاءت في الحث على القتال،  
وأنه ما كان ينبغي أن يكون للمسلمين أسرى قبل الإثخان في الأرض في  
صف الكفار<sup>(٥)</sup>.

(١) تفسير البغوي، ٢١٨/٢، تحقيق خالد وردان، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٦م.

(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية، ٢٨٤/٦، مؤسسة دار العلوم، قطر، ط١، ١٩٨١م.

(٣) الفقه الإسلامي وأدلته، ٩١٠/٨، وهبة الرحيلي، بيروت، ١٩٩٩م.

(٤) المحرر الوجيز، ابن عطية، ٢٨٤/٦، مرجع سابق.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٤٧/٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٥م.

## ثانياً: من السنة:

وردت الروايات المتعددة في ثبوت الأسر بصفته أسلوب ردع للمشركين في زمن النبي ﷺ؛ فقد أُسر مجموعة من المشركين في غزوة بدر، وتم فداؤهم بأربعين أوقية، إلا العباس حيث كان فداؤه مئة أوقية، والأوقية أربعون درهماً من الفضة<sup>(١)</sup>.

وأمر رسول الله ﷺ بإجلاء بني قريظة الذين غدروا بالمسلمين، وحكم فيهم سعد بن معاذ، فأسر الرجال، وقتلهم.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما نزلت بنو قريظة على حكم سعد وهو ابن معاذ، بعث إليه الرسول ﷺ فلما دنا قال الرسول ﷺ: (قوموا إلى سيدكم) فجاء، فجلس إلى رسول الله ﷺ، فقال له: إن هؤلاء نزلوا على حكمك، فقال: (فإني أحكم أن تقتل مقاتلة، وأن تسبى الذرية، قال: لقد حكمت فيهم بحكم الملك)<sup>(٢)</sup>.

## الفرع الثاني: مشروعية الأسر في القانون الدولي:

تم تقنين الأسر في القانون الدولي بموجب الفصل الثاني من اللائحة الملحقة باتفاقيتي لاهاي عام ١٨٩٩ م وعام ١٩٠٧ م الملتصقتين بقوانين الحرب البرية وعاداتها<sup>(٣)</sup>. ثم في اتفاقية جنيف عام ١٩٢٩ م، بشأن معاملة أسرى الحرب، التي حلت محلها اتفاقية جنيف المؤرخة في ١٢ أغسطس ١٩٤٩ م، بشأن معاملة أسرى الحرب، وجاء في مادتها الأولى والثانية: «تتعهد الأطراف السامية المتعاقدة بأن تحترم هذه الاتفاقية،

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب العتق، باب إذا أسر أخو الرجل أو عمه هل يفادي، رقم الحديث (٢٤٠٠).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في كتاب المغازي، باب قوله ﷺ إعداد إلى سيدكم، رقم الحديث (٥٩٠٧).

(٣) اتفاقيات جنيف بعد نصف قرن من الزمان، إيف ساندروز، ص: ٤١، المجلة الدولية للصليب الأحمر، مختارات من إعداد ١٩٩٩ م.

وتكفل احترامها في جميع الأحوال، وعلاوة على الأحكام التي تسري في وقت السلم، تنطبق هذه الاتفاقية في حالة الحرب المعلنة، أو أي اشتباك مسلح آخر ينشب بين طرفين أو أكثر من الأطراف السامية المتعاقدة؛ حتى لو لم يعترف أحدها بحالة الحرب. كما تنطبق الاتفاقية أيضاً في جميع حالات الاحتلال الجزئي أو الكلي لإقليم أحد الأطراف السامية المتعاقدة؛ حتى لو لم يواجه هذا الاحتلال مقاومة مسلحة».

كما نصّ البروتوكول الأول لسنة ١٩٧٧م، الملحق باتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩م على أن المنازعات المسلحة التي تناضل بها الشعوب ضد التسلط والاحتلال الأجنبي، وضد التفرقة العنصرية، وممارسات الشعوب لتقرير مصيرها؛ تعدّ ممارسات دولية مشروعة، ويعدّ أحد أفراد هذه الشعوب لو وقع في قبضة الطرف الآخر أسير حرب<sup>(١)</sup>.



(١) المادة (٥٤) من الاتفاقية الثانية، ١٩٤٩م، وانظر سبل إنصاف ضحايا انتهاكات القانون الدولي الإنساني، ليزبيث زيغلند، ص: ٣٥٥، المجلة الدولية للصليب الأحمر مختارات من أعداد، ٢٠٠٣م.

## المبحث الثاني مظاهر رحمة الرسول ﷺ بالأسرى مقارنة بالقانون الدولي

### المطلب الأول معاملة الجرحى والمرضى

الفرع الأول: معاملة الرسول ﷺ للأسرى من الجرحى والمرضى:  
لم يعرف التاريخ معاملة أرحم ولا ألين من معاملة الإسلام للأسرى،  
فقد كان القدماء قساة غلاظ القلوب على أسراهم، فجاء رسول الله  
ﷺ وهو الرحمة المهتدة، ليعامل أسراه بالرفق والإحسان إليهم<sup>(١)</sup>.

وقد أثنى القرآن على أولئك الذين يحسنون لأسراهم؛ فقال ﷺ:  
﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (٨) إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً  
وَلَا شُكْرًا (٩) [الإنسان: ٨-٩].

والتزم رسول الله ﷺ بتطبيق ذلك، فجعل من النصوص والأقوال أعمالاً  
واقعة ملموسة، لا مجرد نظريات وأمانى، كما هو الشأن في اتفاقيات  
جنيف؛ إذ تبقى نصوصها حبراً على ورق، ولا تلتزم بها كثير من الدول.

(١) انظر: العلاقات الدولية في الإسلام، محمد أبو زهرة، ص: ١١٤، دار الفكر العربي، مؤسسة دار  
الكتاب الحديث للطبع والنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٧١م.

إن الإسلام دين عملي، اقتضى تشريع القتال فيه السير بالدفاع والهجوم؛ حتى تتجلى المعركة، وتضع الحرب أوزارها، ولا يصح أن يترك الضرب والطعن لخداع العدو ماكر يتصنع المرض أو يجرح نفسه، فإن الحرب خدعة.

وإذا اطمأن المسلمون إلى الظفر والنصر؛ فلا مانع من معاملة جرحى العدو ومرضاه أرفق معاملة؛ فالإسلام دين الرحمة بالعالمين، فإذا ثبت أن العدو مريض أو جريح جاز علاجه؛ لأن الأمر بالإحسان إلى الأسرى يتناول علاجهم، قال الرسول ﷺ عند فتح مكة: (ألا لا يجهزن على جريح، ولا يتبعن مدبر، ولا يقتلن أسير، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن)<sup>(١)</sup>.

كما أمر الرسول ﷺ أصحابه بالإحسان للأسرى سواء أكانوا مرضى أم جرحى أم غيره، فقال عليه السلام: (استوصوا بالأسرى خيراً)<sup>(٢)</sup>.

وأيضاً ما جاء في حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: (انطلقوا باسم الله، وبالله، وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً، ولا صغيراً، ولا امرأة، ولا تغلوا، وضموا غنائمكم، وأصلحوا، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين)<sup>(٣)</sup>.

ويدل الحديث السابق دلالة واضحة على حرص الرسول ﷺ على المحاربين فقد أوصى أصحابه عليه السلام بالإحسان في القتال، ومن ذلك الأسرى، والجرحى، والمرضى.

ومما سبق، يتضح أن الإسلام سبق الأنظمة الدولية الحديثة التي تدعو إلى الرأفة في الحروب، وإغاثة الجرحى الموجودين في ميدان القتال، والعمل على إخلاء الجرحى والقتلى، ونقلهم إلى أماكن خاصة.

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ١٩٩/٩، دار الكتب العلمية، ط ٢، ٢٠٠٣م؛ وذكره أبي شيبة في

مصنفه برقم (١٨٧٣٩)، في كتاب الجهاد.

(٢) ذكره الطبراني في المعجم الكبير برقم (٩٧٧)، ٣٩٣/٢، تحقيق حمدي السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط ٢، ١٤٠٤هـ.

(٣) سنن أبي داود في كتاب الجهاد، باب في دعاء المشركين، رقم الحديث (٢٢٥٠).

## الفرع الثاني: معاملة القانون الدولي للأسرى من الجرحى والمرضى:

تتلخص مهمة القانون الدولي الإنساني في حماية حقوق الإنسان في أثناء النزاعات، ويتكوّن من مجموعة مبادئ، متفق عليها دولياً، ومستقرة في المجتمع الدولي، تدعو إلى الحد من استخدام العنف أثناء النزاعات المسلحة، وحماية الأفراد المشتركين في العمليات الحربية، والذين توقفوا عن المشاركة فيها، مثل الجرحى، والمصابين، والأسرى، والمدنيين؛ بقصد جعل العنف في النزاعات المسلحة محصوراً في الأعمال التي تقتضيها الضرورة العسكرية.

ومصادر القانون الدولي هي اتفاقية لاهاي لعامي 1864م، و1907م، خاصة المواد التي تنصّ على الوسائل المسموح بها في أثناء النزاعات المسلحة، واتفاقيات جنيف لعام 1949م.

وقد تأسست جمعيات دولية للعناية بالجرحى والمرضى، مثل: جمعية الصليب الأحمر سنة 1921م، وأقرّت هذه الاتفاقية حماية الجرحى والمرضى الذين يُصابون في ميدان القتال، وضرورة العناية بهم ورعايتهم، مهما كانت جنسياتهم، وفرضت على قوات الدول المتحاربة أن تُوقف القتال لمدة، يمكن فيها نقل الجرحى والمرضى من ميدان المعركة<sup>(1)</sup>.

وأشير هنا إلى المادة (109) من اتفاقية جنيف لعام 1949م، الموافق 1370هـ، إذ نصّت على الآتي:

« مع عدم الإخلال بأحكام الفقرة الثالثة من هذه المادة، يلتزم أطراف النزاع بأن يعيدوا أسرى الحرب المصابين بأمراض خطيرة أو جراح إلى

(1) منهج دراسي عن اتفاقيات جنيف، هنري كورسيه، ص: 65، ترجمة: جمعية الهلال الأحمر السعودي، اللجنة الدولية للصليب الأحمر، 1974م.



أوطانهم؛ بصرف النظر عن العدد أو الرتبة، وذلك بعد أن ينالوا من الرعاية الصحية ما يمكنهم من السفر وفقاً للمادة الثانية.

ونصت المادة (١١٠) على الآتي: يُعاد المذكورون أدناه إلى أوطانهم مباشرة:

١. الجرحى والمرضى الميؤوس من شفائهم، والذين يبدو أن حالتهم العقلية أو البدنية قد انهارت بشدة.

٢. الجرحى والمرضى الميؤوس من شفائهم خلال عام طبقاً للتوقعات الطبية، وتتطلب حالتهم العلاج، ويبدو أن حالتهم العقلية أو البدنية قد انهارت بشدة.

٣. الجرحى والمرضى الذين تم شفاؤهم؛ ولكن يبدو أن حالتهم العقلية أو البدنية قد انهارت بشدة، وبصفة مستديمة<sup>(١)</sup>.

### الفرع الثالث: المقارنة بين معاملة الرسول ﷺ والقانون الدولي للأسرى من الجرحى والمرضى:

عند مقارنة ما جاء في النظم الوضعية، وما جاء به محمد ﷺ نجد أن قواعد التشريع الإسلامي أساسها المكين في طبيعة إرسال النبي ﷺ وهي الرحمة، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقد ربي الرسول ﷺ صحابته الكرام ﷺ على الرحمة، فكانوا نماذج عملية في الرحمة ببني البشر جميعاً مسلمين وغير مسلمين؛ ولذلك نجد حسن المعاملة بالأسرى، وعدم إهانتهم أو إهدار آدميتهم. أما في

(١) المادة (١٥) من اتفاقية جنيف الأولى والمادة (١٨) من اتفاقية جنيف لسنة ١٩٤٩م.

النظام الوضعي، فلم نجد صدى لتلك الاتفاقيات والمعاهدات على أرض الواقع؛ إلا في بعض الأوقات، ولعل ما نشاهده اليوم في واقعنا المعاصر من قتل عشوائي يشمل المقاتلين والمدنيين، ولا يفرق بين قتل أو جريح؛ لهو أكبر دليل على عدم تطبيق هذه الاتفاقيات، وخير شاهد في ذلك ما قامت به إسرائيل في قطاع غزة بتاريخ ٢٧/١٢/٢٠٠٨م الذي يضم جميع الأفعال الإجرامية، بل إن حربها على غزة تأتي بعد ١٨ شهراً من استمرار الحصار، وفرض سياسة التجويع، ومنع الدواء والغذاء والكهرباء، الذي يشكل بحد ذاته جريمة حرب. وقد تم استهداف مدنيين بغارات جوية موجهة ضد مناطق مدنية في واحدة من أكثر المناطق كثافة في العالم، وكانت حصيلة العدوان بتاريخ ١٨/١/٢٠٠٤م:

- ١٣٠٠ قتيل منهم ٣٥٪ من الأطفال والشيوخ والنساء وجرح أكثر من ٥٠٠ شخص.
- تدمير مخزون الوكالة من الدواء والغذاء وإحراق الأطنان من المساعدات الغذائية.
- تعمد ضرب الطواقم الطبية وحرق المستشفيات، ومنع وصول الدواء للجرحى<sup>(١)</sup>.

وشتان بين معاملة الرسول ﷺ التي أساسها الرحمة والرفقة للناس عامة، فكيف بمن كان أسيراً جريحاً، وبين ما جاءت به القوانين الدولية.

(١) الجرائم الإسرائيلية في غزة واختصاص المحكمة الجنائية الدولية، بوشاشي مصطفى، ص: ١٧؛ الرابطة الجزائرية للدفاع عن حقوق الإنسان، ٢٠٠٩م.

## المطلب الثاني القتلى في ساحة الحرب

الفرع الأول: معاملة الرسول ﷺ للقتلى في ساحة الحرب:

ضرب الرسول ﷺ أروع القيم الأخلاقية في معاملة القتلى في ساحة الحرب، فقد حرم المثلة بالأسير بما سواه. وفي صحيحه عن سليمان بن بريدة<sup>(١)</sup>، عن أبيه، قال: «كان الرسول ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية، أو صاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: (اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً...)»<sup>(٢)</sup>.

قال الشوكاني: «وفي هذا دليل على أنه يشرع للإمام إذا أرسل قومه إلى قتال الكفار ونحوهم، أن يوصيهم بتقوى الله، وينهاهم عن المعاصي المتعلقة بالقتال، كالغلو، والغدر، والمثلة، وقتل الصبيان»<sup>(٣)</sup>.

كما أن الإسلام يحفظ للميت حرمة ولو كان من الأعداء؛ إذ إنه ينظر إلى الإنسان على أنه مخلوق يكرّم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]؛ حيث يوجب الإسلام دفن الميت؛ تقديرًا لكرامة الإنسان الذي خلقه الله وأبدع صنعه؛ لأن عدم دفن جثث القتلى إهانة لها.

ومن الأدلة الصريحة على وجوب دفن قتلى العدو، ما ورد في قصة قتلى بدر، فقد أخرج الشيخان في صحيحيهما، أن النبي ﷺ أمر بقتلى

(١) هو: سليمان بن بريدة، تابعي جليل، روى عن أبيه، وعائشة، وعمران بن حصين، مات سنة خمس ومئة وله ستون عامًا، انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبدالرحمن المزي، (٣٧٠/١١)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بأداب الغزو وغيرها، رقم الحديث (١٧٢١).

(٣) نيل الأوطار، الشوكاني، (٧٢/٤)، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

بدر من المشركين أن يُلقوا في بئر، فألقوا في البئر؛ غير أمية بن خلف<sup>(١)</sup> فإنه كان رجلاً ضخماً، فلما جروه تقطعت أوصاله، قبل أن يلقى في البئر. وزاد مسلم: «ثم سُحبوا إلى قلب بدر»<sup>(٢)</sup>.

### الفرع الثاني: معاملة القانون الدولي للقتلى في ساحة الحرب:

المقرر في بعض الاتفاقيات الدولية - وفق التعديل الذي أُدخل على اتفاقية الصليب الأحمر سنة ١٩٢٩م، وسنة ١٩٤٩م - أنه يجب على الدول المحاربة نحو القتلى احترام جثثهم، ولزوم دفنهم، وسرعة تبادل المعلومات عنهم، وإيقاف القتال مدة لنقلهم ودفنهم. ويمتنع على الدول المتحاربة العبث بأشلاء القتلى والتمثيل بهم، وسلب ما يكون معهم من نقود، أو حُلي وأشياء أخرى ذات قيمة، وأن تعمل على إعادة هذه الأشياء بقدر المستطاع إلى أسرهم. ثم إن عليها أن تتحقق من شخصية كل قتيل، ومما يسهل ذلك الصحيفة المعدنية التي يحملها الجنود، والعلامات الأخرى كرقم الجندي، وعلامات الفرقة التابع إليها، وغير ذلك من العلامات التي تساعد في معرفته. وعليها بعد ذلك أن تبعث إلى الدولة المحاربة الأخرى بأسماء قتلاها، الذين عثرت عليهم في ميدان المعركة، والأدلة المثبتة لشخصياتهم، وشهادة الوفاة الخاصة بهم، وجميع ما وُجد معهم.

ومن واجب القواد المتحاربين إيقاف القتال لمدة يتمكنون فيها من جمع جثث الموتى، وعليها أخيراً أن تقوم بدفنهم بعد تقديم المراسم الدينية الواجبة لهم.

هذه هي أحكام الاتفاقيات الدولية جملة بشأن معاملة القتلى<sup>(٣)</sup>.

(١) هو: أمية بن خلف بن وهب من بني لؤي، أحد جبابرة قريش في الجاهلية، أدرك الإسلام ولم يسلم، قتل في بدر سنة ٢هـ، انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، (١/٦٢٢)، مؤسسة علوم القرآن، (د. ط. ت. د.).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الجزية والموادعة، باب: طرح جيف المشركين في البئر، رقم الحديث (٢١٨٥)، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي الرسول ﷺ من أذى المشركين، رقم الحديث (١٧٩٤).

(٣) القانون الدولي العام أبو هيف، ص: ٨٢١ - ٨٢٢، منشأة المعارف، الاسكندرية، (د. ط.)، ١٩٩٣م



## الفرع الثالث: المقارنة بين معاملة الرسول ﷺ والقانون الدولي للقتل في ساحة الحرب:

يظهر لنا أن التشريع الإسلامي سبق القانون الدولي في وضع قواعد تعمل على حماية المدنيين المسلمين، كما أنه حفظ للمقاتلين المأسورين كرامتهم في الحياة والموت، من عدم التمثيل بالجثث، وإكرام القتيل بدفنه، كما سبق بيانه.

وما زلنا نرى قتل الأسرى في العصور الحاضرة؛ برغم كل القوانين والاتفاقيات الدولية، وبطرق وأساليب رهيبة، كما وقع في البوسنة والهرسك، وكوسوفا، والشيشان، وفلسطين، وأفغانستان<sup>(١)</sup>؛ ولذلك فمن الأهمية بمكان اعتماد الحكم الإسلامي المتعلق بالأسرى في هذه الاتفاقيات الدولية؛ حتى يكون لها معنى، ويتم احترامها، والالتزام بها التزام المسلمين المعروف بالعهد والمواثيق.

ولا يجوز أن يُجاري العدو في انتهاكه لقانون الأخلاق، فإذا هتكوا حرمة الأعراس؛ فإننا لا نفعل مثلهم، وإذا شوّهوا القتلى ومثلوا بجثثهم؛ فلا نصنع مثل هذا العمل؛ لأن من وصايا النبي ﷺ لقواده: (اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا)<sup>(٢)</sup>.

ومما سبق، يتبين الفرق الجلي بين معاملة النبي ﷺ ومعاملة القوانين الدولية للقتلى في ساحة الحرب؛ فالرحمة أساس معاملة الرسول ﷺ للأسرى، إضافة إلى احترام حقوقهم، وحفظ كرامتهم حتى وإن كانوا أمواتًا.

(١) انظر: الأسرى: حقوقهم، واجباتهم، أحكامهم، د. ناصر بن عبدالله العودة، ص: ٢٩٨، كنوز المعرفة، ١، ط١، ١٤٣٣هـ.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب تدمير الإمام علي البعوث، رقم الحديث (١٧٢١).

## المطلب الثالث نفقة الأسرى وكسوتهم

الفرع الأول: معاملة الرسول ﷺ للأسرى في نفقتهم وكسوتهم:

قال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسْكِنَاتٍ وَأَسِيرًا ۗ﴾ [الإنسان].

وقال ابن عباس: « أمر رسول الله ﷺ أصحابه يوم بدر أن يُكرموا الأسرى، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء»<sup>(١)</sup>.

ولم يكن الصحابة ﷺ يقدمون للأسرى ما بقي من طعامهم؛ بل كانوا ينتقون لهم أجود ما لديهم من طعام، ويجعلونهم يأكلونه؛ عملاً بوصية رسول الله ﷺ بهم.

وها هو أبو عزيز شقيق مصعب بن عمير ﷺ يحكي ما حدث، يقول: "كنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز، وأكلوا التمر؛ لوصية الرسول ﷺ إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها؛ فأستحي فأردها، فيردها علي ما يمّسها. قال ابن هشام: وكان أبو عزيز هذا صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث"<sup>(٢)</sup>، وفي هذا دليل على قمة الإحسان لهذا الأسير، وتقديم أفضل الطعام له، فالخبز كان طعامه، والصحابة يأكلون التمر، ومعلوم أن الخبز كان طعاماً عزيزاً، أما التمر، فهو متوفر بكثرة عندهم، كما أسر صلاح الدين الأيوبي عدداً من جنود الجيش الصليبي، وكان لا يوجد عنده ما يكفيهم من الطعام، فأطلق سراحهم لئلا يموتوا جوعاً<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٥٨٤/٤)، دار الجيل، (د. ط. ت).

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام، (٤٧٥/٢)، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مكتبة مصطفى البابي، مصر، ١٣٧٥هـ.

(٣) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٢٧٣/٧، إدارة الطباعة المنيرة، ١٣٥٧هـ، (د. ط.).

وبخصوص تأمين الكسوة والثياب للأسرى، فقد ورد في صحيح البخاري بعنوان: (باب الكسوة للأسارى)، ذكر فيه حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: "لما كان يوم بدر أتى بالعباس ولم يكن عليه ثوب، فنظر النبي ﷺ له قميصاً، فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه، فكساه النبي ﷺ إياه؛ فلذلك نزع النبي ﷺ قميصه الذي ألبسه"<sup>(١)</sup>. والنفقة على الأسير وكسوته أمر مقرر في الإسلام، وليس من الإحسان إليه تركه بدون كسوة تليق به.

### الفرع الثاني: معاملة القانون الدولي للأسرى في نفقتهم وكسوتهم:

جاء في القانون الدولي أنه يجب أن تكون وجبات الغذاء اليومية كافية في كمياتها وقيمتها الغذائية، بحيث تكفل سلامتهم وبقاءهم في حالة صحية جيدة. ولا بد من مراعاة أنواع الأغذية التي تناسب الأسرى، وتتفق وعاداتهم؛ فربما كان نوع الطعام الذي تقدمه الدولة الأسيرة لأفراد قواتها المسلحة لا يناسب المعتقلين، أو أنهم لا يتقبلونه، أو يكون مُحَرَّمًا عليهم تناوله في شريعتهم؛ لذا يجب مراعاة ذلك؛ حتى لا يتعرض الأسرى لسوء التغذية، مع ما يستتبع ذلك من إلحاق الضرر بصحتهم<sup>(٢)</sup>.

أما بالنسبة للباس الأسرى، فبالإضافة إلى ملابسهم العسكرية، ورتبهم، وأوسمتهم؛ فإنه يجب على الدولة الأسيرة أن تقدم لهم الملابس والأحذية الكافية، بحيث يجب أن تلائم جو الإقليم الذي يقيمون فيه، مع التأكيد على ضرورة إصلاح هذه الملابس وتجديدها كلما دعت الحاجة إلى ذلك<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب (الكسوة للأسارى)، رقم الحديث (٢٨٠٢).

(٢) انظر: المادة (٢٦) فقرة (١)، اتفاقية جنيف عام ١٩٤٩م.

(٣) المادة (٥٧) من اتفاقية جنيف عام ١٩٤٩م.

## الفرع الثالث: المقارنة بين معاملة الرسول ﷺ والقانون الدولي للأسرى في نفقتهم وكسوتهم:

كانت معاملة الرسول ﷺ للأسرى، والنفقة عليهم وكسوتهم؛ شريعة يلتزم بها قبل أن يكون هناك قانون دولي لحقوق الأسرى، وقبل أن يكون هناك اتفاقيات جنيف ولاهاي أو غيرها. وقد التزم بها أبناء الإسلام عملياً على أرض الواقع، ولم تكن مجرد كلام نظري. وقد نصت اتفاقيات جنيف لعام ١٩٢٩م على أن: "طعام الأسرى ولباسهم وسكناتهم؛ يجب أن تكون في المستوى نفسه المتبع بالنسبة لجيوش الدولة الأسيرة..."<sup>(١)</sup>.

وإن الواقع ليشهد، ويزخر بالشواهد التي تعد عاراً على جبين الإنسانية، هذه الشواهد لم تأت من دول متسلطة فحسب، بل مع تسلطها تدعي الحرية، والمثالية في رعاية حقوق الإنسان، بل وحقوق الحيوان، وأكتفي بما يحصل الآن في (غوانتانامو) الجزيرة الكوبية من أعظم دول العالم قوة، وأعظم دول مطالبة بحقوق الإنسان حيث تضع الأسرى المشكوك في أمرهم في أقفاص كأقفاص القرود في الخلاء، وبمعاملة لا تعامل بها الحيوانات فضلاً عن الإنسان. والشاهد الآخر ما حصل في مخيم جنين بفلسطين المحتلة، فلأجل مجموعة من المجاهدين الفلسطينيين، يقوم اليهود بإبادة المخيم عن بكرة أبيه، وهدم البيوت على من فيها من نساء وأطفال وشيوخ، ومع هذا يرفضون أي لجنة لتقصي الحقائق<sup>(٢)</sup>.

أين المحافظة على حقوق الإنسان، وحقوق أسرى الحرب؟ وبهذا ألا نتفق جميعاً على أن مسألة التطبيق هي الثمرة وهي النتيجة التي كان الرسول ﷺ يدعو لها ويطبّقها في معاملته مع الأسرى؟

(١) أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلامية، د. عبداللطيف عامر، ص: ١٤٨، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١، ٤٠٦هـ.

(٢) حكم أسرى الحرب في الإسلام ومقارنته بالقانون الدولي، عبدالسلام الحسن، ص: ٦٩، (د.ن)، ط١، ١٩٨٥م.



## المطلب الرابع مكان حبس الأسرى

الفرع الأول: معاملة الرسول ﷺ للأسرى في مكان حبسهم:

المكان المريح من ضرورات الحياة، وقد كفل الإسلام للأسير المأوى. وإضافة إلى تأمين مأكله، ومشربه، وملبسه؛ فقد ضمن الإسلام مسكنه الصحي اللائق بإنسانيته.

وكان هذا المسكن إما المسجد، وهو أشرف مكان عند المسمين، وإما بيوت الصحابة رضي الله عنهم، ومن ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "بعث رسول الله ﷺ خيلاً قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة، يُقال له: ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد"<sup>(١)</sup>. لقد وضع الرسول ﷺ في المسجد أسيراً ليرى بعينه، ويسمع بأذنه محاسن الدين الإسلامي، وكان مسجده **ليللاً** مثابة للمصلين والمتعلمين، ومقرّاً للوفود، وكان ثمامة الأسير يشاهد ذلك، ويسمع كتاب الله وهو يتلى مما يدعوه إلى الإسلام.

وأما بقاء الأسرى في منازل الصحابة رضي الله عنهم فكان إكراماً كبيراً من المسلمين لأولئك الأسرى، فعن الحسن البصري أن رسول الله ﷺ كان يأتي بالأسير، فيدفعه إلى بعض المسلمين، فيقول: (أحسن إليه)، فيكون عنده ليومين أو ثلاثة؛ فيؤثره على نفسه<sup>(٢)</sup>.

وهكذا نرى أن مأوى الأسير كان موزعاً بين بيوت الصحابة والمسجد، وقد كانا أكرم مكانين عند المسلمين.

(١) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الصلاة، باب دخول المشرك المسجد، رقم الحديث، (٤٦٩).  
(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، (١٥٥/٢٩)، تحقيق: محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، ط٤، ٤٠٨هـ.

## الفرع الثاني: معاملة القانون الدولي للأسرى في مكان حبسهم:

جاء في المادة (٢٥) من اتفاقية جنيف الدولية الثالثة:

تُوفّر في مأوى أسرى الحرب ظروف ملائمة مماثلة لما يُوفّر لقوات الدولة الحاجزة المقيمة في المنطقة ذاتها. وتُراعى في هذه الظروف عادات الأسرى وتقاليدهم، ويجب ألا تكون ضارة بصحتهم بأي حال. وتطبيق الأحكام المتقدمة على الأخص على مهاجع أسرى الحرب، سواء من حيث مساحتها الكلية، والحد الأدنى لكمية الهواء التي تتخللها، أو من حيث المرافق العامة والفرش؛ بما في ذلك الأغطية.

ويجب أن تكون الأماكن المخصصة للاستعمال الفردي أو الجماعي لأسرى الحرب محمية تماماً من الرطوبة، ومدفأة، ومضاءة بقدر كاف، وعلى الأخص في المدة بين الغسق وإطفاء الإضاءة. ويجوز اعتقال الأسرى في أي مكان بأحاء الدولة، ويحسن أن يكون بعيداً عن السكان، وأن يكون المكان مُسوّراً؛ بشرط أن يكون محل الاعتقال صحيحاً يُراعى فيه ما رُوِيَ في أماكن إقامة جيش الدولة الأسيرة نفسها<sup>(١)</sup>.

كما نصت المادة (٢٢) على الآتي: لا يجوز اعتقال أسرى الحرب إلا في مبانٍ مقامة فوق الأرض، تتوفر فيها كل ضمانات الصحة والسلامة، ولا يجوز اعتقالهم في سجون إصلاحية؛ إلا في حالات خاصة تبررها مصلحة الأسرى أنفسهم. ويجب بأسرع ما يمكن نقل أسرى الحرب المعتقلين في مناطق غير صحية، أو حيث يكون المناخ ضاراً بهم؛ إلى مناخ أكثر ملاءمة لهم. وتجمع الدولة الحاجزة أسرى الحرب في المعسكرات أو أقسام المعسكرات تبعاً لجنسياتهم، ولغاتهم، وعاداتهم؛ شريطة ألا يفصل هؤلاء الأسرى عن أسرى الحرب التابعين للقوات المسلحة التي كانوا يخدمون فيها عندما أُسروا إلا بموافقتهم<sup>(٢)</sup>.

(١) القانون الدولي العام، علي صادق أبو هيف، ص: ٨١٩، مرجع سابق.

(٢) قانون الحرب، محمد عبد الجواد الشريف، ص: ٤٠٨-٤٠٩، المكتب العصري الحديث، =

## الفرع الثالث: المقارنة بين معاملة الرسول ﷺ والقانون الدولي للأسرى في مكان حبسهم:

تتفوق معاملة الرسول ﷺ على ما يقرره القانون الدولي، إذ إن ربط الأسير لم يكن لمجرد منعه من الهرب، بل لغرض حميد وهو مشاهدته للمسلمين لأجل أن يتأثر، فكان ربط الأسير أمراً مؤقتاً حتى يقرر مصيره سرعان ما تنتهي الحرب. والحرب القديمة تنتهي عادة خلال مدة قصيرة، ولو لم يفعل به كذلك؛ لتمكّن من الهروب بعد أسره<sup>(١)</sup>.

وهذا أمر جائز بين الدول في العصر الحاضر، فلدولة أن تتخذ الاحتياطات اللازمة للمحافظة على الأسرى، وعدم تمكينهم من اللحاق بالقوات التي كانوا معها، ولها أن تخضعهم تحت الرقابة، أو تعتقلهم في مدينة، أو قلعة، أو معسكر خاص<sup>(٢)</sup>.

ومما تقدّم، يتبيّن الفرق بين معاملة الرسول ﷺ في تخصيص مكان مناسب للأسير، وتكريمه في هذا المكان من جهة، والقانون الدولي من جهة أخرى؛ فما نراه في العصر الحاضر يتنافى مع أساسيات الرحمة من وجود أماكن للأسرى غير لائقة للإنسانية. وقد تلقى المدعي العام في المحكمة الجنائية الدولية شكاوى عديدة من جرائم الحرب المرتكبة في العراق بعد احتلاله من الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها، وأصدر مذكرة بتاريخ ٢٠٠٦/٢/٩م تناول فيها الشكاوى، ولم يُباشِر التحقيق فيها، وقد حملت هذه الشكاوى صوراً عن مختلف الانتهاكات والجرائم، التي بلغت حدّاً لا يحتمل من المساس بكرامة الإنسانية. ورصدت المنظمة العربية لحقوق

= القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ.

(١) انظر: آثار الحرب في الفقه الإسلامي، وهبة الزحيلي، ص: ٤١٠، دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٤١٩هـ.

(٢) القانون الدولي العام، علي صادق أبو هيف، ص: ٨١٩، مرجع سابق.

الإنسان الجرائم والانتهاكات التي تعرض لها العراقيون داخل السجون وخارجها من جيش الاحتلال الأمريكي، وهي كالآتي:

١. لا ينال المعتقلون أي قسط من الراحة في أماكن مناسبة.
٢. لا يسمح لهم بقضاء حاجاتهم إلا تحت سمع الحراس وبصرهم.
٣. يتم تعذيبهم بتقييدهم وهم جالسون لثلاثة أيام متصلة على مقعد خشبي.
٤. يحصلون على وجبة غذاء واحدة يوميًا وهي قليلة وباردة.
٥. اضطرار المعتقلين إلى التناوب على النوم بسبب تكديس السجناء داخل الخيام<sup>(١)</sup>.

## المطلب الخامس محاكمة الأسرى

**الفرع الأول: معاملة الرسول ﷺ للأسرى في محاكمتهم:**

عند استقراء أحكام الأسرى التي وقعت في غزوات الرسول ﷺ، والسرايا التي قام بها أصحابه نجد أن محاكمة الأسرى في عهد النبي ﷺ حُصرت في أمرين:

أحدهما العفو والمن، والآخر الفداء، وقد أكد عليهما العلماء. كما ورد في الآية الكريمة التي تحكم الوضع الشرعي للأسرى غير المسلمين في دولة الإسلام في سورة محمد: ﴿فَإِذَا لَقِيتَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَمُوهُمُ فَشُدُّوا الْوَتَاكَ فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا بَعْدُ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤]،

(١) العار الأمريكي من غوانتانامو إلى أبو غريب، محمود بسيوني، ص: ١٠١ وما بعدها، دار الكتاب العربي، دمشق، ط١، ٢٠٠٥م.

بمعنى: أن على المجاهدين المسلمين عند لقاءهم بالكفار في ساحة الوغى أن يعملوا السيف في رقابهم، وبعد إثنانهم بالجراح، وإنهاكهم إلى درجة الوهن، عليهم القبض عليهم، وتقييدهم، والتحفظ عليهم حتى تضع الحرب أوزارها، وعند ذلك يحق للمسلمين المن عليهم بإطلاق سراحهم، دون أي مقابل أو مفاداتهم بمال.

أما الأول فهو العفو عن الأسير وإطلاق سراحه مجاناً دون مقابل، وقد حكم به الرسول الكريم ﷺ في كثير من غزواته، وخاصة يوم فتح مكة، وما فعله ﷺ مع أهله وعشيرته، فيما حكى الشافعي عن أبي يوسف في هذه القصة، أنه قال لهم حين اجتمعوا في المسجد: (ما ترون أني صانع بكم؟)، قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم. قال: (أذهبوا فأنتم الطلقاء)<sup>(١)</sup>، وهكذا كان العفو هو الأول لأنه من شيمه المصطفى ﷺ، حتى إنه كان يطلق الأسير بمجرد بسيط، أو تدخل رجل من المؤمنين يطلب حرية الأسير، وكان ﷺ يتمنى أن يتدخل أحدهم، حتى إنه تمنى حياة أحد الكفار من الذين ماتوا، ليتدخل في أسرى بدر ليطلق سراحهم، وهو المطعم بن عدي. كل هذا وذاك يدل دلالة أكيدة على ما للعفو من قيمة، ومن قدسية. ولأجل ذلك حث الإسلام الناس على تطبيق هذه الصفة، وأعظم التطبيق حين يكون ذلك مع أسرى الحرب. فلما أسر المسلمون في غزوة بدر سبعين من المشركين قال ﷺ: (لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء لنتى لتركتهم له)<sup>(٢)</sup>.

وفي الحديث إطلاق الأسير والمن عليه من غير فداء.

أما الثاني وهو فداء أسرى الحرب: فالأسير إما أن يفدي نفسه

(١) ذكره أبو بكر البيهقي في السنن الكبرى، برقم (١٨٧٣)، ١١٨/٩، محمد عبدالقادر عطاء، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٤هـ.

(٢) ذكره ابن أبو داود في سننه، وصححه محمد ناصر الدين الألباني، رقم الحديث (٢٩٢٢)، ١٥٠/٢، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٩٨م.

بالمال، كما وقع ذلك في أسرى غزوة بدر الكبرى، أو يفدى برجل مسلم أسير عند الكفار. ولم يقتصر الرسول ﷺ على الفداء بالمال والرجال، بل جعل الفداء بتعليم الأسير أولاد المسلمين الكتابة والقراءة، وهذه أسهل مهمة بالنسبة للأسير، ولم يسبق إليها رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>، وهذا يدل على ما لهذا الدين من تطلع إلى الحرية وإلى محاربة الجهل الفكري والاعتقادي على حد سواء، وأنه يتطلع إلى دولة العلم والتفكير الصحيح والاعتقاد بالتوحيد. وللأسف فإن الإنسانية لم تتبته حتى يومنا هذا إلى هذا الحكم النبوي الكريم، الذي طبقه سيد الخلق ﷺ منذ أربعة عشر قرناً، في وقت لم تكن للثقافة قيمة ولا للأسير حاجة، ولا توجد جمعيات دولية أو منظمات تهتم بالأسرى.

وقد ذكر بعض العلماء<sup>(٢)</sup> أن القتل يعد خياراً ثالثاً، لكن الصحيح أن القرآن الكريم ليس فيه أي نص يبيح قتل الأسير لمجرد أنه أسر على أن التي في سورة الأنفال: ﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُتَخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال]، تتعلق بواقعة معينة أراد بها المسلمون أن يأخذوا أسرى رغبة في مفاداتهم بالمال، وذلك قبل تحقق الهدف الأساسي من المعركة، وهو إعلاء كلمة الله، وقال المصطفى ﷺ: (لا يعترض أحدكم أسير أخيه فيقتله)<sup>(٣)</sup>، والأخبار في ذلك كثيرة جداً، مما يضيق المقام بذكره؛ إذ إن ولي الأمر أو من ينوب عنه من قادة الجيوش ينظر؛ فما كان فيه تحقيق مصلحة للإسلام والمسلمين، قدمه على غيره، وما كان فيه تحقيق مصلحة أولى من الأخرى قدمه.

(١) مسند الإمام أحمد رقم ٢٢١٦، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ.

(٢) ومنهم الإمام الشافعي وأحمد بن حنبل، انظر: الأحكام السلطانية، الماوردي، ص: ١٣١، دار الكتب العلمية، (د. ط. ت)، ٤/١٣٠.

(٣) مسند الإمام أحمد رقم (٢٠٢٠١)، مرجع سابق.

## الفرع الثاني: معاملة القانون الدولي للأسرى في محاكمتهم:

تخضع العقوبات الجنائية والتأديبية الخاصة بالأسرى للقوانين واللوائح المطبقة على القوات المسلحة للدولة الحاجزة، ثم محاكمة الأسرى أمام المحاكم العسكرية لتلك الدول بشرط توافر الضمانات.

ولا يجوز محاكمة الأسرى عن الفعل ذاته مرتين، كما لا يجوز محاكمتهم عن فعل لم يحظره قانون الدولة الحاجزة. وتتمثل العقوبات التأديبية التي يمكن توقيعها بالسير في حرمانه، جزئياً أو كلياً، من المزايا الممنوحة له، والأسير الذي ينجح في الهرب، ثم يقع في الأسر مرة أخرى لا تطبق عليه عقوبة بسبب هروبه السابق، ولا يجوز اعتبار الهروب ظرفاً مشدداً إذا حوكم الأسير عن مخالفة ارتكبها في أثناء هروبه أو محاولته الهروب؛ جاء في اتفاقية جنيف الثالثة لعام ١٩٤٩م.

أن استخدام الأسلحة ضد أسرى الحرب وبخاصة الهاربين أو الذين يحاولون الهرب وسيلة أخيرة يجب أن تسبقها دائماً إنذارات مناسبة للظروف<sup>(١)</sup>.

وفي جميع الأحوال إذ لم يتمكن الأسير من تنفيذ خطته في الهرب، وألقي القبض عليه في أثناء تلك العملية، فلا يجوز معاقبته جنائياً، وإنما يجوز أن تفرض عليه عقوبة تأديبية فحسب، حتى في حالة تكراره المحاولة<sup>(٢)</sup>.

وألزمت المادة (١٠٩) من اتفاقية جنيف الثالثة لعام ١٩٤٩م الأطراف المتنازعة بإعادة أسرى الحرب المصابين بأمراض خطيرة إلى أوطانهم، بصرف النظر عن عددهم أو رتبهم، وينتهي الأسر في حالة وفاة الأسير<sup>(٣)</sup>.

(١) المادة (٤٢) من اتفاقية جنيف الثالثة لعام ١٩٤٩م.

(٢) المادتان (٩٢، ٩٣) من اتفاقية جنيف الثالثة لعام ١٩٤٩م.

(٣) انظر: المركز القانوني لأسرى الحرب، محمد أحمد العسيلي، ص: ٤٥٤، منشأة المعارف،

الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٥م.

وأجازت اللائحة الملحقة باتفاقية لاهاي الرابعة لسنة ١٩٠٧م إطلاق أسرى الحرب مقابل وعد وتعهد منهم، بقدر ما تسمح بذلك قوانين الدولة التي يتبعونها.

### الفرع الثالث: المقارنة بين معاملة الرسول ﷺ والقانون الدولي للأسرى في محاكمتهم:

بعد هذا العرض الموجز لمحاكمة الأسرى يتبين لنا أن الإسلام هو أعدل الأديان وأحكمها وأرحمها، وذلك من خلال النظر إلى أحكامه ومقاصده، ويتضح ذلك جلياً من خلال النظر لمعاملة المسلمين لأسراهم في محاكمتهم، وذلك مقارنة مع القانون الدولي للأسرى، وأذكر هنا قول الفرنسي المستشرق جوستاف لويون: «والحق أن الأمم لم تعرف فاتحين رحماء متسامحين مثل العرب، وإذا حدث أن انتحل بعض الشعوب النصرانية الإسلام، واتخذوا العربية لغة لهم، فذلك لما كان يتصف به العرب من ضروب العدل، الذي لم يكن للناس عهدٌ بمثله»<sup>(١)</sup>، فالمسلمون حتى في أحلك الظروف وأشدّها تظهداً آثار رحمتهم على الناس، ويتحلون بمبادئ الحق والعدل. يقول الله ﷻ: ﴿وَيُطْعَمُونَ﴾ [الطعام على حبيبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً] ﴿٨﴾ [الإنسان]، فرعاية الأسير خلق أصيل علمه المسلمون للدنيا.

كما ذكر في الآية الكريمة: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا ائْتَمَتُوهُمْ فَنشدوا الأوثاقَ فإِذَا مَنَّا بَعْدُ وَإِذَا فِدَاءٌ حَتَّىٰ تَضَعَ الحَرْبُ أوزارها﴾ [محمد: ٤]، فالمسلم عندما يلاقي العدو على وطنه ينهض لرد العدوان، فإذا أئتم العدو، وأوقع جنوده أسرى، ومنّ على المسلمين بالنصر، فلا يجيز الإسلام

Development of Muslim theology jurisprudence and constitutional theory. MacDonald• B. (١)

.Duncan (New Delhi• 1987) p. 67



الانتقام من الأسرى، بل إن القرآن يوجهنا إلى الخلق السامي من العفو  
والفداء والإحسان في معاملة الأسير، فليس في الإسلام تعذيب الأسير،  
ولا إهانته، بل الإحسان والرعاية. أما في القانون الدولي، فتشهد وقائع  
الحروب أن حقوق الأسرى لم تكن تحترم، وخير شاهد ما حصل مع  
أسرى أفغانستان في الاتحاد السوفيتي؛ إذ ارتفعت نسبة الوفيات بين  
الأسرى إلى درجة مرعبة، فمن بين ثلاثة ملايين هلك نحو الثلث؛ لعدم  
احترام ما نص عليه القانون الدولي وتطبيقه<sup>(١)</sup>.



## الخاتمة

أحمد الله ﷻ على ما وفقني إليه من الكتابة في موضوع: «رحمة الرسول ﷺ بالأسرى والقانون الدولي المعاصر.. دراسة مقارنة».  
ومن خلال بحثي في هذا الموضوع ظهرت لي جملة من النتائج أجملها فيما يأتي:

١. الأصل من إرسال النبي محمد ﷺ للعالمين الرحمة بهم.
٢. ذكر مشروعية الأسر في القرآن الكريم والسنة النبوية.
٣. اهتمام الرسول ﷺ بالأسرى بخاصة وهم جرحى ومرضى، وأمر أصحابه بالإحسان إليهم، قال (عليه السلام): (استوصوا بهم -أي بالأسرى- خيراً)<sup>(١)</sup>.
٤. أن المطلوب في الإسلام ستر الجثة واحترامها وعدم التمثيل بها وتشويهها.
٥. سبق التشريع الإسلامي القانون الدولي في وضع قواعد تعمل

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، ص: ٩٧٧، وقال الهيثمي: إسناده حسن من حديث أبي عزيز بن عمير، مجمع الفوائد الهيثمي، (١٠٥/٦)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ٢٠١٤هـ.

على حماية المدنيين المسلمين، وحفظه للمقاتلين المأسورين كرامتهم في الحياة والموت.

٦. حرص الرسول ﷺ في تعاملاته مع الأسرى في الاهتمام بمأكلهم، ومسكنهم، وكسوتهم.

٧. أن الرسول ﷺ يستبقي الأسرى لديه؛ ليلمس في قلوبهم مكان الخير والرجاء والصلاح، ويوقظ في فطرتهم أجهزة الاستقبال والتلقي والتأثير والاستجابة للهدى.

٨. أن محاكمة الأسرى في عهد الرسول ﷺ حددت في أمرين: إما العفو والمن أو الفداء.

أما أبرز التوصيات التي خرجت بها من هذا البحث، فتتلخص فيما يأتي:

١. طرح عناوين لأبحاث علمية تختص بدراسة أسرى الحرب، وفق ما جاءت به الشريعة الإسلامية.

٢. ضرورة عقد مؤتمرات تُعنى بدراسة واقع الأسير المعاصر.

٣. ضرورة إعادة النظر في بعض اتفاقية جنيف الثالثة، لتعديلها وتطويرها بما يحقق حماية أفضل للمدنيين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



## فهرس المصادر والمراجع

### أولاً: المصادر:

١. القرآن الكريم.
٢. السنة النبوية.

### ثانياً: المراجع:

١. آثار الحرب في الفقه الإسلامي، وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٩٤١هـ.
٢. أحكام أسرى الحرب.. دراسة مقارنة بين القانون الوضعي والشريعة الإسلامية، د. هاني الطهراوي، جامعة نايف للعلوم الأمنية، ط١، ١٤٣٣هـ.
٣. أحكام الأسرى في الفقه الإسلامي والنظام الوضعي. التوجيهي، صالح بن عبدالعزيز، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المعهد العالي للقضاء، قسم السياسة الشرعية، ١٤١٢هـ.
٤. أحكام الأسرى في الفقه الإسلامي، شبير، محمد عثمان، الكويت، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد ٥٥٦، ٢٠٠٤م.
٥. أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلامية، د. عبداللطيف عامر، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ.
٦. الأحكام السلطانية، علي بن محمد الماوردي، مطبعة الحلبي، ط٢، ١٣٨٦هـ.
٧. الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن الميداني، دار القلم، ط١، ١٣٩٩هـ.



٨. آداب الحرب في الفقه الإسلامي والقانوني الوضعي، علي الطيار، (د.ن)، ط١، ١٤٢٤هـ.
٩. أسرى الحرب عبر التاريخ، لعبدالكريم فرحان، ط١، بيروت، دار طيبة، ١٩٧٩م.
١٠. أسرى الحرب في الإسلام والقانون الدولي، سمارة، إحسان عبدالمنعم، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، المجلد الثالث، العدد الثاني عشر، ٢٠١١م.
١١. أسرى الحرب في الإسلام، العامري. محمد عبدالرحمن، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المعهد العالي للقضاء، قسم السياسة الشرعية، ١٤٠٣هـ.
١٢. أسرى الحرب في الفقه الإسلامي والاتفاقيات الدولية، وفاء مرزوق، منشورات الحلبي، ط١، ٢٠٠٨م.
١٣. الأسرى، حقوقهم وواجباتهم، أحكامهم، د. ناصر بن عبدالله عودة، كنوز المعرفة، ط١، ١٤٣٣هـ.
١٤. أسس العلاقة الدولية في الإسلام، محمود أبو الليل، دار المصطفى للطبع، ط١، ١٩٧٨م.
١٥. بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي، تحقيق: محمد النجار، دار الكتاب المصري، ط١، ١٤٠٦هـ.
١٦. التعريفات، الجرجاني، المحقق إبراهيم الإياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ.
١٧. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار الجيل، بيروت، (د. ط. ت).
١٨. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبدالرحمن المزي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.
١٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن

- السعدي، مطبعة المدني، ١٤٠٨هـ.
٢٠. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ.
٢١. جرائم الحرب في الفقه الإسلامي والقانون الدولي، خالد رمزي، دار النفائس، ط ١، ١٤٢٧هـ.
٢٢. مجمع الفوائد، الهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٢هـ.
٢٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي، تحقيق: محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، ط ٤، ١٤١٨هـ.
٢٤. سياسة الإسلام في معاملة أسرى الحرب دراسة تأصيلية مقارنة، الشمراني، علي سعيد، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، كلية الدراسات العليا، قسم العدالة الجنائية، ١٤٢٨هـ.
٢٥. السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق مصطفى العقاد وآخرون، مكتبة مصطفى البابي، مصر، ١٣٧٥هـ.
٢٦. شرح السنة، البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي، الرياض، (د. ط)، ١٣٩٥هـ.
٢٧. صحيح البخاري، دار السلام للنشر والتوزيع، أشرف على هذه الطبعة صالح آل الشيخ، ط ٣، ١٤٢١هـ.
٢٨. العلاقات الدولية في الإسلام، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، مؤسسة دار الكتاب الحديث، الكويت، ١٩٧١م.
٢٩. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، دار الكتاب العربي، (د. ط. ت).
٣٠. قانون الحرب، عبدالعزيز علي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ١، ١٩٥٢م.
٣١. قانون الحرب، محمد عبدالجواد الشريف، المكتب العصري الحديث، القاهرة، ط ١، ١٤٢٤هـ.



٣٢. القانون الدولي العام، علي صادق أبو هيف، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د. ط)، ١٩٩٣م.
٣٣. كتاب الجهاد، محمد حسين فضل الله، دار الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
٣٤. كتاب السنة، ابن حنبل، عبدالله بن أحمد، تحقيق: محمد سعيد القحطاني، بيروت، دار ابن القيم، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.
٣٥. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ.
٣٦. مجمل اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس، تحقيق: زهير سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.
٣٧. مجموع الفتاوى، ابن تيمية، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، (د. ط)، ١٤١٦هـ.
٣٨. محمد رسول الله الرحمة المهداة، محمد علام، دار الهدى للمطبوعات، (د. ط. ت).
٣٩. المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، العساف. صالح بن حمد، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٠٨هـ.
٤٠. المركز القانوني لأسرى الحرب، محمد حمد العسيلي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٥م.
٤١. مصنف ابن أبي شيبة، عبدالله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق: كمال الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.
٤٢. معجم المؤلفين، عمر كحالة، دار إحياء التراث العربي، ط١، (د. ت).
٤٣. معجم المصطلحات السياسية والدولية، أحمد زكي بدوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٩م.
٤٤. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، دار القلم، ط٤، ١٤٣٣هـ.

٤٥ . المفقود والأسير في الشريعة الإسلامية والقانون، أ. د. أحمد حسن طه، المشرق للكتاب، ط ١، ١٤٣١ هـ.

٤٦ . معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، دار الجيل، بيروت (د. ط. ت).

٤٧ . الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط ٢، ١٩٨٦ م.

٤٨ . نظام أسرى الحرب، سهيل حسين الفتلاوي، دار القادسية للطباعة، بغداد، ١٩٨٣ م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية.

١ . Development of Muslim theology jurisprudence and constitutional theory. MacDonald, B. Duncan (New Delhi, 1987).





## فهرس البحوث



• بحث: المهداة للصحب في الجهاد والغزوات.  
د. عمرو قمره.

المقدمة	٧
التمهيد: مفهوم الرحمة في اللغة والاصطلاح	١٢
المبحث الأول: الدعاء بالثبات	١٥
المبحث الثاني: التخول بالموعظة والتذكير بما أعد الله للمجاهدين	
والشهداء	٢١
المبحث الرابع: تأليف قلوب الضعفاء	٢٦
المبحث الخامس: في قصة الغنائم	٣٢
المبحث السادس: الرحمة بالعصاة والمذنبين والعفو عنهم	٤١
الخاتمة	٤٨



• بحث: تجليات الرحمة بالحيوان في سيرة خير الأنام ﷺ.  
د. خايف مرية

المقدمة	٦٩
المحور الأول: الضوابط الأخلاقية والأصول الشرعية للتعامل مع	
الحيوان من خلال الهدي النبوي	٧٤
المحور الثاني: المحافظة على مختلف الأجناس الحية من الانقراض،	
يحتوي على بعض التوجيهات والإرشادات النبوية للحفاظ على	
الحيوان من الانقراض	٨٢
المحور الثالث: حقوق الحيوان في ظل شريعة نبي الرحمة، وفيه أمثلة	

- لحقوق قررها فقهاء المسلمين للحيوان استبطا من الهدي النبوي ..... ٨٧  
الخاتمة ..... ٩١



• بحث: رحمة الرسول ﷺ بالحيوانات والطيور.  
د. حذيفة عبود مهدي السامرائي

- المقدمة ..... ٩٩  
المبحث الأول: التعريف بمفردات العنوان ..... ١٠٢  
المبحث الثاني: الرحمة بالحيوانات والطيور من قبل الرسول ﷺ .. ١٠٥  
المبحث الثالث: رحمة الحيوان بين هدي النبي ﷺ والحضارة الغربية .. ١٢١  
الخاتمة ..... ١٣٥



• بحث: رحمة الرسول ﷺ بالمخالفين.  
د. فراج محمد فراج الرداس المطيري

- المقدمة ..... ١٤٣  
المبحث الأول: تعريف الرحمة ..... ١٤٦  
المبحث الثاني: الترغيب في الرحمة واتصاف الرسول ﷺ بها ..... ١٤٨  
المبحث الثالث: صور من رحمة الرسول ﷺ في التعامل مع المخالفين ... ١٥٦  
الخاتمة ..... ١٦٤



• بحث: رحمة النبي ﷺ بالمنافقين - دراسة قرآنية.

د. فوزية بنت صالح الخليفي

المقدمة	١٧٧
المبحث الأول: رحمة النبي ﷺ للعالمين	١٩٠
المبحث الثاني: الآية الدالة على وصفه ﷺ بأنه رحمة للمنافقين	١٩٢
المبحث الثالث: الآيات الدالة على عتاب الله ﷻ للنبي ﷺ بشأن أعدائه ودلالاتها على رحمته ﷺ	١٩٤
الخاتمة	٢٠٠



• بحث: رحمة النبي ﷺ بالأسارى.

د. يعقوب طالب يعقوب العبدالهادي

المقدمة	٢٠٩
المبحث الأول: في الرفق بالأسارى ودعوتهم	٢٢٦
المبحث الثاني: فيه الإحسان إلى الأسارى	٢٣٢
المبحث الثالث: في إطلاق الأسارى وفكاكهم	٢٤٢
الخاتمة	٢٥٤



• بحث: رحمة النبي ﷺ بذوي الاحتياجات الخاصة.

د. منيرة بنت مدعث القحطاني

المقدمة	٢٦٧
التمهيد: تعريف ذوي الاحتياجات الخاصة	٢٧٠
المبحث الأول: رعاية الرسول ﷺ لذوي الاحتياجات الخاصة	٢٧٦
الخاتمة	٢٨٩



• بحث: رحمة رسول الله ﷺ بأُمَّته وطلبه من ربه التخفيف

في الشرائع.

د. عائشة بنت فراج بن علي العقلا

المقدمة	٢٩٩
المبحث الأول: اتصاف الرسول ﷺ بخلق الرحمة وخصائص أخلاقه	
مع أُمَّته	٣٠٣
المبحث الثاني: رحمة النبي ﷺ بأُمَّته بتخفيف التكاليف عنهم	٣٠٩
المبحث الثالث: رحمته ﷺ بأُمَّته بسؤاله ربه عز وجل التخفيف عنهم	٣٣٤
الخاتمة	٣٣٨



• بحث: مظاهر رحمة المصطفى للمخالفين لدعوته ﷺ .  
د. مختار علي ميكاونو

المقدمة	٣٤٩
المبحث الأول: الرحمة ومدلولاتها وأنواعها في الكتاب	٣٥٣
المبحث الثاني: صور ونماذج من رحمته ﷺ بالمخالفين لدعوته ...	٣٥٧
المبحث الثالث: شبهات غير المسلمين حول رحمة النبي ﷺ والرد عليها	٣٦٨
الخاتمة	٣٧٧



• بحث: معالم رحمة النبي ﷺ في الحرب.  
دراسة مقارنة مع الحروب المعاصرة  
د. محمد علي أحمد الأعر

المقدمة	٣٩٣
المبحث الأول: رحمة النبي ﷺ وحرصه في تجنب الحرب	٤٠٠
المبحث الثاني: رحمة النبي ﷺ في غير المحاربين (المدنيين)، والمستكرهين على الحرب والبيئة	٤١٥
المبحث الثالث: رحمة النبي ﷺ في الأسرى	٤٢٧
الخاتمة	٤٣٦



• بحث: منهج الرحمة لدى الرسول ﷺ مدرسة للتربية السليمة  
للناشئة.

د. عبدالصمد الرضى

المقدمة	٤٤٥
المبحث الأول: أصول منهج الرحمة لدى الحبيب ﷺ في تربية الناشئة	٤٥٢.....
المبحث الثاني: معالم هندسة تربوية مبنية على منهج الرحمة من	
أجل تيسير منهاج دراسي «رحمة في العالمين	٣٧٢ .....
الخاتمة	٤٨٣ .....



• بحث: رحمة الرسول ﷺ بالأسرى والقانون الدولي المعاصر -  
دراسة مقارنة.

د.جلوس بنت فرج القحطاني.

المقدمة	٤٨٩ .....
التمهيد	٤٩٩ .....
المبحث الأول: مفهوم الأسير ومشروعية الأسر	٥٠٤ .....
المبحث الثاني: مظاهر رحمة الرسول ﷺ بالأسرى مقارنة بالقانون	
الدولي	٥١٠ .....
الخاتمة	٥٣٠ .....



